

البداية والنهاية

ابن كثير ج ٢

[١]

البداية والنهاية للامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه
علي شيري الجزء الثاني دار احياء التراث العربي

[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم [ذكر] (١) جماعة من أنبياء بني إسرائيل
بعد موسى عليه السلام ثم تتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما
السلام قال ابن جرير في تاريخه (٢): لا خلاف بين أهل العلم بأخبار
الماضين وأمور السالفين من أمتنا وغيرهم أن القائم بأمر بني
إسرائيل بعد يوشع [كان] كالب بن يوفنا (٣) يعني أحد أصحاب
موسى عليه السلام، وهو زوج اخته مريم، وهو أحد الرجلين اللذين
ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القائلان لبني إسرائيل
حين نكلوا عن الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم
غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) [المائدة: ٢٣] قال ابن
جرير ثم من بعده كان القائم بأمر بني إسرائيل حزقيل بن بوذي (٤)
وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر
الموت. قصة حزقيل قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين خرجوا من
ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله
لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) [البقرة: ٢٤٣].
قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: إن كالب بن يوفنا لما
قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذي
وهو ابن العجوز (٥) وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه

(١) سقطت من النسخ المطبوعة. (٢) تاريخ الطبري: ج ١ / ٢٢٦ و ٢٢٧ دار القاموس
الحديث. (٣) قال صاحب مروج الذهب ١ / ٤٩: ووجدت في نسخة أن القائم في بني
اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون كوشان الكفري، وأنه أقام فيهم ثمانين سنة. (٤) في
المسعودي: مروج الذهب: فنحاص بن العازر بن هارون. (٥) سمي بابن العجوز: لان
أمه سألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله لها. [*]

[٤]

فيما بلغنا: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر
الموت) قال ابن إسحاق فروا من الوباء فنزلوا بصعيد من الارض فقال
لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف
عليهم متفكرا فقبل له أتجب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم
فأمر أن يدعوا تلك العظام أن تكتسي لحما وأن يتصل العصب بعضه
ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة
رجل واحد. وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح

عن ابن عباس وعن مرة [الهمداني] عن ابن مسعود وعن اناس من الصحابة في قوله: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قالوا: كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك [أكثر] من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوي شذقيه وأصابه فأوحى الله إليه [يا حزقيل] تريد أن أريك كيف أحبيهم قال: نعم وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقيل له: ناد فنادى: يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فجعلت العظام بطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجسادا من عظام ثم أوحى الله إليه أن ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما فاكتست لحما وذيابها التي ماتت فيها. ثم قيل له ناد فنادى: أيتها الاجساد إن الله يأمرك أن تقومي فقاموا. قال أسباط: فرعم منصور [بن المعتمر] عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا: (سيحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت) فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لأجالهم التي كتبت لهم (١). وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه ثمانية آلاف وعن أبي صالح تسعة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا. وعن سعيد بن عبد العزيز كانوا من أهل أذرعاء. وقال ابن جريح عن عطاء هذا مثل يعني أنه سيق مثلا مينا " أنه لن يغني حذر من قدر " وقول الجمهور أقوى إن هذا وقع. وقد روى الامام أحمد وصاحبا الصحيح من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن [عبد الله بن] الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس أن عمر بن

(١) روى الطبري الخبر في تاريخه ج ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨. وما بين معكوفين في الخبر زيادة من الطبري. [*]

[٥]

الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ (١) لقيه أمراء الاجناد (٢) أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء (٣) وقع بالشام. فذكر الحديث يعني في مشاورته المهاجرين والانصار فاختلفوا عليه فجاهه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا ببعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه " (٤). فحمد الله عمر ثم انصرف. وقال الامام: حدثنا حجاج ويزيد المفتي (٥) قالوا: حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري، عن سالم، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أن هذا السقم عذب به الامم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام " (٦). وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري بنحوه. قال محمد بن إسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل ثم إن الله قبضه إليه. فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الاحداث وعبدوا الاوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الاصنام صنم يقال له بعل فبعث الله إليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. قلت وقد قدمنا قصة إلياس تبعا لقصة الخضر لانهما يقربان في الذكر غالبا ولاجل أنها بعد قصة موسى في

سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله أعلم. قال محمد بن إسحاق فيما ذكر له عن وهب بن منبه قال ثم تنبأ فيهم بعد إلياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه: قصة اليسع عليه السلام وقد ذكره الله تعالى مع الانبياء في سورة الانعام في قوله: (وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) [الانعام: ٨٦] وقال تعالى في سورة ص: (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) [ص: ٤٨] قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم

(١) سرغ: هي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز. (٢) المراد بالاجناد هنا: مدن الشمس الخمس - وهي فلسطين والاردن ودمشق وحمص وقنسرين قال الامام النووي: هكذا فسروه وانتفقوا عليه. (٣) الوباء: قال الخليل وغيره: الطاعون. قالوا: وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون والوباء الذي وقع بالشام زمن عمر كان طاعونا وهو طاعون عمواس وهي قرية معروفة بالشام. (٤) أخرجه مسلم في ٣٩ كتاب السلام ٣٢ باب الطاعون ٩٨ / ٣٢١٩ وأخرجه أحمد في مسنده ج ١ / ١٩٤ والبخاري حديث رقم ٢٢٥٩. (٥) هو يزيد بن أبي حبيب، سمي بالمفتي لانه كان مفتي أهل مصر كما قال ابن سعد. (٦) مسند أحمد ج ١ / ١٩٣ ومسلم ٣٩ / ٣٢ / ١٠٠ / ٢٢١٩. [*]

[٦]

إلى الله مستمسكا بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عزوجل إليه ثم خلف فيهم الخلوء ؟ ؟ وعظمت فيهم الاحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الانبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ. ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة فسمي ذا الكفل. قال محمد بن إسحاق هو اليسع بن أخطوب. وقال الحافظ أبو الفهم بن عساكر في حرف الياء من تاريخه: اليسع وهو الاسباط بن عدي بن شوتلم بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. ويقال هو ابن عم إلياس النبي عليهما السلام. ويقال كان مستخفيا معه بجبل فاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه إليها فلما رفع إلياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بعده. ذكر ذلك عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه. قال وقال غيره وكان ببانياس. ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ واليسع وهو اسم واحد لنبي من الانبياء. قلت قد قدمنا قصة ذا الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام لانه قد قيل إنه ابن أيوب فالله أعلم. فصل قال ابن جرير (١) وغيره ثم مرج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الانبياء وسلط الله عليهم بدل الانبياء ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم الاعداء من غيرهم أيضا وكانوا إذا قاتلوا أحدا من الاعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وهربوهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمدا وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيا من الانبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا ليقاتلوا معه الاعداء فكان من أمرهم ما سنذكره مما قص الله في كتابه. قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث الله عزوجل شمويل بن بالي أربعمئة سنة وستون سنة. ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحدا واحدا تركنا ذكرهم قصدا. قصة شمويل عليه السلام وفيها بدأ أمر داود عليه السلام هو شمويل ويقال له أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن يهو بن تهو بن صوف بن

[٧]

علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا. قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمويل بن هلفا (١) ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا فالله أعلم. حكى السدي بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة والتعليبي وغيرهم أنه لما غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقا كثيرا وسبوا من أبنائهم جمعا كثيرا وانقطعت النبوة من سبط لاوى ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعبرانية (٢) إسماعيل أي سمع الله دعائي فلما ترعرع بعثته إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد، فانتبه مذعورا، فظنه الشيخ يدعو فسأله: أذعوتني؟ فكره أن يفزعه فقال: نعم، نم، فنام. ثم ناداه الثانية فكذلك، ثم الثالثة فإذا جبريل يدعو فجاءه فقال إن ربك قد بعثك إلى قومك فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه، قال الله تعالى في كتابه العزيز: (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم. وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) [البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١]. قال أكثر المفسرين: كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمويل. وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير في تاريخه أن بين

(١) وقال المسعودي في مروج الذهب: شمويل بن بروحان بن ناحور. (٢) قال ابن قتيبة في المعارف: ص ٢٠ اشماويل بن هلفانا وهو اسماعيل بالعربية واسم أمه حنة لم يكن بينه وبين يوشع بن نون نبي وهو الذي ذكره الله عزوجل في القرآن حين قال: (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا). [*]

[٨]

موت يوشع وبعثه شمويل أربعمئة سنة وستين سنة فالله أعلم. والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت

طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الاعداء. فقال لهم: (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) [البقرة: ٢٤٦] أي وأي شيء يمنعنا من القتال (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون موتورون، فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهوبين المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم. قال تعالى: (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين) [البقرة: ٢٤٦] كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقي رجعوا ونكلوا عن القتال (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) قال الثعلبي وهو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل (١). قال عكرمة والسدي كان سقاء وقال وهب بن منبه كان دباغا. وقيل غير ذلك (٢) فالله أعلم ولهذا: (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت في سبط لاوي وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه و [قد] (٣) ذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه، فكيف يكون مثل هذا ملكا؟ (قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم). قيل كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أي بني إسرائيل كان طولها على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يغور هذا القرن (٤) الذي فيه من دهن القدس فهو ملكهم فجعلوا يدخلون ويقيسون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه منه وعينه للملك (٥) عليهم وقال لهم: (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم) قيل في أمر الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال والظاهر من

(١) في مروج الذهب ١ / ٥١: طالوت وهو ساود بن بشر بن أنيال بن طرون بن بحرون بن أفيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وفي كامل ابن الأثير: وهو بالسريانية: شاول بن قيس بن انمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق. (٢) جاء في القرطبي - أحكام القرآن: وقيل كان مكاريا. وكان عالما. (٣) سقطت قد - من نسخ البداية المطبوعة. (٤) القرن: بالتحريك: الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تحرز. (٥) في نسخة: الملك. [*]

[٩]

السياق أنه كان اجملهم وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام: (والله يؤتي ملكه من يشاء) فله الحكم وله الخلق والامر (والله واسع عليهم). (وقال لهم نبيهم إن آية ملكة أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) [البقرة: ٢٤٨] وهذا أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم وبمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذي كان سلب منهم وقهرهم الاعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه (فيه سكينه من ربكم) قيل طشت من ذهب كان يغسل فيه صدور الانبياء. وقيل السكينه مثل الريح الخجوج، وقيل صورتها مثل الهرة إذا صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (١) (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان فيه رصاص (٢) اللواح وشيء من المن الذي كان نزل عليهم بالتيه (تحمله الملائكة) أي تأتيكم به الملائكة بحمولونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية الله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قال: (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وقيل إنه لما غلب العمالة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينه والبقية المباركة. وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر في أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم

فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فوضوه تحته فلما كان اليوم الثاني إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى، فأخرجوه من بلدهم وجعلوه في قرية من قراهم فأخذهم داء في رقابهم، فلما طال عليهم هذا جعلوه في عجلة وربطوها في بقرتين وأرسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جاؤوا بهما ملا بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك فالله أعلم على أي صفة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم بالجنود من الآية والله أعلم. وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم (فلما فصل طالوت قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده) [البقرة: ٢٤٩]. قال ابن عباس وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الاردن، وهو المسمى بالشرية، فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له اختبارا وامتحانا أن

(١) قال القرطبي: ٣ / ٢٤٩: قال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الانبياء وأثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى. (٢) رضاض الشئ فثاته. وفي بقية: أقوال: - قال ابن عباس: عصا موسى وعصا هارون ورضاض اللواح. - قال الثوري: ففيز من في طست من ذهب وعصا موسى وعمامة هارون. - الضحاك: البقية: الجهاد وقتال الاعداء. [*]

[١٠]

من شرب من هذا النهر فلا يصحني في هذه الغزوة ولا يصحني إلا من لم يطعمه إلا غرفة (١) في يده. قال الله تعالى: (فشربوا منه إلا قليلا منهم). قال السدي كان الجيش ثمانين ألفا فشرب منه ستة وسبعون ألفا فبقي معه أربعة آلاف كذا قال. وقد روى البخاري في صحيحه: من حديث إسرائيل وزهير والثوري عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن (٢). وقول السدي أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفا فيه نظر، لأن أرض بيت المقدس لا تحتل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفا والله أعلم. قال الله تعالى: (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) [البقرة: ٢٤٩] أي استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قتلهم وكثرة عدد عدوهم: (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) [البقرة: ٢٤٩] يعني بها الفرسان منهم. والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلال والجدال والطعان. (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) [البقرة: ٢٥٠] طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أي يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تفلق وأن يثبت أقدامهم في مجال الحرب ومعتك الأبطال وحومة الوغى والدعاء إلى النزال فسألوا التثبيت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه فأجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير إلى ما سألوا وأناهم ما إليه فيه رغبوا ولهذا قال: (فهزموهم باذن الله) أي يحول الله لا بحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكمال عددهم كما قال تعالى: (ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) [آل عمران: ١٢٣] وقوله تعالى: (وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) [البقرة: ٢٥١] فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتله قتلا أذل (٣) به جنده وكسره ولا أعظم من غزوة يقاتل فيها ملك عدوه فيغنم بسبب ذلك الاموال الجزيلة ويأسر الأبطال والشجعان

والاقران وتعلو كلمة الايمان على الاوثان ويدال لاولياء الله على أعدائه. ويظهر

(١) بين أن الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شطف العيش الذين همهم في غير الرفاهية ؛ والمغترف بيده غرفة: الأخذ منها قدر الحاجة وقال بعض المفسرين الغرفة بالكف الواحد، والغرفة: بالكفين. (٢) قال الطبري ١ / ٢٤٣: عبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفا ولما نظروا إلى جالوت رجع عنه أيضا ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون وخلص في ثلثمائة وتسعة عشر عدة أهل بدر - وفي رواية وثلاثة عشر - وما جاز معه إلا مؤمن. (٣) قال القرطبي: كان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا أصغر أزرق، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده. [*]

[١١]

الدين الحق على الباطل وأوليائه. وقد ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكرا كان سمع طالوت ملك بني إسرائيل وهو يحرض بني إسرائيل على قتل جالوت وحنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته في ملكي وكان داود عليه السلام يرمي بالقذافة وهو المقفلاع رميا عظيما فينا هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حجر: أن خذني فإن بي تقتل جالوت فأخذه ثم حجر آخر كذلك، ثم آخر كذلك، فأخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا إلى نفسه فتقدم إليه داود فقال له: ارجع فإني أكره قتلك، فقال: لكني أحب قتلك، وأخذ تلك الاحجار الثلاثة فوضعها في القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجرا واحدا، ثم رمى بها جالوت ففلق (١) رأسه وفر جيشه منهزما فوفى (٢) له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه، وعظم داود عليه السلام، عند بني إسرائيل وأحبوه، ومالوا إليه أكثر من طالوت، فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل إليه وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم، حتى لم يبق منهم إلا القليل. ثم حصل له توبة وندم وأقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج إلى الجبابة فيبكي حتى يبيل الثرى بدموعه فنودي ذات يوم من الجبابة: أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وأديتنا ونحن أموات فإزداد لذلك بكاؤه وخوفه واشتد وجله ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أمره، وهل له من توبة، فقيل له: وهل أبقيت عالما ؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به إلى قبر يوشع عليه السلام قالوا: فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال: أقامت القيامة ؟ فقالت: لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة ؟ فقال: نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل، ثم عاد ميتا. فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا (٣) قالوا فذلك قوله: (وأنا لله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) [البقرة: ٢٥١] هكذا ذكره ابن جرير في تاريخه (٤) من طريق السدي بإسناده. وفي بعض هذا نظر ونكارة. والله أعلم. وقال محمد بن إسحق: النبي الذي بعث فأخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب حكاه ابن جرير أيضا. وذكر الثعلبي: أنها أتت به إلى قبر اشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الامور وهذا أنسب. ولعله إنما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حيا فإن هذا إنما يكون معجزة لنبي وتلك

(١) في الطبري: فنقبت رأسه. (٢) ذكر المسعودي: أن طالوت أبى أن يفى لداود بما تقدم من شرطه. فلما رأى ميل الناس إليه زوجه ابنته، وسلم إليه ثلث الجبابة، وثلث الحكم وثلث الناس مروج الذهب ١ / ٥٢. (٣) ذكر المسعودي أنه مات على سرير ملكة ليلة كندا. (٤) تاريخ الطبري ج ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦. [*]

المرأة لم تكن نبيهة والله أعلم. وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت إلى أن قتل مع أولاده أربعون (١) سنة فالله أعلم. قصة داود وما كان في أيامه [وذكر] (٢) فضائله وشمائله ودلائل نبوته وإعلامه هو داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم (٣) بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس. قال محمد بن أسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه. تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكره ابن عساكر عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر (٤) فأحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم، فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام، وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى: (وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) [البقرة: ٢٥١] أي لولا إقامة الملوك حكاما على الناس لاكل قوي الناس ضعيفهم. ولهذا جاء في بعض الآثار (السلطان ظل الله في أرضه). وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن جالوت لما بارز طالوت فقال له أخرج إلي وأخرج إليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت. قال وهب بن منبه فمال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود. وقيل إن ذلك [كان] (٥) عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاه قبل الواقعة (٦) قال ابن جرير (٧) والذي عليه

(١) في مروج الذهب: عشرين سنة. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: ثم، وسقطت كلمة ذكر. وقد ورد اسم داود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا: سورة البقرة: ٢٥١، سورة النساء: ١٦٣، سورة المائدة: ٧٨، سورة الأنعام: ٨٤، سورة الأسراء: ٥٥، سورة الأنبياء: ٧٨ - ٧٩، سورة النمل: ١٥ - ١٦، سورة سبأ: ١٠ - ١٢، سورة ص: ٣٠ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٦. (٣) في الطبري: بأعز بدل عابر وعمي نادب بدل عويناذب؛ ورام بدل إرم. وفي الانجيل: إنجيل متى: هو داود بن يسى، بن عويد، بن بوعر، بن سلمون، بن نحشون، بن عمينا داب، بن ارام، بن حصرون بن فارص بن يهوذا، بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. (٤) قال في مروج الذهب: كان ببيسان من أرض الغور من بلاد الأردن. (٥) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٦) وذكر ذلك أيضا ابن عساكر في تاريخه ٥ / ١٩٠ تهذيب. (٧) انظر تاريخ الطبري ١ / ٢٤٦. وقال المسعودي: إن داود أبى أن تنافس طالوت في حكمه. [*]

الجمهور: أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم. وروي ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز: أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وأن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية فالله أعلم. وقال تعالى: (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سايغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إنني بما تعملون بصير) [سبأ: ١١] وقال تعالى: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين. وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحضنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) [الأنبياء: ٧٩]. أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وارشده إلى صنعها وكيفيتها فقال: (وقدر في السرد) أي لا تدق المسمار فيفلق ولا تغلظه فيفصم قاله مجاهد وقيادة والحكم وعكرمة. قال الحسن البصري وقيادة والاعمش: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله

بيده، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة. قال قتادة فكان أول من عمل الدروع من زرد، وإنما كانت قبل ذلك من صفائح، قال ابن شاذان: كان يعمل كل يوم درعا يبيعهما بستة آلاف درهم وقد ثبت في الحديث: " أن أطيّب ما أكل الرجل من كسبه وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده " (١) وقال تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب) [ص: ١٧] قال ابن عباس ومجاهد الأيد القوة في الطاعة، يعني: ذا قوة في العبادة، والعمل الصالح قال قتادة: أعطى قوة في العبادة وفقها في الاسلام، قال: وقد ذكرنا لنا: أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يغر إذا لاقى " (٢). وقوله: " إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب) [ص: ١٨ - ١٩] كما قال: (يا جبال أوبي معي والطير) [سبأ: ١٠] أي سبحي معي. قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) أي عند آخر النهار وأوله وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيحه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب ١٥ كسب الرجل وعمل بيده وأحمد في مسنده ٤٦٦ / ٢ و ٤١١ / ٤ والدارمي في سننه كتاب البيوع. وابن ماجه في تجارات ١ / ٢٥. بالفاظ ومن عدة طرق. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢ / ١٨١، ١٨٢ وما بعدها - ١٩٦) وأحمد في مسنده ١ / ٣١٤، ٢ / ١٦٠، ١٦٤، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥ - ٢٩٦ / ٥ والبخاري في صحيحه: ٣٠ / ٥٤، ٥٦ - ٦٠ / ٣٧ - ٦٦ / ٣٤ - ٧٩ - ٢٨. ورواه أبو داود وابن ماجه والدارمي والنسائي في سننهم. وابن عساکر في تاريخه ١٩٢ / ٥ - ١٩٣ تهذيب. [*]

[١٤]

صلوات الله وسلامه عليه. وقال الاوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا، وحتى أن الأنهار لتقف. وقال وهب بن منبه: كان لا يسمعه أحد إلا جعل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الأذان بمثله فيعكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا. وقال أبو عوانة الاسفراييني: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، سمعت صبيحا أبا تراب (١) رحمه الله قال أبو عوانة: وحدثني أبو العباس المدني حدثنا محمد بن صالح العدوي حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر، عن مالك، قال كان داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى. وهذا غريب. وقال عبد الرزاق عن ابن جريح: سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال: وما بأس بذلك؟ سمعت عبيد بن عمر يقول: كان داود عليه السلام يأخذ المعزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فتد عليه صوته يريد بذلك أن يبكي وتبكي. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: " لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود " (٢). وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه. وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود " (٣) على شرط مسلم وقد روينا عن أبي عثمان

النهدي (٤) أنه قال: لقد سمعت البربط والمزمارة، فما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري. وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور، كما قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خفف على داود القراءة، فكان يأمر بدابته فتسرح فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرح دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه ". وكذلك رواه البخاري منفرداً به: عن عبد الله بن محمد، عن عبد الرزاق به، ولفظه: " خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح دوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه " (٥). ثم قال البخاري:

(١) عبارة محرفة. وفي نسخة البداية المطبوعة: انبتنا برادح وهي محرفة وصححت في قصص الانبياء لابن كثير؛ كما أثبتناه من نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم تاريخ ٣٦٠٩ مصورة عن نسخة الاستانة. (٢) مسند أحمد ج ٢ / ٣٦٩ وابن ماجه في سننه. ورواه الهيثمي في الزوائد وفيه: قلت أصله في الصحيحين من حديث أبي موسى؛ في صحيح البخاري ٦٦ / ٢٠ / ٥٠٤٨ فتح الباري وفي مسلم من حديث بريدة ٦ / ٢٤ / ٢٢٥ ورواه النسائي من حديث عائشة. ورواه الدارمي في سننه من حديث أبي موسى. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٢٥٤. (٤) في نسخ البداية المطبوعة: الترمذي وهو تحريف. (٥) مسند أحمد ج: ٢ / ٢١٤، وصحيح البخاري ٦٠ / ٣٧ / ٣٤١٧ فتح الباري. [*]

[١٥]

ورواه موسى بن عقبة، عن صفوان هو ابن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسنده ابن عساکر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه من طرق: عن إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، ومن طريق أبي عاصم، عن أبي بكر السبيري عن صفوان بن سليم به. والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله عليه، وأوحاه إليه، وذكر رواية أشبه أن يكون محفوظاً فإن كان ملكاً له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرح الدواب وهذا أمر سريع مع التدبير والترنم والتغني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى: (وأتينا داود زبوراً) [الاسراء: ٥٥] والزبور كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من المواعظ والحكم (١) ما هو معروف لمن نظر فيه. وقوله: (وشددنا ملكه وأتيناها الحكمة وفصل الخطاب) أي أعطيناها ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً. روى ابن جرير وابن أبي حاتم: عن ابن عباس: أن رجلين تداخيا إلى داود عليه السلام في بقر. ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعى عليه، فأرجأ أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فأنا قاتلك لا محالة فما خبرك فيما ادعيتك على هذا؟ قال: والله يا نبي الله إنني لمحق فيما ادعيت عليه ولكنني كنت اغتلت أباه قبل هذا فأمر به داود فقتل فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعاً عظيماً. قال ابن عباس وهو قوله تعالى: (وشددنا ملكه) وقوله تعالى: (وأتيناها الحكمة) أي النبوة (٢) (وفصل الخطاب) قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمى وغيرهم فصل الخطاب الشهود والايمان يعنون بذلك البيعة على المدعى واليمين على من أنكر (٣). وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهمه. وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير وهذا لا ينافي ما روي عن أبي موسى أنه قول " أما بعد ". وقال وهب بن منبه لما كثرت الشر وشهادت الزور في بني إسرائيل أعطي داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس وكانت من ذهب، فإذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً نالها والآخر لا يصل إليها فلم تزل كذلك حتى أودع رجل رجلاً لؤلؤة فجحدتها منه واتخذ عكازاً

(١) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود. وإنما هو دعاء تحميد وتمجيد. (٢) وقال مجاهد: أي العدل؛ وأبو العالية: أي العلم بكتاب الله. وقال قتادة: السنة. (٣) رواه ابن عساکر في تاريخه ٥ / ١٩٦ تهذيب وفي صحيح البخاري بنحوه ٤٨ / ٦ / ٢٥١٤. وفي رواية ابن عباس: (.. ان اليمين على المدعى عليه) ورواه مسلم في ٣٠ كتاب الاقضية (١) باب اليمين على المدعى عليه. عن ابن عباس وفيه: ولكن اليمين على المدعى عليه. حديث ١ - ٢ ص ٣ / ١٣٣٦ / ورواه الترمذي في ١٣ / ١٢ / ١٢٤٣. [*]

[١٦]

وأودعها فيه فلما حضرا عند الصخرة تناولها المدعي فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد إلى العكاز فأعطاه المدعي وفيه تلك اللؤلؤة وقال اللهم: إنك تعلم أنني دفعتها إليه، ثم تناول السلسلة فنالها فأشكل أمرها على بني إسرائيل. ثم رفعت سريعا من بينهم. ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين. وقد رواه إسحق بن بشر عن إدريس بن سنان عن وهب به بمعناه. (وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وطن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب. فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [ص ٢١ - ٢٥]. وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصا وأخبارا أكثرها إسرائيلية ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصدا اكتفاء واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين: قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، عن العوام، قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدة ص قال أو ما تقرأ: (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده) فكان داود ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الامام أحمد: حدثنا اسمعيل هو ابن علي عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود. وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها. وكذا رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أيوب وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أخبرني إبراهيم بن الحسن المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال: " سجدها داود توبة ونسجدها شكرا. تفرد به أحمد ورجاله ثقات. وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح، عن أبي سعيد الخدري قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال [النبي صلى الله عليه وسلم]: " إنما هي توبة نبي ولكن رأيتم تشزنتم

[١٧]

للسجود] " فنزل وسجد (١). تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا حميد، حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق الناجي أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ بحضرتة انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد. تفرد به أحمد وروى الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس، عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: قال لي ابن جريح: حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول: وهي ساجدة: " اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع عني بها وزرا وأقبلها مني كما قبلت من عبدك داود " وقال ابن عباس فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول: وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة. ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد ذكر بعض المفسرين أن عليه السلام مكث ساجدا أربعين يوما وقاله مجاهد والحسن وغيرهما وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية، قال الله تعالى: (فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [ص: ٢٥]. أي أن له يوم القيامة لزلفى وهي القرية التي يقربه الله بها ويدينه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت في حديث: " المقسطون على منابر من نور. عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وحكمهم وما ولوا " (٢). وقال الامام أحمد في مسنده: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر " (٣) وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق الاغر به وقال: لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله: (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال: يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله: يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة - باب السجود في ص حديث رقم ١٤١٠ ج ٢ / ٥٩. - ما بين معكوفين في الحديث سقطت من نسخ البداية المطبوعة واستدركت من أبي داود. - التشيزن: قال في النهاية: التأهب والتهيؤ للشئ، والاستعداد له، مأخوذ من عرض الشئ وجانبه. وقد وردت في نسخ البداية، تشريف وتشريفتم وهو تحريف. واستدركت من أبي داود. (٢) أخرجه مسلم في ٢٣ كتاب الامارة (٥) باب فضيلة الامام العادل ١٨ / ١٨٢٧ والنسائي في آداب القضاة وأحمد في مسنده ج ٢ / ١٦٠. (٣) مسند أحمد ج ٣ / ٢٦، والترمذي في سننه ١٢ / ٤ / ١٣٢٩. [*]

الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا فيقول: وكيف وقد سلبتني؟ فيقول إنني أردته عليك اليوم، قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان. [قال تعالى]: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) [ص: ٢٦] هذا خطاب من الله تعالى مع داود والمراد ولاة الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الوقت في

العدل، وكثرة العبادة، وأنواع القربات، حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناء الليل، وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلا ونهارا كما قال تعالى: (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) [سبأ: ١٣] قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام، حدثنا صالح المزني (١)، عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: يا رب كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك؟ قال فاتاه الوحي " أن يا داود ألسنت تعلم أن الذي بك من النعم مني قال بلى يا رب قال فأني أرضى بذلك منك ". وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر بن بالويه، حدثنا محمد بن يونس القرشي، حدثنا روح بن عبادة، حدثني عبد الله بن لاحق عن ابن شهاب قال: قال داود: " الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه، وعز جلاله، فأوحى الله إليه: أنك أتعبت الحفظة يا داود " ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله. وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد: أنبأنا سفيان الثوري، عن رجل، عن وهب بن منبه قال: إن في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحرم فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب، وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده، وممرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم. وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا، عن أبي بكر بن أبي خيثمة، عن ابن مهدي، عن سفيان، عن أبي الأغر عن وهب بن منبه فذكره. ورواه أيضا عن علي بن الجعد، عن عمر بن الهيثم الرقاشي، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه فذكره. وأبو الأغر هذا هو الذي أبهمه ابن المبارك في روايته. قاله ابن عساكر؛ وقال عبد الرزاق: أنبأنا بشر بن رافع، حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه فذكر مثله. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن لليتيم كالاب

(١) في نسخ البداية والنهاية: المزني وهو تحريف. وما أثبتناه المري وهو: صالح بن بشير المري البصري. [*]

الرحيم. واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد. وروى بسند غريب مرفوعا قال داود يا زارع السيئات أنت تحصد شوكرها وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال: مثل الخطيب الاحمق في نادي القوم كمثل المغني عند رأس الميت، وقال أيضا: ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى. وقال انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت. وقال لا تعدن أخاك بما لا تنجزه له، فإن ذلك عداوة ما بينك وبينه. وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدي، حدثني هشام بن سعد، عن عمر مولى عفرة قال: قالت يهود لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء: انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة إلا إلى النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك، فقالوا: لو كان نبيا ما رغب في النساء وكان أشدهم في ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [النساء: ٥٤] يعني بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) [النساء: ٥٤] يعني ما أتى الله سليمان بن داود كانت له ألف امرأة سبعمائة مهريه (١) وثلاثمائة سرية، وكانت لداود عليه السلام مائة (٢) امرأة منهن امرأة أوربا أم

سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة، هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة منهن ثلاثمائة سرية. وروى (٣) الحافظ في تاريخه في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يروي عن ابن عباس من طريق الفرغ بن فضالة الحمصي، عن أبي هريرة الحمصي، عن صدقة الدمشقي أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال: لأحدثك بحديث كان عندي في البحث (٤) مخزونا إن شئت أنبأتك بصوم داود فإنه كان صواما قواما، وكان شجاعا لا يفر إذا لاقى، وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي بيكائه كل شئ ويصرف بصوته الهموم والمحموم " (٥). وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام، ومن وسطه ثلاثة أيام، ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام. وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم: فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد ليس له ولد يموت، ولا بيت يخرب، وكان أينما أدركه الليل

(١) مهريّة: الزوجة ذات المهز. (٢) في رواية للطبري عن السدي: تسع وتسعون امرأة. ١ / ٢٤٩. (٣) الحافظ ابن عسّاكر في تاريخه: ٦ / ٤١٨ - ٤١٩ تهذيب. (٤) البحث: المعدن (فاموس). (٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ / ١٦٤ - ١٩٠. [*]

[٢٠]

صف (١) بين قدميه، وقام يصلي حتى يصبح، وكان راميا لا يفوته صيد يريده وكان يمر بمجالس بني إسرائيل فيقضي لهم حوائجهم. وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فإنها كانت تصوم يوما وتفطر يومين. وإن شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الامي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر. وقد روى الامام أحمد عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود. [ذكر] (٢) كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم: أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزهو فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود، قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاما قال: أي رب زد في عمره. قال: لا إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف عام، فزاده أربعين عاما فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: بقي من عمري أربعون سنة، ونسي آدم ما كان وهبه لولده داود، فأتىها الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة. رواه أحمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان. وقال الحاكم على شرط مسلم. وقد تقدم ذكر طريقه وألفاظه في قصة آدم. قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين سنة قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل نقله لانه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه. وأما وفاته عليه السلام فقال الامام أحمد في مسنده: حدثنا قبيصة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت (٣) الابواب فلم يدخل علي أهله أحد حتى يرجع قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة، والله لنفتضحن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا

أمنع من الحجاب. فقال داود أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله. ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس. فقال سليمان للطير: أظلي على داود. فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير اقبضي

(١) في نسخة صفن، وكلاهما بمعنى. (٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: أغلق وما أثبتناه من مسند أحمد. [*]

[٢١]

جناحا. قال: قال أبو هريرة: " فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وغلبت عليه يومئذ المضحجة " (١). انفرد بإخراجه الامام أحمد، وإسناده جيد قوي، رجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضحجة: أي وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مضرجي. قال الجوهرى وهو الصقر الطويل الجناح، وقال السدي عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: مات داود عليه السلام فجأة وكان بسبت وكانت الطير تظله. وقال السدي أيضا عن أبي مالك، وعن سعيد بن جبير قال: مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة. وقال إسحاق بن بشر (٢) عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الأربعاء فجأة (٣). وقال أبو السكن الهجري مات إبراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين رواه ابن عساکر، وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه، فقال له: دعني أنزل أو أصعد فقال: يا نبي الله قد نعدت السنون والشهور والآثار والأرزاق. قال: فخر ساجدا على مرقاة من تلك المراقبي فقبضه وهو ساجد. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا وافر بن سليمان، عن أبي سليمان الفلسطيني، عن وهب بن منبه قال: إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال: وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهرون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود، قال: فأذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت، فأمرها أن تظل الناس فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح، فكاد الناس أن يهلكوا غما فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم، فخرج سليمان فنادى الطير: أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح ففعلت، فكان الناس في ظل، وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، حدثني الوليد بن مسلم، عن الهيثم بن حميد، عن الوضين بن عطاء، عن نصر بن علقمة، عن جبير بن نفيير، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سننه وهدية مائتي سنة ". هذا حديث غريب وفي

(١) مسند أحمد ج ٢ / ٤١٩. (٢) وهو غير إسحاق بن يسار؛ إسحاق بن بشر بن حذيفة البخاري صاحب " المبتدأ والفتوح ". متروك. كذبه علي بن المديني. (٣) قال الطبري: عمر داود فيما وردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة سنة. وفي رواية للطبري: عن بعض أهل الكتب فإنه زعم أن عمره كان سبعا وسبعين سنة وأن مدة ملكه كانت أربعين سنة. [*]

رفعه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا في الحديث والله أعلم. قصة سليمان (١) بن داود عليهما السلام قال الحافظ ابن عساكر: هو سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ازم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (٢) أبي الربيع نبي الله ابن نبي الله. جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق (٣). قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى: (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) [النمل: ١٦] أي ورثه في النبوة والملك، وليس المراد ورثه في المال، لانه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم، وأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا نورث ما تركنا فهو صدقة " (٤) وفي لفظ: " نحن معاشر الانبياء لا نورث " (٥). فأخبر الصادق المصدوق أن الانبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها أقرباؤهم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال: (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) الآية يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا علي بن حمشاد (٦) حدثنا اسمعيل بن قتيبة، حدثنا علي بن قدامة، حدثنا أبو جعفر الاستوائي (٧) يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي يعقوب القمي (٨)، حدثني أبو مالك قال: مر

(١) ذكر سليمان في القرآن ست عشرة مرة في: البقرة - النساء - الانعام - الانبياء - النمل - سبا - ص. (٢) راجع التعليق على نسب داود، وقد تقدم قريبا. (٣) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٦ / ٣٥٢ - ٣٥٣ تهذيب. (٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٣ / ٦٧٢٧ فتح الباري، وأخرجه مسلم في صحيحه ٣٢ / ١٦ / ٤٩ ومالك في الموطأ ٥٦ / ١٢ / ٢٧ والترمذي في سننه ٢٢ / ٤٤ / ١٦١٠ والنسائي في سننه وأحمد في مسنده ١ / ٤ / ٦، ٩، ٢٥ - ٢٥ / ٢ - ٤٦٣ / ٦ - ١٤٥، ٢٦٢. (٥) أخرجه البخاري في كتاب الخمس، وفوائد أصحاب النبي (١٢) وفي المغازي (١٤، ٢٨) وفي النفقات (٢) وفي الفرائض (٣) وفي كتاب الجهاد (٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٦). (٦) في الأصول حشاد، وهو تحريف. (٧) في الأصول الاسواني وهو تحريف والصواب الاستوائي نسبة إلى اتسوا وهي كورة بناوحي نيسابور ذكره صاحب معجم البلدان وفيه: محمد بن بسطام بن الحسن الاستوائي وقد ولي قضاء نيسابور ودام له القضاء ولولاده. معجم البلدان ج ١ / ١٧٥. (٨) في الأصول: العمي، وهو أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري القمي روى عن [*]

سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه: أندرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله؟ قال يخطبها إلى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أي غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب. رواه ابن عساكر (١): عن أبي القاسم زاهر بن طاهر عن البيهقي به وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات: (وأوتينا من كل شيء) أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والحيوش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال: (إن هذا لهو الفضل المبين) أي من باري

البريات وخالق الارض والسموات كما قال تعالى: (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) [النمل: ١٧ - ١٩]. يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوما في جيشه جميعه من الجن والانس والطير، فالجن والانس يسيرون معه، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أي نقباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه، ولا يتأخر عنه (٢) قال الله تعالى: (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) [النمل: ١٨] فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور. وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد (٣) بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا (٤) وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصبان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب. وفي هذا كله نظر بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكب راجعا في خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شئ ولا وطئ لان البساط كان عليه جميع ما

= عيسى بن جابر وروى عنه أبو الربيع الزهراني وغيره توفي بقزوين سنة ٧٤ معجم البلدان ٤ / ٣٩٨. (١) تاريخ ابن عساكر ٦ / ٣٥٣ تهذيب. (٢) قال القرطبي في أحكام القرآن ج ١٣ / ١٦٨ وفي الآية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تناول بعضهم على بعض ؛ إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم. (٣) وادي السرير. (٤) قال في أحكام القرآن: قيل كان اسمها: طاخية. وقال السهيلي: " قالوا اسمها حرميا. ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا.] *

[٢٤]

يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والاثقال والخيام والانعام والطير من فوق ذلك كله كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى. والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لامتها من الرأي السديد، والامر الحميد، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وليس كما يقوله بعض الجهلة، من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان، وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها، فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره، إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضا فائدة يعول عليها، ولهذا قال: (رب أوزعني) أي ألهمني وأرشدني: (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقبضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن يبسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له. والمراد بوالديه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود، عن يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قالت أم سليمان بن داود: يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة ". رواه ابن ماجه (١) عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، أن سليمان بن داود عليه السلام خرج هو

وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها. قال ابن عساكر (٢): وقد روي مرفوعاً ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز، عن سلامة بن روح بن خالد، عن عقيل، عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي: " ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة ". وقال السدي: أصاب الناس فحط على عهد سليمان عليه السلام، فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول: " اللهم أنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك " قال فصب الله عليهم المطر. قال تعالى: (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعدبته عذاباً

(١) رواه ابن ماجه في اقامة ح ١٧٤ وفيه:.. ترك الرجل فقيراً. (٢) رواه ابن عساكر في تاريخه ٦ / ٢٧١ تهذيب. [*]

[٢٥]

شديداً أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون إلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم. قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون. قالت يا أيها الملا إني القي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين. قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدون بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) [النمل: ٢٠ - ٢٧]. يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون (١) يقومون بما يطلب منهم، ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك. وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا إذا اعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيئ فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم. فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقدته ولم يجده في موضعه من محل خدمته (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أي ماله مفقود من ههنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي (لاعدبته عذاباً شديداً) توعده بنوع من العذاب. اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة تنجيته من هذه الورطة. قال الله تعالى: (فمكث غير بعيد) أي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها: (فقال) لسليمان: (احطت بما لم تحط به) أي اطلعت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبأ نبأ يقين) أي بخبر صادق (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين،

وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم. وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلا فعم به الفساد، فأرسلت إليه

(١) في الطبري: اختار سليمان من كل طير طيرا فجعله رأس تلك الطير، فإذا أراد أن يسأل شيئا من تلك الطير سأله رأسها. [*]

[٣٦]

تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمرا ثم حزت رأسه ونصبتة على بابها (١)، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد وقيل شراحيل بن ذي جدن بن السيرح (٢) بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يابى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن (٣)، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة (٤) ويقال لها بلقيس. وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كان أحد أبوي بلقيس جنيا ". وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف. وقال الثعلبي أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة، حدثنا أبو بكر بن جرعة، حدثنا ابن أبي الليث، حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " لا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ". اسماعيل بن مسلم هذا هو المكبي ضعيف. وقد ثبت في صحيح البخاري: من حديث عوف، عن الحسن، عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال: " لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة " (٥). ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [بمثله] وقال الترمذي حسن صحيح وقوله: (واوتيت من كل شئ) أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعني سرير مملكتها كان مزخرفا بأنواع الجواهر واللاكن والذهب والحلى الباهر. ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصدده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي له العرش العظيم، الذي لا أعظم منه في المخلوقات. فعند ذلك بعثه معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والابانة والاذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم: (ألا تعلوا علي) أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامري (واتوني مسلمين) أي وأقدموا علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة. فلما

(١) راجع الكامل لابن الاثير ١ / ٣٣٣. (٢) ذكر الطبري في نسيها: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن ايلي شرح. (٣) في أحكام القرطبي: بلعمة بنت شيسان. وفي الكامل: راحة بنت السكر ؛ وقيل بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني. (٤) في الطبري: بلقمة وفي الكامل: بلقمة. (٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٢ / ١٨، والترمذي في سننه ٣١ / ٧٥ وأحمد في مسنده: ٥ / ٢٨، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥١ والنسائي في سننه وأبو داود الطيالسي في مسنده. قال القاضي ابن العربي: هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن الطبري أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية، ولم يصح ذلك عنه. [*]

جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم اتخذ الناس البطائق، ولكن أين الثريا من الثرى، تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له، فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها (قالت يا أيها الملا إنني القي إلي كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولا (إنه من سليمان) ثم قرأته: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وتأديت معهم، وخاطبتهم، وهم يسمعون (قالت يا أيها الملا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) [النمل: ٣٢] تعني ما كنت لابت أمرا إلا وأنتم حاضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) يعنون لنا قوة وقدرة على الجلال والقتال ومقاومة الأبطال فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين (و) مع هذا (الامر إليك فانظري ماذا تأمرين) [النمل: ٣٣] فبدلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة، وفوضوا إليها في ذلك الامر، لترى فيه ما هو الارشاد لها ولهم، فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) [النمل: ٣٤] تقول برأيها السديد إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الامر من بينكم إلا إلي ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا علي (وإنني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) [النمل: ٣٥] [أرادت أن تصانع عن نفسها، وأهل مملكتها بهدية ترسلها، وتحف تبعثها ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم، والحالة هذه صرفا ولا عدلا لانهم كافرون وهو وجنوده عليهم قادرون ولهذا لما جاء سليمان قال أتمدون بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) [النمل: ٣٦] هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة، كما ذكره المفسرون (١). ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) [النمل: ٣٧] يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها إلي من قد من بها، فإن عندي مما قد أنعم الله علي وأسداه إلي من الاموال، والتحف، والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) [النمل: ٣٧] أي فلابعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ولاخروجهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والعار

(١) عن ابن عباس: بعث بائنتي عشرة وصيفة، واثني عشر غلاما، وعلى يد الوصائف أطباق مسك وعنبر، وبائنتي عشرة نجبية تحمل لبن الذهب، وبعضا كان يتوارثها ملوك حمير؛ ويخزنتين أحدهما منقوبة ثقبا معوجا والآخرى غير منقوبة. ويقدح لا شئ فيه. (من ذهب). [قيل بعثت الهدية مع رجل من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو]. أحكام القرآن ١٣ / ١٩٦. [*]

والدمار. فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة، وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين. فلما سمع بقدمهم عليه، ووفودهم إليه، قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجن ما قصه الله عنه في القرآن. (قال يا أيها الملا إني أتيني بعرضها قبل أن أتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا أتيتك به قبل أن تقوم

من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أأنهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصددها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتها لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين [النمل: ٢٨ - ٤٣]

النمل: ٢٨ - ٤٣] - لما طلب سليمان من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها، قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) يعني قبل أن ينقض مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الاشغال (وإني عليه لقوي أمين) أي وإني ل ذو قدرة على إحضاره إليك وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان. وقيل هو رجل من مؤمني الجن كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم. وقيل رجل من بني إسرائيل من علمائهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جدا. وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قيل معناه قبل أن تبعث رسولا إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك. وقيل قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس وقيل قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك. وقيل قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته وهذا أقرب ما قيل. (فلما رآه مستقرا عنده) أي فلما رأى عرش بلقيس مستقرا عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) أي هذا من فضل الله علي وفضله على عبده ليختبرهم على الشكر أو خلافه (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أي إنما يعود نفع ذلك عليه (ومن كفر فإن ربي غني كريم) أي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين. ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلى هذا العرش وينكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال: (ننظر أأنهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهذا من فطنتها وغبارة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحدا يقدر على هذا

[٢٩]

الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى إخبارا عن سليمان وقومه: (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصددها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي قومها من دون الله اتباعا لدين آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حداهم على ذلك، وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج، وعمل في ممره ماء، وجعل عليه سقفا من زجاج، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء، وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رأته حسبتها لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربي أني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) [النمل: ٤٤]

وقد قيل إن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن ساقها ليرى ما عليها من الشعر فينفره ذلك منها، وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجن فتتسلط عليهم معه. وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف. وفي الأول أيضا نظر والله أعلم. إلا أن سليمان قيل إنه لما أراد إزالته حين عزم على تزوجها سأل

الانس عن زواله فذكروا له الموسيقى فامتنعت من ذلك. فسأل الجان فصنعوا له النورة، ووضعوا لها الحمام، فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال أوه من عذاب أوه أوه قبل أن لا ينفع أوه. رواه الطبراني مرفوعا وفيه نظر. وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن (١) وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسالحين وبيتون فإله أعلم. وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل تزوجها بملك همدان (٢) وأقرها على ملك اليمن وسخر زويعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن. والاول أشهر وأظهر. والله أعلم. وقال تعالى في سورة ص: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها علي فطفق مسح بالسوق والاعناق. ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب. فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [ص: ٣٠ - ٣٩] يذكر تعالى أنه وهب

(١) هذا قول ابن الاثير في الكامل. وفي أحكام القرآن عن الضحاك: أنه تزوجها وأسكنها الشام. (٢) وفي رواية أخرى في الكامل: أنه زوجها ذا تبع ملك همدان ثم ردها إلى اليمن. ونقل الخبر الطبري في تاريخه ١ / ٢٥٧. وفيه أمر زويعة أمير جن اليمن فصنع لذي تبع الصنائع باليمن.. سلحين وصوراح ومرواح. وبينون وهند وهنيدة وتلثوم (وهي حصون). [*]

[٢٠]

لداود سليمان عليهما السلام ثم أثنى الله عليه تعالى فقال: (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع مطيع لله. ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاث وطرף حافر الرابعة. الجياد وهي المضمرة السراع (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس. وقيل الخيل على ما سنذكره من القولين. (ردها علي فطفق مسح بالسوق والاعناق) قيل مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف. وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها وبين يديه على القول الآخر. والذي عليه أكثر السلف الاول فقالوا: اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمدا من غير عذر، اللهم إلا أن يقال إنه كان سائغا في شريعتهم فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك. وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعا إذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف قاله الشافعي وغيره. وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم إلى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد (١) كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف. وقال آخرون بل كان تأخير النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق نسيانا وعلي هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم. وأما من قال الضمير في قوله حتى توارت بالحجاب عائذ على الخيل وأنه لم تفته وقت صلاة وإن المراد بقوله: (ردها علي فطفق مسح بالسوق والاعناق) يعني مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها، فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق. ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقية ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائغا في ملتهم وقد ذهب بعض

علمائنا: إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شئ من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها وإهلاكها لئلا يتقووا بها، وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بموته، وقد قيل إنها كانت خيلا عظيمة. قيل كانت عشرة آلاف فرس. وقيل عشرين ألف فرس (٢). وقيل كان فيها عشرون فرسا من ذوات الاجنحة. وقد روى أبو داود في سننه: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن أبي مرير، أنبأنا يحيى بن أيوب، حدثني عمارة بن عزية: " أن محمد بن إبراهيم حدثه (٤)

(١) الخبير في تاريخ ابن عساكر ج ٦ / ٢٥٨ و ٢٥٩ تهذيب وقال القرطبي في أحكامه: ومن قال إن الهاء في ردها ترجع للشمس فذلك من معجزاته. والاكتر أن التي توارت بالحجاب هي الشمس، ولما فاتته الصلاة فأمر الله الملائكة الموكلين بالشمس ردها فردوها حتى صلى العصر في وقتها وأن أنبياء الله لا يظلمون لانهم معصومون. ج ١٥ / ١٩٦. (٢) وعن الحسن والكليبي ومقاتل: كانت ألف فرس ورثها سليمان عن أبيه، عرض عليه تسعمائة فتنه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت. [*]

[٢١]

عن محمد (١) بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها (٢) ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة تلعب، فقال: " ما هذا يا عائشة ؟ فقالت: بناتي، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاد. فقال: " ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قالت: فرس. قال: وما الذي عليه هذا ؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان ؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم " (٣). وقال بعض العلماء لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا كما سيأتي الكلام عليها، كما قال الامام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة وأبي الدهماء، وكانا يكثران السفر نحو البيت قالوا: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله عزوجل وقال: " إنك لا تدع شيئا اتقاء الله عزوجل إلا أعطاك الله خيرا منه " (٤). وقوله تعالى: (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب). ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات (٥) وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سيره أربعين يوما ثم عاد إليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكما. وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجدا اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر، قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال: " المسجد الحرام " قلت: ثم أي ؟ قال: مسجد بيت المقدس، قلت: كم

(١) في سنن أبي داود: عن أبي سلمة، وسقط اسم محمد ابنه. (٢) السهوة. قال في النهاية: السهوة بيت صغير، منحدر في الأرض قليلا وقيل هو كالصفة، وقيل شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشئ. (٣) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في اللعب بالبنات ج ٤٩٣٢ ج ٤ / ٢٨٣. (٤) مسند أحمد ج ٥ / ٧٩ وفيه: إلا أتاك الله خيرا منه. (٥) هذه الأقوال التي نقلها المفسرون لا تصح قصدا لمنافاتها للعصمة التي هي من أخص صفات الأنبياء عليهم السلام. ولو صح منها شئ لكان الوجهي محل الشك والارتباب. وقال أبو حيان في تفسيره: نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، وهي مما لا يحل نقلها وهي إما من أوضاع اليهود أو الزنادقة. ولم يبين الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان..

وقال: ويستحيل عقلا بعض ما ذكره كتمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس أمره عند الناس.. نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها. وقال الالوسي: ومن أقيح ما زعم: تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئنهن وهن حيز. الله أكبر! هذا بهتان عظيم وخطب جسيم.. وقد ضعف القرطبي هذا الزعم. [*]

[٢٢]

بينهما ؟ قال: أربعون سنة " (١) ومعلوم أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام، وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده بعد إكماله البيت المقدس. كما قال الإمام أحمد، والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عزوجل خللا ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سألته حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسألته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه إياه، وسألته أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها " (٢). فأما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أثنى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما) [الانبياء: ٧٨ - ٧٩] وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين، أي رعته بالليل فأكلت شجرة بالكلية، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته فلما خرجوا على سليمان قال: بما حكم لكم نبي الله ؟ فقالوا: بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجا ودرا حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه، ثم يتسلموا غنمهم، فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به. وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخر فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك، وقالت الصغرى: بل إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود فحكم به للكبرى، فخرجتا على سليمان فقال اتنوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به لها " (٣). ولعل كلا من الحكمين كان سائعا في شريعتهم، ولكن ما قاله سليمان أرجح، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه وإياه ومدح بعد ذلك أباه فقال: (وكلا أتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلماناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) [الانبياء: ٧٩ - ٨٠]. ثم قال: (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الانبياء ١٠ - ٤٠ ومسلم في المساجد ١، ٢ والنسائي في مساجد ٢ وابن ماجه في مساجد ٧ ومسنند أحمد ج ٥ / ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧. (٢) أخرجه النسائي في مساجد ٦ - وابن ماجه إقامة ١٩٦ وأحمد في مسنده ج ٢ / ١٧٦. (٣) أخرجه البخاري في كتاب الانبياء ٤١ / ٤ والقضاء ٦٠ / ٤٠ ورواه مسلم في ٥ / ٢٢، ٢٠ / ٢٠ والنسائي وأبو داود في سننهما وابن ماجه في ٢٨ / ١٤ وأحمد في مسنده ٢ / ٣٢٢ - ٣٤٠ - ٤٤٧ / ٥ - ٤٤٨. [*]

ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) [الأنبياء: ٨١ - ٨٢]. وقال في سورة ص: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [ص: ٣٦ - ٤٠]. لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيرا وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها تجري بأمره رخاء (حيث أصاب) أي حيث أراد من أي البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والامتعة والخيول والجمال والاثقال والرجال من الأنس والجنان، وغير ذلك من الحيوانات والطيور فإذا أراد سفرا أو مستنزها أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به، فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعت في أي مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه باصطخر (١) مسيرة شهر فيقيم هناك إلى آخر النهار. ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس كما قال تعالى: (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يرغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) [سبأ: ١٢ - ١٣]. قال الحسن البصري كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى بها ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل (٢) وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر، وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر. قلت: قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان: أن إصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وباب جبرون وباب البريد اللذان بدمشق على أحد الأقوال. وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد: هو النحاس. قال قتادة: وكانت باليمن أنبعها الله له. قال السدي ثلاثة أيام فقط (٣) أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبناءات

(١) إصطخر: بلدة بفارس، من أقدم مدنها وأشهرها، كان عليها قديما سور فتحدم بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا النسبة إليها اصطخري واصطخرزي بناها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس. معجم البلدان ١ / ٢١١. (٢) كابل: كابل في الأقليم الثالث، قال ابن الفقيه: من تغور طخارستان. وهي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور. غزاها المسلمون في أيام بني مروان وافتتحوها. معجم البلدان ٤ / ٤٢٦. (٣) قال القشيري: تخصيص الاسالة بثلاثة أيام لا يدري ما حده، ولعله وهم من ناقله، إذ في رواية مجاهد: أنها سالت من صنعاء ثلاث ليال مما يليها، وهذا يشير إلى بيان الموضوع لا إلى بيان المدة. [*]

[٢٤]

وغيرها وقوله: (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يرغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) [سبأ: ١٢] أي وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له ما يشاء، لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته، ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس (وتماثيل) وهي الصور في الجدران وكان هذا سائغا في شريعتهم وملتهم (١) (وجفان كالجواب). قال ابن عباس الجفنة كالجوية من الأرض وعنه كالحياض، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الاعشى: تروح على آل الملق جفنة * كجابية الشيخ العراقي يفهق (٢) وأما القدور الراسيات فقال عكرمة: أثافها منها. يعني أنهم ثابوا لا يزلن عن أماكنهن وهكذا قال مجاهد وغير

واحد. ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام والاحسان إلى الخلق من إنسان وجان قال تعالى: (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) [سبأ: ١٣] وقال تعالى: (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) يعني أن منهم من قد سخره في البناء ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللائي وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك وقوله: (وأخرين مقرنين في الاصفاد) أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الاصفاد: وهي القيود. هذا كله من جملة ما هياه الله وسخر له من الاشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده، ولم يكن أيضا لمن كان قبله. وقد قال البخاري: ثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن عفريتا من الجن تغلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي [ص: ٣٥] فرددته خاسئا) " (٣). وكذا رواه

= وقال القرطبي في أحكامه: والظاهر أنه جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته. ١٤ / ٢٧٠. (١) نسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم، وقد صح النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية، والتوعد لمن عملها أو اتخذها، فسخ الله عزوجل بهذا ما كان مباحا قبله، وكانت الحكمة في ذلك لانه بعث صلى الله عليه وسلم والصور تعبد، فكان الاصلح إزالتها. روى مسلم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم قال: إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل. (٢) الفهوق: الامتلاء، وخص العراقي لجهله بالمياه لانه حضري، فإذا وجدها ملا جانبته وأعددها ولم يدر متى يجد المياه ؛ وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يبالي ألا بعدها. (٣) صحيح البخاري ٨ / ٧٥، ٦٠ / ٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥) كتاب المساجد (٢٨) باب - ٢٠٩ / ٥٤١. وأحمد في مسنده: ٢ / ٣٩٨. [*]

[٢٥]

مسلم والنسائي من حديث شعبة. وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي، حدثنا عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّي فسمعناه يقول: " أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك. ورأيناك بسطت يدك، قال: " إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي. فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات. ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة " (١) وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به. وقال أحمد: حدثنا أبو أحمد، حدثنا مرة بن معبد، ثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال: رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال: حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فصلّي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتبست عليه القراءة. فلما فرغ من صلاته قال: " لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين: الابهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل " (٢). روى أبو داود منه " فمن استطاع " إلى آخره عن أحمد بن سريج عن أحمد الزبيري به. وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمائة بمههور وثلاثمائة سراري وقيل بالعكس ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الاماء. وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمرا عظيما

جدا قال البخاري: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن الاعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا أحد شقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله " (٣). وقال شعيب وابن أبي الزناد تسعين وهو أصح. تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال أبو يعلى: حدثنا زهير، حدثنا يزيد، أنبأنا هشام بن حسان، عن محمد بن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن

(١) أخرجه مسلم: في ٥ كتاب المساجد - ٢٨ باب ٤٠ / ٥٤٢ ؛ والنسائي في سننه ١٧ / ١٩. (٢) مسند أحمد ج ٢ / ٨٢. (٣) صحيح البخاري ٨٣ / ٤ / ٦٦٣٩ فتح الباري. [*]

[٣٦]

امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله عزوجل " (١). إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقال الامام أحمد: حدثنا هشيم، ثنا هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فما ولدت إلا واحدة منهن بشق إنسان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عزوجل " تفرد به أحمد أيضا (٢). وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله قال: ونسي أن يقول إن شاء الله فأتاف بهن قال: فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو قال إن شاء الله لم يحدث وكان دركا لحاجته " (٣) وهكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا مقاتل، عن أبي الزناد وابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له أربع مائة امرأة وست مائة سرية فقال يوما: لاطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عزوجل ". وهذا إسناد ضعيف لحال إسحاق بن بشر فإنه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح. وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لاحد قبله، ولا يعطيه الله أحدا بعده كما قال: (وأوتينا من كل شئ) [النمل: ١٦] (وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب) [ص: ٢٥] وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق. ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسده من النعم الكاملة العظيمة إليه قال: (وهذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أي تصرف في المال كيف شئت، فإن الله قد سوغ لك كل ما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك، وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول، فإن من شأنه أن لا يعطي أحدا

ولا يمنع أحدا إلا باذن الله له في ذلك، وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبدا رسولا (٤). وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك، فأشار إليه أن تواضع فاختار أن يكون عبدا

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٢ / ٥٠٦ ورواه ابن عساکر في تاريخه ٦ / ٢٦٦ تهذيب،
(٢) مسند الامام أحمد ٢ / ٢٢٩، (٣) مسند الامام أحمد ٢ / ٢٧٥، (٤) تقدم تخريج الحديث ورواته فليراجع في محله. [*]

[٢٧]

رسولا صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فله الحمد والمنة. ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والاجر الجميل والقربة التي تقربه إليه والفوز العظيم والاکرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى: (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب). [ذكر] (١) وفاته و [كم كانت] (١) مدة ملكه وحياته قال الله تبارك وتعالى: (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) [سبأ: ١٤]. روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأس شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء أنبتت فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها: ما اسمك قالت الخروب قال لاي شئ أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكل عليها حولا والجن تعمل فأكلتها الارضة، فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين. قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء (٢). لفظ ابن جرير. وعطاء الخراساني في حديثه نكارة. وقد رواه الحافظ ابن عساکر من طريق سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس موقوفا وهو أشبه بالصواب والله أعلم. وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنيتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك ؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا [فيقول لها: لاي شئ نبت ؟ فتقول: نبت لكذا وكذا فيأمر بها فقطع] (٣) فإن كانت لغرس غرستها وإن كانت نبتت دواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك ؟ فقالت: أنا الخروبة. فقال ولاي شئ نبت ؟ فقالت نبت

(١) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) روى الخبر الطبري في تاريخه (١ / ٢٦٦ قاموس حديث). (٣) ما بين معكوفين، زيادة اقتضاها السياق، من تاريخ الطبري. [*]

لخراب هذا المسجد. فقال سليمان ما كان الله ليخرجه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكه وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له. ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول الست جليدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق، ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه، ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحيشة قد أكلتها الارضة، ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة. ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة، وهي قراءة ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك، أن الجن كانوا يكذبون، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عزوجل: (ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) [سبأ: ١٤] يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للارضة: لو كنت تأكلين الطعام لا تبتك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقينك أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الماء والطين قال فإنهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في حوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكرا لها (١). وهذا فيه من الاسرائيلات التي لا تصدق ولا تكذب. وقال أبو داود في " كتاب القدر " حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن الاعمش، عن خيثمة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني، قال: ما أنا أعلم بذاك منك إنما هي كتب يلقى إلي فيها تسمية من يموت. وقال أصبغ بن الفرخ وعبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني. فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكأ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله دابة الارض - يعني - إلى منسأته فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر، فلما رأت الجن ذلك انفضوا

(١) روى الخبر الطبري في تاريخه ١ / ٣٦١ - ٣٦٢ (قاموس حديث). [*]

وذهبوا قال فذلك قوله: (ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين). قال أصبغ وبلغني عن غيره: أنها مكثت سنة تأكل في منسأته حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم. قال إسحاق بن بشر، عن محمد ابن إسحاق، عن الزهري وغيره أن سليمان عليه السلام عاش ثنتين (١) وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال إسحاق أنبأنا أبو روق

عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير: فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفا وخمسين سنة. وفي سنة أربع من ملكه ابتداء بناء بيت المقدس فيما ذكر. ثم ملك بعده ابنه ربيعام (٢) مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير وقال: ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل. [باب ذكر [(٣) جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام فمنهم شعيا بن أمصيا قال محمد بن إسحاق وكان قبل زكريا ويحيى، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا (٤) على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعا مطيعا لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح، وكانت الاحداث قد عظمت في بني إسرائيل فمرض الملك، وخرجت في رجله قرحة. وقصد بيت المقدس ملك يابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن إسحاق في ستمائة ألف راية وفرغ الناس فرعا عظيما شديدا وقال الملك للنبي شعيا: ماذا أوحى الله إليك في أمر سنحاريب وحنوده فقال لم يوح إلي فيهم شئ بعد. ثم نزل عليه الوحي بالامر للملك حزقيا بأن يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فإنه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا ويكى فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عزوجل بقلب مخلص وتوكل وصر: " اللهم رب الارباب وإله الآلهة [القدوس المتقدس] (٥) يا رحمن يا رحيم] المترحم

(١) في الكامل لابن الاثير: ثلاث وخمسين سنة. (٢) في المسعودي: أربعين. (٣) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٤) كذا في رواية الطبري: حزقيا بن أحاز ؛ وفيه عن ابن إسحاق كان يدعى: صديقة. (٥) من الطبري. [*]

[٤٠]

الرؤوف الذي [(١) لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعلمي وفعلتي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك فأنت أعلم به من نفسي سري وإعلاني لك " قال: فاستجاب الله له ورحمه، وأوحى الله إلى شعيا يبشره بأنه قد رحم بكاءه وقد أقر في أجله خمس عشر سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب [وحنوده] فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال في سجوده: " يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت [، اللهم أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين] أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرعي [" فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح قد برئ. ففعل ذلك فشفى وأرسل الله على جيش سنحاريب الموت (٢) فأصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من أصحابه منهم بخت نصر فأرسل ملك بني إسرائيل فجاء بهم، فجعلهم في الاغلال، وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوما ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن، وأوحى الله تعالى إلى شعيا أن يأمر الملك بإرسالهم إلى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه وأخبرهم بما قد كان من أمرهم فقال له السحرة والكهنة: إنا أخبرناك عن شأن ربهم وأنبيائهم فلما تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به. ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين. قال ابن إسحاق ثم لما مات حزقيا ملك بني إسرائيل مرج أمرهم واختلطت أحداثهم وكثر شرهم فأوحى الله تعالى إلى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه

وكذبوه. فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ يهدية ثوبه فأبرزها فلما رأى ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فإنما لله وأنا إليه راجعون (٣). ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب وقد قيل إنه الخضر. رواه الضحاك عن ابن عباس. وهو غريب وليس بصحيح (٤). قال

(١) من الطبري. (٢) قال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣: سلط عليهم الطاعون فأصبحوا موتى. (٣) نقل الخبر الطبري ج ١ / ٢٨٠. ما ورد بين معكوفين في الرواية زيادة - اقتضاها السياق - من تاريخ الطبري. (٤) ضعفه الطبري في نقله للخبر: وأسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هارون. [*]

[٤١]

ابن عساكر: جاء في بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يغور بدمشق فقال: أيها الدم فتنت الناس فاسكن فاسكن. ورسب حتى غاب (١). وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني علي بن أبي مريم، عن أحمد بن حباب، عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: قال أرميا: أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكرا، الذين يشتغلون بذكري عن ذكر الخلائق، الذين لا تعرض لهم وساوس الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا فلوه. وإذا زوى عنهم سروا بذلك. أولئك أنحلهم محبتي وأعطيهم فوق غاياتهم. [ذكر] (٢) خراب بيت المقدس وقوله تعالى: (واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح أنه كان عبدا شكورا. وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمردناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) [الاسراء: ٢ - ٨]. وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي: أن قم بين ظهراني قومك فأخبرهم أن لهم قلوبا ولا يفقهون، وأعيننا ولا يبصرون، وأذاننا ولا يسمعون، وإني تذكرت صلاح آبائهم فعطفني ذلك على أبنائهم. فسلمهم كيف وجدوا غب طاعتي، وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي، وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي؟ إن الدواب تذكر أوطانها فتنزح إليها وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه أبائهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها، أما أحبارهم فأنكروا حقي وأما قراؤهم فعبدوا غيري، وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا، وأما ولاتهم فكذبوا علي وعلى رسلي. خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم. وإني أقسم بجلالي وعزتي لاهيجن عليهم جيولا لا يفقهون ألسنتهم، ولا يعرفون وجوههم، ولا يرحمون بكاءهم، ولا يعثن فيهم ملكا جبارا قاسيا له عساكر كقطع السحاب ومواكب كأمثال الفجاج (٣) كان خفقان راياته طيران النسور وكان حمل فرسانه كر (٤)

(١) روى الخبر في تاريخه ٢ / ٢٨٤ تهذيب. (٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٣) في الطبري: العجاج. (٤) في الطبري: كريب. [*]

العقبان يعيدون العمران خرابا ويتركون القرى وحشة، فياويل ألبيا وسكانها كيف أدلهم للقتل وأسلط عليهم السبا وأعيد بعد لجب الاعراس صراخا، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج العجاج وبالغز ذلا وبالنعمة العبودية وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب. وبالمشي على الزرابي الخيب، ولاجعلن أجسادهم زبلا للارض وعظامهن ضاحية للشمس ولادوسنهم بألوان العذاب، ثم لأمرن السماء فتكون طبقا من حديد والارض سبيكة من نحاس، فإن أمطرت لم تنبت الارض، وإن أنبتت شيئا في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم. ثم أحبسه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد، فإن زرعوا في خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فإن خلص منه شئ نزعته منه البركة، فإن دعوتي لم أحبهم، وإن سألوا لم أعطهم وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم. رواه ابن عساكر بهذا اللفظ (١). وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا إدريس، عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بني إسرائيل وذلك حين عظمت الاحداث فيهم فعملوا بالمعاصي وقتلوا الانبياء طمع بخت نصر فيهم وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير إليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم فقم على صخرة بيت المقدس يأتك أمري ووحىي فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجدا وقال: يا رب وددت أمي لم تلدني حين جعلتني آخر انبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أحلي فقال له: ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى ثم قال: يا رب من تسلط عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابي، ولا يرجون ثوابي، قم يا أرميا فاستمع وحيي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك. ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ نباتك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك (٢) ولامر عظيم أجتيتك فقم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يسدده وبأية الوحي من الله حتى عظمت الاحداث [في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم] ونسوا ما نجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده فأوحى الله إلى أرميا [أن أئت قومك من بني إسرائيل] قم فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا: " يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني مخطئ إن لم تسددي مخذول إن لم تنصني ذليل إن لم تعزني " فقال تعالى: " أو لم تعلم أن الامور كلها تصدر عن مشيئتي وأن الخلق والامر كله لي وأن القلوب والالسننة (٣) كلها بيدي فأقلبها

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه ٢ / ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٩٠ تهذيب. وروى الخبر الطبري في تاريخه مطولا بنحوه ج ١ / ٢٨٦ وما بعدها. (٢) في الطبري: اخترتك. (٣) في الطبري: والالسن. [*]

كيف شئت فتطيعني فأنا الله الذي ليس شئ مثلي. قامت السموات والارض وما فيهن بكلمتي. وانه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلا لي، ولا يعلم ما عندي غيري. وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي، وأمرتها ففعلت أمري، وحددت عليها حدودا فلا تعدو حدي، وتأتي بأمواج كالجبال، فإذا بلغت حدي ألبيتها مذلة لطاعتي وخوفا واعترافا لامري وإني معك، ولن يصل إليك شئ معي، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب

لذلك أجز من أتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. انطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم إن الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم يا معشر أبناء الأنبياء. وكيف وجد آبؤكم مغية طاعتي؟ وكيف وجدتم مغية معصيتي؟ وهل وجدوا أحدا عصاني؟ فسعد بمعصيتي؟ أو هل علموا أحدا أطاعني فشقي بطاعتي؟ إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعَت إليها وإن هؤلاء القوم رجعوا في مروج الهلكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آبائهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها. أما أخبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا يتعبدونهم ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلهم أمرِي وأنسوهم ذكرِي وسنتي وعزوهم عني. فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي في فهم يطيعونهم في معصيتي. وأما ملوكهم وأمرأؤهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري وغرتهم الدنيا حتى نبدوا كتابي ونسوا عهدي، فهم يحترمون كتابي ويفترون على رسلي جرأة منهم وغيرة بي فسبحان جلالتي وعلو مكاني، وعظمة شأنِي هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي؟ وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي؟ وهل ينبغي لي أن اخلق عبادا أجعلهم أربابا من دوني؟ أو أذن لأحد بالطاعة لأحد. وهي لا تنبغي إلا لي. وأما قرأؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يتدعون في ديني، ويطيعونهم في معصيتي، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي، فهم جهلة بما يعملون لا ينتفعون بشئ مما علموا من كتابي. وأما أولاد النبيين، فمقهورون ومفتونون، يخوضون مع الخائضين، يتمون مثل نصري آبائهم والكرامة التي أكرمتهم بها، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم. وكيف كان جهدهم في أمرِي حين اغتر المغترون، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم بصروا وصدقوا حتى عز أمرِي وظهر ديني فتأثرت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني. فتطولت عليهم وشفحت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر، وأعدت لهم لعلهم يتذكرون. وكل ذلك أمطر عليهم السماء وأثبت لهم الأرض وألبسهم

[٤٤]

العافية وأظهرهم على العدو، ولا يزدادون إلا طغيانا وبعدا مني، فحتى متى هذا؟ أبي يسخرون؟ أم بي يتحرشون؟ أم إياي يخادعون؟ أم علي يجترئون فإني أقسم بعزتي لا تبحن عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم (١)، ويضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم، ثم لاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتبا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة، وأليت أن يتبعه عدد وسواد مثل [سواد] الليل المظلم. له فيه عساكر مثل قطع السحاب ومواكب مثل العجاج، وكان حفيف (٢) راياته طيران النسور وحمل فرسانه كسرب (٣) العقبان يعيدون العمران خرابا والقرى وحشا ويعثون في الأرض فسادا ويتبرون ما علوا تتبيرا قاسية قلوبهم لا يكثرثون ولا يرقبون ولا يرحمون. ولا يبصرون ولا يسمعون يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد تقشعر من هيبتها الجلود وتطيش من سمعها الاحلام بالسنة لا يفقهونها ووجه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها. فوعرتي لأعطلن بيوتهم من كتبي وقدسِي ولاخلين مجالسهم من حديثها ودروسها ولاوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري، ويتعبدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير الدين ويتعلمون فيها لغير العمل، لايدلن ملوكها بالعز الذل وبالامن الخوف وبالغني الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافية والرخاء أنواع البلاء ولباس الديباج والحريز مدارع الوبر والعباء، وبالارواح الطيبة والادهان جيف القتل، ولباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاعلال. ثم لاعيدن فيهم بعد القصور الواسعة، والحصون الحصينة الخراب، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد ضوء

السراج دخان الحريق، وبعد الانس الوحشة والقفار. ثم لا بد من نساءها بالاسورة الاغلال، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد. وبألوان الطيب والادهان النقع والغبار، وبالمشي على الزرابي عبور الاسواق والانهار والخيب إلى الليل في بطون الاسواق، وبالخدور والستور الحسور عن الوجوه، والسوق والاسفار والارواح السموم. ثم لادوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان الكائن منهم في حلق (٤) لوصل ذلك إليه، إنني إنما أكرم من أكرمني، وإنما أهين من هان عليه أمرى. ثم لأمرن السماء خلال ذلك فلتكون عليهم طبقا من حديد ولأمرن الأرض فلتكون سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت. فإن أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فإن خلص منه شئ نزعته منه البركة، وإن دعوني لم أجهم وإن سألوني لم أعطهم وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرعوا إلي صرفت وجهي عنهم. وإن قالوا اللهم أنت الذي ابتدأتنا وأبأنا من قبلنا برحمتك وكرامتك، وذلك بأنك اخترتنا لنفسك، وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا في البلاد،

(١) في الطبري: الحليم. (٢) في الطبري: خفيق. (٣) في الطبري ١ / ٢٨٧: كبرير العقبان. (٤) حالق: المكان المرتفع. [*]

[٤٥]

واستخلفتنا فيها وربيتنا وأبأنا من قبلنا بنعمتك صغارا، وحفظتنا وإياهم برحمتك كبارا فأنت أوفى المنعمين وإن غيرنا. ولا تبدل. وإن بدلنا، وإن تتم فضلك ومنك وطولك وإحسانك، فإن قالوا ذلك قلت لهم إنني ابتدئ عبادي برحمتي ونعمتي. فإن قبلوا أتممت وإن استزادوا زدت، وإن شكروا ضاعفت، وإن غيروا غيرت، وإذا غيروا غضبت. وإذا غضبت عذبت وليس يقوم شئ بغضبي. قال كعب: فقال أرميا: برحمتك أصبحت أتعلم بين يديك، وهل ينبغي ذلك لي وأنا أذل وأضعف من أن ينبغي لي أن أتكلم بين يديك، ولكن برحمتك أبقيتني لهذا اليوم، وليس أحد أحق أن يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد مني بما رضيت به مني طولا، والاقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير نكر ولا تغيير مني، فإن تعذبتني فبذبتني، وإن ترحمني فذلك ظني بك. ثم قال: يا رب سبحانك وبحمدك، وتباركت ربنا وتعاليت أتهلك هذه القرية وما حولها وهي مساكن أنبيائك ومنزل وحيك؟ يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لمخرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التي رفعت لذكرك، يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت لمقتل هذه الأمة وعذابك إياهم وهم من ولد إبراهيم خليلك، وأمة موسى نبيك، وقوم داود صفيك، يا رب أي القرى تأمن عقوبتك بعد؟ وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم؟ وأمة نبيك موسى؟ وقوم خليلك داود؟ تسلط عليهم عبدة النيران قال الله تعالى: يا أرميا من عصاني فلا يستنكر نعمتي، فإنني إنما أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين إلا أن أتداركهم برحمتي". قال أرميا: يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وحفظتنا به. وموسى قريته نجيا فنسألك أن تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا فأوحى الله إليه: "يا أرميا إنني قد استنكرت في بطن أمك وأخرتك إلى هذا اليوم فلو أن قومك حفظوا اليتامى والأرامل والمساكين وابن السبيل لمكنت الداعم لهم وكانوا عندي بمنزلة جنة ناعم شجرها طاهر ماؤها ولا يغور ماؤها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع، ولكن سأشكو إليك بني إسرائيل: إنني كنت لهم بمنزلة الداعي الشفيق أحببهم كل فحط وكل عسرة وأتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح بعضها بعضا فيأويلهم ثم يا ويلهم إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمرى، إن من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمعصيتي، وإن هؤلاء القوم يتبرعون بمعصيتي تبرعا فيظهرونها في المساجد

والاسواق وعلى رؤوس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السماء
إلي منهم وعجت الأرض والجبال، ونفرت منها الوحوش بأطراف الأرض
وأقاصيها وفي كل ذلك لا ينهون ولا ينتفعون بما علموا من الكتاب ".
قال فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب
عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا: " كذبت وأعظمت على الله الفرية
فتزعم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته

[٤٦]

وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الأرض عابد ولا مسجد ولا
كتاب، لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون " فأخذه وقيده
وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم بخت نصر فأقبل يسير بجنوده
حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال تعالى: (فجاسوا
خلال الديار) [الاسراء: ٥] قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على
حكمه ففتحوا الابواب وتخللوا الازقة وذلك قوله: (فجاسوا خلال الديار)
وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث،
وسبى الثلث، وترك الزمنى (١)، والشيوخ والعجائز ثم وطئهم بالخيل
وهدم بيت المقدس وساق الصبيان، وأوقف النساء في الاسواق
حاسرات، وقتل المقاتلة وخرب الحصون، وهدم المساجد، وحرق
التوراة، وسأل عن دانيال الذي كان قد كتب له الكتاب، فوجدوه قد
مات وأخرج أهل بيته الكتاب إليه وكان فيهم دانيال بن حزقيال الاصغر
وميشائيل وعزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال
بن حزقيال خلفا من دانيال الاكبر. ودخل بخت نصر بجنوده بيت
المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفنهم. فلما
فرغ منها انصرف راجعا وحمل الاموال التي كانت بها، وساق السبابا
فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين ألف (٢)
غلام وقذف الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير، وكان
الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود، واحد عشر ألفا من سبط
يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشي بن
يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون وفتالي ابني يعقوب وأربعة
عشر ألفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخر
بن يعقوب والفين من سبط زيكون (٣) بن يعقوب وأربعة آلاف من
سبط روبيل ولاوي واثنى عشر ألفا من سائر بني إسرائيل وانطلق
حتى قدم أرض بابل. قال إسحاق بن بشر: قال وهب بن منبه: فلما
فعل ما فعل قيل له: كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصفك
وخبرك لهم. ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم وتهدم
مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيده
وحبسوه. فأمر بخت نصر فأخرج أرميا من السجن فقال له أكنت تحذر
هؤلاء القوم ما أصابهم ؟ قال: نعم قال: فأنى علمت ذلك ؟ قال
أرسلني الله إليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك وسجونك قال: نعم
قال: " بنس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن
تلحق بي فأكرمك وأواسيك وإن أحببت أن تقيم في بلادك فقد أمنتك
" قال له أرميا: إني لم أزل في أمان الله منذ كنت، لم أخرج منه
ساعة قط، ولو أن بني

(١) الزماني: أصحاب العاهات. (٢) في الطبري: سبعين ألف صبي. أراد أن يقسمهم
على جنوده، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلما. (٣) في نسخ البداية المطبوعة:
زبالون وهو تحريف وسقطت من الطبري ؛ وفيه زاد: وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن
يعقوب. [*]

[٤٧]

إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه، فأقام أرميا مكانه بأرض أيليا. وهذا سياق غريب. وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة. وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كان بخت نصر أصفهيدا لما بين الاهواز إلى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب. وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلقب بالخنساء (١)، وقاتل الترك وألجأهم إلى أضيح الاماكن وبعث بخت نصر لقتال بني إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق، وقد قيل إن الذي بعث بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب وذلك لتعدي بني إسرائيل على رسله إليهم. وقد روى ابن جرير: عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب: أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما يغلي على كبا يعني القمامة فسألهم ما هذا الدم؟ فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك سبعين الفا من المسلمين وغيرهم فسكن. وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن زكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن زكريا بعد بخت نصر بمدة والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله ممن أعلم به. قال هشام بن الكلبي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بني إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع. فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لاجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة. وقتل المقاتلة وسبى الذرية. قال ويلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فأخرجه وقص عليه ما كان من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه. فقال بخت نصر: بنس القوم قوم عصوا رسول الله وخلي سبيله وأحسن إليه واجتمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله عزوجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى الله إليه أنه غير فاعل (٢) فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة فأخبرهم ما أمره الله تعالى به فقالوا كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فأبوا أن يقيموا (٣). قال ابن الكلبي: ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادي القرى (٤)، وذهبت شردمة منهم إلى مصر فكتب بخت نصر إلى ملكها

(١) في الطبري: الحسناء. (٢) في الطبري: أنهم غير فاعلين. (٣) الخبر في الطبري ج ١ / ٢٨١ قاموس حديث). (٤) العبارة في الطبري: ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى وغيرها. [*]

[٤٨]

يطلب منه من شرد منهم إليه، فأبى عليه فركب في جيشه فقاتله وفهره وغلبه وسبى ذراريهم. ثم ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية. قال ثم أنصرف بسببي كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السببي دانيال [وغيره من الانبياء] (١). قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الاصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم. [ذكر] (٢) شئ من خبر دانيال عليه السلام قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال: إن لم أكن سمعته من شعيب ابن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه، عن الأجلح الكندي، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال ضرا بخت نصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه، فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما

بشتهي الأدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام: أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يا رب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن اعدد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت. ففعل وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا ؟ قال: أنا أرميا. فقال: ما جاء بك ؟ فقال: أرسلني إليك ربك. قال وقد ذكرني ربي ؟ قال: نعم. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره. والحمد لله الذي يجيب من رجاه. والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره. والحمد لله الذي يجزي بالاحسان إحسانا. والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاه. والحمد لله الذي هو يكشف ضمنا بعد كربنا. والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا. وقال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحق، عن أبي خلد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية. فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا. فقلت لابي العالية: ما كان فيه ؟ قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل ؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينشونه. قلت: فما يرجون منه، قال: كانت السماء إذا حبست عنهم [المطر] (٣) برزوا بسريره فيمطرون. قلت: من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلثمائة سنة قلت: ما تغير منه شئ قال لا إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الانبياء لا تبليها الارض

(١) من الطبري. (٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٣) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. [*]

[٤٩]

ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لان عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث الذي في البخاري والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة ؟ وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الامر فإنه قد يكون رجلا آخر إما من الانبياء أو الصالحين ولكن قربت الظنون أنه دانيال لان دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم. وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر. وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الانبياء الاقدمين قبل هذه المدد والله أعلم. وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب أحكام القبور: حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله، عن أبي الأشعث الاحمري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن دانيال دعا ربه عزوجل أن تدفنه أمة محمد، فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجهه في تابوت تضرب عروقه ووريده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فيشروه بالجنة. فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر بخيره فكتب إليه عمر أن أدفنه وأبعث إلى حرقوص فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظا نظر والله أعلم. ثم قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو بلال، حدثنا قاسم بن عبد الله، عن

عنيسة بن سعيد وكان عالما، قال: وجد أبو موسى مع دانيال مصحفا وجره فيها ودك ودراهم وخاتمه، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: أما المصحف فابعث به إلينا وأما الودك فابعث إلينا منه وممر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدراهم بينهم وأما الخاتم فقد نفلناكه. وروي عن ابن أبي الدنيا من غير وجه: أن أبا موسى لما وجدته وذكروا له أنه دانيال التزمه وعانقه وقبله. وكتب إلى عمر يذكر له أمره وأنه وجد عنده مالا موضوعا قريبا من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فإن ردها وإلا مرض وإن عنده ربيعة (١) فأمر عمر بأن يغسل بماء وسدر (٢) ويكفن ويدفن ويخفى قبره، فلا يعلم به أحد وأمر بالمال أن يرد إلى بيت المال وبالبيعة فتحمل إليه ونفله خاتمه. وروي عن أبي موسى: أنه أمر أربعة من الاسراء فسكروا نهرا (٣) وحفروا في وسطه قبرا فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسراء فضرب أعناقهم فلم يعلم موضع (٤) قبره غير أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

(١) ربيعة: صندوق تحفظ فيه الاوراق وأجزاء القرآن. (٢) سدر: شجرة النبق. (٣) سكروا نهرا: سدوه. (٤) في نسخة: مكان قبره ؛ وقال في المعارف: إن قبره كان بناحية السوس، ويقول صاحب أخبار الدول أن أبا = [*]

[٥٠]

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الله، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا ابن وهب، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما نقش فيه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال أبو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه. قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له انه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور (١) ملكك ويفسده فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الاسد فبات الاسد وليوته يلحسانه ولم يضره فجاءت أمه فوجدتها يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ قال أبو بردة قال أبو موسى قال: علماء تلك القرية فنقش دانيال صورته وصورة الاسدين يلحسانه في فص خاتمه لثلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك. إسناد حسن. [ذكر] (٢) عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع [الملا من] (٣) بني إسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض [وشعابها] (٤) قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين: (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها. قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) [البقرة: ٢٥٩] قال هشام بن الكلبي: ثم أوحى الله تعالى إلى أ عليه السلام فيما بلغني: أني عامر بيت المقدس فاخرج إليها فانزلها، فخرج حتى قدمها خراب، فقال في نفسه: سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وأخبرني أنه عامرها فمتى يعمرها ؟ ومتى يحييها الله بعد موتها ؟ ثم وضع رأسه فنام ومعه حمارة وسلعة من طعام (٣) فمكث في نومه سبعين (٤) سنة حتى هلك بخت نصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بخت نصر في دولته فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الانس أحد فنادى في أرض بابل في

= موسى وجده في العراق. وقال ابن الاثير في كامله: وأما دانيال فإنه أقام بأرض بابل وانتقل عنها ومات ودفن بالسوس من أعمال خوزستان ١ / ٢٦٨. (١) يعور ملكه: يهلكه. (٢) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٣) عصير من عنب في ركوة وسلّة تين؛ في رواية أخرى للطبري. (٤) فأمانه الله مائة عام. في رواية أخرى عند الطبري. [*]

[٥١]

بني إسرائيل: أن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها وفتح الله لارميا عينيه فنظر إلى المدينة كيف تنبى وكيف تعمر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة وقد عهد المدينة خرابا فلما نظر إليها عامرة أهلة قال أعلم أن الله على كل شئ قدير. قال فأقام بنو إسرائيل بها ورد الله عليهم أمرهم فمكتوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف. ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصاري عليهم. هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه عنه (١). وذكر ابن جرير أن لهراسب كان ملكا عادلا سائسا لمملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وأنه كان ذا رأي جيد في عمارة الامصار والانهار والمعاقل. ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين المجوسية وذلك أن رجلا كان اسمه زردشت كان قد صحب أرميا عليه السلام فأغضبه فدعا عليه أرميا فبرص زردشت فذهب فلحق بأرض آذربيجان وصحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه فقبله منه بشتاسب وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقا كثير ممن اباه منهم. ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين والباطال المذكورين وقد ناب بخت نصر لكل واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهرًا طويلا قبحه الله. والمقصود أن هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار على هذه القرية هو أرميا عليه السلام. قال (٢) وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما وهو قوي من حيث السباق المتقدم وقد روي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتاة والسدي وسليمان بن بريدة وغيرهم أنه عزيز. وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف والله أعلم. وهذه قصة العزيز قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: هو عزيز بن جروة ويقال بن سوريق بن عديا بن أيوب ابن درزنا بن عري بن تقى بن أسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران. ويقال عزيز بن سروخا جاء في بعض الآثار أن قبره بدمشق. ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي، عن داود بن عمرو عن حبان بن علي، عن محمد بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعا لا أدري العين بيع أم لا ولا أدري أكان عزيز نبيا أم لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن إسحاق السجزي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب (٣)، عن سعيد المقبري، عن أبي

(١) تاريخ الطبري (١ / ٢٨١ - ٢٨٢ قاموس حديث). (٢) في نسخ البداية المطبوعة: قال وهو تحريف. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: ابن أبي ذؤيب وهو تحريف. وابن أبي ذئب هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، أبو الحارث أحد الاعلام روى عن عكرمة ونافع والزهرى وعنه معمر وغيره. ثقة وكان يفتي بالمدينة. توفي سنة ١٥٩ الكاشف ج ٣ / ٦٢. [*]

[٥٢]

هريرة مرفوعا نحوه. ثم روي من طريق إسحاق بن بشر وهو متروك عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أن عزيزا كان ممن سباه بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه قال وكان يذكر مع الانبياء حتى محى الله اسمه من ذلك حين سأله ربه عن القدر. وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر والله أعلم. وقال إسحاق بن بشر: عن سعيد، عن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الله بن سلام: أن عزيزا هو العبد الذي أماته الله مائة عام ثم بعته. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن كعب وسعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن إسماعيل السدي عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس وإدريس عن جده وهب بن منبه قال إسحاق: كل هؤلاء حديثوني عن حديث عزيز وزاد بعضهم على بعض قالوا بإسنادهم أن عزيزا كان عبدا صالحا حكيما خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم أخرج خبزا يابساً معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط فنظر سقوف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاما بالية فقال: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأماته الله مائة عام. فلما أتت عليه مائة عام، وكانت فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث قال: فبعث الله إلى عزيز ملكا فخلق قلبه ليعقل قلبه وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى. ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويعقل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب فقال أو بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك يعني الطعام الخبز اليابس وشرابه العصير الذي كان اعتصره في القصعة فإذا هما على حالهما لم يتغير العصير والخبز يابس فذلك قوله: (لم يتسنه) يعني لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شئ من حالهما فكانه أنكر في قلبه فقال له الملك: أنكرت ما قلت لك انظر إلى حمارك فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبها الملك وعزير ينظر إليه ثم ألبسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم أنبت عليها الجلد والشعر ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقا يظن القيامة قد قامت فذلك قوله: (وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) يعني وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا في أوصالها حتى إذا صارت عظاما مصورا حمارا بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لحما فلما

تبين له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير من إحياء الموتى وغيره (١): قال فركب حماره حتى أتى محلته فانكره الناس وأنكر الناس وأنكر منزله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانت أمة لهم فخرج عنهم عزيز وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة (٢). فقال لها عزيز يا هذه أهذا منزل عزيز قالت: نعم هذا منزل عزيز فبكت وقالت ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيزا وقد نسيه الناس قال فإنني أنا عزيز كان الله أماتي مائة

سنة ثم بعثني قالت سيحان الله فإن عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر قال: فإنني أنا عزير قالت: فإن عزيرا رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك فإن كنت عزيرا عرفتك. قال فدعا ربه ومسح بيده على عينيه فصحتا وأخذ بيدها وقال: قومي باذن الله فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال (٣) فنظرت فقالت: أشهد أنك عزير وانطلقت إلى محلة بني إسرائيل، وهم في أنديةهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانين عشر (٤) سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت: هذا عزير قد جاءكم فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعته قال: فنهض الناس، فأقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير فقالت بنو إسرائيل فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزير وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء إلا ما حفظت الرجال فاكبتها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع يعرفه أحد غير عزير فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان (٥) حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجددها لبني إسرائيل (٦). فمن ثم قالت اليهود عزير ابن الله للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني إسرائيل وكان جدد لهم التوراة بارض السواد بدير حزقييل. والقربة التي مات فيها يقال لها سايرا باذا. قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى: (ولنجعلك آية للناس) يعنى لبني

(١) الخبر رواه الطبري في تاريخه ١ / ٢٨٩ وفيه أن الذي أماته الله أرميا وليس عزيرا. (٢) الزمان: العاهة. (٣) عقال: قيد. (٤) في الكامل لابن الاثير: مائة وثلاث عشرة سنة ؛ ١ / ٢٧٠. (٥) في الطبري والكامل: بعث الله ملكا في صورة انسان، أتاه باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره [عزير]. (٦) زاد الطبري: فصاروا يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها وحدودها ؛ وقامت التوراة بين أظهرهم وصلح بها أمرهم. [*]

[٥٤]

إسرائيل. وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شابا كهينة يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن، وقد أنشد أبو حاتم السجستاني في معنى ما قاله ابن عباس: واسود رأس شاب من قبله ابنه * ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر يرى ابنه شيخا يدب على عصا * ولحيته سوداء والرأس أشقر وما لابنه حيل ولا فضل قوة * يقوم كما يمشي الصبي فيعثر يعد ابنه في الناس تسعين حجة * وعشرين لا يجري ولا يتبختر وعمر أبيه اربعون أمرها * ولان ابنه تسعون في الناس غير فما هو في المعقول إن كنت داريا * وإن كنت لا تدري فبالجهل تعذر فصل المشهور أن عزيرا نبي من أنبياء بني إسرائيل (١)، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل كما قال وهب بن منبه أمر الله ملكا فنزل بمعرفة (٢) من نور فغذفها في عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها. وروي ابن عساكر عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله) [البقرة: ٣٠] لم قالوا ذلك ؟ فذكر له ابن سلام ما كان من كتبه لبني إسرائيل التوراة من حفظه وقول بني إسرائيل لم يستطع موسى أن يأتيها بالتوراة إلا في كتاب وإن عزيرا قد جاءنا بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله. ولهذا يقول كثير من العلماء: إن

تواتر التوراة انقطع في زمن العزيز. وهذا متجه جدا إذا كان العزيز غير بني كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصري، وفيما رواه إسحاق بن بشر عن مقاتل بن سليمان، عن عطاء، وعن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن أبي رباح قال: كان في الفترة تسعة أشياء بخت نصر وحنة صنعاء وحنة سبا وأصحاب الإخدود وأمر حاصورا وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل ومدينة انطاكية وأمر تبع. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا سعيد عن قتادة، عن الحسن قال: كان أمر عزيز وبخت نصر في الفترة. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أولى الناس بابن مريم [الانبياء أولاد علات] (٣) لانا إنه ليس بيني وبينه نبي " (٤)

(١) ذكره المسعودي بين الانبياء وقال: وقد تنازع الناس في نبوته. وقال ابن قتيبة في المعارف: أن الله محاً اسمه من الانبياء لانه أكثر المناجاة في القدر. (٢) تقدم في الطبري: أن الملك أتى عزيز باناء ماء وسقاه منه فتمثلت التوراة في صدره. (٣) ما بين معكوفين سقط من نسخ البداية المخطوطة والمطبوعة. واستدرك من نص الحديث. (٤) أخرجه مسلم في صحيحه في ٤٢ / ٤٠ / ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى الناس = [*]

[٥٥]

وقال وهب بن منبه كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام. وقد روى ابن عساکر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيزاً كان في زمن موسى بن عمران وأنه استأذن عليه فلم يأذن له يعني لما كان من سؤاله عن القدر وأنه انصرف وهو يقول مائة مائة أهون من ذلك ساعة وفي معنى قول عزيز مائة مائة أهون من ذلك ساعة قول بعض الشعراء: قد يصبر الحر على السيف * ويأف الصبر على الحيف ويؤثر الموت على حالة * يعجز فيها عن قرى الضيف فأما ما روى ابن عساکر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم من أنه سأل عن القدر فمحي اسمه من ذكر الانبياء فهو منكر وفي صحته نظر وكأنه مأخوذ عن الاسرائيليات وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال قال عزيز فيما يناجي ربه: " يا رب تخلق خلقاً فتصل من تشاء وتهدي من تشاء " فليل له أعرض عن هذا فعاد فليل له لتعرض عن هذا أو لامحون اسمك من الانبياء إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون وهذا لا يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد فما محيا اسمه والله أعلم. وقد روى الجماعة سوى الترمذي من حديث يونس بن يزيد، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة، وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه مهلاً نملة واحدة " (١). فروى إسحاق بن بشر: عن ابن جريج، عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزيز. وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزيز فالله أعلم. قصة زكريا ويحيى عليهما السلام قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم: (كهيعص. ذكر رحمة ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفياً. قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً. وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً. يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً. قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً. قال

= بعيسى مريم. في الاولى والآخرة؟. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: " الانبياء أخوة من علات.. وأمها تهم شتى.. فليس بيننا نبي " حديث رقم ١٤٥. (١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٩ / ١٦ / ٣٣١٩ فتح الباري؛ ومسلم في صحيحه ٣٩ / ٣٩ / ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠ وأحمد في مسنده ج ٢ / ٣١٢، ٤٤٩ وأبو داود والنسائي في سننهما.] *

[٥٦]

كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا. قال رب اجعل لي اية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا. فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا. يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبيا. وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا. وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا. وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) [مريم: ١ - ١٥]. وقال تعالى: (وكفلها زكريا كلما دخل عليهما زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين. قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء. قال رب اجعل لي آية. قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) [آل عمران: ٣٧ - ٤١]. وقال تعالى في سورة الانبياء: (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تزني فردا وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له وزوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) [الانبياء: ٨٩ - ٩٠] وقال تعالى: (وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) [الانعام: ٨٥]. قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل. زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان، ويقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهناشاط بن اينا من بن رحبعام بن سليمان بن داود أبويحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل. دخل البثينة من أعمال دمشق في طلب ابنه يحيى. وقيل إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم. وقد قيل غير ذلك في نسبه (١) ويقال فيه زكريا بالمد وبالقصر ويقال زكري أيضا.

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب: زكريا بن أدق من ولد داود من سبط يهوذا. وقال ابن قتيبة في المعارف: زكريا بن أزن من ولد داود من سبط يهوذا. ولم يذكر نسب زكريا في القرآن ولا في كتب الانبياء عند أهل الكتاب. قال النجار في قصص الانبياء مشككا في نسبه المتداول: ويوجد زكريا - آخر - ليس له قصة في القرآن أصلا، وهذا له كتاب من الكتب القانونية عند النصاري. وهو زكريا بن برخيا وكان في زمن داريوس أي قبل زمن المسيح بما يقرب من ثلاثة قرون. والنصاري يؤولونه بالمسيح واليهود يؤولونه بمسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال. أما زكريا أبويحيى فيظهر أنه كان ممن لهم شركة في خدمة الهيكل وعلى ذلك فهو لآوي. ص ٣٦٨. [*]

[٥٧]

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر، وكانت امرأته [مع ذلك] (١) عاقرا في حال شببيتها وقد أسنت أيضا حتى لا يبيئ أحد من فضل الله ورحمته، ولا ينفط من فضله تعالى وتقدس فقال تعالى: (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا). قال قتادة عند تفسيرها: إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي. وقال بعض السلف: قام من

الليل فنأدى ربه مناداة أسرها عنم كان حاضرا عنده مخافته فقال: " يا رب يا رب يا رب فقال الله ليبيك ليبيك ليبيك ". (قال رب إني وهن العظم مني) أي ضعف وخار من الكبر (واشتعل الرأس شيبا) استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شبيه كما قال ابن دريد في مقصورته: أما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جمر الغضا وأض عود اللهو ببسا ذابوا * من بعد ما قد كان مجاج الثرى يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهرا وهكذا قال زكريا عليه السلام: (إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا) وقوله: (لم أكن بدعائك رب شقيا) أي ما دعوتني فيما أسألك إلا الإجابة وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ما ثان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إوانها ولا في آوانها وهذه من كرامات الاولياء فعلم أن الرازق للشئ في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدا وإن كان قد طعن في سنه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) وقوله: (وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا) قيل المراد بالموالى العصى وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا ولهذا قال: (فهب لي من لدنك) أي من عندك بحولك وقوتك (وليا يرثني) أي في النبوة (٢) والحكم في بني إسرائيل: (ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضا) يعني كما كان أبأوه وأسلافه من ذرية (٣) يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتمهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثة

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) قال القرطبي في الآية: سؤال ودعاء ؛ ولم يصرح بولد لما علم من حاله وبعده عنه بسبب المرأة فقيل كان عمره بضع وسبعين وقيل خمس وتسعين سنة وغلب على ظنه أنه لا يولد له لكبره. " يرثني " قيل النبوة: قال القرطبي: فأما قومهم وراثة نبوة فمحال، لان النبوة لا تورث. (٣) كان زكريا متزوجا بأخت مريم بنت عمران ويرجع نسبها إلى سليمان - داود - يهوذا يعقوب. وزكريا من ولد هرون أخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوى بن يعقوب. [*]

[٥٨]

المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن ابي صالح من السلف لوجه: أحدها: ما قدمنا عند قوله تعالى: (وورث سليمان داود) [النمل: ١٦] أي في النبوة والملك كما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروى في الصحاح والمسائيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا نورث ما تركنا فهو صدقة " (١) فهذا نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث ولهذا منع الصديق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلى أحد من ورائه الذين لولا هذا النص لصراف إليهم وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم واحتج عليهم الصديق في منعه أيأهم بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم. الثاني: أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الانبياء: " نحن معاشر الانبياء لا نورث " (٢) وضحجه. الثالث: أن الدنيا كانت أحقر عند الانبياء من أن يكتنوا لها أو يلفتوا إليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بعدهم فإن من لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولدا يكون وارثا له فيها. الرابع: أن زكريا عليه السلام كان نجارا يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب

يده والغالب ولا سيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهادا يستفضل منه ما لا يكون له ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهم إن شاء الله. قال الامام أحمد: حدثنا يزيد يعني ابن هرون، أنبأنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان زكريا نجارا " (٣). وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به. وقوله: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) [مريم: ٧]. وهذا مفسر بقوله: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين)

(١) أخرجه البخاري ومسلم ومالك والترمذي والنسائي وأحمد. وقد سبق تخريجه فليراجع. (٢) تقدم نص الحديث في الترمذي وفيه: " لا نورث ما تركنا من صدقة " من طريق أنس بن مالك. ٢٣ / ٤٤ / ١٦١٠. وليراجع تخريج الحديث السابق. (٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٢ / ٤٥ / ١٦٥ ومسند أحمد ج ٢ / ٢٩٦، ٤٠٥، ٤٨٥. [*]

[٥٩]

[آل عمران: ٣٩] فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له: (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) [مريم: ٨] أي كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن (١) من ذلك (وكانت امرأتي عاقرا) يعني وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقرا لا تلد والله أعلم. كما قال الخليل: (أبشرتموني على أن مسني الكبر فيم تبشرون) [الحجر: ٥٤] وقالت سارة: (يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) [هود: ٧٢ - ٧٣] وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذي يوحى إليه بأمر ربه (كذلك قال ربك هو علي هين) أي هذا سهل يسير عليه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أي قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولدا وإن كنت شيئا. وقال تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) [الانبياء: ٩٠] ومعنى اصلاح زوجته: أنها كانت لا تحيض فحاضت. وقيل كان في لسانها شئ أي بذاءة (٢) (قال رب اجعل لي آية) أي علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) يقول علامة ذلك أن يعتربك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزا وأنت في ذلك سوي الخلق، صحيح المزاج، معتدل البنية. وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسرورا بها على قومه من محرابه (فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا). والوحي ههنا هو الامر الخفي إما بكتابه كما قاله مجاهد والسدي أو إشارة كما قاله مجاهد أيضا ووهب وقتادة. قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتاده اعتقل لسانه من غير مرض. وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام أحد. وقوله: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناك الحكيم صبيا)، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لابيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه (٣). قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا قال وذلك قوله: (وأتيناك الحكيم صبيا) وأما قوله: (وحنانا من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا أدري ما الحنان. وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك (وحنانا من لدنا)

(١) تقدم أنه كان ابن خمس وتسعين سنة. (٢) قال في أحكام القرآن: قال أكثر المفسرين: وأصلحنا زوجه: إنها كانت عاقرا فجعلت ولودا، وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان فأصلحها الله تعالى فجعلها حسنة الخلق. ١١ / ٣٣٦. (٣) قال قتادة: كان ابن سنتين أو ثلاث سنين ؛ وقال ابن عباس: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيا. [*]

[٦٠]

أي رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد. وعن عكرمة (وحنانا) أي محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه وهو محبتهم والشفقة عليهما وبره بهما. وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والردائل. والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره، ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمرا ونهيا وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال: (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) ثم قال: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) هذه الاوقات الثلاثة أشد ما تكون على الانسان فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الاول بعد ما كان ألفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخا إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لبنها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكايد همومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور وما بين جبير وكسير وفريق في الجنة وفريق في السعير. ولقد أحسن بعض الشعراء. حيث يقول: ولدتك أمك باكيا مستصرخا * والناس حولك يضحكون سرورا فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها فقال: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى: أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهم، وأما قوله في الآية الاخرى: (وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) [آل عمران: ٣٩] فليل المراد بالحضور الذي لا يأتي النساء وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله: (هب لي من لدنك ذرية طيبة) [آل عمران: ٣٨] وقد قال الامام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنبأنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا، وما ينبغي لاحد يقول أنا خير من يونس بن متى " (١). علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الائمة وهو منكر الحديث، وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن علي بن زيد بن جدعان به مطولا ثم قال ابن خزيمة وليس على شرطنا. وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الانبياء فقال قال: موسى كلیم الله. وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته. وقال قائل: إبراهيم خليل الله [وهم يذكرون

(١) مسند أحمد ج ١ / ٢٥٤، ٢٩٢. [*]

ذلك [(١) فقال: " ابن الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب " قال ابن وهب: يريد يحيى بن زكريا. وقد رواه محمد بن إسحاق وهو مدلس، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب: حدثني ابن العاصي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا ". فهذا من رواية ابن إسحاق وهو من المدلسين وقد عنعن ههنا. ثم قال عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب مرسلًا. ثم رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الأنصاري ثم قد رواه ابن عساكر من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق: حدثنا محمد بن الأصبهاني، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد إلا يلقي الله بذنب إلا يحيى بن زكريا. ثم تلا: (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئًا من الأرض فقال ما كان معه إلا مثل هذا، ثم ذبح ذبحًا وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه موقوفًا صح من رفعه والله أعلم. وأورده ابن عساكر من طرق: عن معمر من ذلك ما أورده من حديث إسحاق بن بشر وهو ضعيف، عن عثمان بن ساج (٢) عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وروي من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام " (٣). وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتماشيان فصدم يحيى امرأة، فقال له عيسى: يا بن خالة قد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أنه يغفر لك أبدا. قال: وما هي يا بن خالة؟ قال امرأة صدمتها. قال والله ما شعرت بها. قال: سبحان الله بدئك معي فأبين روحك قال معلق بالعرش ولو أن قلبي اطمئن إلى حبريل لظننت أنني ما عرفت الله طرفة عين ". فيه غرابة وهو من الاسرائيليات. وقال اسرائيل: عن أبي حصين، عن خيثمة قال: كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف، وكان يحيى يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا ماوى بأويان إليه ابن ما جنهما الليل أويا فلما أرادا أن يتفرقا قال له يحيى: أوصني قال: لا تغضب قال لا أستطيع إلا أن أغضب قال لا تقتن مالا قال أما هذه فعسى.

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: ابن سباح وهو تحريف والصواب ما أثبتناه. وهو عثمان بن عمرو بن ساج، مولى بني أمية وقد ينسب إلى جده، فيه ضعف من التاسعة. تقريب التهذيب ٢ / ١٢. (٣) رواه البيهقي في دلائله ج ٧ / ٥٧٨ من طريق حذيفة بن اليمان. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٨١ وقال الذهبي صحيح. [*]

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتا أو قتل قتلا على روايتين: فروى عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومهم فدخل شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليهما فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أن فأوحى الله إليه: لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها فسكن أنينه حتى قطع باثنتين (١). وقد روي هذا في حديث مرفوع سنورده بعد إن شاء الله. وروى إسحاق بن بشر، عن إدريس بن سنان، عن وهب أنه قال الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا

فأما زكريا فمات موتاً فالله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان، أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممتور، عن الحارث الأشعري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمسة كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكان أن يبطن، فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أمرت بخمسة كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ؟ فقال: يا أخي إنني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلا المسجد فقعده على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عزوجل أمرني بخمسة كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن. وأولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله يورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأبكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشددوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وأمركم بذكر الله عزوجل كثيراً فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وأن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عزوجل. قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " وأنا أمركم بخمسة: الله أمرني بهن بالجماعة والسمع

(١) قال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٤: قتلوه في جوف شجرة قطعوها وقطعوه معها. وذكر المسعودي رواية قتله: قال: فنشروا الشجرة وهو فيها، دلهم عليه إبليس لعنه الله عزوجل، فقطعوه وقطعوها. والسبب في قتله اتهامه بارتكابه الفاحشة مع مريم / ٥٩. (وذكر ابن الأثير سبباً آخر لقتله، ورواية قتله كما سبق إليها المسعودي وابن قتيبة - والسبب أنه لما قتل يحيى فر زكريا هارباً فأرسل الملك في طلبه. فدخل الشجرة.. ٢٠٦ / ١. [*]

[٦٣]

والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ريق الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قال: يا رسول الله وإن صام وصلى قال: " وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عزوجل المسلمين المؤمنين عباد الله عزوجل " (١). وهكذا رواه أبو يعلى عن هذبة بن خالد، عن أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير به. وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن محمد بن شعيب بن سابور، عن معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري به. ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري، عن معاوية بن سلام عن أخيه به. ثم قال تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام. قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة عن أبي نوبة الربيع بن يافع، عن معاوية بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية. ثم روي الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ذكر لنا عن

أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ما تقدم. وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس، إنما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الانهار، ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ويقول: من أنعم منك يا يحيى. وروى ابن عساكر أن أبوه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عزوجل. وقال ابن وهب عن مالك، عن حميد بن قيس، عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإنه كان ليكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه. وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: جلست يوما إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم. وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال: فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه بيكي على نفسه فقال: يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام، وأنت في قبر قد احتفرته قائم تكي في فيه فقال يأت ألسنت أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة (٢) لا يقطع إلا بدموع البكائين فقال له إبك يا بني فبكي جميعا. وهكذا حكاه

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ج ٤ / ٢٠٢ ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٦١). (٢) في كامل ابن الاثير: عقبة. [*]

[٦٤]

وهب بن منبه ومجاهد بنحوه. وروى ابن عساكر عنه أنه قال: إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا ينبغي للصدقيين أن لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عزوجل. ثم قال كم بين النعيمين وكم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه. بيان سبب قتل يحيى عليه السلام وذكروا في قتله أسبابا من أشهرها: أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمة (١)، أو من لا يحل له تزويجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها (٢) منه. فلما كان بينها وبين الملك ما يجب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت إلى عندها فيقال إنها هلكت من فورها وساعتها. وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها فلما يتست منه تحيلت في أن استوهبت منه من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طشت. وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه " المبتدأ " حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفي، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو إسرائيل. قال: يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصحبهم وجها وكان كما قال الله تعالى: (سيدا وحصورا) وكان لا يحتاج إلى النساء فهوته امرأة ملك بني إسرائيل وكانت بغية فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فأجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن يوعده ولا يخلف ولا يكذب. قال فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيخته وكان بها معجبا ولم تكن تفعله فيما مضى فلما أن شيخته قال الملك سليني فما سألتني شيئا إلا اعطيتك قالت: أريد دم يحيى بن زكريا قال لها: سليني غيره قالت: هو ذاك

قال هو لك، قال: فبعثت جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي قال: فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه إليها. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بلغ من صبرك قال ما انفتلت من صلاتي قال: فلما حمل رأسه إليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل قد غضب إله

(١) قال الطبري: عن ابن عباس قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ. وكان لملكهم (واسمه: هيرودس) ابنة أخ يريد أن يتزوجها فنهاه يحيى. راجع الكامل لابن الأثير ج ١ / ٣٠١ - ٣٠٢. (٢) كذا في الأصول، والصواب كما يقتضيه السياق: في نفسه. (٣) جاء في الطبري والكامل: عن السدي: أن الملك أراد أن يتزوج ابنة امرأة له فنهاه يحيى عن ذلك وقال له: لا تجل لك. فحقدت عليه المرأة وطلبت قتله. وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٤ - أن أحب ملك بني إسرائيل قتله بحيلة امرأته ازبيل في قتله. أما المسعودي فذكر حادثة القتل دون تعليق. [*]

[٦٥]

زكريا لزكريا فتعالوا حتى غضب لملكنا فنقتل زكريا قال فخرجوا في طلبي ليقتلوني وجاءني الندير فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم علي فلما تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت إلي إلي وانصدعت لي ودخلت فيها. قال وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف رداؤه دخلها بسحره، فقالوا نحرق هذه الشجرة، فاق إبليس: شقوه بالمنشار شقا. قال فشقققت مع الشجرة بالمنشار قال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل وجدت له مسا أو وجعا قال لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روعي فيها. هذا سياق غريب جدا. وحديث عجيب ورفعه منكر وفيه ما ينكر على كل حال ولم ير في شيء من أحاديث الاسراء ذكر زكريا عليه السلام إلا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة [فجاء] (١) على قول الجمهور، كما هو ظاهر الحديث فإن أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران. وقيل بل أشياع وهي امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فالله أعلم. ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الأقصى؟ أم بغيره على قولين: فقال الثوري عن الاعمش، عن شمر بن عطية قال: قتل على الصخرة التي بيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: قدم بخت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفا فسكن. وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح (٢) كما قاله عطاء والحسن البصري فالله أعلم. وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم، عن زيد بن واقد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرية والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة فالله أعلم.

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) رفض الطبري ٢ / ١٥ والكامل ١ / ٣٠٣ وقوع قصة بختنصر أيام المسيح قال: وهذا القول الذي روي عن ذكرى في هذا الاخبار التي رويت وعمن لمن يذكر من ان بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا عند أهل السير والاخبار والعلم بأمر الماضين وعند غيرهم من أهل الملل غلط، واجمعوا على أن غزوه كان عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد أرميا، وبين عهد أرميا ويحيى اربعمائة سنة وإحدى وستون. [*]

[٦٦]

وقد روى الحافظ ابن عساكر في المستقصى في فضائل الاقصى من طريق العباس بن سبيع ؟ ؟. عن مروان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن قاسم مولى معاوية قال: كان ملك هذه المدينة يعني دمشق هداد بن هداد وكان قد زوجه ابنة أخيه أربل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال: وكان قد حلف بطلاقها ثلاثا. ثم أنه أراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال: لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك بإشارة أمها فأبى عليها ثم أجابها إلى ذلك وبعث إليه وهو قائم يصلي بمسجد جيرون من أتاه برأسه في صينية فجعل الرأس يقول له لا تحل له لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فأخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأنت به أمها وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قدميها ثم إلى حقوبها وجعلت أمها تولول والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ثم خسف بها إلى منكبها فأمرت أمها السيف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها ففعل فلفظت الارض جثتها عند ذلك ووقعوا في الذل والفناء ولم يزل دم يحيى يفر حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفا. قال سعيد بن عبد العزيز وهي دم كل نبي ولم يزل يفر حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال أيها الدم أفنيت بني إسرائيل فاسكن بإذن الله فسكن فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس فتبعهم إليها فقتل خلقا كثيرا لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم. قصة عيسى بن مريم [عبد الله ورسوله وابن أمته] (١) عليه من الله أفضل الصلاة والسلام قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله، الذين زعموا أن لله ولدا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الاقانيم ويدعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم، على اختلاف فرقهم، فأنزل الله عزوجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى. وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو أصدق القائلين: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. واستدركت من قصص الانبياء لابن كثير. [*]

[٦٧]

العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت

السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإنني سميتها مريم وإنني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) [آل عمران: ٣٣ - ٣٧]. يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته، ثم خصص فقال: (وآل إبراهيم) فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق. ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام وقال محمد بن إسحاق وهو عمران بن باشم بن أمون بن ميثا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن ياوش بن اخريهو بن يازم بن يهفاشاط بن ايشا بن ايان بن رحيعام بن سليمان بن داود. وقال أبو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ما ثان (١) بن العازر بن اليود بن اخبر بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن اييود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميثا بن حزقا بن احاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن ايشا بن ايبا بن رحيعام بن سليمان بن داود عليه السلام. وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن إسحاق ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم اشيع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها أشيع (٢) فآله أعلم. وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أم مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له فاشتته الولد فنذرت لله أن حملت لتجعلن ولدها محررا أي حبيسا في خدمة بيت المقدس قالوا فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم عليها السلام (فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) وقرئ بضم التاء: (وليس الذكر كالانثى) أي في خدمة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان يندرون لبيت المقدس خداما من أولادهم وقولها: (وإنني سميتها مريم) استدل به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنك أخاه وسماه عبد الله. وجاء في حديث الحسن عن سمرة

(١) في الطبري: ابن ما ثان بن البعازر بن أليود بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن اييود بن زر بابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشأ بن حزقيا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يوشافاط بن أسا بن ايبا بن رحيعام بن سليمان بن داود. (٢) تبنى الطبري هذا القول. وقال زوج خالة مريم: الاشباع. [*]

مرفوعا " كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه " (١) رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وجاء في بعض ألفاظه ويدمى بدل ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم. وقولها: (وإنني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها فقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها " (٢) ثم يقول أبو هريرة وإقرأوا إن شئتم: (وإنني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (٣) [آل عمران: ٣٦] أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرغ عن بقية عن عبد الله بن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وقال أحمد: أيضا حدثنا إسماعيل

بن عمر، حدثنا ابن أبي ذؤيب، عن عجلان، مولى المشمعل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كل مولود من بني آدم يمسسه الشيطان باصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى " (٤). تفرد به من هذا الوجه. ورواه مسلم (٥) عن أبي طاهر عن ابن وهب عن [عمرو] بن الحارث عن أبي يونس [مولى أبي هريرة] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: " ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه " (٦) وهذا على شرط مسلم ولم يخرج من هذا الوجه. ورواه قيس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا وقد عصه الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإنني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) وكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الملك، حدثنا المغيرة هو ابن

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٧، ١٢، ١٧، ٢٢ والترمذي في سننه ١٧ / ٢١ ورواه أبو داود والنسائي في سننهما وأبو داود الطيالسي في مسنده. (٢) هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه. واختار القاضي عياض أن جميع الانبياء يتشاركون فيها. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٢٧٤ وأخرجه البخاري في صحيحه ٦٠ / ٤٤ / ٢٤٣١ فتح الباري. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤٣ كتاب الفضائل (٤٠ باب) ١٤٦ / ٢٣٦٦ وفيه: نخسه الشيطان بدل مسه - في الموضعين - وإلا ابن مريم وأمه - بدل إلا مريم وابنها. (٤) مسند أحمد ج ٢ / ٢٨٨، ٢٩٢. (٥) صحيح مسلم ٤٢ / ٤٠ / ١٤٧ / ٢٣٦٦ وما بين معكوفين من صحيح مسلم. (٦) مسند أحمد: ٢ / ٢٦٨. [*]

[٦٩]

عبد الله الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن قطع في الحجاب " (١). وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقوله: (فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خروفها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعا فيها. والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها. ثم لما دفعها إليهم تنازعا في أيهم يكفلها وكان زكريا نبهم في ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أو خالتها على القولين. فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم فساعده المقادير فخرجت قرعته غالبية لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم. قال الله تعالى: (وكفلها زكريا) أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى: (ذلك من أنبأ الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) [آل عمران: ٤٤]. قالوا وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفا به ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فأخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر، فأبهم جرى قلمه على خلاف جريه في الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأبهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صعدا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها. إذ كان أحق بها شرعا وقدرا لوجوه عديدة (٢). قال الله تعالى: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد

عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) [آل عمران: ٣٧] قال المفسرون اتخذ لها زكريا مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواه، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سداثة البيت إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الاحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى أنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها (أنى لك هذا فتقول هو من عند الله) أي رزق رزقيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) [آل عمران: ٣٨] قال بعضهم قال يامن يرزق مريم الثمر في

(١) مسند أحمد ج ٢ / ٥٢٣. (٢) قال القرطبي: في الآية دلالتان: - القرعة كانت آية له لانه نبي تجري الآيات على يديه. ودلت الآية على أن الخالة أحق بالحضنة من سائر القربان ما عدا الجدة. [*]

[٧٠]

غير أبانه (١) هب لي ولدا وإن كان في غير اوانه فكان من خبره وقصيته ما قدمنا ذكره في قصته. [قال الله تعالى:]: [إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين. وبكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والابرس واحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) [آل عمران: ٤٢ - ٥١]. يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها (٢) بأن اختارها لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون نبيا شريفا (يكلم الناس في المهد) أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك في حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فيقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تظطرت قدمها رضي الله عنها ورحمها ورحم أمها وأبأها فقول الملائكة: (يا مريم إن الله اصطفاك) أي اختارك واجتباك (وطهرك) أي من الاخلاق الرذيلة وأعطاك الصفات الجميلة (واصطفاك على نساء العالمين). يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى: (إني اصطفتك على الناس) [الاعراف: ١٤٤] وكقوله عن بني إسرائيل: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) [الدخان: ٣٢] ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منهما وكذلك هذه الامة أفضل من سائر الامم قبلها وأكثر عددا وأفضل علما وأزكى عملا من بني إسرائيل وغيرهم. ويحتمل أن يكون قوله: (واصطفاك على نساء العالمين) محفوظ العموم فتكون

أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها إن كانت نبية على قول من يقول بنبوته ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجا بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره

(١) في نسخ البداية المطبوعة: أو أنه، والصواب ما أثبتناه. (٢) قال القرطبي: قال الزجاج وغيره على نساء العالمين أجمع إلى يوم الصور، وهو الصحيح؛ حيث أن الله خص مريم بما لم يؤته أحدًا من النساء. [*]

[٧١]

فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله: (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يعارضه غيره والله أعلم. وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال (١) وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى: (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) [المائدة: ٧٥] فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله أعلم. وقد جاء ذكرها مفرونا مع أسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن وأرضاهن. وقد روى الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عديدة: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد " (٢). وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد " (٣) ورواه الترمذي عن أبي بكر بن زانجويه، عن عبد الرزاق به وصححه. ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، وابن عساكر من طريق تميم بن زياد كلاهما عن أبي جعفر الرازي عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نساء العالمين أربع: " مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله " وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خير نساء ركب الأبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه لزوج في ذات يده " (٤) قال أبو هريرة ولم تترك مريم بعيرا قط. وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به. وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب، حدثني موسى بن علي، سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نساء ركب الأبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرأفه بزوج على قلة ذات يده " (٥) قال أبو هريرة وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابنة عمران لم تترك الأبل، تفرد به. وهو على شرط

(١) قال الرازي في تفسيره: اعلم أن مريم عليها السلام ما كانت من الانبياء لقوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم.) وإرسال جبريل إليها: إما أن يكون كرامة لها أو أرهاصا لعيسى عليه السلام. (٢) مسند أحمد: ١ / ٨٤، ١١٦، ١٢٢. (٣) مسند أحمد ج ٣ / ١٢٥ ورواه الحاكم في مستدركه (٣ / ١٩٧، ١٩٨ حيدر آباد). (٤) مسند أحمد ج ٢ / ٢٧٥، ٤٤٩ وأخرجه مسلم في صحيحه ٢ / ٢٧٠. (٥) مسند أحمد ج ٢ / ٣٦٩، ٣١٩، ٣٩٣، ٥٠٣. [*]

الصحيح ولهذا الحديث طرق أخر عن أبي هريرة. وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا زهير، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربع خطوط فقال: " أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وأسية بنت مزاحم امرأة فرعون " ورواه النسائي من طرق عن داود بن أبي هند. وقد رواه ابن عساکر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، حدثنا يحيى بن حاتم العسكري، نبأنا بشر بن مهران بن حمدان، حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وأسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران ". وقال أبو القاسم البغوي حدثنا وهب بن بقية (١) حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عائشة أنها قالت لفاطمة: رأيت حين أكبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكيت ثم ضحكت ؟ قالت أخبرني أنه ميت من وجهه هذا فبكيت، ثم أكبت عليه فأخبرني أنني أسرع أهله لحوقاً به وأني سيده نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت. وأصل هذا الحديث في الصحيح (٢). وهذا إسناد على شرط مسلم وفيه انهما أفضل الأربع المذكورات. وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير، عن يزيد هو ابن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نعم (٣) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فاطمة سيده نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران " (٤). إسناد حسن وصححه الترمذي ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث علي بن أبي طالب ولكن في إسناده ضعف. والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع. ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة لكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول. فقال الحافظ أبو القاسم بن عساکر: أنبأنا أبو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالوا: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أحمد بن سليمان، حدثنا الزبير هو ابن بكار، حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد العزيز بن محمد، عن موسى بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيده نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة

(١) في نسخ البداية المطبوعة: ابن منبه وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه. (٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - باب منقبة فاطمة عليها السلام (٥: ٦٥) ميمية. وأخرجه مسلم في ٤٤ / ١٥ وأخرجه أحمد في مسنده ٦ / ٧٧ - ٢٤٠ وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ٧ / ١٦٤ وابن سعد في الطبقات ٢ / ٢٤٧. (٣) في نسخ المطبوعة نعيم وهو تحريف وما أثبتناه مناسب لما في الحديث في المسند: نعم. (٤) مسند أحمد ج ٢ / ٦٤، ٨٠. [*]

ثم آسية امرأة فرعون " فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بتم التي للترتيب فهو مبين لاحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الالفاظ التي وردت بواو العطف التي لا

تقتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم. وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي، عن داود الجعفري، عن عبد العزيز بن محمد، وهو الدراوردي، عن إبراهيم بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره بواو العطف لا يثم الترتيبية فخالفه إسناداً ومثلاً فإله أعلم. فأما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ". وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق: عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (١). فإنه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على إخراجهم ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في زمانهما فإن كلا منهما كفلت نبياً في حال صغره وآسية كفلت موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة خمس عشرة سنة وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها، رضي الله عنها، وأرضاها، وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها لأنها أصيبت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت أخواتها متن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ولم يتزوج بكراً غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة بل ولا في غيرها أعلم منها، ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الأفك ما قالوا فأنزل براءتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقف فيهما رضي الله عنهما وما ذاك إلا لأن قوله صلى الله عليه وسلم: " وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "

(١) أخرجه مسلم في ٤٤ كتاب الصحابة ١٢ باب فضائل خديجة ٧٠ / ٢٤٢١ والبخاري حديث رقم (١٦٠٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩ / ٢٤٢ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه. قال العلماء في (فضل الثريد على سائر الطعام) معناه: أن فضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الاطعمة، لأن الثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه.. [*]

[٧٤]

يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى ما عدي المذكورات والله أعلم. والمقصود ههنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفاها على نساء عالمي زمانها ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا. وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة هي وآسية بنت مزاحم. وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله: (ثيبات وابتكارا) [التحريم: ٥] قال فالثيب آسية ومن الابتكار مريم بنت عمران. وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم فإله أعلم. قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثنا أبي،

أنبأنا عمي الحسين، حدثنا يونس بن نفيح، عن سعد بن جنادة، هو العوفي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى " (١). وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إبراهيم بن عرعرة، حدثنا عبد النور بن عيد الله، حدثنا يونس بن شعيب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران وأسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى " رواه ابن جعفر العقيلي من حديث عبد النور به وزاد فقلت هنيئاً لك يا رسول الله. ثم قال العقيلي وليس بمحفوظ. وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبي داود قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: " بالكراهة مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكراهة خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وأسية امرأة فرعون " قالت وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله ؟ قال: " نعم " قالت بالرفاء والبنين " (٢). وروى ابن عساکر من حديث محمد بن زكريا الغلابي: حدثنا العباس بن بكار، حدثنا أبو بكر الهزلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال: " يا خديجة إذا لقيت ضرائك فاقترهن مني السلام قالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال: لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وأسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى ". وروى ابن عساکر من طريق سويد بن سعيد: حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاک. ومجاهد، عن ابن عمر قال نزل جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت خديجة فقال جبريل من هذه يا محمد ؟ قال: هذه صديقة أمتي، قال جبريل: معي إليها رسالة من الرب عزوجل يقرئها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢١٨ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.
(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢١٨ عن أبي رواد. وقال: رواه الطبراني منقطع الاسناد وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف. [*]

[٧٥]

ولا صخب قالت: الله السلام، ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من قصب قال: لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت أسية بنت مزاحم وهما من أزواج يوم القيامة. وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصف في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا. وكل من هذه الاحاديث في أسانيدنا نظر (١). وروى ابن عساکر من حديث أبي زرعة الدمشقي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية، عن صفوان بن عمرو، عن خالد بن معدان، عن كعب الاحبار: أن معاوية سأله عن الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فقال: الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم بنت عمران وأسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق إسماعيل، عن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن مسعود، عن عبد الرحمن، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا منكر (٢) من هذا الوجه. بل هو موضوع. قد رواه أبو زرعة، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن مسعود بن عبد الرحمن، عن ابن عابد: أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس فذكره قال الحافظ ابن عساکر وكونه من كلام كعب الاحبار أشبه. قلت وكلام كعب الاحبار هذا إنما تلقاه من

الاسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم وهذا منه والله أعلم. ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم [العذراء] (٣) البتول قال الله تعالى: (وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا. قالت إنني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلامًا زكيا. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا. فحملته فانتبذت به مكانًا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيا فنأداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا. وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدًا فقولني إنني نذرت للرحمن صومًا فلم أكلم اليوم إنسيا. فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فريا. يا

(١) نقل الاحاديث الهيتمي في زوائده من عدة طرق بروايات مختلفة وعلق حول أسانيدها ورواتها ؛ فليراجع ج ٩ / ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٢٥. (٢) رواه الهيتمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢١٨ وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهذا الحديث من منكراته. (٣) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. [*]

[٧٦]

أخت هرون ما كان أبوك أمرء سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صيبا قال إنني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أمرت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) [مريم: ١٦ - ٣٧]. ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر في سورة آل عمران قرن بينهما في سياق واحد وكما قال في سورة الانبياء: (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدزني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين. والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) [الانبياء: ٨٩ - ٩١]. وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام، وأنه اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة، فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات، وظهر عليها من الاحوال ما غيظها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولدا زكيا يكون نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لانها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة: بأن الله قادر علي ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لامر الله وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لانهم لا يعلمون حقيقة الامر وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر، ولا تعقل، وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها (١) أو لحاجة ضرورية لايد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هي يوما قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبتت) أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الامين جبريل عليه السلام: (فتمثل لها بشرًا سويًا) فلما رآته: (قالت إنني أعوذ

بالرحمن منك إن كنت تقيا). قال أبو العالية علمت أن التقى ذو نهيمة، وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقى، فإن هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال.

(١) قال الرازي أن مريم طهرت عن الحيض وقال: قالوا كانت مريم لا تحيض. قال السدي: انتبذت لتطهر من حيض أو نفاس وقال غيره: لتعبد الله. وهذا حسن (راجع الرازي - القرطبي). [*]

[W]

(قال إنما أنا رسول ربك) أي خاطبها الملك قائلا: إنما أنا رسول ربك [أي] (١) لست ببشر، ولكني ملك بعثني الله إليك (ليهب لك غلاما زكيا) أي ولدا زكيا (قالت أنى يكون لي غلام) أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد (ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) أي ولست ذات زوج (٢) وما أنا ممن يفعل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو علي هين) أي فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلا: (كذلك قال ربك) أي وعد أنه سيخلق منك غلاما ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين (هو علي هين) أي وهذا سهل عليه ويسير لديه فإنه على من يشاء قدير. وقوله: (ولنجعله آية للناس) أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر، ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. وقوله: (ورحمة منا) أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته، بأن يفرّدوا الله بالعبادة وحده لا شريك له، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد. وقوله: (وكان أمرا مقضيا). يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعني أن هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم. ويحتمل أن يكون قوله: (وكان أمرا مقضيا) كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى: (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) [التحريم: ١٢]. فذكر غير واحد من السلف: أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال إنه نفخ في فمها أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن. فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فأنسلكت فيه كما قال تعالى: (فنفخنا فيه من روحنا) فدل (٣) على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها كما روي عن أبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى: (فحملته) أي حملت ولدها (فانتبذت به مكانا قصيا) وذلك لان مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعا وعلمت أن كثيرا من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) ذكرت مريم ذلك تأكيدا منها أنه لم يمسسها بشر، يحتمل الحلال والحرام، ولم تستبعد قدرة الله إنما تساءلت كيف يكون هذا الولد؟ هل من قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء؟ (٣) في نسخ البداية المطبوعة: يدل والصواب ما أثبتناه. [*]

لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها (١) فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حلى وليس لها زوج فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم فمن خلق الزرع الاول؟ ثم قال: فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: نعم. فمن خلق الشجر الاول؟ ثم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها: فأخبريني خبرك فقالت إن الله بشرني (بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وحيا في الدنيا والاخرة ومن المقرين. ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) ويروي مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سأله فأجابته بمثل هذا والله أعلم. وذكر السدي بإسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوما على أختها، فقالت لها أختها: أشعرت أني حلى فقالت مريم وشعرت أيضا أني حلى؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى: إنني أرى ما في بطني يسجد لما في بطني وذلك قوله: (مصداقا بكلمة من الله) ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم. وقال أبو القاسم: قال مالك: بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم إنني أرى ما في بطني يسجد لما في بطني قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص. رواه ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس سبح في بطني. ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر. وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر، وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعت [في الحال، وهذا هو الظاهر، لان الله تعالى، ذكر الانتباز بعد الحمل] (٢) قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) والصحيح أن تعقيب كل شئ بحسبه لقوله: (فتصبح الارض مخضرة) [الحج: ٦٣] وكقوله: (فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون: ١٤] ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوما كما ثبت في الحديث المتفق عليه. قال محمد بن إسحاق شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل فما دخل على أهل بيت ما دخل

(١) في الطبري: ابن عمها. (٢) ما بين معكوفين زيادة من القرطبي، من سياق كلام ابن عباس. [*]

على ال بيت زكريا. قال واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا (١) وقوله: (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) أي فأجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناده لا بأس به عن أنس مرفوعا والبيهقي بإسناده وصححه عن شداد بن أوس مرفوعا أيضا بيت لحم (٢) الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره هذا البناء المشاهد

الهائل (قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بعلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنى أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت (نسيا منسيا) أي لم تخلق بالكلية. وقوله: (فناداها من تحتها) وقرئ من تحتها على الخفض وفي المضمرة قولان أحدهما: أنه جبريل قاله العوفي عن ابن عباس قال: ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة. وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير. وقوله: (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرية) قيل النهر وإليه ذهب الجمهور. وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف، واختاره ابن جرير وهو الصحيح. وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهم أنه ابنها والصحيح الأول لقوله: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب ولهذا قال: (فكلي واشربي وقري عينا). ثم قيل كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مثمرة فالله أعلم. ويحتمل أنها كانت نخلة لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء (٢) وليس ذلك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان (تساقط عليك رطباً جنياً) قال عمرو بن ميمون ليس شئ أجود للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين، حدثنا شيبان، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي (٣)، عن عروة بن رويم، عن علي بن أبي طالب قال: قال

(١) قال ابن قتيبة في المعارف: وكان يوسف النجار خطب مريم وتزوجها فيما ذكر في الانجيل فلما صارت إليه وجدها حبلية قبل أن يباشرها وكان رجلاً صالحاً فكره أن يفشي عليها واثم أن يسرحها خفية فترأى له ملك في النوم فقال يا يوسف إن امرأتك مريم سوف تلد ابناً يسمى عيسى وهو ينجي أمته من خطاياهم. (٢) قال المسعودي: ولد بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس، وقد ولدته في يوم الأربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الأول. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: الانصاري وهو تصحيف. وعبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأزاعي، أبو عمرو الفقيه شيخ الاسلام ثقة جليل. من السابعة مات سنة ١٥٧ تقريبات التهذيب ١ / ١٠٦٤ / ٤٩٣ الكاشف ١ / ١٥٨ [*]

[٨٠]

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكرموا عمتم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجرة شئ يلقح غيرها " (١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أطمعوا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران ". وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ، عن مسروق بن سعيد، وفي رواية مسرور بن سعد. والصحيح مسرور بن سعيد التميمي أورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأزاعي به ثم قال وهو منكر الحديث، ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث. وقال ابن حبان يروي عن الأزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يروها. وقوله: (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا). وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال: (كلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا) أي فإن رأيت أحدا من الناس (فقولي) له أي بلسان الحال والاشارة (إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتاً وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن أسلم ويدل على ذلك قوله: (فلن أكلم اليوم إنسيا) فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت

يوم إلى الليل وقوله تعالى: (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها، فمروا على محلها والانوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها: (يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أي أمرا عظيما منكرا. وفي هذا الذي قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لان ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله. قال ابن عباس وذلك بعد ما تعالت (٢) من نفاسها بعد أربعين يوما (٣). والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) والغريبة هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال ثم قالوا لها: (يا أخت هرون) قيل شبهوها بعباد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها بـرجل فاجر في زمانهم اسمه هرون. قاله سعيد بن جبير وقيل أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة. وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسبا فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى علي أنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملاه فاعتقد أن هذه هي هذه وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في التفسير مطولا والله

(١) رواه ابن عساکر في تاريخه ٢ / ٣٤٢ تهذيب. ورواه الشوكاني في الفوائد المجموعة (٤٨٩). (٢) في نسخ البداية المطبوعة: تعلق والصواب ما أثبتناه. (٣) هذا القول نقله القرظي عن الكلبي أما ابن عباس فقال: خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس فجاءتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله، فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات. [*]

[٨١]

الحمد والمنة. وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هرون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم. قال الامام أحمد: حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرأون: (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم " (١) وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن إدريس وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه وفي رواية: " ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحهم وأنبيائهم " وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثر من التسمية بهارون حتى قيل إنه حضر بعض جنازتهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهارون أربعون ألفا فالله أعلم. والمقصود أنهم قالوا: (يا أخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هرون، وكان مشهورا بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا: (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) أي لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظيمة وموهها بالدهاية الدهياء، فذكر ابن جرير (٢) في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك أبليس بطرف رذائه فنشروه فيها كما قدمنا، ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها (٣) يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال عظم التوكل على ذي الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاتكال (فأشارت إليه) أي خاطبوه وكلموه، فإن جوابكم

عليه وما تبغون من الكلام لديه. فعندها (قالوا) من كان منهم جبارا شقيا (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع في مهده، ولا يميز بين محض وزبده وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا، والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء، إذ لا ترددين علينا قولنا نطقيا بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيا فعندها (قال إنني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا). هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم فكان أول ما تكلم به أن (قال إنني عبد الله) اعترف لربه تعالى

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ / ٢٥٢ وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٨ كتاب الآداب ١ باب ح ٩ / ٢١٢٥ ص ٢ / ١٦٨٥. (٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢ / ٢٢ عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ في سياق قصة مريم ؛ والذين اتهموه: بنو اسرائيل. (٣) تقدم أنه ابن عمها. [*]

[٨٢]

بالعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: (أتاني الكتاب وجعلني نبيا) فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) [النساء: ١٥٦] وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيا مرسلًا أحد أولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال: (وجعلني مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان إلى الخليفة بالزكاة وهي تشتمل على طهارة النفوس من الاخلاق الرذيلة وتطهير الاموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الاصناف وقرى الاضياف والنفقات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات. ثم قال: (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) أي وجعلني برأ بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليفة وبرأها وأعطى كل نفس هداها. (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته. (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا). وهذه الاماكن الثلاثة (١) التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام. ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضعه وشرحه (٢). قال: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) [مريم: ٣٤ - ٣٥] كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران: (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم. فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين)

(١) يوم ولدت: يعني في الدنيا، وقيل من همز الشيطان. ويوم أموت: يعني في القبر : ويوم أبعث حيا: يعني في الآخرة. (٢) في الآيات دلالات عديدة أبرزها ؛ - أن عيسى تكلم في طفولته ثم عاد إلى حالة الأطفال فكان نطقه اظهار براءة أمه. - أن عيسى تكلم في المهد خلافا لليهود والنصارى. - أن الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا على الامم السالفة، والقرون الخالية الماضية. - الاشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم القول. قال المهلب: وقد تكون الاشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام. [*]

[٨٣]

[آل عمران: ٥٨ - ٦٣]. ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون في أمر المسيح، فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه، فلما رأوا عينها وأذنيها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسالمة والمواذعة وقال قائلهم: وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمد لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خير صاحبكم ولقد علمتم أن ما لآعن قوم نبيا قط فيقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلا أمينا يبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وسيأتي بسط هذه القضية في السيرة النبوية (١) إن شاء الله تعالى وبه الثقة. والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) يعني من أنه عبد مخلوق (٢) من امرأة من عباد الله ولهذا قال: (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أي لا يعجزه شيء ولا يكثرته ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقوله: (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم وأن هذا هو الصراط المستقيم. قال الله تعالى: (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) [مريم: ٣٧] أي فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود إنه ولد زنية، واستمروا على كفرهم وعنادهم. وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله. وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه وهؤلاء هم الناجون المثابون المؤيدون المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون، وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله: (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم). قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، أنبأنا الوليد، حدثنا الاوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني حنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

(١) راجع سيرة ابن كثير ٤ / ١٠ / ١٠٨. (٢) اعتقد اليهود أنه ابن يوسف النجار وقالت النصارى أنه الاله أو ابن الاله، وقول الحق هو كلمة الله في نعته لعيسى ؛ فكلام الله هو القول الحق الذي فيه يشكون. [*]

[٨٤]

مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل". قال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد " من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء" (١). وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد [بن مسلم] (٢) عن [ابن جابر] (٣) ومن طريق أخرى عن الاوزاعي به. باب بيان أن الله تعالى منزّه عن الولد [تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا] (٣) قال تعالى في آخر هذه السورة: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا) أي شيئا عظيما ومنكرا من القول وزورا (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من في السموات والارض إلا أتى الرحمن عبدا. لقد احصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتية يوم القيامة فردا) [مريم: ٨٨ - ٩٥] فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد لانه خالق كل شئ ومالكه وكل شئ فقير إليه، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والارض عبيده وهو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه. كما قال تعالى: (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات يغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون. بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل. لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) [الانعام: ١٠٠ - ١٠٣]. فبين أنه خالق كل شئ فكيف يكون له ولد، والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسيين، والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد. كما قال تعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [الاخلاص: ١ - ٤] يقرر أنه الاحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله (الصمد) وهو السيد الذي كمل في علمه وحكمته و [بلغ] (٤) رحمته وجميع صفاته (لم يلد) أي لم يوجد منه ولد (ولم يولد) أي ولم يتولد عن شئ قبله (ولم يكن له كفوا أحد) أي وليس له عدل ولا مكافئ ولا مساو فقطع النظر المداني الاعلى والمساوي فانتفى أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولدا بين شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وقال تبارك وتعالى وتقدس: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١ كتاب الايمان ١٠ باب ٤٦ / ٢٨ / ص ١ / ٥٧. والبخاري حديث رقم ١٦٠٤. (٢) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية واستدركت من مسلم. (٣) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٤) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. [*]

دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكبيرا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفئهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) [النساء: ١٧١ - ١٧٣]. ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء في الدين وهو مجاوزة الحد، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد. فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التي أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام، والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشریف وتكريم، وهي

مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال: بيت الله وناقة الله وعبد الله، وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفا لها وتكريما، وسمي عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضا التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) [البقرة: ١١٦ - ١١٧]. وقال تعالى: (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم بضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) [التوبة: ٣٠]. فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله، كل من الفريقين ادعوا على الله شططا وزعموا أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما اتفكوه، إلا مجرد القول ومثابرة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم. وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود الذي يعبرون عنه بعلّة العلل والمبدأ الأول، وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان ونفس وفلك، ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تناهت العقول إلى عشرة والنفوس إلى تسعة والأفلاك إلى تسعة باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا - لجهلهم - أن الملائكة بنات الله وأنه صاهر سراوات الجن فتولد منهما الملائكة. تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون كما قال تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتب شهداتهم ويسألون) [الزخرف: ١٩] وقال تعالى: (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين. فأتوا بكتابكم إن

[٨٦]

كنتم صادقين. وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) [الصافات: ١٤٩ - ١٦٠]. وقال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) [الانبياء: ٢٦ - ٢٩]: وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكتين فيه أبدا. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) [الكهف: ١ - ٥]. وقال تعالى: (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) [يونس: ٦٨ - ٧٠] فهذه الآيات المكيات الكريمت تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن الله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا. ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا في القرآن كثيرا للرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم، وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض. وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب. قال الله

تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) [النساء: ٨٢]. فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب. فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة. جل الله (١). قال الله تعالى في سورة المائدة: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) [المائدة: ١٧] فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء المتصرف في كل شيء وأنه رب كل شيء ومليكه وإلهه. وقال في أواخرها: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور

(١) النسطورية: قالوا ابن الله، والملكانية قالوا: ثالث ثلاثة، واليعقوبية قالوا: هو الله. [*]

[٨٧]

رحيم. ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) [المائدة: ٧٢ - ٧٥] حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرنا فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مربي مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزي في الدار الآخرة والهوان والعار ولهذا قال: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقانيم الثلاثة. أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطنس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى: (وما من إله إلا إله واحد) أي وما من إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفؤ له ولا صاحبة له ولا ولد ثم توعدهم وتهدهم فقال: (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار والعظائم التي توجب النار فقال: (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة أي ليست بفاجرة كما يقوله اليهود لعنهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا وقوله: (كانا يأكلان الطعام) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما أي ومن كان بهذه المثابة كيف يكون إلها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا. وقال السدي وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله يعني كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة: (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت

عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم [المائدة: ١١٦ - ١١٨]. يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الاكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له: (أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك) أي تعاليت أن يكون معك شريك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ليس هذا يستحقه أحد سواك (وإن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب). وهذا

[٨٨]

تأدب عظيم في الخطاب والجواب: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) [أي ما قلت غير ما أمرتني عليه] (١) حين أرسلتني إليهم وأنزلت علي الكتاب الذي كان يتلى عليهم ثم فسر ما قال لهم بقوله: (أن أعبدوا الله ربي وربكم) أي خالفي وخالفكم ورازقي ورازقكم (وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني) أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد). ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عزوجل والتبري من أهل النصرانية (إن تعذبهم فإنهم عبادك) أي وهم يستحقون ذلك (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم). وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال: (فإنك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل الغفور الرحيم. وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الامام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وقال: " إنني سألت ربي عزوجل الشفاعة لامتي فأعطانها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا " (٢). وقال: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أن نتخذ لهما لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون. وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) [الانبياء: ١٦ - ٢٠] وقال تعالى: (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأصفحى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار. خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) [الزمر: ٤ - ٥]. وقال تعالى: (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) [الزخرف: ٨١ - ٨٢] وقال تعالى: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) [الاسراء: ١١١] وقال تعالى: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [الاخلاص: ١ - ٤] وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يقول الله تعالى: " شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد " (٣) وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا أحد أصبر على أذى سمعه

(١) ما بين المعكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) مسند أحمد ج ٥ / ١٤٩ والخازني في صحيحه ٨ / ٢١٥ فتح الباري وأبو داود الطيالسي في مسنده. (٣)

[٨٩]

من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم " (١). ولكن ثبت في الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " ثم قرأ: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه اليم شديد) [هود: ١٠٢] وهكذا قوله تعالى: (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) [الحج: ٤٨] وقال تعالى: (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) [لقمان: ٢٤] وقال تعالى: (قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) [يونس: ٦٩ - ٧٠] وقال تعالى: (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) [الطارق: ١٧] [ذكر] (٢) منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام [ومرباه في صغره وصباه] (٣) وبيان بدء الوحي إليه من الله تعالى قد تقدم أنه ولد ببيت لحم قريبا من بيت المقدس. وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وأن مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينهما وبين الاكاف شئ. وهذا لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان ببيت لحم، كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل. وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الارض ومغاربها. وأن الشياطين حارت في سبب ذلك، حتى كتشف لهم إبليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في حجر أمه والملائكة محذفة به وأنه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره، فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا هذا لمولد عظيم في الارض، فبعث رسله ومعهم ذهب ومر ولبان (٤) هدية إلى عيسى فلما قدموا الشام سألهم ملكها (٤) عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى بن مريم ببيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهدي فأرسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها إن رسل ملك الشام إنما جاؤوا ليقتلوا ولدك فاحتلمته فذهبت به إلى مصر (٥) فأقامت به حتى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٥ / ١٥ / ٢٥٨٣ كما رواه البخاري في التفسير وابن ماجه في الفقه. (٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٣) المر: يجبر به الجرح والكسر؛ واللبنان: ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره. (٤) في الطبري: أن رسل ملك فارس صاروا إلى هيرودس غلطا، وكان الرياسة على بيت المقدس لقيصر والملك من قبل قيصر عليها هيرودس الكبير. (٥) قال ابن الاثير في الكامل والطبري في تاريخه: كان سبب قدمها مصر خوفا من ملك بني إسرائيل، وكان من الروم واسمه هيرودس وإن اليهود اغروه بقتله. [*]

[٩٠]

بلغ عمره اثنتي عشرة سنة، وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره. فذكر منها أن الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذه وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعيانهم أمرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى، وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه فقال للأعمى: احمل هذا المقعد وانهض به فقال: إني لا أستطيع ذلك فقال بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة

من إدار فلما قال ذلك صدقاه فيما قال وأتيا بالمال فعظم عيسى في أعين الناس وهو صغير جدا (١). ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعني خمرا كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في حراره شيئا فشق ذلك عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهاها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلات شرابا من خيار الشراب. فتعجب الناس من ذلك جدا وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يقبلها وارتحلا قاصدين بيت المقدس والله أعلم. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا عثمان بن ساج وغيره، عن موسى بن وردان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال: إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فمجد الله تمجيدها لم تسمع الأذان بمثله لم يدع شمساً ولا قمراً ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيده فقال: اللهم أنت القريب في علوك، المتعال في دنوك، الرفيع على كل شئ من خلقك. أنت الذي خلقت سبعا في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً أجبين وهن دخان من فرقك، فأتين طائعات لامرك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك، وجعلت فيهن نورا على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار، وجعلت فيهن الرعد المسيح بالحمد، فبعزتك يجلو ضوء ظلمتك، وجعلت فيهن مصابيح يهتدي بهن في الظلمات الحيران، فتباركت اللهم في مفضول سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر، فأذلتها إذلال التظاهر، فذل لطاعتك صعبها واستحيى لامرك أمرها وخضعت لعزتك أمواجها، ففجرت فيها بعد البحور الانهار ومن بعد الانهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار، ثم أخرجت منها الانهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتادا على ظهر الماء، فأطاعت أطوادها وحلمودها، فتباركت اللهم فمن يبلغ بنعته نعتك، أم من يبلغ بصفته صفتك؟ تنشر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين، لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب، لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس، لا إله إلا أنت سبحانك إنما يغشاك من عبادك

(١) الخبر رواه الطبري في تاريخه: ج ٢ / ٢١ و ٢٥. [*]

[٩١]

الاكياس، نشهد أنك لست بإله استجد ثنك، ولا رب يبدي ذكره، ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك، نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد. وقال إسحاق بن بشر، عن جويبر ومقاتل، عن الضحاك عن ابن عباس: أن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلاً حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) [النساء: ١٥٦] قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم شيئا إلا بدره إليه فعلمه أبا جاد فقال عيسى: ما أبو جاد؟ فقال المعلم: لا أدري فقال عيسى: كيف تعلمني ما لا تدري؟ فقال المعلم: إذا فعلمني، فقال له عيسى: فقم من مجلسك، فقام فجلس عيسى مجلسه فقال سلني: فقال المعلم ما أبو جاد فقال عيسى: الالف آلاء الله. والباء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله. فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أبا جاد. ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابته على كل كلمة بحديث طويل موضوع لا يسأل ولا يتمادي، وهكذا روى ابن

عدي من حديث إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود، وعن مسعر بن كدام عن عطية، عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به. ثم قال ابن عدي وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسمعيل، وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول: كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدهم: تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك؟ فيقول نعم فيقول: خبأت لك كذا وكذا. فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبأت لي. فتقول وأي شئ خبأت لك؟ فيقول كذا وكذا. فتقول له: من أخبرك؟ فيقول عيسى بن مريم. فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضواءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا: إنما هؤلاء قردة وخنازير. فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساکر. وقال إسحاق بن بشر، عن جويبر، ومقاتل عن الضحاک، عن ابن عباس قال: وكان عيسى يرى العجائب في صباه إلهاما من الله، ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى، فهمست به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر فذلك قوله تعالى: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأوبناهما إلى ربه ذات قرار ومعين) [المؤمنون: ٥٠] وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الرهوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار

[٩٢]

ومعين، وهذه صفة غريبة الشكل، وهي أنها رهوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع، ومع علوه فيه عيون الماء معين، وهو الجاري السارح على وجه الأرض فقبل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) (١) وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف. وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق. وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم، وقيل هي الرملة. وقال إسحاق بن بشر قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه، قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الاسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدمه وفزعوا لما كان يأتي من العجائب، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره. بيان نزول الكتب الأربعة ومواقبتها قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عن حدثه قال: " أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان. ونزل الزبور على داود في اثنتي عشر ليلة خلت من شهر رمضان. وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة. وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشر ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [البقرة: ١٨٥] الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الانجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وذكر ابن جرير في تاريخه (٢) أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وقال إسحاق بن بشر وأبانا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل، عن قتادة،

عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن مريم: يا عيسى جد في أمري ولا تهن واسمع وأطع يابن الطاهرة البكر البتول: إنك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلي فتوكل خذ الكتاب بقوة، فسر لاهل السريانية بلغ من بين يديك: إني أنا الحق الحي القائم (٣) الذي لا أزل صدقوا

(١) سورة مريم الآية ٢٤ بلفظ: فناداها. (٢) تاريخ الطبري ٢ / ٢١. (٣) العبارة في البيهقي: إني أنا الله الحي القيوم. [*]

[٩٣]

النبى الامى العربى صاحب الجمل والتاج (وهى العمامة) والمدرعة والنعلين والهرواة (وهى القضيبة) الانجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الاقنى الانف، المفلح الثنايا، البادي العنققة (١) الذي كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيبة ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا التفت التفت جميعا، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صب، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة الطيب الريح، نكاح النساء ذا النسل القليل (٢)، إنما نسله من مباركة لها بيت يعنى في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة ليس لاحد من البشر. كلامه القرآن ودينه الاسلام وأنا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه " (٣). قال عيسى يا رب وما طوبى ؟ قال: غرس شجرة أنا غرستها بيدي فهي للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من نسيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا. قال عيسى يا رب اسقني منها قال: حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الامم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي. قال: يا عيسى أرفعك إلي ؟ قال رب ولم ترفعني قال: أرفعك ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلي بهم لانها مرحومة ولا نبي بعد نبيهم. وقال هشام بن عمار، عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه أن عيسى قال: يا رب انبئني عن هذه الامة المرحومة قال: أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله. يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لانه لم تذلل السن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت السننتهم، ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم. رواه ابن عساکر. وروى ابن عساکر من طريق عبد الله بن بديل العقيلي، عن عبد الله بن عوسجة قال: أوحى الله إلى عيسى بن مريم: أنزلني من نفسك كهملك واجعلني ذخرا لك في معادك وتقرب إلي بالنوافل أحبك ولا تول غيري فأخذ لك، اصبر علي البلاء وأرض بالقضاء، وكن لمسررتي فيك فإن مسررتي أن أطاع فلا أعصى، وكن مني قريبا وأحيي ذكري بلسانك، ولتكن مودتي في صدرك، تيقظ من

(١) العنققة: الشعيرات الخفيفة بين الشفة السفلى والذقن. (٢) في البيهقي: زاد: كأنه أراد الذكور من نسله. (٣) أخرجه البيهقي في الدلائل - سوى الجزء الأخير منه - عن مقاتل بن حيان ج ١ / ٣٧٨ وأورده ابن عساکر تاريخه المختصر ١ / ٣٤٤. [*]

ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة، وكن لي راغبا راهبا، وأمت قلبك في الخشية لي، وراع الليل لحق مسرتي واطم نهارك ليوم الري عندي، نافس في الخيرات جهدك واعترف بالخير حيث توجهت، وقم في الخلائق بنصحتي، واحكم في عبادي بعدلي فقد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشاء الكلال، ولا تكن حلسا كأنك مقبوض وأنت حي تنفس. يا عيسى بن مريم ما أمنت بي خليقة إلا خشعت، ولا خشعت لي إلا رجحت ثوابي، فاشهدك أنها أمنة من عقابي ما لم تغير أو تبدل سنتي. يا عيسى بن مريم البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الاهل وقلا الدنيا وترك اللذات لاهلها، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه وكن في ذلك تلين الكلام وتفشي السلام وكن يقظان إذا نامت عيون الابرار، جذرا ما هو آت من أمر المعاد وزلازل شدايد الاهوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال، واكحل عينك بملول (١) الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذلك صابرا محتسبا، وطوبى لك إن ذلك ما وعدت الصابرين رج من الدنيا بالله يوم بيوم وذق مذاقة ما قد حرب منك أين طعمه وما لم يأتك كيف لذته فرح من الدنيا بالبلغة وليكفك منها الخشن الجئيپ (٢)، قد رأيت إلى ما يصير، اعمل على حساب فإنك مسؤول، لو رأت عينك ما أعددت لاوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك. وقال أبو داود في " كتاب القدر " : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: لقي عيسى بن مريم إبليس فقال: أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك ؟ قال إبليس: فارق بذروة هذا الجبل فترد (٣) منه فانظر هل تعيش أم لا - فقال ابن طاوس - عن أبيه. فقال عيسى أما علمت أن الله قال: لا يجربني عبدي فإنني أفعل ما شئت. وقال الزهري: إن العبد لا يتبلي ربه ولكن الله يتبلي عبده. قال أبو داود: حدثنا أحمد بن عبدة، أنبأنا سفيان، عن عمرو، عن طاوس قال: أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال: أليس تزعم أنك صادق فأت هوة فألق نفسك. قال: ويلك أليس قال يا ابن آدم لا تسألني هلاك نفسك فإنني أفعل ما أشاء. وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا حسين بن طلحة، سمعت خالد بن يزيد قال: تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو سنتين أقام يوما على شفير جبل، فقال الشيطان أرأيت أن ألقى نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي قال: إني لست بالذي ابتلي ربي، ولكن ربي إذا شاء ابتلاني وعرفه أنه الشيطان ففارقه. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا شريح بن يونس، حدثنا علي بن ثابت، عن الخطاب بن القاسم، عن أبي عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصل على رأس جبل فأتاه إبليس فقال: أنت الذي تزعم أن كل

(١) ملول: جمع ملة، وهي الرماد الحار ينضج فيه الخبز. (٢) الجئيپ: الغليظ، وفي المطبوعة: الجئيپ وهو تحريف. (٣) في نسخ البداية فتروى، وهو خطأ والصواب لغة ما أتبتناه. [*]

شئ بقضاء وقدر قال: نعم. قال: ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر علي فقال: يالعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عزوجل. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصري، حدثنا إبراهيم بن بشار، سمعت سفيان بن عيينة يقول: لقي عيسى بن مريم إبليس فقال له إبليس: يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظيم ربوبيتك إنك تكلمت في المهه صبا. ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل

الربوبية للاله الذي انطقني ثم يميّتي ثم يحييني قال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحيي [من يشاء] (١) ويميت من أحببت ثم يحييه قال والله إنك لاله في السماء وإله في الارض قال: فصك جبريل صكة بجناحيه فما نباها دون قرون الشمس، ثم صكه أخرى بجناحيه فما نباها دون العين الحامية، ثم صكه أخرى فأدخله بحار السابعة فأساخه، وفي رواية فأسلكه فيها حتى وجد طعم الحمأة، فخرج منها وهو يقول: ما لقي أحد من أحد ما لقيت منك يا بن مريم. وقد روي نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر الخطيب: أخبرني أبو الحسن بن رزقويه، أنبأنا أبو بكر أحمد بن سيدي، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، أنبأنا علي بن عاصم، حدثني أبو سلمة سويد، عن بعض أصحابه قال صلى عيسى بيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العقبة عرض له إبليس فاحتبسه فجعل يعرض عليه ويكلمه ويقول له: إنه لا ينبغي لك أن تكون عبدا فأكثر عليه وجعل عيسى يحرص على أن يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول: لا ينبغي لك يا عيسى أن تكون عبدا قال: فاستغاث عيسى بربه، فأقبل جبريل وميكائيل فلما رأهما إبليس كف، فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل إبليس بجناحه فقتله في بطن الوادي قال فعاد إبليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى: قد أخبرتك أنه لا ينبغي أن تكون عبدا إن غضبك ليس بغضب عبد، وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت، ولكن أدعوك لأمر هو لك أمر الشياطين فليطيعوك فإذا رأى البشر أن الشياطين أطاعوك عبيدوك، أما إنني لا أقول أن تكون إلها ليس معه إله، ولكن الله يكون إلها في السماء وتكون أنت إلها في الارض، فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه، وصرخ صرخة شديدة، فإذا اسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف إبليس، فلما استقر معهم ضرب اسرافيل إبليس بجناحه، فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فأقبل إبليس يهوي ومر عيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال: فغطوه فجعل كلما خرج (٢) غطوه في تلك الحمأة قال والله ما عاد إليه بعد. قال وحدثنا إسماعيل العطار، حدثنا أبو حذيفة، قال واجتمع إليه شياطينه فقالوا: سيدنا لقد (٣)

(١) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: كلما صرخ. (٣) في نسخة قد والصواب ما أثبتناه. [*]

لقيت تعباً قال: إن هذا عبد معصوم ليس لي عليه من سبيل، وسأضل به بشراً كثيراً وأبث فيهم أهواء مختلفة وأجعلهم شيعاً ويجعلونه وأمه إلهين من دون الله، قال: وأنزل الله فيما أيد به عيسى وعصمه من إبليس قرأنا ناطقا بذكر نعمته على عيسى فقال: (يا عيسى بن مريم إذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس) [المائدة: ١١٠] يعني إذ قويتك بروح القدس يعني جبريل (تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) [المائدة: ١١٠] الآية كلها وإذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة وأعواناً ترضى بهم وصحابة وأعواناً يرضون بك هادياً وقائداً إلى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد لقيني بأزكى الخلائق وأرضاها عندي، وسيقول لك بنو إسرائيل صمنا فلم يتقبل صيامنا، وصلينا فلم يقبل صلاتنا، وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا، وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكأؤنا، فقل لهم ولم ذلك وما الذي يمنعي إن ذات يدي قلت أو ليس خزائن السموات والارض بيدي انفق منها كيف أشاء، وإن

البخل يعتبريني (١) أو لست أجود من سئل (٢) وأوسع من أعطى أو أن رحمتي ضاقت وإنما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي. ولولا أن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم غروا (٣) أنفسهم بالحكمة التي تورث. في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لعرفوا من أين أوتوا، وإذا لايقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم، وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالأطعمة الحرام، وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربوني ويستحلون محارمي وكيف أقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها. يا عيسى إنما أجزى عليها أهلها، وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الانبياء (٤)، ازددت عليهم غضبا. يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من عبدني وقال فيكما بقولي أن أجعلهم جيرانك في الدار ورفقائك في المنازل وشركاءك في الكرامة وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من اتخذك وأمك إلهين من دون الله أن أجعلهم في الدرك الأسفل من النار. وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبدي محمد وأختم به الانبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يتزين (٥) بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده لكل أمر جميل واهب له كل خلق كريم، واجعل التقوى ضميره والحكم معقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والإسلام ملته. اسمه أحمد، أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأغني به بعد العائلة وارفع به بعد الضيعة أهدي به وافتح به بين

(١) في نسخ البداية المطبوعة: لا يعتبريني. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: من سال. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: عدوا وهو تحريف. (٤) إشارة إلى أن بني إسرائيل أكثروا من قتل أنبيائهم والفتك بهم. (٥) في نسخ البداية المطبوعة: يزر. *

أذان صم وقلوب غلف، وأهواء مختلفة متفرقة أجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إخلاصا لاسمي وتصديقا لما جاءت به الرسل الهمهم التسبيح والتقديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاثلون في سبيلي صغفوا وزحوا قرباتهم دماؤهم وأنجيلهم في صدورهم وقربانهم في بطونهم رهبان بالليل ليوث في النهار ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم. وسنذكر ما يصدق كثيرا من هذا السياق مما سنورده من سورتي المائدة والصف إن شاء الله وبه الثقة. وقد روى أبو حذيفة إسحق بن بشر بأسانيده عن كعب الاحبار، وهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به، فيقولون ما أكل فلان البارحة، وما ادخر في منزله فيخبرهم فيزداد المؤمنون إيمانا والكافرون والمنافقون شركا (١) وكفرانا. وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوي إليه إنما يسبح في الأرض ليس له قرار، ولا موضع يعرف به، فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها، وإني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاق من الموت أو يحييها الله لي، فأنظر إليها فقال لها عيسى أرايت إن نظرت إليها أرجعة أنت؟ قالت: نعم، قالوا فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومي بإذن الرحمن فاخرجي قال فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب فقال

لها عيسى: ما أبطأ بك عني؟ فقالت لما جاءتني الصيحة الاولى بعث الله لي ملكا فركب خلقي، ثم جاءتني الصيحة الثانية فخرج إلي روحي، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فحفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عيني من مخافة القيمة، ثم أقبلت على أمها فقالت يا أماه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين يا أماه أصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا يا روح الله وكلمته سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون علي كرب الموت فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا. وقدما في عقيب قصة نوح أن بني إسرائيل سألوه: أن يحيي لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى الله فأحياه الله لهم عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس في خير ذكره وفيه أن ملكا من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عزوجل فأحياه الله عزوجل فرأى الناس أمرا هائلا

(١) في نسخ البداية المطبوعة: شكا. (٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ١ / ٣١٥. *

[٩٨]

ومنظرا عجيبا قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: (إذ قال الله يا عيسى بن مريم إذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهينة الطير يا ذني فتنفخ فيها فتكون طيرا يا ذني وتبرئ الاكمه والابرص يا ذني وإذ تخرج الموتى يا ذني وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) [المائدة: ١١٠ - ١١١] يذكره تعالى بنعمته عليه وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب بل من أم بلا ذكر وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم إرساله بعد هذا كله (وعلى والدتك) في اصطفاؤها واختيارها لهذه النعمة العظيمة وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون ولهذا قال: (إذ أيدتك بروح القدس) وهو جبريل بالقاء روحه إلى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعتة عنه لمن كفر به (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك (وإذ علمتك الكتاب والحكمة) أي الخط والفهم نص عليه بعض السلف (١) (والتوراة والانجيل) وقوله: (وإذ تخلق من الطين كهينة الطير يا ذني) أي تصويره وتشكله من الطين على هيئته عن أمر الله له بذلك (فتنفخ فيه فتكون طيرا يا ذني) أي بأمره فيؤكد تعالى بذكر الأذن له في ذلك لرفع التوهم وقوله: (وتبرئ الاكمه) قال بعض السلف وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء إلى مداواته (والابرص) هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا (وإذ تخرج الموتى) أي من قبورهم أحياء يا ذني وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متعددة مما فيه كفاية. وقوله: (وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه وانقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الأذى، وسلامة له من الردى وقوله: (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) قيل المراد بهذا الوحي وحي إلهام أي أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال: (وأوحى ربك إلى النحل) [النحل: ٦٨] (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم) [القصص: ٧] وقيل المراد

(١) قال الرازي في الآية: والاقرب عندي أن يقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به. ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية، علمه التوراة ثم بعد أن عظمت درجته في العلم وأحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله تعالى على من قبله من الانبياء، أنزل عليه كتاب آخر وأوقفه على أسرار ذلك هو الغاية القصوى. [*]

[٩٩]

وحي بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق (١) ولهذا استجابوا قائلين: (أما واشهد بأننا مسلمون). وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم أن جعل له أنصارا وأعوانا ينصرونه ويدعون معه إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى لعبده محمد صلى الله عليه وسلم: (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) [الانفال: ٦٢ - ٦٣] وقال تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإبرئ الاكمه والابصر وأحيي الموتى بإذن الله وإنيئتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصداقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) [آل عمران: ٤٨ - ٥٤]. كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء فبعث آيات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر، وما ينتهي إليه وعابنوا ما عابنوا من الامر الباهر الهائل، الذي لا يمكن صدوره إلا عن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ولم يتلعثموا، وهكذا عيسى بن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها وأنى لحكيم إبراء الاكمه الذي هو أسوأ حالا من أعمى والابصر والمجذوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره، هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال فإن لم

(١) قال القرطبي في أحكامه: قال أبو عبيدة: أوحيت بمعنى أمرت: والوحي في كلام العرب معناه الالهام ويكون أقساما: - وحي بمعنى إرسال جبريل إلى الرسل عليهم السلام. - وحي بمعنى الالهام كما في هذه الآية، أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم. - وحي بمعنى الاعلام في اليقظة والمنام. [*]

[١٠٠]

يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لانه كلام الخالق عزوجل، والله تعالى لا يشبهه شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين، استمر (١) أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فانتدب له من بينهم طائفة سالحة، فكانوا له أنصاراً وأعواناً قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته وذلك حين هم به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم، ورفع إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون ولحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه وكلا الفريقين في ذلك مخطئون قال تعالى: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) [آل عمران: ٥٤] وقال تعالى: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى للإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصافات: ٦ - ٨] إلى أن قال بعد ذلك: (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) [الصف: ١٤] فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فيشرهم بخاتم الانبياء الآتي بعده ونوه باسمه، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم وإحساناً من الله إليهم كما قال تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الاعراف: ١٥٧].

(١) بعد أن شرح عيسى لهم تلك المعجزات، بعد إدعائه النبوة، أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بالمزيد، فجاء بها وطالبهم بطاعته فيما يأمرهم به عن ربه، وإقرارهم لله بالعبودية فظهر كفرهم وأعلنوه. قال الرازي: اختلفوا في السبب الذي به ظهر كفرهم على وجه: - قال السدي: أنه تعالى لما بعثه رسولا إلى بني إسرائيل جاءهم ودعاهم إلى دين الله فتمردوا وعصوا فخافهم واختموا عنهم. وبعد أن صار أمره مشهوراً قصدوا قتله واطهروا الطعن فيه وكفروا به. - إن اليهود كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة، وأنه ينسخ دينهم فكانوا أول الطاعنين فيه. ثم طلبوا قتله. - أن عيسى ظن من قومه الذين دعاهم للإيمان لا يؤمنون فأحب امتحانهم، فقال لهم (من أنصاري إلى الله) فما أجابه إلا الحواريون، فأحس أن من سواهم كافرون مصرون على إنكار دينه وطلب قتله. [*]

[١٠١]

قال محمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال: " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام " (١). وقد روي عن العرياض بن سارية وأبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفيه: " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى " (٢) وذلك أن إبراهيم لما بني الكعبة قال: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية) [البقرة: ١٢٩] ولما انتهت النبوة في بني إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيباً فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم، وأنها بعده في النبي العربي الأمي خاتم الانبياء على الإطلاق أحمد، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم

السلام قال الله تعالى: (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) [الصف: ٦] يحتمل عود الضمير إلى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصره الاسلام وأهله ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة فقال: (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) أي من يساعدني في الدعوة إلى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكان ذلك في قرية يقال لها الناصرة فسموا بذلك النصارى قال الله تعالى: (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) يعني لما دعا عيسى بني إسرائيل وغيرهم إلى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر وكان ممن آمن به أهل انطاكية بكمالهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بعث إليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فأمنوا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون في سورة يس لما تقدم تقريره في قصة أصحاب القرية وكفر آخرون من بني إسرائيل وهم جمهور اليهود فأيد الله من آمن به على من كفر فيما بعد، وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى: (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة الآية) [آل عمران: ٥٥] فكل من كان إليه أقرب كان غالبا (٣) فمن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لا شك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه، واطروه، وأنزلوه فوق ما أنزله الله به، ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب إليه

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ١ / ٨٣ - ٨٤ وسيرة ابن هشام ١ / ١٧٠ والخبر في طبقات ابن سعد ١ / ١٠٢ والحاكم في المستدرک ٢ / ٦٠٠ وصححه، وأقره الذهبي. (٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ١ / ٨٠ و ٨٢ وأخرجه أحمد في مسنده ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ والحاكم في المستدرک. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٣ وقال: رواه أحمد والطبراني والبخاري وأحمد بن حنبل رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: غالبا وهو تحريف. [*]

[١٠٢]

اليهود [فيه] (١) عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان الفترة (٢) إلى زمن الاسلام وأهله. ذكر خبر المائدة قال الله تعالى: (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) [المائدة: ١١٢ - ١١٥] قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف، ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما، فلما أتموها سألوها من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها، وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجارهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم: فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عزوجل. فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تتحدر بين

غمامتين وجعلت تدنو قليلا قليلا وكلما دنت سألت عيسى ربه عزوجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة، فلم تنزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: (بسم الله خير الرازقين) فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة (٣). ويقال: وخل. ويقال: ورماد وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كوني فكانت ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا: لا نأكل حتى تأكل فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريبا من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرا كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فقدم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك. ثم قيل: إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف. ثم كانت تنزل يوما بعد يوم كما كانت

(١) سقطت من النسخ المطبوعة. (٢) الفترة: بين ظهور المسيح وبعث محمد عليهما السلام. (٣) في الرازي: سمكة مشوية بلا شوك ولا فلوس تسيل دسما وخمسة أرغفة على واحد منها زيتون والثاني غسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد. [*]

[١٠٢]

ناقة صالح يشربون لبنها يوما بعد يوم. ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكلية ومسح الذين تكلموا في ذلك خنازير. وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا: حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاص، عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير " (١) ثم رواه ابن جرير عن بنادر عن ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاص [بن عمرو] عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم. وخلاص عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيصلا في هذه القصة فإن العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت (٢) كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله: (إني منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم. وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري، أنهما قالوا: لم تنزل وإنهم أبوا نزولها حين قال: (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) ولهذا قيل إن النصراني لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكورا في كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر الدواعي على نقله. والله أعلم. وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير (٣) فليكتب من هناك. ومن أراد مراجعته فلينظره من ثم والله الحمد والمنة. فصل قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا رجل سقط اسمه، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان، عن بكر بن عبد الله المزني قال: فقد الحواريون نبهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى، وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه، حتى انتهى إليهم فقال لهم بعضهم قال أبو هلال ظننت أنه من أفاضلهم - ألا أجن إليك يا نبي الله ؟ قال: بلى، قال: فوضع إحدى

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢ / ١٢٠ والترمذي في صحيحه ٤٨ كتاب التفسير القرآن - ٦ باب ٣٠٦١ مرفوعا وقال لا نعرفه مرفوعا من حديث الحسن بن فزعة. ورواه موقفا وقال: هذا أصح ولا تعلم للحديث المرفوع أصلا. ورواه ابن كثير في تفسيره ٢ / ١٢٠ دار الفكر. (٢) قال الرازي: نزلت ثم طارت ثم عصوا من بعدها فمسخوا قردة وخنازير؛ ولم يذكره أنهم أكلوا منها. وقال وقال الجمهور الأعظم من المفسرين: أنها نزلت. (٢) رواه ابن كثير في التفسير ج ٢ / ١٢٠ دار الفكر. [*]

[١٠٤]

رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الاخرى، فقال: أوه غرقت يا نبي الله. فقال: أرني يدك يا قصير الايمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء. ورواه أبو سعيد بن الاعرابي عن إبراهيم بن أبي الجحيم، عن سليمان بن حرب، عن أبي هلال عن بكر بنحوه. ثم قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن الفضيل بن عياض قال: قيل لعيسى بن مريم، يا عيسى بأي شئ تمشي على الماء؟ قال: بالايمان واليقين. قالوا فإننا آمننا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال: فامشوا إذا قال فمشوا معه في الموج فغرقوا. فقال لهم عيسى: مالكم؟ فقالوا: خفنا الموج، قال: ألا خفتم رب الموج؟ قال: فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الارض، فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب، وفي الاخرى مدر، أو حصى فقال: أيهما أحلى في قلوبكم؟ قالوا: هذا الذهب قال: فإنهما عندي سواء. وقدما في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لغيره. قال بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه. وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة ويسكت، وعن عبد الملك بن سعيد بن بحر أن عيسى كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ التكلية. وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، حدثنا جعفر بن بلفان: أن عيسى كان يقول: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيد غيري وأصبحت مرتتها بعلمي، فلا فقير أفقر مني، اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتني في ديني، ولا تسلط علي من لا يرحمني. وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد، كان عيسى يقول لا يصيب أحد حقيقة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا (١). قال الفضيل: وكان عيسى يقول فكرت في الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندي ممن خلق. وقال إسحاق بن بشر، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة. قال: وإن الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى. قال: وبينما عيسى يوما نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به إبليس فقال: يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا فقال: [فقام عيسى] (٢): فأخذ الحجر ورمى به إليه وقال: هذا لك مع الدنيا. وقال معتمر بن سليمان: خرج عيسى على أصحابه وعليه حبة صوف وكساء وتبان حافيا باكيا شعئا مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها

(١) في نسخ البداية المطبوعة: لا نصيب حقيقة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا.
(٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. [*]

[١٠٥]

ياذن الله ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله ؟ قال بيتي المساجد، وطيببي الماء، وإدامي الجوع، وسراجي القمر بالليل، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس، وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف (١) وشعاري خوف رب العزة، وجلسائي الزمنى والمساكين، أصبح وليس لي شئ وأمسي وليس لي شئ، وأنا طيب النفس غير مكترث فمن أغنى مني وأريح. رواه ابن عساكر. وروى في ترجمة محمد بن الوليد بن ابان بن حبان أبي الحسن العقيلي المصري، حدثنا هانئ بن المتوكل الاسكندراني، عن حيوة بن شريح، حدثني الوليد بن أبي الوليد، عن شفى بن ماتع (٢) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أوحى الله تعالى إلى عيسى: أن يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان لئلا تعرف فتؤذى، فوعزتي وجلالي لأزوجنك ألف حوراء ولاولمن عليك أربعمائة عام ". وهذا حديث غريب رفعه وقد يكون موقوفا من رواية شفى بن ماتع (٢) عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم. وقال عبد الله بن المبارك عن سفیان بن عيينة، عن خلف بن حوشب قال: قال عيسى للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذا فتركوا لهم الدنيا. وقال قتادة: قال عيسى عليه السلام: سلوني فإني لين القلب وإني صغير عند نفسي. وقال إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال عيسى للحواريين: كلوا خبز الشعير، واشربوا الماء القراح، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وأن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق ما أقول لكم، إن شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله. وروي نحوه عن أبي هريرة. وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره (١١). وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، قال: كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تعمروها، وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنظر يزرع في القلب الشهوة. وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد: ورب شهوة أورثت أهلها حرنا طويلا. وعن عيسى عليه السلام: يا بن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيتا، وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكير، ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة. وعنه عليه السلام أنه قال: كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر دارا فلا يتخذ الدنيا قرارا وفي هذا يقول سابق البربري:

(١) في نسخ البداية المطبوعة: الصون، وهو تحريف. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: سفي بن نافع وهو تحريف. شفى بن ماتع الأصحى ثقة من الثالثة، ذكره بعضهم في الصحابة خطأ، مات في خلافة هشام. تقرب التهذيب ١ / ٩٣ / ٣٥٣. (٣) رواه مالك في الموطأ ١٦٨٨ ص ٥١٥. [*]

[١٠٦]

لكم بيوت بمستن السيوف وهل * بينى على الماء بيت أسه مدر وقال سفیان الثوري قال عيسى بن مريم: لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء. وقال إبراهيم الحربي عن داود بن رشيد، عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى: طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله. وعن عيسى عليه السلام: إن الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال (١) وتزينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات. وقال الاعمش عن خيثمة: كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول: هكذا فاصنعوا بالقرى. وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام: طوبى لحجر حملك ولندي أرضك. فقال: طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه. وعنه طوبى لمن بكى من ذكر

خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته. وعنه: طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتهت إلى غير اثم. وعن مالك بن دينار قال: مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا: ما أنتن ريحها فقال: ما أبيض أسنانها. لينهاهم عن الغيبة. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، عن زكريا بن عدي قال: قال عيسى ابن مريم: يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا. قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر: أرى رجلا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام: لا تكثرُوا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى فأرحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية وقال الثوري: سمعت أبي يقول عن إبراهيم التيمي، قال: قال عيسى لاصحابه: بحق أقول لكم: من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير. وقال مالك بن دينار قال عيسى: إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس. وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال عيسى: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا إلى هذا الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها، فإن قلت من أعظم بطونا من الطير فانظروا إلى هذه الأباقر (٢) من الوحوش والحمر فإنها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها [اتقوا فضول الدنيا فإن فضول الدنيا عند الله رجز] (٣). وقال صفوان بن عمرو: عن شريح بن عبد الله، عن يزيد بن ميسرة، قال:

قال

(١) في نسخ البداية المطبوعة، وفكرة من المال. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: الأباقر وهو تحريف. (٣) ما بين معكوفين سقطت من أصول البداية، واستدركت العبارة من نص الحديث في كتاب الزهد لابن المبارك؛ وروى الحديث ابن مالك في الموطأ.] *

[١٠٧]

الحواريون للمسيح: يا مسيح الله انظر إلي مسجد الله ما أحسنه. قال: آمين آمين بحق ما أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما إلى أهلكه بذنوب أهله، إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئا إن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الأرض، وبها يخرب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك. وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه: أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد الصوفي، أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية قالت: حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهشيم أملاء، حدثنا الوليد بن أبان أملاء، حدثنا أحمد بن جعفر الرازي، حدثنا سهيل بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز، عن المعتمر، عن ليث، عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة، فأعجبه البنيان فقال: أي رب مر هذه المدينة أن تجيئني ؟ فأوحى الله إلى المدينة أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى. قال: فنادت المدينة عيسى حبيبي وما تريد مني قال: ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأبن سكانك ؟ قالت: حبيبي جاء وعد ربك الحق فبيست أشجاري، ونشفت أنهارى وخربت قصوري ومات سكانى. قال: فأين أموالهم فقالت جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطني. لله ميراث السموات والأرض. قال فنأدى عيسى عليه السلام: تعجبت (١) من ثلاث أناس: طالب

الدنيا والموت يطلبه، وباني القصور والقبر منزله، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ! ابن آدم لا بالكثير تشيع ولا بالقليل تقنع تجمع مالك لمن لا يحمذك وتقدم على رب لا يعذرك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وأنت يابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك. هذا حديث غريب جدا وفيه موعظة حسنة فكتبتاه لذلك. وقال سفيان الثوري عن أبيه، عن إبراهيم التيمي، قال: قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء فإن قلب الرجل حيث كنزه. وقال ثور بن يزيد، عن عبد العزيز بن طبيان قال قال عيسى بن مريم: من تعلم وعلم وعمل دعي عظيما في ملكوت السماء. وقال أبو كريب روي أن عيسى عليه السلام قال: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ويعبر بك النادي. وروي ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعا أن عيسى قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاحتنبوه، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عزوجل. وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن رجل عن عكرمة، قال قال عيسى: لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئا، ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير. وكذا حكى وهب وغيره عنه

(١) في نسخ البداية المطبوعة: فجبت وهو تحريف. [*]

[١٠٨]

وعنه أنه قال لأصحابه: أنتم ملح الارض فإذا فسدتم فلا دواء لكم، وإن فيكم خصلتين من الجهل: الضحك من غير عجب والصيحة من غير سهر. وعنه أنه قيل له: من أشد الناس فتنه؟ قال زلة العالم فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير. وعنه أنه قال: يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها. وقال وهب قال عيسى: يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلونها، إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه. وقال مكحول التقى يحيى وعيسى، فصافحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى: يابن خالة مالي أراك ضاحكا كأنك قد أمنت؟ فقال له عيسى: مالي أراك عابسا كأنك قد يئست؟ فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إلي أبشكما بصاحبه. وقال وهب بن منبه: وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه، فجعلوا يذكرون القبر وضيقة فقال: قد كنتم فيما هو أصيق منه في (١) أرحام أمهاتكم فإذا أحب (٢) الله أن يوسع ويسع. وقال أبو عمر الضرير: بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دما. والآثار في مثل هذا كثيرة جدا. وقد أورده الحافظ ابن عساكر منها طرفا صالحا اقتصرنا منه على هذا القدر والله الموفق للصواب. [ذكر] (٣) رفع عيسى عليه السلام إلى السماء في حفظ الرب وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب قال الله تعالى: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) [آل عمران: ٥٤ - ٥٥]. وقال تعالى: (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله

إليه وكان الله عزيزا حكيما (٤). وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم

(١) في نسخ البداية المطبوعة: من أرحام. (٢) في نسخة: فإذا أراد. (٣) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٤) قال القرطبي: رفعه الله إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قاله الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس وقال الضحاك. [*]

[١٠٩]

شهيذا) [النساء: ١٥٥ - ١٥٩] فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان. قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: كان اسمه داود بن نورا (١) فأمر بقتله وصلبه، فحصره في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة [من] (٢) ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وصلوا بسبب ذلك ضلالا مبينا كثيرا فاحشا بعيدا. وأخبر تعالى بقوله: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فإنه ينزل ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الاسلام. كما بينا ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في " كتاب الفتن والملاحم " عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال. وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن الاعمش عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال [لهم]: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال [أنا: فقال عيسى] (٣) اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا. فقال: أنت هو ذلك. فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء. قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوا فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس وذلك قوله تعالى: (فأيدنا الذين آمنوا على

(١) في الطبري: كان الملك اسمه: هيروودس الصغير. (٢) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. وروزنة: كوة؛ وفي رواية: سقف البيت. (٣) ما بين معكوفين في الحديث زيادة من تفسير القرطبي. [*]

[١١٠]

عدوهم فأصبحوا ظاهرين) [الصف: ١٤] وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس (١) على شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية به نحوه. ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن أبي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف. وممن ذكر ذلك مطولا محمد بن إسحق بن يسار قال: وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عزوجل أن يؤخر أجله يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قيل وكان عنده من الحواريين اثني عشر رجلا: بطرس ويعقوب بن زيدا ويحنس أخو يعقوب واندراوس وفليبيس وإبرثلما ومثى وتوماس ويعقوب بن حلقيا وتداوس وفتاتيا ويودس كريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى. قال ابن إسحق: وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى، وهو الذي ألقى شبه المسيح عليه، فصلب عنه (٢) قال: وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا. والله أعلم. وقال الضحاك عن ابن عباس: استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقى عليه الشبه. وقال أحمد بن مروان: حدثنا محمد بن الجهم، قال: سمعت الفراء يقول في قوله: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) قال: إن عيسى غاب عن خالته زمانا فأناهم فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى، ثم خرج إلى أصحابه فقال: لم أراه ومعه سيف مسلول، فقالوا: أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فأخذه وقتلوه وصلبوه فقال جل ذكره: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن هرون بن عنترة، عن وهب بن منبه قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه: من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة؟ فقال رجل: أنا فخرج إليهم فقال: أنا عيسى، وقد صوره الله على صورة عيسى، فأخذه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم ووطنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك. قال ابن جرير (٣): وحدثنا المثني، حدثنا إسحاق [بن الحجاج]، حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول: إن عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال: احضروني

(١) روى الحديث القرطبي في تفسيره عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس ورواها السيوطي ٢ / ٢٢٨. (٢) ذكره الطبري ٢ / ٢٤ وفي رواية أخرى عنده: اسمه: ايشوع بن فنديرا. (٣) تاريخ الطبري ٢ / ٢٢ - ٢٣. ما بين معكوفين زيادة استدركت من الطبري. [*]

[١١١]

الليلة فإن لي إليكم حاجة، فلما اجتمعوا إليه من الليل، عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام، أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاطموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد

علي شيئا الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أنني خيركم، فلا يتعظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله [لي] وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أحلي، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء، وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول سبحانه الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ؟ فقالوا: والله ما ندرى مالنا والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرا وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه، فقال: يذهب بالراعي وتتفرق الغنم، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه. ثم قال الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبينني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني، فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا: هذا من أصحابه فجدد، وقال: ما أنا بصاحبه فتركوه. ثم أخذه آخرون فجدد كذلك، ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه. فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه، وكان شبه عليهم قبل ذلك، فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل، وجعلوا يقودونه، ويقولون: أنت كنت تحيي الموتى، وتنتهر الشيطان، وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل ؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبية التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا. ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تكيان حيث كان المصلوب، فجاءهما عيسى فقال علي م تكيان قالتا: عليك. فقال: إنني قد رفعتني الله إليه، ولم يصنني إلا خير، ون هذا شئ شبه لهم فأمر الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقده الذي كان باعه ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه فقالوا: إنه ندم على ما صنع فاختنق ؟ وقتل نفسه فقال: لو تاب لتاب الله عليه. ثم سألهم عن غلام [كان] (١) يتبعهم يقال له يحيى فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم. وهذا إسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تكي عند جذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الانجيل على خلاف الحق ومقتضى الدليل (٢).

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٢) في النسخ المطبوعة: ومقتضى النقل.] *

[١١٢]

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب، فيما بلغه، أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام وهي تحسب أنه ابنها، أن ينزل جسده، فأجابهم إلى ذلك ودفن هنالك فقالت مريم لام يحيى: ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح ؟ فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم لام يحيى: ألا تستترين فقالت: وممن أستتر ؟ فقالت من هذا الرجل الذي هو عند القبر. فقالت أم يحيى: إنني لا أرى أحدا فرحت مريم أن يكون جبريل، وكانت قد بعد عهدها به، فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل، وعرفته: يا مريم أين تريدين ؟ فقالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهدها به. فقال: يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا. ولكن هذا الفتى الذي القى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه. وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه

فلا يدرون ما فعل به فهم سيكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأنت غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح. قال: فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة. فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها اسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل، وقال يا أمه إن القوم لم يقتلونني ولكن الله رفعتني إليه وأذن لي في لقاءك والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت. قال: وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة (١) رضي الله عنها وأرضاها. وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة وفي الحديث: " إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين " (٢). وفي الحديث الآخر: " على ميلاد عيسى وحسن يوسف " وكذا قال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. فأما الحديث الذي رواه الحاكم في " مستدرکه " ويعقوب بن سفيان الفسوي في " تاريخه " عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن عمارة بن غزية، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته: أن عائشة كانت تقول أخبرتني فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرها: أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس سنتين.

(١) في الطبري: بقيت بعد رفعه (عيسى) ست سنين وكان جميع عمرها نيفاً وخمسين سنة؛ وذكر أنها حملت به وكان عمرها ثلاث عشرة وإن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وبقيت بعده ست سنوات (وإذا حسبنا أشهر الحمل) يصبح عمرها ٥٢ سنة. (٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الروايد ١٠ / ٣٩٩ عن أبي هريرة رفعه. وقال: قلت في الصحيح بعضه، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن. [*]

[١١٣]

هذا لفظ الفسوي فهو حديث غريب. قال الحافظ ابن عساکر: والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته، كما روى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة، قال: قالت فاطمة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع. وقال جرير والثوري عن الأعمش إن إبراهيم مكث عيسى في قومه أربعين عاماً وبروى عن أمير المؤمنين علي أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فدنّت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر، وألقى إليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة، وألقى عمامته على شمعون، وجعلت أمه تودعه باصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها، وكانت تحبه حباً شديداً لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سفراً ولا حضراً. قال بعض الشعراء: وكنت أرى كالموت من بين ساعة * فكيف بين كان موعده الحشر وذكر إسحاق بن بشر، عن مجاهد بن جبير: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذي شبه لهم وهم يحسبونهم المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك، تسلطوا على أصحاب بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان فقبل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيي الموتى ويبرئ

الأكمه والابرص ويفعل العجائب فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحيسوهم فبعث فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه فبايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبعث إلى المصلوب (١) فوضع عن جذعه وحي بالجدع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه: أحدها: أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق. الثاني أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن بناني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره. الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألغوه بخشيبته جعلوا مكانه مطرحة للقمامة والنجاسة وحيث الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرائية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي. فالله أعلم أكان هذا أم لا ؟ وهل كان

(١) نقل الخبر الطبري عن ابن إسحاق ؛ وفيه أن المصلوب سرجيس. ج ٢ / ٢٤. *]

[١١٤]

هذا لان ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلا صالحا أو كان هذا محنة وقتنة لامة النصارى في ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة، وغشوها بالذهب واللاكن، ومن ثم اتخذوا الصليبات وتبركوا بشكلها وقبلوها. وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها، ويسمونها القيامة، يعنون التي يقوم جسد المسيح منها. ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الاخباث والانجاس، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالانبياء وهو [المسجد] (١) الاقصي. [ذكر] (٢) صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله قال الله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسول وأمه صديقة) [المائدة: ٧٥] قيل سمي المسيح لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام. وقيل لانه كان ممسوح القدمين. وقال تعالى: (وقفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وأتيناه الانجيل فيه هدى ونور) [الحديد: ٢٧] وقال تعالى: (واتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) [البقرة: ٨٧] والآيات في ذلك كثيرة جدا وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين: " ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ذهب يطعن يطعن في الحجاب " (٣) وتقدم حديث عمير بن هانئ، عن جنادة، عن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألهاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم (٤). وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم

أعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن بعبسى بن مريم ثم آمن بي
فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه

(١) سقطت من نسخ البداية المطبوعة. [*] (٢) سقطت من نسخ البداية
المطبوعة. (٣) تقدم تخريجه قريبا فليراجع. (٤) تقدم تخريجه قريبا فليراجع. [*]

[١١٥]

فله أجران " (١) هذا لفظ البخاري. وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن
موسى، أنبأنا هشام، عن معمر (ح) وحدثني محمود حدثنا عبد
الرزاق أنبأنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، عن
أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ليلة أسري بي
لقيت موسى قال فنعته فإذا رجل حسبه قال مضطرب رجل الرأس
كأنه من رجال شنؤة. قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه
وسلم فقال: " ربة أحمر كأنما خرج من ديماس، يعني الحمام،
ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به. الحديث " (٢) وقد تقدم في قصتي
إبراهيم وموسى ثم قال: حدثنا محمد بن كثير، أنبأنا إسرائيل، عن
عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال النبي صلى
الله عليه وسلم: " رأيت عيسى وموسى وإبراهيم. فأما عيسى
فأحمر جعد عريض الصدر. وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من
رجال الزط " (٣). تفرد به البخاري. وحدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا
أبو ضمرة، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، قال قال عبد الله بن
عمر: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهراي الناس
المسيح الدجال فقال: إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور
العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في
المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لمتة بين
منكبيه رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبي
رجلين، وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟ فقالوا المسيح بن مريم.
ثم رأيت رجلا وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابت
قطن. واضعا يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟
فقالوا المسيح الدجال. ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة. ثم
قال البخاري: تابعه عبد الله بن نافع ثم ساقه من طريق الزهري، عن
سالم بن عمر قال الزهري: وابن قطن رجل من خزاعة هلك في
الجاهلية. فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين: مسيح
المهدي، ومسيح الضلالة، ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون،
ويعرف الآخر فيحذره الموجدون. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن
محمد، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأى عيسى بن مريم
رجلا يسرق فقال له أسرقت قال كلا والذي لا إله إلا هو فقال
عيسى أمنت بالله وكذبت عيني " وكذا رواه [مسلم عن] (٤)
محمد بن رافع عن عبد الرزاق (٥). وقال أحمد: حدثنا عفان،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ١٤٥ والعتق ١٤، ١٦ وأحاديث الانبياء ٤٨ وأخرجه
مسلم في ١ كتاب الايمان ٢٤١ والترمذي في كتاب النكاح ٢٥ والنسائي في النكاح
٦٥ والامام أحمد في مسنده ٤ / ٣٩٥، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٤. (٢) أخرجه البخاري في
أحاديث الانبياء وباب ٤٩ والترمذي في أول تفسير سورة الاسراء عن محمود بن
عيلان. ورواه مسلم في الصحيح عن محمد بن رافع في ١ كتاب الايمان (٢٧٢)
وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٣٨٧. (٣) أخرجه البخاري في كتاب الانبياء ٢٤، ٤٨
وكتاب بدء الخلق ٧. (٤) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة. (٥)
أخرجه مسلم في ٤٣ / ٤٠ / ١٤٩ / ٢٣٦٨. [*]

حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن الحسن وغيره، عن أبي هريرة قال: ولا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأى عيسى رجلاً يسرق فقال يا فلان أسرقت فقال لا والله ما سرقت فقال آمنت بالله وكذبت بصري " (١). وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدا لا يحلف بعظمة الله كاذبا على ما شاهدته منه عيانا فقبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك. وقال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تحشرون حفاة عراة غرلا ". ثم قرأ: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) [الانبياء: ١٠٤] فأول الخلق يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي فيقال: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك. وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة: ١١٧ - ١١٨] " (٢) تفرد به دون مسلم من هذا الوجه. وقال أيضا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان، سمعت الزهري يقول: أخبرني عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله " (٣). وقال البخاري: حدثنا إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال أجيها أو أصلي فقالت: اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة فعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقيل لها ممن قالت من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام قال فلان الراعي قالوا أنبني صومعتك من ذهب قال: لا إلا

(١) مسند أحمد ج ٢ / ٣١٤. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨١ / ٤٥ / مسند في صحيحه ٥١ / ٥٦ / ٥٨ / الترمذي في سننه ٤٤ / ١٧ / ٧ / ورواه النسائي وابن ماجه والدارمي في سننهم وأحمد في مسنده ١ / ٢٢٠ - ٢٢٣ - ٢٢٩، ٣ / ٤٩٥ ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده حديث ٣٦٢٨. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ / ٢٤٥ - ٢٤٦ عن جابر وقال: رواه الطبراني في الاوسط بنحوه رجال أحمد وثقوا. (٣) أخرجه البخاري في أحاديث الانبياء ٤٨ والدارمي في الرقاق ٦٨ وأحمد في مسنده ١ / ٢٢، ٢٤، ٤٧، ٥٥، ٦٠. [*]

من طين. وكانت امرأة ترضع ابنا لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديها يمصه. قال أبو هريرة كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص أصبعه ثم مر بأمه فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها فقالت: لم ذلك ؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الامة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل " (١). وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أنا أولى الناس بابن مريم والانبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي " (٢) تفرد به البخاري من هذا الوجه. ورواه ابن حبان في صحيحه من

حديث أبي داود الحفري، عن الثوري، عن أبي الزناد، عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان هو الثوري، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والانبياء أخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي " (٣). وهذا إسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه. وقال أحمد: حدثنا يحيى، عن ابن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الانبياء أخوة لعلات. ودينهم واحد وأمهاتهم شتى. وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فأعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة، والبياض سبط كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين مخصرتين فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويعطل الممل، حتى يهلك في زمانه كلها غير الاسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الابل مع الاسد جميعا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه " (٤). ثم رواه أحمد عن عفان، عن همام، عن قتادة، عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال: " فيمكث أربعين سنة. ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون " (٥). ورواه أبو داود عن هدية بن خالد، عن همام بن يحيى به نحوه. وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فيمكث في الارض أربعين سنة. وسيأتي بيان

(١) رواه أحمد في مسنده ٢ / ٣٠٧ - ٣٠٨. (٢) تقدم تخريجه قريبا فليراجع. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٤٠٦. مسند أحمد ج ٢ / ٤٢٧. مسند أحمد ج ٢ / ٣١٩، ٤٠٦، ٤٨٢. [*]

[١١٨]

نزوله عليه السلام في آخر الزمان في " كتاب الملاحم " كما بسطنا ذلك أيضا في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) [النساء: ١٥٩] وقوله: (وإنه لعلم للساعة) الآية [الزخرف: ٦١] وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق (١) وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين. تقدم يا روح الله فصل فيقول: لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة. وفي رواية فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه. ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة. وذكرنا أنه فوي الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض وقد بنيت أيضا من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل من أحد إلا الاسلام، وأنه يحج من فج الروحاء حاجا أو معتمرا أو لثنتيهما، ويقام أربعين سنة، ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه (٢). وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعا أنه يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح إسناده وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا زيد بن أوزم الطائي، حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة، حدثني أبو مودود المدني، حدثنا عثمان بن الضحاك، عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه عن جده، قال: مكتوب في التوراة

صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه (٣). قال أبو مودود: وقد بقي من البيت موضع قبر. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن كذا قال. والصواب الضحك بن عثمان المدني. وقال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه. وروى البخاري عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن عاصم الاحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبيض وثلاثون سنة. والمشهور ستمائة سنة (٤). ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمريّة لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم. وقال ابن حبان في صحيحه: " ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه ": حدثنا أبو

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٠٥ عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١ / ٣٥٦ من عدة طرق عن الزهري. (٣) ورواه الهيثمي في الزوائد ٨ / ٢٠٦ عن عبد الله بن سلام. قال: ورواه الطبراني وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود. (٤) جاء في مروج الذهب: ٢ / ٢٨٥: بين مولد المسيح إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٥٢١ سنة، وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ٣٢ سنة إلى سنة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ٥٤٦. وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ٥٩٤ سنة. [*]

[١١٩]

يعلى، حدثنا أبو همام، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الهيثم بن حميد، عن الوضين بن عطاء، عن نصر بن علقمة، عن جبير بن نفيير، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة " (١). وهذا حديث غريب جدا وإن صححه ابن حبان. وذكر ابن جرير (٢) عن محمد بن إسحاق: أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى الحواريين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم. وذكر غير واحد أن الانجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا ومنهم اثنين من أصحاب أصحابه وهما مرقس ولوقا. وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان مختفيا في مغارة داخل الباب الشرقي قريبا من الكنيسة المصلية خوفا من بولس اليهودي وكان طالما غاشما مبغضا للمسيح، ولما جاء به. وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد. ثم رحمه حتى مات رحمه الله. ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله فتلقيه عند كوكبا، فلما واجه أصحاب المسيح، جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه. فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح، فجاء إليه واعتذر مما صنع وأمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره، فقال إذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك، فجاء إليه فدعا فرد عليه بصره وحسن إيمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسة باسمه فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضي الله عنهم حتى خربت. فصل اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء على أقوال، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند

قوله: (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) [الصف: ١٤
[قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله
فرفع إلى

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٠٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف. (٢) تاريخ الطبري ٢ / ٢٤: عين فطرس إلى رومية وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق، وفيليبس إلى أرض القيرون وقرطاجنة وهي أفريقيا ويحس إلى دفسوس وابن تلم إلى أرض الحجاز ويسمين إلى أرض البربر دون أفريقيا ويعقوبس إلى أوري سلم. [*]

[١٢٠]

السماء وقال آخرون هو الله. وقال آخرون هو ابن الله (١). فالاول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال: (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) [مريم: ٣٧] وقد اختلفوا في نقل الاناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل. ثم بعد المسيح بثلمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى. اختلف البتاركة الاربعة وجميع الاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهايين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب. واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الاول (٢). فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسموا الملكية (٣) ودحض من عداهم وأبعدهم وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن إديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البراري والبوادي ونوا الصوامع والديارات والقلاليات وفتحوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنيت الملكية الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاربيها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الحدي. بيان بناء بيت لحم والقمامة وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنيت أمه هيلانة القمامة يعني على قبر

(١) تقدم التعليق حول الفرق الثلاث التي اختلفت في رفعه عليه السلام. وقال صاحب الملل والنحل: لما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه. وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين: - كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة. - كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة. ص ١٠٠. (٢) حضر المجمع الاول بمدينة نيقية ألفان وثمانية وأربعون أسقفا. فتم اختيار ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين؛ فوضعوا شرائع النصرانية وكان رئيس هذا المجمع بطرق الاسكندرية. وحضر الاجتماع البطاركة الثلاثة الآخرون: بطرك انطاكية - بطرك مدينة رومية - بطرك القسطنطينية واتفقوا - على ما قال الشهرستاني وذلك قولهم: " نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شئ، وصانع ما يرى وما لا يرى وبالأبن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، بكر الخلاق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شئ من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانا، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بين الاموات والاحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثيقية وقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الأبدين " الملل والنحل ص ١٠١. (٣) كذا في الاصول، وهم المعروفون في كتب النحل والتفسير بالملكانية. قال الشهرستاني: وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح. وقالوا: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي (١٠١).

[١٢١]

لمصلوب (١) وهم يسلمون لليهود أنه المسيح. وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والاحكام. ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة، ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق، ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بعد موسى. ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل. وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم التي يسمونها بالامانة وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسبورية أصحاب نسطورس أهل المجمع الثاني (٢) واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث (٣) يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون في تفسيرها وها أنا أحكيها وحاكي الكفر ليس بكافر لابت على ما فيها ركة الالفاظ وكثرة الكفر والخيال المفضى بصاحبه إلى النار ذات الشواظ فيقولون نؤمن بالله واحد ضابط الكل خالق السموات والارض كل ما يرى وكل ما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذي كان به كل شئ من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتانس وصلب على عهد ملاطس النبطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الاب. وأيضا فسيأتي بجسده ليدير الاحياء والاموات الذي لا فناء للملكه وروح القدس الرب المحيي المنيثق من الاب مع الاب والابن مسجود له وبمجد الناطق في الانبياء كنسبة واحدة جامعة مقدسة يهولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حي قيامة الموتى وحياة الدهر العتيد كونه أمين. كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فإنا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى: [كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا] طه ٩٩ [وقال: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) [يوسف: ٣].

(١) قال ابن الاثير: في الكامل: اخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيداً، وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من أيلول ومنت الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة. ١ / ٢٣٠ مروج الذهب ١ / ٢٢٩ (٢) عقد بالقسطنطينية على مقدونس وأشياعه، وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلاً. (٣) عقد في ملك تدوس الصغير بن تدوس الكبير لاجدى وعشرين سنة من ملكه، وعقد بمدينة أفسس، وحضره مائتا أسقف وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرك القسطنطينية من مخالفته مذهبهم فلعنوه ونفوه. [*]

[١٢٢]

خبر ذي القرنين قال الله تعالى: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له في الارض وآتينا من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا. ثم أتبع سببا. حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. كذلك وقد أخطأنا بما لديه خيرا. ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى

إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا. فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا. قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) [الكهف: ٨٣ - ٩٨]. ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الاقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح: أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا. وقيل رسولا. وأغرب من قال ملكا من الملائكة. وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: فإنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال: مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة ذكره السهيلي. وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا. وروى الحافظ ابن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر، عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب، حدثنا محمد بن حماد، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذؤيب، عن المقبري (١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا أدري أتبع كان لعينا أم لا ولا أدري الحدود كفارات لاهلها أم لا ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا " (٢). وهذا غريب من هذا الوجه، وقال إسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج، عن خفيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين ملكا صالحا رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان منصورا، وكان الخضر وزيره. وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم، وقد

(١) في أبي داود: عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد. (٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة عن محمد بن المتوكل العسقلاني باب التخيير بين الانبياء ح ٤٦٧٤ وفيه: ما أدري أتبع لعين هو أم لا، وما أدري أعزير نبي هو أم لا؟ [*]

[١٣٣]

ذكر الازرقى (١) وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو واسماعيل عليه السلام وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيا وأن إبراهيم لما سمع بقدمه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب (٢) يحمله حيث أراد والله أعلم. واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين فقيل: لانه كان له في رأسه شبه القرنين. قال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه وهذا ضعيف. وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك فارس والروم. وقيل: لانه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا. وملك ما بينهما من الارض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري وقال الحسن البصري: كانت له غدیرتان من شعر يطافهما فسمي ذا القرنين. وقال إسحاق بن بشر: عن عبد الله بن زياد بن سمعان، عن عمر بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه. ثم دعاه فدق قرنه الثاني فكسره فسمي ذا القرنين. وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبدا ناصح الله فناصره، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات فسمي ذا القرنين. وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب (٣). وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال لم يكن نبيا ولا رسولا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا. وقد اختلف في اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس: كان اسمه عبد الله بن الضحاك ابن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون (٤) بن نبت بن

(١) أخبار مكة ١ / ٧٤. (٢) عن علي بن أبي طالب كما في تفسير القرطبي. (٣) في ذي القرنين واسمه تنازع الناس وكثرت الأقوال حتى التناقض ؛ والخلاف فيه كثير ولا طائل تحته - قال ناس أنه من الملائكة ؛ ومنهم من قال نبيا ومنه من قال كان عبدا صالحا. إلى جانب ما ذكره ابن كثير في تسميته بذي القرنين قيل: - سمي بذي القرنين لانه انقض في وقته قرنان من الناس. - كان على رأسه ما يشبه القرنين. - كان لتاجه قرنان. - عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لانه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها. - لانه رأى حلما في المنام كأنه تعلق بطرفي الشمس وقرنيها. - لانه دخل النور والظلمة. - كان له صفيرتان أي قرنان. (راجع المسعودي - تفسير الرازي - تفسير القرطبي - المعارف لابن قتيبة). (٤) في أنساب السمعاني: عوث. [*]

[١٢٤]

مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان. وقد جاء في حديث أنه كان من حمير (١) وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله. وقد أنشد بعض الحميريين (٢) في ذلك شعرا يفخر بكونه أحد أجداده فقال: قد كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتحشد (٣) بلغ المشارق والمغرب بيتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد (٤) فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد (٥) من بعده بلقيس كانت عمتي * ملكتهم حتى أتاها الهدهد قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزيان بن مرزبة. ذكره ابن هشام (٦) وذكر في موضع (٧) آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراد وهو أول التبابعة وهو الذي حكم لابراهيم في بئر السبع (٨). وقيل إنه أفريدون بن أسفيان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس: يا معشر إياد بن الصعب ذو القرنين، ملك الخافقين، وأذل الثقليين، وعمر الفين. ثم كان ذلك كلحظة عين. ثم أنشد ابن هشام للاعشى: والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا * بالجنو في جدث أشم مقيما وذكر الدارقطني وابن ماكولا أن اسمه هرمس ويقال هرويس بن قيطون بن رومي بن لنطى

(١) قال أبو الريحان المنجم الهروي البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: قيل هو أبو كرب شمر بن عبير بن أفريقس الحميري ؛ وقال: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوا أساميهم من ذي. وقال المسعودي في مروج الذهب: قيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية وأسكنها خلفا من اليمن، وأن ذا القرنين الذي هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها. تفسير الرازي ٢١ / ١٦٤. (٢) وهو تبع اليماني. كما في تفسير القرطبي والمسعودي ولم يذكر الايات. (٣) في تفسير الرازي والقرطبي: قبلي بدل جدي ؛ وفي القرطبي تسجد بدل تحشد. وعجزه في الرازي: ملكا علا في الارض غير مفند (٤) في تفسير الرازي: عجزه: أسباب ملك من كريم سيد. (٥) الخلب: الطين، الناط: الحماة. الحرمد: الاسود. (٦) قال ابن إسحاق: مرزيان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافت بن نوح ؛ وذكر ابن هشام: اسمه الاسكندر سيرة ابن هشام. (٧) أي في التيجان. (٨) قال السهيلي: والظاهر من علم الاخبار أنهما اثنان: أحدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام ويقال انه قضى لابراهيم حين تحاكموا إليه في بئر السبع بالشام (وقد تقدم عن الأزرقى أنه طاف معه ماشيا وأسلم على يديه) - والآخر كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام. [*]

[١٢٥]

ابن كشلوخين بن يونان بن يافت بن نوح فآله أعلم. وقال إسحق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام. فأما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن فيلبس بن مصرم بن هرمس بن مطيون بن رومي بن لنطى بن يونان بن يافت بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن يقر بن العيص بن إسحق بن ابراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (١).

المقدوني اليوناني المصري باني اسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرتا طاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. وإنما نهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرتا طاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير (٢)، فإن الاول كان عبدا مؤمنا صالح وملكا عادلا وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيا على ما قررناه قبل هذا (٣). وأما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة. فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الامور. فقولته تعالى: (ويسألونك عن ذي القرنين) كان سببه أن قريشا سألوا اليهود عن شئ يمتحنون به علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف في الارض وعن فتية خرجوا لا يدري ما فعلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين. ولهذا قال: (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي من خبره وشأنه (ذكرا) أي خيرا نافعا كافيا في تعريف أمره، وشرح حاله فقال: (إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا) أي وسعنا مملكته في البلاد، وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة، والمقاصد الجسيمة. قال فتية، عن أبي عوانة، عن سماك، عن حبيب بن حماد قال: كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له: سخر له السحاب ومدت له الاسباب

(١) قال الطبري وابن الاثير: وأما الروم وكثير من أهل الانساب فإنهم يقولون (وفي الكامل: يزعمون) أنه: الاسكندر بن بيلوس بن مطريوس ويقال مصريم بن هرمس بن هروس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافت بن ثوبة بن سرحون بن رومية بن نزمط بن نوقيل بن رومي بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. ويقال: إنه أنه أخو دارا لاييه. (٢) قال الرازي: إن تعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو طاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل إليه. (٣) قال الرازي في تفسيره: من قال أنه كان نبيا احتج بوجوه: - قوله (إنا مكنا له في الارض) والاولى حملة على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة. - قوله (آتيناه من كل شئ سببا) ومن جملة الاشياء النبوة. - قوله (قلنا يا ذا القرنين..) والذي يتكلم معه الله لا بد وأن يكون نبيا. وقال الدارقطني في كتاب الاخبار: إن ملكا يقال له رباقييل (رفائيل) كان ينزل على ذي القرنين. [*]

[١٣٦]

وبسط له في النور [فكان الليل والنهار عليه سواء] (١) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت علي رضي الله عنه. وعن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول: ملك الارض أربعة. سليمان بن داود النبي عليهما السلام. وذو القرنين ورجل من أهل حلوان. ورجل آخر. ف قيل له الخضر قال: لا. وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن سفيان الثوري قال: بلغني أنه ملك الارض كلها أربعة: مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين ونمرود وبخت نصر. وهكذا قال سعيد بن بشير: سواء. وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن الحسن قال: كان ذو القرنين ملك بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلا مسلما صالحا أتى المشرق والمغرب مد الله له في الاجل ونصره حتى قهر البلاد، واحتوى على الاموال، وفتح المدائن، وقتل الرجال، وجال في البلاد والقلاع فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خيرا (إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا) أي علما بطلب أسباب المنازل. قال إسحاق، وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه

وتابعه عليه وإلا قتله. وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقتادة والضحاك (وآتيناه من كل شئ سيبا) يعني علما وقال قتادة ومطر الوراق معالم الارض ومنازلها وأعلامها وأثارها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني: تعليم الالسنه كان لا يغزو قوما إلا حدثهم بلغتهم والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فإنه كان يأخذ من كل أقليم من الامتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الاقليم الآخر. وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة يجوب الارض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي كل هذه المدة نظر. والله أعلم. وقد روى البيهقي وابن عساكر حديثا متعلقا بقوله: (وآتيناه من كل شئ سيبا) مطولا جدا وهو منكر جدا. وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو متهم فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله: (فاتبع سيبا) أي طريقا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعني من الارض انتهى إلى حيث لا يمكن أحدا أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على أحد قولي أرباب الهيئة، والثاني من ساحل هذا البحر كما قدمنا. وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته (تغرب في عين حمئة) والمراد بها البحر في نظره فإن من كان في البحر أو على ساحله، يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال: (وجدها) أي في نظره ولم يقل: فإذا هي تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة. قال كعب

(١) ما بين معكوفين زيادة استدركت من القرطبي وتفسير الطبرسي. [*]

[١٢٧]

الاحبار: وهو الطين الاسود. وقرأه بعضهم حامية. فقيل يرجع إلى الاول. وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها. وقد روى الامام أحمد: عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله. قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال: " في نار الله الحامية لولا ما يزعاها (١) من أمر الله لاحرقت ما على الارض " (٢) فيه غرابية وفيه رجل منهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم. ومن زعم من القصص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مددا طويلة فقد اخطأوا بعد النجعة وقال ما يخالف العقل والنقل. بيان طلب ذي القرنين عين الحياة وقد ذكر ابن عساكر: من طريق وكيع، عن أبيه، عن معتمر بن سليمان، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، زين العابدين خيرا مطولا جدا فيه: أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل (٣) فسأله ذو القرنين هل تعلم في الارض عينا يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين في طلبها، وجعل الخضر على مقدمته فأنتهى الخضر إليها في واد في أرض الظلمات فشرب منها، ولم يهتد ذو القرنين إليها. وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك وأنه أعطاه حجرا فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قبالة حجرا وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به. وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب فسجد له العلماء تكريما له وإعظاما والله أعلم (٤). ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية (فلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن

تتخذ فيهم حسنا. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه
فيعذبه عذابا نكرا)

(١) يزعمها: يزجرها ويمنعها. (٢) مسند أحمد ٢ / ٢٠٧. (٣) في قصص الانبياء
للثعلبي: "رفائيل" وفي الدر المنثور "زرفائيل" وهذا الملك على ما ذكره الدارقطني
في "الاخبار": هو الذي يطوي الارض يوم القيامة. وينقصها فتقع اقدام الخلائق كلها
بالساهرة، فيما ذكره بعض أهل العلم، والساهرة: أرض يجدها الله يوم القيامة. (٤)
ذكر الطبري وابن الاثير: فلما فرغ من أمر السد، وبعد أن دانت له عامة الارضين وملك
التبت والصين، دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية، فلماذا
كانت ظلمة، وإلا فليس في الارض موضع إلا تطلع الشمس عليه أبدا، فلما دخل
الظلمات أخذ أربعمائه رجل من أصحابه يطلب عين الخلد، فسار فيها ثمانية عشر يوما
ثم خرج ولم يظفر بها، وكان الخضض على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها.
ورجع (ذو القرنين) إلى العراق فمات في طريقه بشهرزور. (تاريخ الطبري ٢ / ٩،
الكامل في التاريخ ١ / ٣٨٧). [*]

[١٣٨]

[الكهف: ٨٧ - ٨٨] أي فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب
الدنيا لانه أزرع عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) [الكهف: ٨٩] فبدأ بالاهم
وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الاحسان منه إليه وهذا هو العدل
والعلم والايمان قال الله تعالى: (ثم اتبع سببا) أي سلك طريقا راجعا
من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في ثنتي عشرة سنة
(حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترًا) أي ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر
الشمس. قال كثير من العلماء ولكن كانوا بأوون إذا اشتد عليهم الحر
إلى أسراب قد اتخذوها في الارض شبه القبور (١) قال الله تعالى:
(كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا) أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه
ونكلؤه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الارض إلى
مشارقها. وقد روي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من
السلف: أن ذا القرنين حج ماشيا فلما سمع ابراهيم الخليل بقدمه
تلقاه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال إنه جئ بفرس
ليركبها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل (٢) فسخر الله له السحاب
وبشره إبراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد. وقوله تعالى: (ثم اتبع
سببا. حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا) [الكهف: ٩٢ - ٩٣] يعني غشما. يقال إنهم هم الترك
أبناء عم بأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم
وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم، وبذلوا له حملا، وهو
الخراج، علي أن يقيم بينهم وبينهم حاجزا يمنعهم من الوصول إليهم
فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قال
ما مكني فيه ربي خير) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات
ليبنى بينهم وبينهم سدا وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون
الخروج إليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة
فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب. وقيل
الرصاص والصحيح الاول فجعل بدل اللبن حديدا وبدل الطين نحاسا
ولهذا قال تعالى: (فما استطاعوا أن يظفروا) أي يعلوا عليه بسلاهم
(٣) ولا غيرها (وما استطاعوا له نقيا) أي بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها
فقابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربي) أي
قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء
القوم على من جاورهم في تلك المحلة (فإذا جاء وعد ربي) أي
الوقت الذي قدر

(١) قال الحسن: كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، وكانت لا تحمل البناء، فإذا
طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا، فيتراعون كما

تتراعى البهائم. (القرطبي - تفسير الرازي). (٢) تقدم الخير في الأزقي وفيه: قال: ما كنت لأركب وهذا (إبراهيم) يمشي فحج ماشيا. (٣) قال القرطبي في تفسيره: كان ارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعا، وروي: في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ، وفي عرضه خمسون فرسخا (عن وهب بن منبه). [*]

[١٢٩]

خروجهم على الناس في آخر الزمان (جعله ذكاء) أي مساويا للارض ولا بد من كون هذا ولهذا قال: (وكان وعد ربي حقا) [الكهف: ٩٨] كما قال تعالى: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق) الآية [الانبياء: ٩٦ - ٩٧] ولذا قال ههنا: (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) [الكهف: ٩٩] يعني يوم فتح السد على الصحيح (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) وقد أوردنا الاحاديث المروية في خروج يأجوج ومأجوج في التفسير وسنوردها إن شاء الله في " كتاب الفتن والملاحم " من كتابنا هذا إذا انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعونته وهدايته. قال أبو داود الطيالسي: عن الثوري: بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين. وروي عن كعب الاحبار أنه قال لمعاوية: إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاما وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن، وتأذن له فيه إلا من كانت تكلى فلا تأكل منه شيئا، فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لمن سبحان الله كلكن تكلى ؟ فقلن أي والله ما منا إلا من أكلت فكان ذلك تسلية لأمه. وذكر إسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذي القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب. قال ابن عساکر وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستا وثلاثين سنة. وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة. وكان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين سنة. وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وأحدى وثمانين سنة. وكان ملكه ست عشرة سنة (١). وهذا الذي ذكره إنما ينطبق على إسكندر الثاني لا الاول وقد خلط في أول الترجمة وأخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ والله أعلم. وممن جعلهما واحدا الامام عبد الملك بن هشام راوي السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله إنكارا بليغا ورد قوله ردا شنيعا وفرق بينهما تفريقا جيدا كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذوي القرنين تشبيها بالاول. والله أعلم. ذكر أمتي يأجوج ومأجوج وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين: من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم ! فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك [: قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول: يا رب وما بعث النار ؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

(١) في المسعودي خمس عشرة سنة. وكان عمره لما ملك إحدى وعشرين سنة مات ابن ست وثلاثين. [*]

[١٣٠]

فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ". [قال: فاشتد ذلك عليهم] قالوا يارسول الله أينما ذلك الواحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ابشروا فإن منكم واحدا ومن يأجوج ومأجوج

ألفا " (١) وفي رواية فقال: " ابشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا في شئ إلا كثرتاه ". أي غلبتاه كثرة وهذا يدل على كثرتهم وإنهم أضعاف الناس مرارا عديدة. ثم هم من ذرية نوح لان الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الارض بقوله: (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وقال تعالى: (فأنجيناه وأصحاب السفينة) وقال: (وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم في الحديث المروي (٢) في المسند والسنن أن نوحا ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافت فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافت أبو الترك فأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل المغول وهم أشد بأسا وأكثر فسادا من هؤلاء ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجا بأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه. فلهذا قيل لهم الترك. ومن زعم (٣) أن بأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاة الشيخ أبو زكريا النواوي في شرح مسلم وغيره وضعفوه. وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن. وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جدا. فمنهم من هو كالنخلة السحوق. ومنهم من هو غاية في القصر. ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ويتغطى بالآخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا " (٤) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن. وهذا فيصل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا (٥) فإن صح في خبر قلنا به وإلا فلا نرده إذ يحتمله العقل والنقل أيضا قد يرشد إليه

(١) أخرجه مسلم في ١ كتاب الايمان ٩٦ باب يقول الله لأدم ٣٧٩ / ٢٢٢ ١ / ٢٠١ والبخاري حديث رقم: ١٥٨٤. وما بين معكوفين زيادة من مسلم. وبعث النار: البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها، ومعناه ميز أهل النار من غيرهم. (٢) رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولد لنوح سام وحام ويافت فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافت بأجوج ومأجوج والترك والصقالية ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان ". تقدم تخريجه. (٣) قاله كعب الاحبار. وفي الخبر أن آدم احتلم ؛ وفي هذا نظر لان الانبياء لا يحتلمون قاله القرطبي. (٤) أخرجه مسلم في ٥١ / ١١ / ٢٨ / ٢٨٤١ وأحمد في مسنده ج ٢ / ٢١٥. (٥) رواه الهيثمي في الزوائد عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال رواه الطبراني في الاوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. [*]

[١٢١]

والله أعلم. بل قد ورد حديث مصرح بذلك إن صح قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهاني، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا المغيرة، عن مسلم، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن بأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لافسدوا على الناس معائشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا. وإن من ورائهم ثلاث أمم (تاويل وتاريس ومنسك) " (١). وهو حديث غريب جدا وإسناده ضعيف. وفيه نكارة شديدة. وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم ليلة الاسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابعته وأنه دعا تلك الامم التي هناك (تاريس وتاويل ومنسك) فأجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله أعلم. فإن قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فدء المؤمنين يوم القيامة أنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل. وقد قال الله تعالى: (وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام
الحجة عليهم والاعذار إليهم كما قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا) [الاسراء: ١٥] فإن كانوا في زمن الذي قبل بعث
محمد صلى الله عليه وسلم قد أتتهم رسل منهم فقد قامت على
أولئك الحجة وإن لم يكن قد بعث الله إليهم رسلا فهم في حكم أهل
الفترة. ومن لم تبلغه الدعوة وقد دل الحديث المروي من طرق (٢)
عن جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن
من كان كذلك يمتحن في عرصات القيامة فمن أجاب الداعي دخل
الجنة ومن أبى دخل النار " وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام
الأئمة عليه عند قوله: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد حكاها
الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعا عن أهل السنة والجماعة،
وامتحانهم لا يقتضي نجاتهم، ولا ينافي الأخبار عنهم بأنهم من أهل
النار لأن الله يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يشاء من
أمر الغيب وقد اطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سجاياهم
تأبى قبول الحق والانقياد له فهم لا يجيبون الداعي إلى يوم القيامة
فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيبا للحق في الدنيا لو بلغهم فيها
لان في عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذبا في الدنيا فإيقاع
الايمان هناك لما يشاهد من الأهوال أولى وأحرى منه في الدنيا
والله أعلم. كما قال تعالى: (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحا إنا موقنون) [
السجدة: ١٢] وقال تعالى: (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) [مريم:
٢٨]. وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعاهم ليلة الاسراء فلم يجيبوا " فإنه حديث منكر بل موضوع وضعه
عمرو بن الصبح.

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ / ٦ وقال رواه الطبراني في الكبير والواوسط
ورجاله ثقات. (٢) رواه ابن كثير في تفسير سورة الاسراء - الآية ١٥ - ج ٢ / ٤٨ وما
بعدها. (دار احياء التراث). [*]

[١٣٢]

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وساوى
به الجبال الصم الشامخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء
أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم. قال البخاري: وقال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم رأيت السد قال: " وكيف رأيتة ؟ "
قال مثل البرد المحبر (١) فقال: " رأيتة هكذا ". ذكره البخاري معلقا
بصيغة الجزم ولم أره مسندا من وجه متصل أرخصه غير أن ابن جرير
رواه في تفسيره مرسلًا فقال: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد،
عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال: يا رسول الله قد رأيت سد بأجوج
ومأجوج قال: " انعتة لي " قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة
حمراء قال: " قد رأيتة ". وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلا من
جهته وكتب لهم كتبًا إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى
ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين
على أي صفة ؟ فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه بابا عظيما
وعليه أفعال وأنه بناء محكم شاهق منيف جدا وأن بقية اللبن الحديد
والآلات في برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك
المتاخمة لتلك البلاد ومحلته في شرقي الارض في جهة الشمال
في زاوية الارض الشرقية الشمالية، ويقال: إن بلادهم متسعة جدا
وإنهم يفتاتون بأصناف من المعاييش من حراثة وزراعة واصطياد من
البر ومن البحر، وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم. فإن
قيل فما الجمع بين قوله تعالى: (فما استطاعوا أن يظهره وما
استطاعوا له نقبا) [الكهف: ٩٧] وبين الحديث الذي رواه البخاري
ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت
استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوم محمرا وجهه وهو

يقول: " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " (٢) وحلق تسعين قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث (٣). وأخرجه في الصحيحين: من حديث وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين " (٤). فالجواب أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن وإن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال. وأما على قول من جعل ذلك إخبارا عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال أيضا لان قوله: (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له

(١) البرد المحبر: الثوب المنمق. (٢) أخرجه مسلم في ٥٢ كتاب الفتن - (١) باب ٢ / ٢٨٨٠ ص ٤ / ٣٢٠٧ - ٣٢٠٨ والبخاري حديث رقم: ١٥٨٢. (٣) الخبث: فسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل المراد: الزنى خاصة وقيل أولاد الزنى والظاهر أنه المعاصي مطلقا، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون. (٤) الحديث ٢ / ٢٨٨١ والبخاري رقم ١٥٨٢ راجع الحاشية رقم (٢). [*]

[١٣٣]

نقبا) أي في ذلك الزمان لان هذه صيغة خبر ماض، فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك فردا وتسليطهم عليه بالتدريج قليلا قليلا حتى يتم الاجل، وينقضي الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى: (وهم من كل حذب ينسلون) [الانبياء: ٩٦] ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الامام أحمد في مسنده قائلا: حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله ويستثنى فيعودون إليه وهو كهيئة يوم تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون (١) المياه، وتتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون فهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا (٢) في أفئتهم فيقتلهم بها " (٣). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم " ورواه أحمد أيضا عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به، وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال حديث أبو رافع. ورواه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة به. ثم قال غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه. فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظا وإنما هو مأخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة وإن كان محفوظا فيكون محمولا على أن صنيعهم (٤) هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروي عن كعب الاحبار أو يكون المراد بقوله: (وما استطاعوا له نقبا) أي نافذا منه فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم. وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين أي فتح فتحا نافذا فيه والله أعلم. قصة أصحاب الكهف قال الله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشدا فضرينا على آذانهم في

(١) في ابن ماجه: ينشقون الماء؛ أي ينزحونه. (٢) النغف بالتحريك: دود يكون في أنوف الابل والغنم واحدها: نغفة. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٥١٠ والترمذي في ٤٨ كتاب تفسير القرآن ١٩ باب حديث ٣١٥٣ وقال: هذا حديث حسن غريب. (٤) في نسخ البداية المطبوعة: ضيعهم وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

[١٣٤]

الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعدوا أحذركم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعركم بهم أحدا. إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغلحوا إذا أبدا. وكذلك أعترا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا. ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا. وليثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا [الكهف: ٩ - ٢٦]. كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة وغيره أن قريشا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه عنها ليختبروا ما يجب به فيها فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا، وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح (١)، فأنزل الله تعالى: (ويسألونك عن الروح) [الإسراء: ٨٥] (ويسألونك عن ذي القرنين) [الكهف: ٨٢] وقال ههنا: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلى ما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة والآيات الباهرة والعجائب الغريبة. والكهف: هو الغار في الجبل (٢). قال شعيب

(١) قال ابن إسحاق: إن الذي سأل يهود هو النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وزاد ابن إسحاق - فإن أخبركم فهو نبي وإلا فهو متقول. (٢) وفي أقوال: الكهف: النقب (الغار) الواسع في الجبل، فإذا صغر ولم يتسع فهو غار. [*]

[١٣٥]

الجبائي واسم كهفهم حيزم، وأما الرقيم فعن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما المراد به. وقيل هو الكتاب المرقوم فيه أسماؤهم وما جرى لهم كتب من بعدهم اختاره ابن جرير وغيره. وقيل هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم. قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بناحلوس. وقيل هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك والله أعلم. قال شعيب الجبائي: واسم كليهم حمران (١) واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم، يدل على أن زمانهم متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح، وأنهم كانوا نصارى. والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الاصنام. قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم: كانوا في زمن ملك له دقيانوس وكانوا من أبناء الاكابر. وقيل من أبناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم فأروا ما يتعاطاه قومهم من السجود للاصنام والتعظيم للآوثان فنظروا بعين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة، وألهمهم رشدهم فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء، فخرجوا عن دينهم وانتموا إلى عبادة الله وحده لا شريك له. ويقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد انحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخاري: "الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" فكل منهم سأل الآخر عن أمره، وعن شأنه، فأخبره ما هو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبري منهم والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور. قال الله تعالى: (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلفان بين) [الكهف: ١٣ - ١٥] أي بدليل ظاهر علي ما ذهبوا إليه وصاروا من الامر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) [الكهف: ١٥ - ١٦] أي وإذا فارقتموهم في دينهم، وتبرأتم مما يعبدون من دون الله، وذلك لانهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل: (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين) [الزخرف: ٢٧] وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم إذ قد فارقتم قومكم في دينهم، فاعتزلوهم بأبدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرا (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي يسبل عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه وكنفه ويجعل عاقبة أمركم إلى خير كما جاء في الحديث: "اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة" (٢) ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي أووا إليه وأن بابه موجه إلى نحو الشمال وأعماقه إلى جهة القبلة وذلك أنفع

(١) اختلف في اسمه قيل: فعن علي: ريان، وابن عباس "قطمير. وعبد الله بن سلام: بسيط. وهب: نقيا. (٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ / ١٨١ عن هيثم بن خارجة ثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حليس قال سمعت أبي يحدث عن بسر بن أبي أرطاة القرشي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو. وذكر الحديث. [*]

[١٣٦]

الاماكن أن يكون المكان قريبا وبابه نحو الشمال فقال: (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) وقرئ تزور: (عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فأخبر أن الشمس يعني في زمن الصيف وأشباهه تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي ثم تشرق في الخروج منه قليلا قليلا وهو ازوارها (١) ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار ثم إذا تضيفت للغروب تشرق في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا إلى حين الغروب كما

هو المشاهد يمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (٢) (وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله) أي بقاؤهم على هذه الصفة دهورا طويلا من السنين لا يأكلون ولا يشربون ولا تتغذى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يظلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) [الكهف: ١٦ - ١٨] قال بعضهم لان أعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب إلى جنب (٣) ويحتمل أكثر من ذلك فالله أعلم (وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد) قال شعيب الجبائي اسم كلبهم حمران، وقال غيره الوصيد اسكفة الباب. والمراد أن كلبهم، الذي كان معهم وصحبهم حال انفرادهم من قومهم، لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل رضى على بابه ووضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما أكرموا به فإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم بقائهم لان من أحب قوما سعد بهم فإذا كان هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للاكرام. وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبرا طويلا أكثره متلقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب ومما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه. وأما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بأرض أيلة. وقيل بأرض نينوى. وقيل بالبلقاء وقيل ببلاد الروم وهو أشبه. والله أعلم. ولما ذكر الله تعالى ما هو الانفع من خبرهم والاهم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب إلى جنب وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. قال:

(١) ازورها: الزور الميل، تزاور: تتنحى وتميل والازور في العين: المائل النظر إلى ناحية ومن اللفظة قال عنتره: فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا إلى بعبرة وتحمحم (٢) قال الزجاج: كان ازورار الشمس عن الكهف فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف. قال: ولو كان الامر عاديا مألوفاً فلم يكن ذلك من آيات الله، علما أن الله تعالى أخبر أنهم كانوا في متنوع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء : فالمعنى أنه بقدرته منع وصول ضوء الشمس : وهو ذلك التزاور والميل. (انظر القرطبي - تفسير الرازي). (٣) قال الرازي: " وأقول هذا عجب لانه تعالى لما قدر على أن يمسخ حياتهم مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فلم لا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تقليب ؟ ". [*]

[١٣٧]

(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) أي لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه ولعل الخطاب ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله: (فلما يكذبك بعد بالدين) [التين: ٧] أي أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهيبة غالبا ولهذا قال: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة كما جاء في الحديث، لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب. ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم (١) لبعض: (كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) [الكهف: ١٩] أي بدراهمكم هذه يعني التي معهم إلى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (٢) (فلينظر أيها أركى طعاما) أي أطيب (٣) (مالا فليأتكم برزق منه) أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم وورعهم (وليتلطف) أي في دخوله إليها (ولا يشعرون بكم أحدا أنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) أي إن عدتم في ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا

يوما أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة وقد تبدلت الدول أطورا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيدوسيس (٤) فيما قيل وجاء إلى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من أهلها واستغربوا شكله وصفته ودراهمه، فيقال إنهم حملوه إلى متوليهم، وخافوا من أمره أن يكون جاسوسا أو تكون له صولة يخشون من مضرتها، فيقال إنه هرب منهم، ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوانه فأخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أن هذا أمر قدره الله فيقال إنهم استمروا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك. وأما أهل البلدة فيقال إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار وعمى الله عليهم أمرهم، ويقال لم يستطيعوا دخوله حسا (٥) ويقال مهابة لهم.

(١) قال الطبري وصاحب بدائع الزهور: الغائل هو: يملخا. (٢) في بدائع الزهور لابن إياس: إفسوس من أرض رومية ولما جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس. (٣) أزكى: أطيب؛ والطعام الطيب هنا والمزكى: البعيد عن الغصب؛ وقال ابن إياس هو الطعام الذي لا يوضع به شئ من شحم الخنزير. وقال ابن عباس: أحل ذبيحة. (٤) تقدم التعليق أن اسمه يملخا؛ وفي الطبري أن تيدوسيس هو الملك الذي كان على المدينة حين قيامهم. وقال المسعودي: اسم الملك: أوالس. (٥) قوله "حسا" كذا بالأصول ولعل المراد: جينا أو تحسبا. [*]

[١٢٨]

واختلفوا في أمرهم فقائلون يقولون (ابنوا عليهم بنيانا) أي سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا: (لنتخذن عليهم مسجدا) أي معبدا يكون مباركا لمجاورته هؤلاء الصالحين. وهذا كان شائعا فيمن كان قبلنا، فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (١) يحذر ما فعلوا وأما قوله: (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) [الكهف: ٢١] فمعنى أعتزنا أطلعنا على أمرهم الناس. قال كثير من المفسرين ليعلم الناس أن المعاد حق، وأن الساعة لا ريب فيها. إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم، فإن من أبقاهم كما هم، قادر على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رفاتا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس: ٨٢]. هذا ويحتمل عود الضمير في قوله ليعلموا إلى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم، ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم. ثم قال تعالى: (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فذكر اختلاف الناس في كميتهم فحكى ثلاثة أقوال وضعف الأولين وقرر الثالث فدل على أنه الحق إذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه فدل على ما قلناه (٢) ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم. ولهذا قال: (قل ربي أعلم بعدتهم) وقوله: (وما يعلمهم إلا قليل) أي من الناس (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أي سهلا ولا تتكلف أعمال الجدل في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم أحدا من الرجال ولهذا أبهم تعالى عدتهم في أول القصة فقال: (إنهم فتية آمنوا بربهم) ولو كان في تعيين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة وقوله تعالى: (ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن

بشاء الله وإذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا (رشدا) [الكهف: ٢٣ - ٢٤] أدب عظيم أرشده الله تعالى إليه وحث خلقه عليه وهو ما إذا قال أحدهم إنني سأفعل في المستقبل كذا، فيشرع له أن يقول: إن شاء الله ليكون ذلك تحقيقا لعزمه، لأن العبد لا يعلم ما في غد ولا

(١) أخرجه مسلم في ٥ كتاب المساجد - ٣ باب ١٩ / ٥٢٩ عن عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه من عدة طرق عن أبي هريرة وابن عباس، وأخرجه البخاري حديث رقم: ٢٨٥ و ٢٨٧. (٢) ذكرهم الطبري قال: قال ابن إسحاق عدد الفتية ثمانية وكلهم تاسعهم سماهم: مكسملينا - محسملينا - يملخا - مرطوس - كسوطونس - بيرونيس - رسمونس - بطونس - قالوس. (٢ / ٤٠ دار قاموس حديث). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كانوا سبعة واسماؤهم: مكسملينا - يملخا - مسليتنا - مرنوس - دبرنوس - ساونوس. والسابع الراعي / تفسير الرازي. [*]

[١٣٩]

يدري أهذا الذي عزم عليه مقدر أم لا، وليس هذا الاستثناء تعليقا وإنما هو الحقيقي ولهذا قال ابن عباس يصح إلى سنة ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منه غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له. قال: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحدث وكان دركا لحاجته " (١). وقوله: (واذكر ربك إذا نسيت) وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه. وقوله: (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي إذا اشتبه أمر، وأشكل حال، والتبس أقوال الناس في شئ فارغب إلى الله ببسره لك ويسهله عليك ثم قال: (ولبتوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا). لما كان في الاخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيدة بالقمريّة وهي لتكميل ثلاثمائة شمسية فإن كل مائة قمريّة تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أي إذا سئلت عن مثل هذا وليس عندك في ذلك نقل فرد الأمر في ذلك إلى الله عزوجل (له غيب السموات والأرض) أي هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه (أبصر به وسمع) يعني أنه يضع الأشياء في محالها لعلمه التام بخلقها وبما يستحقونه ثم قال: (ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) أي ربك المنفرد بالملك والمنصرف وحده لا شريك له. قصة الرجلين المؤمن والكافر قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف: (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين أت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا - إلى قوله - هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) [الكهف: ٢٢ - ٤٤]. قال بعض الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعا والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله: (واضرب لهم مثلا) يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدراؤهم بهم وافتخارهم عليهم كما قال تعالى: (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) [يس: ١٣] كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا (٢) ويقال إنه كان لكل

(١) أخرجه البخاري في كفارات ٩ - والایمان ٣ وأخرجه مسلم في كتاب الايمان ٢٢، ٢٤ والترمذي في النذور ٧ والنسائي في الايمان ٤٣ وابن ماجه في الكفارات ٦ ومالك في الموطأ نذور (١٠) وأحمد في مسنده ج ٢ / ٣٧٥. (٢) قيل من بني اسرائيل أحدهما كافر اسمه براطوس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا. وقيل هما المذكوران في سورة = [*]

[١٤٠]

منهما مال فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله ومرصاته ابتغاء وجهه. وأما الكافر فإنه اتخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعمة المذكور. فيهما أعناب ونخيل تحف تلك الاعناب والزروع في ذلك والانهار سارحة ههنا وههنا للسقي والتزده، وقد استوثقت فيهما الثمار، واضطربت فيهما الانهار، وابتهجت الزروع والثمار وافتخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً له: (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي أوسع جناها. ومراده: أنه خير منه ومعناه: ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان الاولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي فافتخر على صاحبه: (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي وهو على غير طريقة مرضية قال: (ما أظن أن تبدي هذه أبدا) وذلك لما رأى من اتساع أرضها، وكثرة مائها، وحسن نبات أشجارها ولو قد بادت كل واحدة من هذه الاشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دارة لكثرة مياهها. ثم قال: (وما أظن الساعة قائمة) فوتق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة. ثم قال: (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) أي ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلاجدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بديناه. واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها. إلا لحبه له: وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت في قوله: (أفأريت الذي كفر بأياتنا) وقال: (لاوتين مالا وولدا. أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) [مريم: ٧٨] وقال تعالى إخباراً عن الانسان إذا أنعم الله عليه (ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) [فصلت: ٥] قال الله تعالى: (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) [فصلت: ٥٠] وقال فاروق: (إنما أوتيته على علم عندي) [القصص: ٧٨] أي لعلم الله بي أنني أستحقه قال الله تعالى: (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) [القصص: ٧٨] وقد قدمنا الكلام على قصته في أثناء قصة موسى. وقال تعالى: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تفريكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) [سبأ: ٢٧]. وقال تعالى: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) [المؤمنون: ٥٥]. ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به في الدنيا فجحد الآخرة وادعى أنها إن وجدت ليجدن عند ربه خيراً مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له: (وهو يحاوره) أي يجادله (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) [الكهف: ٢٧] أي أجدت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب. ثم من نطفة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلاً سويًا سميعاً بصيراً تعلم وتبطنش وتفهم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداء (لكننا هو الله ربي) أي لكن أنا أقول بخلاف ما قلت

= الصافات (قال قائل منهم..) وهما: من أهل مكة: أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي المؤمن والاسود بن عبد الاسود، الكافر - (انظر القرطبي - تفسير الرازي). [*]

وأعتقد خلاف معتقدك (هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) أي لا أعبد سواه. وأعتقد أنه يبعث الاجساد بعد فنائها، وبعيد الاموات، ويجمع العظام الرفات، وأعلم أن الله لا شريك له في خلقه ولا في ملكه ولا إله غيره، ثم أرشده إلى ما كان الاولي به أن يسلكه عند دخول جنته فقال: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) [الكهف: ٣٩] ولهذا يستحب لكل من أعجبه شئ من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع في صحته نظر (١). قال أبو يعلي الموصلي: حدثنا جراح بن مخلد، حدثنا عمرو بن يوسف، حدثنا عيسى بن عون، حدثنا عبد الملك بن زرارة، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله " (٢) فيرى فيه أنه دون الموت وكان يتأول هذه الآية: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ أبو الفتح الأزدي عيسى بن عون: عن عبد الملك بن زرارة، عن أنس لا يصح. ثم قال المؤمن للكافر: (فغسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك) أي في الدار الآخرة (ويرسل عليها حسباناً من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة أي عذاباً من السماء. والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذي يقتلع زروعها وأشجارها (فتصبح صعيداً زلقاً) وهو التراب الاملس الذي لا نبات فيه (أو يصبح ماؤها غورا) وهو ضد المعين السارح (فلن تستطيع له طلباً) يعني فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى: (وأحيط بثمره) أي جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها) [الكهف: ٤٢] أي خربت بالكلية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أمل حيث قال: (وما أظن أن تبدي هذه أبدا) وندم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول: (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا). قال الله تعالى: (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هناك) [الكهف: ٤٣] أي لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره وما كان له قدرة في نفسه على شئ من ذلك كما قال تعالى: (فما له من قوة ولا ناصر) [الطارق: ١٠] وقوله: (الولاية لله الحق) ومنهم من يبتدئ

(١) عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي موسى ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة، قلت بلى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله أخرجه مسلم. وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله.. " قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه أبو داود وابن ماجه في سننهما. (٢) روى الطبراني عن عتبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. وروى ابن ماجه عن محمد بن الحسن الخلال عن أنس، قال قال رسول الله: " ما أنعم الله على عبد فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطي أفضل مما أخذه " رواه في ثواب التسبيح. [*]

بقوله: (هنالك الولاية لله الحق) وهو حسن أيضا لقوله: (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) [الفرقان: ٢٦] فالحكم الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب في تلك الحال، وفي كل حال لله الحق. ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية وهما متلازمتان وقوله: (هو خير ثواباً وخير عقاباً) [الكهف: ٤٤] أي معاملته خير لصاحبها ثواباً وهو الجزاء وخير عقاباً وهو العقاب في الدنيا والآخرة. وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يفتخر بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والانفاق في سبيله عذاب به، وربما

سلب منه معاملة له بنقيض قصده. وفيها أن الواجب قبول نصيحة الاخ المشفق وأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة. وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الامر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان. قصة أصحاب الجنة قال الله تعالى: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لصالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) [القلم: ١٧ - ٣٣]. وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم فقابلوه بالتكذيب والمخالفة كما قال تعالى: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها ويئس القرار) [إبراهيم ٢٨ - ٢٩]. قال ابن عباس هم كفار قريش فضرب تعالى لهم مثلا بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تجد وهو الصرام (١) ولهذا قال: (إذ أقسموا) فيما بينهم (ليصرمنها) أي ليجدنها وهو الاستغلال (مصبحين) أي وقت الصبح حيث لا يراهم فقير ولا محتاج فيعطوه شيئا فخلفوا على ذلك، ولم يستثنوا في يمينهم، فعجزهم الله وسلط عليها الآفة التي أحرقتها وهي السفعة (٢) التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئا ينتفع به ولهذا قال: (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت

(١) الصرام: يقال قد صرم العذق عن النخلة، وأصرم النخل إذا حان وقت صرامه، أي قطعه وقطاف ثمره. (٢) السفعة: العين؛ المراد بها هنا عذاب، وقيل إن الطائف هو جبريل فاقتلها فأصبحت الجنة كالصريم؛ وقال الكلبي: إن الله أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون. [*]

[١٤٢]

كالصريم) أي كالليل الاسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بنقيض المقصود (فتنادوا مصبحين) أي فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضا قائلين: (أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي باكروا إلى بستانكم فاصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين: (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أي اتفقوا على هذا واشتوروا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أي انطلقوا مجددين في ذلك قادرين عليه، مضمريين على هذه النية الفاسدة. وقال عكرمة والشعبي: (وغدوا على حرد) أي غضب على المساكين، وأبعد السدي في قوله أن اسم حرثهم حرد (فلما رأوها) أي وصلوا إليها، ونظروا ما حل بها، وما قد صارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة، والحسن والبهجة فانقلبت بسبب النية الفاسدة فعند ذلك (قالوا إنا لصالون) أي قد نهينا عنها، وسلكنا غير طريقها ثم قالوا: (بل نحن محرومون) أي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرماننا بركة (١) حرثنا (قال أوسطهم). قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل يستثنون، قاله مجاهد والسدي وابن جرير وقيل تقولون خيرا بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين). فندموا حيث لا ينفع الندم، واعترفوا بالذنب بعد العقوبة، وذلك حيث لا ينجع وقد قيل: إن هؤلاء كانوا أخوة وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم، وكان يتصدق منها كثيرا، فلما صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم،

وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً، فعاقبهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار، وحث على ذلك يوم الجداد كما قال تعالى: (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) [الانعام: ١٤١] ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان (٢). وقيل من أهل الحبيشة والله أعلم قال الله تعالى: (كذلك العذاب) أي هكذا نعدب من خالف أمرنا ولم يعطف على المحاويع من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أي أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) [القلم: ٣٣]. وقصة هؤلاء شبيهه بقوله تعالى: (ضرب (٣) الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

(١) روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والمعاصي إن العيد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيئ له - ثم تلا - (فطاف عليها طائف من ربك) الأيتين. (٢) ضروان من أرض اليمن على فرسخ من صنعاء. (٣) سورة النحل الآية ١١٢ ونصها: (وضرب الله.. قالوا فيها: ضرب الله مثلا لاهل مكة لما خرجوا إلى بدر حلفوا على أن يقتلوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وإذا رجعوا إلى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمر، فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا. وقيل هو وعظ لاهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم : (انظر تفسير القرطبي - تفسير الرازي). [*]

[١٤٤]

فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون] [النحل: ١١٢ - ١١٣] قيل هذا مثل مضروب لاهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلا لأنفسهم ولا ينافي ذلك والله أعلم اه. قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في سبتهم قال الله تعالى في سورة الاعراف: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسببون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون. فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) [الاعراف: ١٦٣ - ١٦٦] وقال تعالى في سورة البقرة: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلنا نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) [البقرة: ٦٥ - ٦٦] وقال تعالى في سورة النساء: (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) [النساء: ٤٧]. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم هم أهل أيلة. زاد ابن عباس بين مدين والطور. قالوا وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم، وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع الصنائع، والتجارات، والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لمحلتهم من البحر، فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة، فلا يهيجونها ولا يذعرونها (ويوم لا يسببون لا تأتيهم) وذلك لانهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت قال الله تعالى: (كذلك نبلوهم) أي نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرة للناظر، وهي في الباطن

مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين. فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان. وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا: (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) يقولون ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا: (معذرة إلى ربكم) أي فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقوم به خوفا من عذابه (ولعلمهم يتقون) أي لعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيمهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا

[١٤٥]

واستمعوا. قال الله تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به) أي لم يلتفتوا إلى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفطيع (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بعذاب نبئس) وهو الشديد المؤلم الموجه (بما كانوا يفسقون). ثم فسر العذاب الذي أصابهم في قوله: (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين). وسنذكر ما ورد من الآيات في ذلك والمقصود هنا أن الله أخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين. وقد اختلف فيهم العلماء على قولين: فقيل إنهم من الناجين وقيل إنهم من الهالكين، والصحيح الأول عند المحققين وهو الذي رجح إليه ابن عباس إمام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاه عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سنية تكرمه. قلت وإنما لم يذكرها مع الناجين لأنهم وإن كرهوا ببواطنهم تلك الفاحشة، إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الإنكار القولي الذي هو أوسط المراتب الثلاث: التي أعلاها الإنكار باليد ذات البنان، وبعدها الإنكار القولي باللسان، وثالثها الإنكار بالجنان. فلما لم يذكروا نجوا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروها. وقد روى عبد الرزاق: عن ابن جريج، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس وحكى مالك: عن ابن رومان، وشيبان عن قتادة وعطاء الخراساني ما مضمونه: أن الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم، فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم، ويغلقون بينهم وبينهم أبوابا حاجزا لما كانوا يترقبون من هلاكهم فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضياء فأمر بقية أهل البلد رجلا أن يصعد على سلالم، ويشرف عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذنان يتعاونون ويتعادون ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم، فجعلوا يلوذون بهم ويقولون لهم الناهون: ألم نهكم عن صنيعكم فتشير القردة برؤوسها أن نعم. ثم بكى عبد الله بن عباس وقال: إنا لنرى منكرات كثيرة. ولا ننكرها ولا نقول فيها شيئا. وقال العوفي عن ابن عباس: صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير. وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس: أنهم لم يعيشوا إلا فوفا ثم هلكوا ما كان لهم نسل وقال الضحاك عن ابن عباس أنه لم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا، وقد استقصينا الآثار في ذلك في تفسير سورة البقرة والأعراف. والله الحمد والمنة. وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وإنما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) [الجمعة: ٥] وهذا صحيح إليه وغريب منه جدا ومخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم. قصة أصحاب القرية (إذ جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام.

قصة سبأ سيأتي ذكرها في أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة. قصة قارون وقصة بلعام تقدمتا في قصة موسى. وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها في ضمن قصة موسى و (قصة البقرة) تقدمت في قصة موسى. وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) في قصة حزقيل. وقصة (الملا من بني إسرائيل من بعد موسى) في قصة شمويل. وقصة (الذي مر على قرية) في قصة عزيز. قصة لقمان قال تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد. وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأتي بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وإصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختار فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير) [القمان: ١٢ - ١٩] هو لقمان بن عنقاء بن سدون (١). ويقال لقمان بن ثاران (٢) حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتبي. قال السهيلي وكان نوبيا من أهل أيلة. قلت وكان رجلا صالحا ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة. ويقال كان قاضيا في زمن داود عليه السلام فإله أعلم. وقال سفيان الثوري عن الاشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان عبدا حبشيا نجارا (٣). وقال قتادة: عن عبد الله بن الزبير: قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم في شأن لقمان ؟ قال: كان قصيرا أظطس من النوبة. وقال:

(١) في مروج الذهب: لقمان بن عنقاء بن مريد بن صاوون. وكان نوبيا مولى للقيين بن جسر (٢) قال ابن قتيبة في المعارف: كان اسم ابنه ثاران. وفي القرطبي: قال السهيلي: اسم ابنه ثاران في قول الطبري والقتبي. (٣) في المعارف: عن سعيد بن المسيب: كان خياطاً، وزاد: كان عبدا حبشيا. [*]

يحيى بن سعيد الانصاري: عن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة (١). وقال الازاعي حدثني عبد الرحمن بن حرمة قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر. وقال الأعمش عن مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وفي رواية مصفح القدمين. وقال عمر بن قيس: كان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فاتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم فقال له: ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى ؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي يزيد بن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته، فرأه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألسنت عبد ابن فلان الذي كنت ترعى غنمي بالامس ؟ قال: بلى قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال: قدر الله وأداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني. وقال ابن وهب:

أخبرني عبد الله بن عياش الفتياني عن عمر مولى عفرة، قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان أنت عبد بني النحاس؟ قال: نعم قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟ قال: أما سوادى فظاهر فما الذي يعجبك من أمرى قال وطئ الناس بساطك وغشيتهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال: ما هو؟ قال لقمان: غصي بصري وكفي لسانى، وعفة مطمعي، وحفظي فرجى، وقيامى بعدتي، ووفائى بعهدى، وتكرمتى ضيفى، وحفظى جارى، وتركى ما لا يعينى، فذاك الذى صيرنى كما ترى. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عمرو بن واقد، عن عبدة بن رياح، عن ربيعة، عن أبي الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال: ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب، ولا خصال ولكنه كان رجلا ضمضامة، سكتا طويل التفكير، عميق النظر، لم ينم نهارا قط، ولم يره أحد يبزق، ولا يتنحج، ولا يبول، ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعيث، ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان وبأبي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي. ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه وفي هذا نظر. والله أعلم. وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير

(١) وفي المعارف: روى يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان لقمان نبيا. وعلق صاحب المعارف: ولم يكن نبيا في قول أكثر الناس. وفي بدائع ابن إياس عن وهب بن منبه قال: كان من الأنبياء ثلاثة سود الألوان: لقمان وذو القرنين ونبي الله صاحب الأخدود. ج ١ ص ٢٥٠. [*]

[١٤٨]

من طريق وكيع عن إسرائيل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال كان لقمان نبيا وهذا ضعيف لحال الجعفي. والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا، وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه، وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو أحب الخلق إليه، وهو أشفق الناس عليه فكان من أول ما وعظ به أن قال: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان: ١٣]. فنهاه عنه وحذره منه. وقد قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير: عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) [الانعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أبنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليس بذاك ألم تسمع إلى قول لقمان: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به. ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتأكده، وأمر بالاحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين، ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما إلى أن قال مخبرا عن لقمان فيما وعظ به ولده (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) [لقمان: ١٦] [ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبة خردل فإن الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها في الميزان كما قال تعالى: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) وقال تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء: ٤٧] وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحقارة كالخردلة، ولو كان في جوف صخرة صماء، لا باب لها ولا كوة، أو لو كانت ساقطة في شئ من ظلمات الأرض أو السموات في اتساعهما وامتداد أرجائهما، لعلم الله مكانها (إن الله لطيف خبير) أي

علمه دقيق فلا يخفى عليه الذر مما ترا أي للنواظر، أو توارى كما قال تعالى: (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) [الانعام: ٥٩] وقال: (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) [النمل: ٧٥] وقال: (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) [سبأ: ٣] وقد زعم السدي في خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة، الصخرة التي تحت الأرضين السبع وهكذا حكى عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمر وغيرهم وفي صحة هذا القول من أصله نظر. ثم إن في هذا المراد نظر آخر فإن هذه الآية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال فتكن في الصخرة وإنما المراد فتكن في صخرة كانت كما قال الامام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله

[١٤٩]

للناس كأننا ما كان " (١) ثم قال: (يا بني أقم الصلاة) أي أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطأينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما ينهى عنه فيها. ثم قال: (وامر بالمعروف وإنه عن المنكر) أي بجهدك وطاقتك أي إن استطعت باليد فباليد، وإلا فبلسانك فإن لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال (واصبر علي ما أصابك) وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مظنة أن يعادى وينال منه، ولكن له العاقبة، ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله: (إن ذلك من عزم الأمور) التي لا بد منها ولا محيد عنها. وقوله: (ولا تصعر خدك للناس) [لقمان: ١٨] قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ويزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم لك علي وجه التكبر عليهم والازدراء لهم. قال أهل اللغة وأصل الصعر داء يأخذ الأبل في أعناقها فتلتوي رؤوسها فشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كلم الناس أو كلموه على وجه التعظم عليهم. قال أبو طالب في شعره: وكنا قديما لا نقر ظلامه * إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيما وقال عمرو بن حبي (٢) التغلبي: وكنا إذا الجبار صعر خده * أقمنا له من ميله فتقوما (٣) وقوله: (ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [الاسراء: ٣٧]. يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه، ولست بدقك الأرض برجلك تخرق الأرض بوطئك عليها، ولست بتشامخك وتعاطمك وترفعك تبلغ الجبال طولا، فأتد على نفسك فلست تعدو قدرك. وقد ثبت في الحديث بينما رجل يمشي في برديه يتبختر فيهما، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة (٤)

(١) مسند أحمد ٣ / ٢٨. (٢) في القرطبي: حنى التغلبي. (٣) قال ابن عطية: تقوما خطأ لأن قافية الشعر مخفوضة وقيله في معجم الشعراء للمرزياني: تعاطى الملوك الحق ما قصدوا بنا * وليس علينا قتلهم بمجرم وقال المرزياني وهذا البيت - بيت الشاهد ؛ يروى من قصيدة المتلمس التي أولها: يعيرني أمي رجال ولن ترى * أبا كرم إلا بأن يتكرما (٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس (٥) وكتاب الأنبياء (٥٤) ومسلم في كتاب اللباس ٤٩ - ٥٠ والنسائي في الزينة (١٠١) وابن ماجه في الفتن ٢٢ والدارمي في المقدمة (٤٠) وأحمد في مسنده ٢ / ٦٦ - ٦٧ - ٢١٥ - ٢٩٠ - ٤١٢، ٤٥٦، ٤٦٧، ٥٣١، ٤٠ / ٣. [*]

وفي الحديث الآخر: " إياك وإسبال الأزار فإنها من المخيلة لا يحبها الله " (١) كما قال في هذه الآية: (إن الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه، فإنه لا بد له أن يمشي فنهاه عن الشر وأمره بالخير، فقال: (واقصد في مشيك) أي لا تتباطأ مفرطاً ولا تسرع إسراعاً مفرطاً ولكن بين ذلك قواماً كما قال تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) [الفرقان: ٦٣] ثم قال: (واقض من صوتك) [لقمان: ١٩] يعني إذا تكلمت لا تتكلف رفع صوتك، فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير. وقد ثبت في الصحيحين الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل فإنها رأت شيطانا (٢)، ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة إليه، ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت، وتخميم الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما رفع الصوت بالأذان، وعند الدعاء إلى الفتن للقتال، وعند الأهلak ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة الجامعة للخير المانعة من الشر وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى. قال الامام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، أخبرني زهير بن يحيى عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئا حفظه " (٣). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان، عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخونة بالليل مذمة بالنهار ". وقال أيضا: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عمارة، حدثنا ضمرة، حدثنا السري بن يحيى قال لقمان لابنه: " يا بني إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك " وحدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا عبد الرحمن المسعودي، عن عون بن عبد الله، قال قال لقمان لابنه: يا بني إذا أتيت نادي قوم فادهمم بسهم الاسلام - يعني السلام - ثم اجلس بناحتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فاجل سهمك معهم، وإن

أخرجه أحمد في مسنده ٤ / ٦٥، ٥ / ٦٣، ٦٤، ٣٧٨ وأخرجه أبو داود في سننه كتاب اللباس باب ٢٤. (٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (١٥) وأبو داود في كتاب الادب (١٠٦) والترمذي في كتاب الدعوات (٥٦). أقول في الآية: - دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحة بقبح أصوات الحمير لانها عالية. - هذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٨٧. [*]

أفاضوا في غير ذلك فحول عنهم إلى غيرهم: وحدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا ضمرة، عن حفص بن عمر، قال وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبه وجعل يعط ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال: يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن ابن سفيان المقدسي، عن خليفة بن سلام، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم

من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن " قال الطبراني يعني الحبشي وهذا حديث غريب منكر. وقد ذكر له الامام أحمد في كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جملة فقال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن رجل عن مجاهد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال الفقه والاصابة في غير نبوة. وكذا روي عن وهب بن منبه، وحدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدا حبشيا. وحدثنا أسود، حدثنا حماد، عن علي بن يزيد، عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطا (١). وحدثنا سياد، حدثنا جعفر، حدثنا مالك يعني ابن دينار قال: قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الارياح من غير بضاعة. وحدثنا يزيد، حدثنا أبو الأشهب عن محمد بن واسع، قال كان لقمان يقول لابنه: يا بني اتق الله ولا تري الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. وحدثنا يزيد بن هرون، ووكيع قالا: حدثنا أبو الأشهب، عن خالد الربيعي، قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال ائتنني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب، فقال [له] (٢): أما كان فيها شئ أطيب من هذين. قال: لا. قال: فسكت عنه ما سكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له: وألتي أخبثها مضغتين فرمى باللسان والقلب. فقال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال له: إنه ليس شئ أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا (٣). وحدثنا داود بن رشيد، حدثنا ابن المبارك، حدثنا معمر، عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال: قال لقمان لابنه: لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك. وحدثنا داود بن أسيد، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن

(١) أنظر كتاب المعارف لابن قتيبة: رواه عن يزيد بن هارون عن حماد به. ص ٢٥. (٢) زيادة من تفسير القرطبي. (٣) في هذا المعنى رفع أكثر من حديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت الجسد كله ألا وهي القلب " وجاء في اللسان قوله صلى الله عليه وسلم: " من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ؛ ما بين لحييه ورجليه ". [*]

[١٥٢]

شريح بن عبيد الحضرمي، عن عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: ألا أن يد الله على أفواه الحكماء، لا يتكلم أحدهم إلا ما هيا الله له. وحدثنا عبد الرزاق: سمعت ابن جريج قال: كنت أقنع رأسي بالليل، فقال لي عمر: أما علمت أن لقمان قال: القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تقنع رأسك بالليل ؟ قال: قلت له: إن لقمان لم يكن عليه دين. وحدثني حسن بن الجنيدي، حدثنا سفيان قال لقمان لابنه: يا بني ما ندمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وحدثنا عبد الصمد ووكيع قالا: حدثنا أبو الأشهب، عن قتادة أن لقمان قال لابنه: يا بني اعتزل الشر يعتز لك فإن الشر للشر خلق. وحدثنا أبو معاوية: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب، فإن الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحكم كما يزيل الطرب، يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم. قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة، عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عزوجل فاجلس معهم فإنك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غيبا يعلموك وإن يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه، فإنك إن تك عالما لا ينفعك

علمك، وإن تك غيبا يزيدوك غيبا وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تغيظوا أمراء رجب الذراعين يسفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قاتلا لا يموت. وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال مكتوب في الحكمة: بني لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة: "الرفق رأس الحكمة" وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب في الحكمة: "كما تزرعون تحصدون" وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك و خليلك أبيك. وحدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: قيل للقمان أي الناس أصبر؟ قال: صبر لا يتبعه أذى. قيل فأأي الناس أعلم؟ قال من ازداد من علم الناس إلى علمه. قيل فأأي الناس خير قال الغني. قيل الغني من المال قال لا ولكن الغني الذي إذا التمس عنده خير وجد وإلا أغنى نفسه عن الناس. وحدثنا سفيان هو ابن عيينة قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسينا. وحدثنا أبو الصمد، عن مالك بن دينار قال: وجدت في بعض الحكمة يبدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت فإن مثل ذلك رجل احتطب حطبا فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليه أخرى. وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا الحكم بن أبي زهير، وهو الحكم بن موسى، حدثنا الفرغ بن

[١٥٢]

فضالة، عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه: يا بني لا يأكل طعامك إلا الاتقياء وشاور في أمرك العلماء. وهذا مجموع ما ذكره الامام أحمد في هذه المواضع وقد قدمنا من الآثار كثيرا لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة قال: خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة. قال: فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها. قال سعد سمعت قتادة يقول: قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة (١) لرجوت فيه الفوز منه (٢)، ولكن أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي. وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه، والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: (ولقد أتينا لقمان الحكمة) قال يعني الفقه والاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح إليه. وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف (٣) منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم. قصة أصحاب الاخدود قال الله تعالى: (والسماوات ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) [البروج: ١ - ١٠]. قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسيره هذه السورة والله الحمد. وقد زعم محمد بن إسحاق: أنهم كانوا بعد مبعث المسيح، وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله. وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكر في العالم مرارا في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع، وأثر أورده ابن إسحاق، وهما متعارضان وها نحن نوردتهما لتقف عليهما. قال الامام أحمد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إنني قد كبرت سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاما فلاعلمه

(١) عزيمة: عزائم الله فرائضه التي أوجبها على عباده. (٢) في تفسير القرطبي: لرجوت فيها العون منه. (٣) قال ابن عطية: عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثيرا التفكر حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق. فقال: رب، إن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء ؛ وإن عزمت علي فسمعا وطاعة ". [*]

[١٥٤]

السحر فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر، قال فيينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة (١) فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب ؟ قال: فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، وربماها فقتلها، ومضى [الناس] فأخبر الراهب بذلك. فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرى وسائر الادواء ويشفيهم الله على يديه، وكان جليس للملك فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما ههنا اجمع فقال: ما أنا اشفي أحدا، إنما يشفي الله عزوجل، فإن آمنت به ودعوت الله شفاك فأمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال: ربي قال: أنا. قال: لا ربي، وربك الله قال: ولك رب غيري ؟ قال: نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام [فبعث إليه] فأتى به فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الاكمه والابرى وهذه الادواء، قال: ما أشفي أنا أحدا إنما يشفي الله عزوجل، قال: أنا قال: لا قال: أو لك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله. قال: فأخذه أيضا بالعذاب، ولم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى الراهب فقال: أرجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه وقال للاعمى أرجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه [في الارض] وقال للغلام، أرجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهوه [من فوقه] فذهبوا به فلما علوا الجبل قال: اللهم أكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل، فدههوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله، فبعث به مع نفر في قرقرة (٢) فقال: إذا لججتم البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم أكفنيهم بما شئت [فانكفأت بهم السفينة] (٣) فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله [عزوجل] ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتنني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي قال: وما هو قال تجمع الناس في

(١) في الترمذي: أن الدابة كانت أسدا. (٢) قرقرة: وفي المسند وصحيح مسلم قرقر وهو الصواب، والقرقر: السفينة الصغيرة. (٣) من صحيح مسلم. [*]

[١٥٥]

صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي (١). ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنني، ففعل ووضع السهم في كبد القوس، ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوق وقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات (٢) فقال الناس: أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام، فقيل للملك: رأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فحفر فيها الاخاديد وأضمرت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأفحموه فيها، وقال: فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون (٣) فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكانتها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على الحق " (٤) كذا رواه الامام أحمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت به. ورواه الترمذي من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن ثابت بإسناده نحوه وجرده إيراده كما بسطنا ذلك في التفسير. وقد أورد محمد بن إسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيمون، ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا رجل نزلها فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم، فوجد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الاسلام، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم، وكان يعلمه فكنمه إياه، وقال له: يا بن أخي إنك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه، والتامر لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى قذاح (٥) فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قذح لكل اسم قذح، حتى إذا أحصاها أوقد نارا، ثم جعل يقذفها [فيها] قذحا قذحا، حتى إذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقذحه، فوثب القذح حتى خرج منها لم تضره شيئا، فأخذه ثم أتى به صاحبه، فأخبره أنه قد علم

(١) الكنانة: بالكسر: جعبة السهام تتخذ من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها. (٢) في الترمذي: أن الغلام دفن، قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل. (٣) في المسند: يتدافعون. (٤) مسند أحمد ج ٦ / ١٦ - ١٧ - ١٨. وما بين معكوفين في الحديث زيادة من المسند. (٥) قذاح: بالكسر جمع قذح: السهم قبل أن ينصل ويراش. [*]

[١٥٦]

الاسم الاعظم الذي قد كتبه [إياه] فقال: وما هو ؟ قال: كذا وكذا. قال: وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع. قال: أي ابن أخي قد أصبته، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك عما أنت فيه من البلاء [فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على دينه] ؟ ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال [له] أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لامثلن بك. قال: لا تقدر على ذلك. فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح على رأسه، فيقع إلى الارض ما به بأس. وجعل يبعث به إلى مياه بنجران. يحور لا يلقي فيها شئ إلا هلك، فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن

التامر، والله لا تقدر على قتلي حتى توحده الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحده الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعضا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله. وهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه. ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحزاب (١) فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران. قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان. قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده [من حمير] فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل. فاختاروا القتل فخذوا الاخدود، وحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم فقتل منهم قريبا من عشرين ألفا (٢). ففي ذي نواس وجنده أنزل الله على رسوله: (قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود) الآيات [البروج: ٤ - ٥]. وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن الاخدود وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان أنبأنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينة زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، واتخذ أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي العراق في أرض بابل في زمان بخت نصر حين صنع الصنم، وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباة عزريا ومشايل فأوقد لهم أتونا وألقى فيها الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله عليهم بردا وسلاما وأنقذهم منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار وقال اسباط عن السدي في قوله: (قتل أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود

(١) في تفسير القرطبي: الاحداث. (٢) ما بين معكوفين في الخبر من تفسير القرطبي واستدركت لمقتضى السياق. - في القرطبي وابن إسحاق: التامر بالثاء. - ذو نواس: واسمه زرة بن تبان أسعد الحميري. [*]

[١٥٧]

ثلاثة: خد بالشام وخذ بالعراق وخذ باليمن رواه ابن أبي حاتم. وقد استقصيت ذكر أصحاب الاخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج والله الحمد والمنة. بيان للاذن في الرواية عن اخبار بني اسرائيل قال الامام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا همام، حدثنا زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال " حدثوا عني ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ". وقال أيضا: حدثنا عفان، حدثنا همام، أنبأنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال " لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحاه " وقال: " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج حدثوا عني ولا تكذبوا علي قال: " ومن كذب علي - قال همام احسبه قال - متعمدا فليتبوء مقعده من النار " وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث همام ورواه أبو عوانة الاسفراييني عن أبي داود السجستاني عن هدية، عن همام، عن زيد بن أسلم به. ثم قال: قال أبو داود: أخطأ فيه همام، وهو من قول أبي سعيد كذا قال: وقد رواه الترمذي عن سفيان، عن وكيع، عن سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم ببعضه مرفوعا فالله أعلم. قال الامام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، أنبأنا الاوزاعي، حدثنا حسان بن عطية، حدثني أبو كبشة السلولي: أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يقول: " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار ".

ورواه أحمد أيضا عن عبد الله بن نمير، وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعي به. وهكذا رواه البخاري عن أبي عاصم النبيل عن الاوزاعي به. وكذا رواه الترمذي عن بندار عن أبي عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف العربي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية وقال حسن صحيح (١). وقال أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثني - أبو موسى - حدثنا هشام بن معاوية، حدثنا أبي، عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عامة ليلة عن بني إسرائيل حتى نضح ما نقوم فيها إلا لمعظم صلاة ورواه أبو داود عن محمد بن مثني، ثم قال البزار حدثنا محمد بن مثني، حدثنا عفان، حدثنا أبو هلال عن قتادة، عن أبي حسان، عن عمران بن حصين (٢)، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحدثنا عامة ليلة عن بني

(١) حديث: من كذب علي متعمدا.. " متواتر، رواه عن النبي ثمانية وتسعون صحابيا منهم العشرة، ولا يعرف ذلك لغيره فيض القدير ٦ / ٢١٤. وقال المنذري في الترغيب: وهذا الحديث قد روي عن غير واحد من الصحابة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر. والله أعلم ١ / ١١١. روى الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٤٢ باب: فيمن كذب على رسول الله صلى الله عليه من طرقه المختلفة مطولا وعلل رواه وناقليه. (٢) في نسخ البداية المطبوعة حسين وهو تحريف. [*]

[١٥٨]

إسرائيل لا يقوم إلا لمعظم صلات " (١) قال البزار وهشام أحفظ من أبي هلال يعني أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا يحيى، هو القطان، عن محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (٢) إسناد صحيح ولم يخرجوه. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة، حدثنا وكيع، حدثنا ربيع بن سعد الجعفي، عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حدثوا عن بني إسرائيل فإنه قد كان فيهم الاعاجيب " (٣) ثم أنشأ يحدث صلى الله عليه وسلم: قال خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله عزوجل فيخرج لنا رجلا قد مات نسألته يحدثنا عن الموت ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلي فقدمت منذ مائة عام فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت وهذا حديث غريب. إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم، فذاك متروك مردود لا يعرج عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته لما رواه البخاري قائلا: حدثنا محمد بن يسار، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلينا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون " (٣) تفرد به البخاري من هذا الوجه. وروى الامام أحمد من طريق الزهري عن أبي نملة الانصاري، عن أبيه أنه كان جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إذا جاء رجل من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله أعلم " فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وكتبه ورسله فإن

كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم " (٤) تفرد به أحمد. وقال الامام أحمد: حدثنا شريح بن

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٩١ عن عمران بن حصين وفيه: لعظم الصلاة. وقال: رواه البزار وأحمد والطبراني في الكبير وإسناده صحيح. (٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٥١ وقال: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح. (٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٩١ وقال: رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد بن أبي وكيع عن أبيه ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. وفي هامشه قال: " إنما قال البزار حدثنا جعفر بن محمد بن أبي وكيع نا عبد الله بن نمير، ما رأيت فيه عن أبيه - فليحذر هذا - كما في هامش الاصل ". (٤) مسند أحمد ٤ / ١٣٦. [*]

[١٥٩]

النعمان، حدثنا هشيم، أنبأنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال فغضب وقال: " أمتهوكون فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي به لقد جئتكم به بيضاء نفية لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي به لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني " (١). تفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم، فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية، وحرفوها، وأولوها ووضعوها على غير مواضعها، ولا سيما ما يبدونه من المعربات التي لم يحيطوا بها علما وهي بلغتكم فكيف يعبرون عنها بغيرها، ولاجل هذا وقع في تعريبهم خطأ كبير، ووهم كثير، مع ما لهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة ؟ وهذا يتحققه من نظر في كتبهم التي بأيديهم، وتأمل ما فيها من سوء التعبير، وقبيح التبديل والتغيير، وبالله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير. وهذه التوراة التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكره فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم من نظر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها. وهذا كعب الاحبار من أجود من ينقل عنهم وقد أسلم في زمن عمر، وكان ينقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضي الله عنه يستحس بعض ما ينقله لما يصدقه من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده وبالغ أيضا هو في نقل تلك الاشياء التي كثير منها ما يساوي مداده، ومنها ما هو باطل لا محالة. ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا. وقد قال البخاري: وقال أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة. وذكر كعب الاحبار فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (٢). يعني من غير قصد منه. وروى البخاري من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم (٣). وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن

(١) مسند أحمد ج ٢ / ٢٨٧. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد قال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما ١ / ١٧٤. (٢) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي صلى الله عليه

وسلم لا تسألوا أهل الكتاب ص ٨ / ١٦٠ دار الفكر - بيروت. (٢) انظر المرجع السابق.
- قوله لم يشب: أي لم يخلط بغيره. - قوله أحدث: أي أقرب نزولاً. [*]

[١٦٠]

شئ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل (١) والله أعلم. قصة جريح أحد عباد بني إسرائيل قال الامام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين، يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة عيسى بن مريم " (٢) قال وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريح، فابتنى صومعة وتعبد فيها، قال: فذكر بنو إسرائيل عبادة جريح فقالت بغي منهم لئن شئتم لافتتنه فقالوا: قد شئنا ذلك قال فأتته فتمرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنك نفسها من راع كان يؤوي غنمه، إلى أصل صومعة جريح فحملت فولدت غلاما فقالوا ممن؟ قالت من جريح، فأتوه فاستنزروه فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال: ما شأنكم؟ قالوا إنك زنيت بهذه البغي فولدت غلاما فقال وأين هو؟ قالوا هو هذا. قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف إلى الغلام فطعنه باصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك؟ فقال أنا ابن الراعي فوثبوا إلى جريح فجعلوا يقبلونه، وقالوا: نبني صومعتك من ذهب. قال: لا حاجة لي في ذلك ابنوها من طين كما كانت. قال وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه إذ مر بها راكب ذو شارة (٣) فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا؟ قال فترك ثديها، وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله. قال: ثم عاد إلى ثديها فمصه. قال أبو هريرة فكانني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي صنيع الصبي ووضع إصبعه في فيه يمصها. ثم مرت بامة تضرب فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها قال فترك ثديها وأقبل على الأمة فقال اللهم اجعلني مثلها قال فذاك حين تراجع الحديث (٤). فقالت: خلفي (٥) مر الراكب ذو الشارة، فقلت: اللهم اجعل ابني مثله. فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومررت بهذه الأمة فقلت " اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت اللهم اجعلني مثلها (٦) فقال يا أمتاه إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وإن هذه الأمة يقولون: زنت ولم تزن وسيرقت ولم تسرق، وهي تقول حسبني الله. وهكذا رواه البخاري في أحاديث الانبياء وفي المظالم عن مسلم بن إبراهيم ومسلم في كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٩٢ عن أبي الزعرا عن عبد الله وفيه: " وقد أضلوا أنفسهم إما أن يحدثوكم بصدق فتكذبونهم أو باطل فتصدقونهم " رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون. (٢) مسند أحمد ج ٢ / ٣٠٧، ٣٠٨ وأخرجه مسلم في ٤٥ كتاب البر والادب ٢ باب تقديم بر الوالدين ٨ / ٢٥٥٠. (٣) ذو الشارة: الشارة الهيئة واللباس. (٤) صحيح مسلم في ٤٥ كتاب الادب ٢ / ٨ / ٢٥٥٠ والبخاري في أحاديث الانبياء حديث رقم: ٦٥٣. (٥) في صحيح مسلم: حلقى: أي أصابه الله بوجع في حلقه. (٦) هنا: إشارة إلى سلامتها من المعاصي: يعني اللهم اجعلني سالما من المعاصي مثلها كما هي سالمة. [*]

[١٦١]

أخرى وسياق آخر (١). قال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كان جريح يتعبد في صومعته قال: فأتته أمه فقالت يا جريح أنا أمك وكلمني قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلي قال: يا رب أمي وصلاتي،

فاختار صلاته فرجعت، ثم أتته فصادفته يصلي فقالت: يا جريح أنا أمك فكلمني فقال: يا رب أمي وصلاتي فاختر صلاته، فقالت: اللهم هذا جريح وإنه ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى تريحه المومسات. ولو دعت عليه أن يفتتن لافتتن. قال: وكان راع يأوي إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاما فقيل ممن هذا؟ فقالت: هو من صاحب الدير فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره، فنزل إليهم فقالوا سلى هذه المرأة - قال أراه تبسم - قال: ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك؟ قال راعي الضأن قالوا يا جريح نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال: لا ولكن اعيدوه كما كان ففعلوا ورواه مسلم في الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به (٢). سياق آخر قال الامام أحمد (٣) حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان في بني إسرائيل رجل يقال له جريح كان يتعبد في صومعته فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت: أي جريح، أي بني، أشرف علي أكلمك أنا أمك أشرف علي فقال: أي ربي صلاتي وأممي فأقبل علي صلاته، ثم عادت فنادته مرارا فقالت: أي جريح أي بني أشرف علي فقال: أي رب صلاتي وأممي فأقبل علي صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريحه المومسة وكانت راعية ترعى غنما لاهلها ثم تأوي إلى ظل صومعته فأصابت فاحشة فحملت فأخذت. وكان من زنى منهم قتل، فقالوا ممن؟ قالت من جريح صاحب الصومعة فجاؤوا بالفؤوس والمرور، فقالوا: أي جريح أي مرائي؟ أنزل فأبى وأقبل علي صلاته يصلي فأخذوا في هدم صومعته فلما رأى ذلك نزل، فجعلوا في عنقه وعنقها حبلا فجعلوا يطوفون بهما في الناس فوضع أصبعه علي بطنها فقال: أي غلام من أبوك؟ فقال: أبي فلان راعي الضأن، فقبلوه وقالوا إن شئت بنينا لك صومعتك من

(١) تراجع الحديث: معناه أقبلت علي الرضيع تحديته، وكانت، أولا، لا تراه أهلا للحديث، فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته. (٢) صحيح مسلم ٤٥ / ٢ / ٧ / ٢٥٥٠ وأحمد في مسنده ٢ / ٤٢٢. - المومسات: الزواني البغايا المتجاهرات بذلك، الواحدة: مومسة. - ديره: الدير الكنيسة المنقطعة عن العمارة، تنقطع فيها رهبان النصارى لتعبيدهم، وهو بمعنى الصومعة. - مساحيهم: المساحي جمع مسحاة وهي كالمجرفة إلا أنها من حديد. [*]

[١٦٢]

ذهب وفضة قال أعيدوها كما كانت وهذا سياق غريب وإسناده علي شرط مسلم ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه (١). فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهدي عيسى بن مريم عليه السلام وقد تقدم الكلام علي قصته وصاحب جريح ابن البغي من الراعي كما سمعت واسمه يابوس كما ورد مصرحا به في صحيح البخاري والثالث ابن المرأة التي كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنه فتمنى أن يكون كتلك الامة المتهمومة بما هي بريئة منه وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا. وقد رواه الامام أحمد عن هوزة عن عوف الاعرابي عن خلاص عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة هذا الغلام الرضيع وهو إسناد حسن. وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الاعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم رجع في الثدي ومر بامرأة تجر ويلعب بها، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقال أما الراكب فإنه كافر. وأما المرأة فإنهم يقولون إنه تزني وتقول حسبي

الله ويقولون تسرق وتقول حسبي الله. وقد ورد في من تكلم في المهد أيضا شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعلم. قصة برصيصا وهي عكس قضية جريج فإن جريجا عصم وذلك فتن. قال ابن جرير: حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، أنبأنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الاعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين). فكان عاقبتهمما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) [الحشر: ١٦ - ١٧]. قال ابن مسعود وكانت امرأة ترضى الغنم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل تصدق ويسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان أخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا. فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك قالوا: لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشئ فانطلقوا فاستعدوا (٢) ملكهم على

(١) مسند أحمد ج ٢ / ٣٨٥. (٢) استعدوا ملكهم: أي استعانوا به فأنتفهم منه. *

[١٦٣]

ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه. ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان، فقال: إني أنا أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وإنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرا منه وأخذ فقتل. وهكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك. وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسياق آخر. فقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر بن شميل، أنبأنا شعبة، عن أبي إسحاق: سمعت عبد الله بن زهيك، سمعت عليا يقول: إن راهبا تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أرادته فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها أخوة فقال لآخوتها عليكم بهذا القس فداويها قال: فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يوما عندها إذ أعجبتة فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إختها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك اعيتتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك اسجد لي سجدة، فسجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله: (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين). قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج عنهم. قال الامام البخاري: حدثنا اسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحدا منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق (١) من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت اعمد إلى تلك البقرة فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجت

وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون (٢) من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن ادعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن أتيتها بمائة دينار

(١) فرق: بفتح الراء واسكانها والفتح أشهر: هو إناء يسع ثلاثة أصع. (٢) يتضاغون: يصيحون ويستغيثون من الجوع. [*]

[١٦٤]

فطلبتها حتى قدرت فأتيته بها فدفعتها إليها فأمكننتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها (١) قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه (٢) فقممت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا، رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وقد رواه الامام أحمد منفردا به عن مروان بن معاوية، عن عمرو بن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن سالم، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه (٣). ورواه الامام أحمد من حديث وهب بن منبه عن النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق أبي إسحاق عن رجل من بجيلة عن النعمان بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار في مسنده من حديث أبي حنبل عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. خبر الثلاثة الاعمى والابصر والاقرع روى البخاري ومسلم من غير وجه: عن همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص (٤) وأعمى وأقرع بدا لله أن يتليهم فيبعث الله إليهم ملكا فاتى الابصر فقال له: أي شئ أحب إليك فقال لون حسن، وجلد حسن قد قدرني الناس قال: فمسحه فذهب عنه فأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا. فقال: أي المال أحب إليك قال الابل أو قال البقر - هو شك في ذلك أن الابصر والاقرع قال أحدهما الابل وقال الآخر البقر - فأعطني ناقة عشرة (٥) فقال يبارك لك فيها. قال وأتى الاقرع فقال له: أي المال أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا قد قدرني الناس فمسحه فذهب وأعطني شعرا حسنا قال: فأبى المال أحب إليك قال: البقر فأعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال وأتى الاعمى فقال: أي شئ أحب إليك قال: يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأبى المال أحب إليك قال: الغنم فأعطاه شاة والدا (٦) فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم أتى الابصر في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا أتبلغ عليه في سفري فقال له: إن الحقوق كثيرة فقال له كأنني أعرفك ألم تكن أبرص

(١) قعدت بين رجليها: أي جلست مجلس الرجل للوقاع. (٢) لا تفض الخاتم إلا بحقه: الخاتم كناية عن بكارتها، وقولها بحقه: أي بنكاح لا بزني. (٣) مسند الامام أحمد ٢ / ١١٦. صحيح البخاري كتاب الوكالة - باب إذا زرع بمالك قوم بغير اذنهم ص ٣ / ٦٩. (٤) أبرص: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن، لفساد مزاج. قاموس. (٥) ناقة عشرة: هي الحامل القريبة الولادة. (٦) شاة والدا: أي وضعت ولدها، وهو معها. [*]

يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله عزوجل فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الاقرع في صورته وهيبته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الاعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري وفقيرا فقد أغنانني فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته لله عزوجل فقال أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك. هذا لفظ البخاري في أحاديث بني إسرائيل (١). حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار فأداها قال الامام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه ذكر: " أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال اتتني بشهداء أشهدهم قال: كفى بالله شهيدا قال: اتتني بكفيل قال كفى بالله كفيفا قال: صدقت فدفعها إليه إلي أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها، وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج (٢) موضعها ثم أتى بها البحر. ثم قال: اللهم إنك قد علمت أنني استسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيفا فقلت كفى بالله كفيفا فرضي بذلك، وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بذلك، وإنني قد جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبا وإنني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم إنصرف وهو في ذلك يطلب مركبا إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيئه بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما كسرهما وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال هل كنت بعثت إلي بشئ قال: ألم أخبرك أنني لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال: فإن الله أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بالفك راشدا. هكذا رواه الامام أحمد مسندا وقد علقه البخاري (٣) في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد وأسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه، والعجب

(١) أخرجه مسلم في ٥٣ كتاب الزهد / ١٠ / ٢٩٦٤ ص ٤ / ٢٢٧٥ - ٢٢٧٦. والحديث في صحيح البخاري رقم: ١٦٢٦. (٢) زجج: أي سوى موضع النقر وأصلحه. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب في اللقطة - باب إذا وجد خشبة. ج ٣ / ٩٣ دار الفكر، وفي كتاب الاجارة - باب الكفالة ج ٣ / ٥٦. [*]

من الحافظ أبي بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن عمر بن سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال لا يروى إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد. قصة أخرى شبيهة بهذه القصة في الصدق والامانة قال البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر أخبرنا عيد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشترى رجل من رجل عقارا "

(١) له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الارض ولم ابتع منك الذهب وقال الذي له الارض إنما بعتك الارض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد قال أحدهما لي غلام، وقال الآخر لي جارية قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على أنفسهما منه وتصدقا. هكذا روى البخاري هذا الحديث في أخبار بني إسرائيل وأخرجه مسلم (٢) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقد روى أن هذه القصة وقعت في زمن ذي القرنين. وقد كان قبل بني إسرائيل بدهور متطاولة والله أعلم. قال إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن: أن ذا القرنين كان يتفقد أمور ملوكه وعماله بنفسه وكان لا يطلع على أحد منهم خيانة إلا أنكر ذلك عليه، وكان لا يقبل ذلك حتى يطلع هو بنفسه. قال فبينما هو يسير متنكرا في بعض المدائن، فجلس إلى قاض من قضاةهم أياما لا يختلف إليه أحد في خصومة فلما أن طال ذلك بذئ القرنين ولم يطلع على شئ من أمر ذلك القاضي وهم بالانصراف إذا هو برجلين قد اختصما إليه فادعى أحدهما فقال: أيها القاضي إنني اشتريت من هذا دارا عمرتها ووجدت فيها كنزا وإنني دعوته إلى أخذه فأبى علي فقال له القاضي: ما تقول ؟ قال: ما دفنت وما عملت به فليس هو لي ولا أقبضه منه قال المدعي: أيها القاضي مر من يقبضه فتضعه حيث أحببت فقال القاضي تفر من الشر، وتدخلني فيه ما أنصفتني وما أظن هذا في قضاء الملك فقال القاضي هل لكما أمرا نصف مما دعوتاني إليه قال: نعم قال: للمدعي ألك ابن ؟ قال نعم وقال للآخر ألك ابنة ؟ قال: نعم قال: اذهبا فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزهما من هذا المال وادفعا فضل ما بقي إليهما يعيشان به فتكونا مليا بخيره وشره فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضي: ما ظننت أن في الارض أحدا يفعل مثل هذا أو قاض يقضي بمثل هذا فقال القاضي وهو لا يعرفه وهل أحد يفعل غير هذا قال

(١) العقار: هو الارض وما يتصل بها، وحقيقة العقار الاصل، سمي بذلك من العقر ومنه: عقر الدار. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٠ كتاب الاقضية ١١ باب ٢١ / ١٧٢١ ص ٣ / ١٢٤٥ والحديث في البخاري رقم: ١٦٣٠. [*]

[١٦٧]

ذو القرنين: نعم قال القاضي فهل يمطرون في بلادهم فعجب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض. قصة أخرى قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن قتادة عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأثى راهبا فسأله فقال هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل أئت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدرة (١) نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدتي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له هكذا رواه ههنا مختصرا وقد رواه مسلم عن بندار به ومن حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة بن مطولا (٢). حديث آخر قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرب فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم (قال) وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كانه استنقذها منه فقال له الذئب

هذا ! استنفذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما " (٣). ثم (قال) وحدثنا علي قال حدثنا سفيان، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله. وقد أسنده البخاري في المزارعة عن علي بن المديني ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة وأخرجه من طريق شعبة كلاهما عن مسعر به. وقال الترمذي حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الاول من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد. حديث آخر قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم، عن سعد، عن أبيه، عن

(١) نأى بصدده: أي نهض. (٢) أخرجه مسلم في ٤٩ كتاب التوبة ٨ باب ح ٤٦ / ٤٧، ٢٧٦٦ وأخرجه البخاري في كتاب الانبياء ح ٥٤. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي (٥) وكتاب الانبياء (٥٤) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ١٢ وأحمد في مسنده ج ٢ / ٢٤٥، ٥٠٢. [*]

[١٦٨]

أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنه كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب " (١) لم يخرج مسلم من هذا الوجه وقد روى عن إبراهيم بن سعد عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها. حديث آخر قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن [بن عوف] أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج على المنبر فتناول قصة من شعر كانت في يدي حريسي فقال يا أهل المدينة أين علماءكم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذه ويقول: " إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم " (٢). وهكذا رواه مسلم وأبو داود من حديث مالك وكذا رواه معمر ويونس وسفيان بن عيينة عن الزهري بنحوه. وقال الترمذي حديث صحيح. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمه قدمها فخطبنا فأخرج من كفه كيسا (٣) شعر وقال ما كنت أرى أحدا يفعل هذا غير اليهود إن النبي صلى الله عليه وسلم: " سماه الزور " - يعني الوصال في الشعر - تابعه غندر عن شعبة والعجب أن مسلما رواه من غير وجه عن غندر عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به (٤). حديث آخر قال البخاري، حدثنا سعيد بن تليد، حدثنا ابن وهب. قال: أخبرني جرير بن حازم، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به ". ورواه مسلم عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به (٥).

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٦) والانبياء (٥٤) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٢) والترمذي في المناقب (١٧) وأحمد في مسنده ٦ / ٥٥. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٧ كتاب اللباس ١٢٢ / ٢١٢٧ ورواه عن معمر: وفي روايته: إنما عذب بنو إسرائيل. والحديث في صحيح البخاري رقم ١٦٢٧. (٣) كية: هي شعر مكفوف بعضه على بعض. (٤) صحيح مسلم ٢٧ / ١٢٢ - ١٢٤. (٥) أخرجه مسلم في ٣٩ كتاب السلام ١٥٤ / ١٥٥ / ٢٢٤٥. والبخاري في الانبياء (٥٤). - يطيف: أي يدور حولها. - ركية: بئر. - موقها: الموق هو الخف، فارسي معرب، والمعنى أنها نزعته له بموقها أي استفتت. [*]

حديث آخر قال البخاري: حدثنا عبد الله بن أسماء، حدثنا جويرية، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، فلا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ". وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به (١).
 حديث آخر قال الامام أحمد: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا المستمير بن الريان، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين (٢) واتخذت خاتما من ذهب وحشيت تحت فسه أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالمجلس حركته فنفح ريحه " (٣). رواه مسلم من حديث المستمير وخليد بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا قريبا منه وقال الترمذي حديث صحيح. حديث آخر قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعيب عن منصور سمعت ربعي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " (٤) تفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا وموقوفا أيضا والله أعلم. حديث آخر قال الامام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد - يعني ابن بهرام - حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شئ فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعا قد أصابته [مسغبة]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٩ / كتاب السلام ١٥٢ / ٢٢٤٣ والبخاري في آذان ٩٠ وفي كتاب المساقاة (٩) والانبيا ٥٤. وابن ماجه في الاقامة ١٥٢ وأحمد في مسنده ٤ / ٢٥١. (٢) عند مسلم: طويلتين. (٣) مسند أحمد ج ٣ / ٤٠، ومسلم في صحيحه ٤٠ كتاب الالفاظ من الادب (٥) باب استعمال المسك ١٨ - ١٩ / ٢٢٥٢. (٤) البخاري في صحيحه كتاب الانبياء ٥٤ والادب ٧٨؛ وأبو داود في كتاب الادب (٦) وابن ماجه في الزهد (١٧) ومالك في الموطأ سفر ٤٦ وأحمد في مسنده ج ٤ / ١٢١، ١٢٢ - ٥ / ٢٧٢. [*]

شديدة، فقال لامرأته: عندك شئ قالت: نعم أبشر أتاك رزق الله فاستحثها فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شئ قالت: نعم هنيئة نرجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال: ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شئ فاتيني به فإني قد بلغت الجهد وجهدت فقالت: نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل، فلما أن سكت عنها ساعة، وتحينت أيضا أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحاها تطحن فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد صلى الله عليه وسلم: لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة " (١). وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله فلما رأى ملبهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته ما لقي قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرت ثم قالت: اللهم ارزقنا فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا قال: فرجع الزوج قال: أصبتم بعد شيئا قالت امرأته: نعم من ربنا فرفعتها إلى الرحي ثم قامت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال: "

أما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة " قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: " والله لان يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيبيعه فيستعفف منه خير له من أن يأتي رجلا فيسأله " (٢). قصة الملكين التائبين قال الامام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المسعودي، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته ففكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، [فتسرب] فانساب ذات ليلة من قصره. وأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالأجر، فأكل ويتصدق بالفضل، ولم يزل كذلك حتى رقي أمره [وعبادته وفضله] إلى ملكهم فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، فركب إليه الملك، فلما رآه ولى هاربا فركض في أثره فلم يدركه، فناده: يا عبد الله إنه ليس عليك مني بأس، فقام حتى أدركه فقال له: من أنت رحمك الله ؟ فقال: أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت في أمري فعملت إنما أنا فيه منقطع، وأنه قد شغلني عن عبادة ربي عزوجل. فتركته وحثت ههنا أعبد ربي فقال له: ما أنت بأحوج لما صنعت مني قال: فنزل عن دابته فسيبها وتبعه فكانا جميعا يعبدان الله عزوجل فدعوا الله أن يميتهما جميعا فماتا ". قال عبد الله

(١) مسند أحمد ٢ / ٤٢٦. المسغبة: الجوع مع التعب. (٢) مسند أحمد ج ٢ / ٢٥٧ وفيه: والذي نفسي بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحطب ثم يأتي به يحمله على ظهره فيبيعه فيأكل خير له من أن يسأل الناس... ". [*]

[١٧١]

فلو كنت برملية (١) مصر لاريتكم قبورهما بالنعث الذي نعث لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " إن رجلا كان قبلكم رغبه الله مالا فقال لبنينه لما حضر: أي أب كنت لكم ؟ قالوا: خير أب. قال: فإنني لم أعمل خيرا قط فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم أذروني في يوم عاصف ففعلوا. فجمعه الله عزوجل فقال: ما حملك ؟ فقال: مخالفتك. فتلقاه برحمته " (٢). ورواه في مواضع أخر. ومسلم من طرق عن قتادة به. ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربعي بن حراش عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. حديث آخر قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا. قال فلقي الله فتجاوز عنه " (٣). وقد رواه في مواضع أخر ومسلم من طريق الزهري به. حديث آخر قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني ملك، عن محمد بن المنكدر، عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون ؟ قال أسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه " (٤). قال أبو النضر لا يخرجكم إلا فرارا منه. ورواه مسلم من حديث مالك، ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به: حدثنا

(١) مسند أحمد ج ١ / ٤٥١ ما بين معكوفين من المسند. رملية في المسند رميلة ؛ ولم أجد لها، وورد في معجم البلدان رميلة: قال السمعاني رميلة من قرى بيت المقدس. (٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد (٣٥) والانباء (٥٤) وكتاب الرقاق (٣٥) وأخرجه مسلم في كتاب التوبة ٢٥ و ٢٧. والنسائي في الجنائز ١١٧ وابن ماجه في الزهد ٣٠ والدارمي في الرقاق ٩٣ والموطأ ج٢ وأحمد في مسنده ١ / ٥، ٣٩٨، ٣ / ٣٦٩، ٣٠٤، ١٣ / ١٧، ١٩ - ٤ / ١١٨، ٤٤٧، ٥ / ٣، ٣٨٣، ٤٠٧. (٣) أخرجه البخاري في الانبياء (٥٤) ومسلم في كتاب المساقاة (٣١) وأحمد في مسنده ج ٢ / ٣٦٣، ٣٣٣، ٣٣٩. (٤) أخرجه البخاري في الانبياء (٥٤) وكتاب القدر (١٥) والطب (٣١) ومسلم في السلام، ٩٢، ٩٤، ٩٥ وأحمد في مسنده ١ / ١٨٢، ٥ / ٣١٣، [*]

[١٧٢]

موسى بن اسماعيل، حدثنا دواد بن أبي الفرات، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون أخبرني: " أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد ". تفرد به البخاري عن مسلم من هذا الوجه (١). حديث اخر قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن فريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرق، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة. فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب ثم قال: " إنما هلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٢). وأخرجه بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد به. حديث اخر وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عبد الملك بن ميسرة: سمعت النزال بن سبرة الهمداني، عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرأ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ خلفها فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: " كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا " (٣) تفرد به البخاري دون مسلم. حديث اخر قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا ابراهيم، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن اليهود والنصارى لا يصيغون فخالفوهم " (٤). تفرد به دون مسلم وفي سنن أبي داود: " صلوا في

(١) البخاري في صحيحه كتاب الطب (٣١) وبرواية أخرى عند مسلم في كتاب الامارة (١٦٥). (٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ١٨، الانبياء ٥٤ حدود ١٢ ومسلم في حدود ٨، ٩ - وأبو داود في حدود ٤ والترمذي حدود ٦ والنسائي - سارق ٥، ٦ وابن ماجه حدود ٦ والدارمي حدود ٥ وأحمد في مسنده ٢ / ٢٨٦ - ٩ / ٥، ٦ / ٢٣٩. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه في خصومات (١) والانباء (٥٤) وأحمد في مسنده: ١ / ٤١٢، ٤٠٥ - ٥ / ١٢٤. (٤) البخاري في الصحيح كتاب الانبياء (٥٠) وأبو داود ترجم ١٨ والنسائي في الزينة ١٤ وأحمد في مسنده ٢ / ٢٤٠، ٣٦٠، ٣٠٩، ٤٠١. [*]

[١٧٣]

نعالكم خالفوا اليهود " (١). حديث اخر قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن طاوس، عن ابن عباس: سمعت عمر يقول: قاتل الله فلانا ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها.

فباعوها " (٢) رواه مسلم من حديث ابن عيينة. ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخاري تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتي في باب الحيل من كتاب الاحكام إن شاء الله وبه الثقة. حديث آخر قال البخاري: حدثنا عمران بن ميسرة، حدثنا عبد الوارث، حدثنا خالد عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: ذكروا النار والناقوس، فذكروا اليهود والنصارى: " فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة " (٣). وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به. والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان المسلمون يتحنون وقت الصلاة بغير دعوة إليها. ثم أمر من ينادي فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشئ يعرفه الناس فقال قائلون: نضرب بالناقوس وقال آخر: نوري نارا، فكروا ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري في منامه الأذان فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا فنادى كما هو مبسوط في موضعه من باب الأذان في كتاب الاحكام. حديث آخر قال البخاري: حدثنا بشر بن محمد، أنبأنا عبد الله، أنبأنا معمر ويونس عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله: أن عائشة وابن عباس قالوا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى

(١) سنن أبي داود: صلاة (٨٨). ح ٦٥٢ ص ١ / ١٧٦ وفيه قال صلى الله عليه وسلم: " خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم " عن شداد بن أوس. (٢) صحيح البخاري: أنبياء (٥٠) تفسير سورة رقم ٦ / ٦. بيوع: ١٠٢، ١١٢. ومسلم في المساقاة: ٧٢. والنسائي في البيوع: ٩٣. وأحمد في مسنده: ١ / ٢٥، ٢ / ٣١٣ - ٣ / ٢٢٤، ٢٣٦. (٣) صحيح البخاري الأذان: ١ - ٢٢ أنبياء: (٥٠) ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة: ٢ - ٣ - ٥ وأبو داود في صلاة ٢٩ - والترمذي في سننه كتاب الصلاة ٢٧ والنسائي في سننه: أذان (٢) وابن ماجه في سننه: أذان: ٦ - والدارمي في سننه صلاة: ٦ وأحمد في مسنده ٢ / ١٠٢ - ١٠٨٩. [*]

[١٧٤]

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (١) يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به. حديث آخر قال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لتبتعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه (٢)، فقلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فمن ؟ " وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به. والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهى عنها شرعا، مما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم، حتى ولو كان قصد المؤمن خيرا لكنه تشبه ففعله في الظاهر فعلهم، وكما نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ، وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شئ من ذلك بالكلية وهكذا قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) [البقرة: ١٠٤]. فكان الكفار يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم في كلامهم معه: راعنا أي انظر إلينا ببصرك، واسمع كلامنا، ويقصدون بقولهم راعنا من الرعونة فنهى المؤمنين أن يقولوا ذلك، وإن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبدا. فقد روى الامام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف

أمري ومن تشبهه يقوم فهو منهم فليس للمسلم أن يتشبه بهم لا في أعيادهم ولا مواسمهم ولا في عباداتهم " (٣). لان الله تعالى شرف هذه الامة بخاتم الانبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الانجيل حين لم يكن لهما شرع متبع بل لو كانا موجودين بل وكل الانبياء لما ساء لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المعظمة فإذا كان الله تعالى قد من علينا بأن جعلنا من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يليق بنا أن نتشبهه يقوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وأولوه حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولا. ثم هو

(١) صحيح البخاري: أنبياء (٥) ؛ صلاة (٥٥) مغازي ٨٣. ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد: ٢٢ والنسائي مساجد ١٢ والدارمي في سننه: صلاة (١٢٠) وأحمد في مسنده ٦ / ٢٢٩، ٢٧٥. (٢) صحيح البخاري أنبياء (٥٠)، اعتصام (١٤) ومسلم في كتاب العلم / ٦ ؛ وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ١٧ وأحمد في مسنده ج ٢ / ٢٥٠. (٣) مسند أحمد ج ٢ / ٥٠، ٦٢. [*]

[١٧٥]

بعد ذلك كله منسوخ والتمسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلا ولا كثيرا ولا فرق بينه وبين الذي لم يشرع بالكلية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم حديث اخر قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما أجلكم من أجل من خلا من قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين ألا لكم الاجر مرتين، فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى: (هل ظلمتكم من حككم شيئا فقالوا: لا قال: فإنه فضلي أوتيته من أشياء) (١) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الامة قصيرة بالنسبة إلى ما مضى من مدد الامم قبلها لقوله إنما أجلكم في أجل من خلا من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، فالماضي لا يعلمه إلا الله، كما أن الآتي لا يعلمه إلا هو، ولكنه قصير بالنسبة إلى ما سبق ولا اطلاع لاحد على تحديد ما بقي إلا الله عزوجل كما قال الله تعالى: (لا يجليها لوقتها إلا هو) [الاعراف: ١٨٧] وقال: (يسألونك عن الساعة أيان مرساهم فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) [النازعات: ٤١ - ٤٣]. وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه: " عليه السلام لا يؤلف تحت الارض " فليس له أصل في كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفي صحته نظر (٢). والمراد من هذا التشبيه بالعمل تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطا بكثرة العمل وقلته، بل بأمور آخر معتبرة عند الله تعالى، وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه من تمر وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة

والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويعمل بطاعة

(١) صحيح البخاري: أنبياء (٥٠) فضائل القرآن (١٧)، والترمذي في كتاب الادب ٩٢ وأحمد في مسنده ٢ / ١١٢، ١٢٤. (٢) قال الهروي في "الموضوعات الصغرى" ٢٧٩ / ٢٠٠ لا أصل له باطل. [*]

[١٧٦]

الله ليلا ونهارا، صباحا ومساء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين، فهذه الامة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم. لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [الحديد: ٢٨ - ٢٩]. فصل وأخبار بني إسرائيل كثيرة جدا في الكتاب والسنة النبوية، ولو ذهبنا نتقصى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام أبو عبد الله البخاري في هذا الكتاب ففيه مفتح وكفاية وهو تذكرة وأنموذج لهذا الباب والله أعلم. وأما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جدا ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع، وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضعه زنادقتهم وضلالهم وهي ثلاثة أقسام: منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله، ومنها ما يحتمل الصدق والكذب فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه فلا تصدقه ولا تكذبه كما ثبت في الصحيح: " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنة بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم " (١). وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم: " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (٢). تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدي موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى: (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شئ) [الانعام: ١٥٤] وقال تعالى: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) [الانعام: ٩١] وقال تعالى: (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) [الانبياء: ٤٨] وقال تعالى: (وآتيناها الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) [الصافات: ١١٧ - ١١٨] وقال تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة: ٤٤] فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها

(١) تقدم تخريجه فليراجع في مكانه. (٢) تقدم تخريجه فليراجع في مكانه. [*]

[١٧٧]

برهة من الزمان، ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وإبداء ما ليس منها، كما قال الله تعالى: (وان منهم لفريقا يلوون

السنتهم ك بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) [آل عمران: ٧٨] فأخبر تعالى أنهم بفسرونها وبتأولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويحملونها على غير المراد، كما بدلوا حكم الرجم بالجلد، والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها، وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع. فأما تبديل ألفاظها فقال قائلون: بأنها جميعها بدلت، وقال آخرون: لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى: (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) [المائدة: ٤٣] وقوله: (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) [الاعراف: ١٥٧] ويقولون: (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) [آل عمران: ٩٣] وبقصة الرجم فإنهم كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفي السنن عن أبي هريرة وغيره لما تحاكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة اليهودي واليهودية اللذين زنيا فقال لهم: ما تجدون في التوراة (١) في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحضار التوراة فلما جاؤوا بها وجعلوا يقرأونها ويكتمون آية الرجم التي فيها ووضع عبد الله بن صور بأيده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارفع يدك يا أعور، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما وقال: " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه "، وعند أبي داود: أنهم لما جاؤوا بها نزع الوسادة من تحته فوضعها تحتها وقال آمنت بك وبمن أنزلك، وذكر بعضهم أنه قام لها ولم أقف على إسناده والله أعلم (٢). وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم: أن التوراة انقطع تواترها في زمن بخت نصر ولم يبق من يحفظها إلا العزيز، ثم العزيز إن كان نبيا فهو معصوم والتواتر إلى المعصوم يكفي، اللهم إلا أن يقال إنها لم تتواتر إليه لكن بعده زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلو لم تكن صحيحة معمولا بها لما اعتمدوا عليها وهم أنبياء

(١) ما تجدون في التوراة: قال العلماء: هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم. (٢) الحديث أخرجه من عدة طرق وبروايات مختلفة، صحيح البخاري توحيد (٥١) جنانز (٦٠) مناقب ٢٦ تفسير آل عمران ٦ / اعتصام ١٦ ومسلم في كتاب الحدود: ١٣ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ والترمذي في سننه حدود (١٠) وابن ماجه في سننه حدود (١٠) وأبو داود في سننه حدود (٢٥) والدارمي في سننه: حدود (١٥) ومالك في الموطأ حدود (١) وأحمد في مسنده ج ٢ / ٧، ٦٢، ٦٣، ١٢٦، ٧٦، ٢٨٠ - ٤ / ٢٥٥، ٩١ / ٥، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٨. [*]

[١٧٨]

معصومون. ثم قد قال الله تعالى فيما أنزل على رسوله محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء منكرًا على اليهود في قصدهم الفاسد إذ عدلوا عما يعتقدون صحته عندهم وأنهم مأمورون به حتما لى التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعاندون ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما ابتدعوه من الجلد والتحميم (١) المصادم لما أمر الله به حتما وقالوا: إن حكم لكم بالجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيامة، وإن لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا أن تقبلوا منه، فأنكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي إنما حملهم عليه الغرض الفاسد وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال: (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى

ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله) الآية [المائدة: ٤٣ - ٤٤] ولهذا حكم بالرحم قال: اللهم اني اول من احيا امرك إذ أماتوه، وسألهم ما حملهم على هذا ولم تركوا أمر الله الذي بأيديهم ؟ فقالوا: إن الزنا قد كثر في أشرافنا، ولم يمكننا أن نقيمه عليهم، وكنا نرحم من زنى من ضعفاءنا. فقلنا تعالوا إلى أمر نصف نفعه مع الشريف والوضيع فاصطلحنا على الجلد والتحميم فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل وهذا إنما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كما دل عليه الحديث المتفق عليه فلماذا قال من قال: هذا من الناس إنه لم يقع تبديلهم إلا في المعاني وإن الالفاظ باقية وهي حجة عليهم إذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لقادهم ذلك إلى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) [الاعراف: ١٥٧] الآية. وقال تعالى: (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة) الآية [المائدة: ٦٦] وقال تعالى: (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الآية [المائدة: ٦٨] وهذا المذهب وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها حكاها البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يرد. وحكاها العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عن أكثر المتكلمين. ليس للجنب لمس التوراة وذهب فقهاء الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث، وحكاها الحناطي في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جدا. وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله فقال: أما من ذهب إلى

(١) التحميم: تسويد الوجوه بالحجم وهو الفحم. [*]

[١٧٩]

أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوها فهذا بعيد، وكذا من قال لم يبدل شئ منها بالكلية بعيد أيضا، والحق أنه دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص، كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل ولبسطه موضع آخر والله أعلم. كما في قوله في قصة الذبيح: اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة برك إسحاق. فلفظة إسحاق مفحمة مزيدة بلا مربة. لأن الوحيد وهو البكر إسماعيل لأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة فكيف يكون الوحيد البكر إسحاق. وإنما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون إسماعيل غير الذبيح، فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم، فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف ووافقوهم على أن الذبيح إسحاق والصحيح الذبيح إسماعيل كما قدمنا والله أعلم. وهكذا في توراة السامرة في العشر الكلمات زيادة الامر بالتوجه إلى الطور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى. وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفا كثيرا وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم. قلت وأما ما بأيديهم من التوراة المعربة فلا يتشك عاقل في تبديلها وتحريف كثير من ألفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شئ كثير جدا فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا إطلاع لنا عليه

والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الغيبة على الله ورسله وكتبه. وأما النصارى فأناجيلهم الاربعة من طريق مرقس ولوقا ومتى ويوحنا أشد اختلافا وأكثر زيادة ونقصا وأفحش تفاوتها من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والانجيل في غير ما شئ قد شرعوه لانفسهم فمن ذلك صلاتهم إلى الشرق وليست منصوصا عليها ولا مأمورا بها في شئ من الاناجيل الاربعة وهكذا تصويرهم كنائسهم وتركهم الختان ونقلهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته إلى خمسين يوما وأكلهم الخنزير ووضعهم الامانة الكبيرة وإنما هي الخيانة الحقيرة والرهبانية (١) وهي ترك التزويج لمن أراد التعبد وتحريمه عليه

(١) قال صلى الله عليه وسلم: لا رهبانية في الاسلام. وقال صلى الله عليه وسلم: إن لانفسكم عليكم حقا فصوموا واطفروا وقوموا وناموا ؛ فإنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر. وأتى النساء فمن رعب عن سنتي فليس مني. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم.)، في الآية وكلام النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرهبانية. قال الرازي في تفسيره: الحكمة في نهى الله تعالى عن الرهبانية فيها وجوه: - أن الرهبانية المفرطة والاحترار التام عن الطبيبات واللذات مما يوقع الضعف في الاعضاء الرئيسية التي هي القلب والدماغ، فتختل الفكرة وتشوش العقل. وأن أكمل السعادات إنما هو معرفة الله تعالى: فإذا كانت الرهبانية الشديدة مما يوقع الخلل في ذلك بالطريق الذي بيناه لا حرم وقع النهي عنها. [*]

[١٨٠]

وكتبهم القوانين التي وضعتها لهم الاساقفة الثلاثمائة والثمانية عشر (١) فكل هذه الاشياء ابتدعوها ووضعوها في أيام قسطنطين بن قسطنطين باني القسطنطينية وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان أبوه أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين الرهبانيين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشئ إلى النصرانية التي أمه عليها، فعظم القائمين بها بعض الشئ وهو على اعتقاد الفلاسفة، فلما مات أبوه واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فأحبه الناس، وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره مع الجزيرة، وعظم شأنه وكان أول القياصرة. ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة بين بترك الاسكندرية اكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عيد الله بن أريوس فذهب اكسندروس إلى أن عيسى ابن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس إلى أن عيسى عبد الله ورسوله واتبعه على هذا طائفة من النصارى، واتفق الاكثرون الاخسرون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من دخول الكنيسة هو وأصحابه فهذب يستعدي على اكسندروس وأصحابه، إلى ملك قسطنطين فسأله الملك عن مقالته فعرض عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عيد الله ورسوله واحتج على ذلك فحال إليه وحنح إلى قوله فقال له قائلون فينبغي أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه فأمر الملك باحضاره وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده في دين النصرانية وجمع البتاركة الاربعة من القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال إنهم اجتمعوا في مدة سنة وشهرين ما يزيد على ألفي أسقف فجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجامعهم الثلاثة المشهورة، وهم مختلفون اختلافا متباينا منتشرا جدا. فمنهم الشردمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة. وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى. وهؤلاء عشرة على مقالة وأربعون على أخرى ومائة على مقالة ومائتان على مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم حار فيهم الملك قسطنطين مع أنه سئ الظن بما عدا دين الصابئين من أسلافه اليونانيين فعمد إلى أكثر جماعة منهم على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا قد اجتمعوا على مقالة

اكسندروس ولم يجد طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولى بنصر قولهم لانهم أكثر الفرق فاجتمع بهم خصوصا ووضع سيفه وخاتمه إليهم وقال: إنني رأيتمكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقاتلتكم هذه

= - إن اشتغال النفس بطلب اللذات، إنما هو مسلم لكن في حق النفوس الضعيفة أما النفوس المستعلية الكاملة فإنها لا يكون استعمالها في الأعمال الحسية مانعا لها من الاستكمال بالسعادات العقلية؛ فالرهبانية الخالصة دليل على نوع من الضعف والقصور. - إن من استوفى اللذات الحسية كان غرضه منها الاستعانة بها على استيفاء اللذات العقلية. - الرهبانية التامة توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل. [١١ / ٧٠ - ٧١، (١) في المجمع السكوني الاول.] *

[١٨١]

فأنا أنصرها وأذهب إليها فسجدوا له وطلب منهم أن يضعوا له كتابا في الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب النيرة وأن يصوروا في كنائسهم صوراً لها جثث فصالحوه على أن تكون في الحيطان فلما توافقوا على ذلك أخذ في نصرهم وإظهار كلمتهم وإقامة مقالاتهم وإبعاد من خالفهم وتضعيف رأيه وقوله، فظهر أصحابه بجاهه على مخالفهم وانتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم المليكة نسبة إلى دين الملك فبني في أيام قسطنطين بالشام وغيرها في المدائن والقرى أزيد من اثنتي عشرة ألف كنيسة، واعتنى الملك ببناء بيت لحم يعني على مكان مولد المسيح وبنيت أمه هيلانة قمامة بيت المقدس على مكان المصلوب الذي زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة علمهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام، ويقال إنه قتل من أعداء أولئك وخذ لهم الاخاديد في الارض، وأجج فيها النار، وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة البروج، وعظم دين النصرانية وظهر أمره جدا بسبب الملك قسطنطين وقد أفسده عليهم فسادا لا إصلاح له ولا نجاح معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمائهم وكثرت كنائسهم (١) على أسماء عبادهم، وتفاقم كفرهم، وغلظت مصيبتهم، وتخلد ضلالهم، وعظم وبالهم، ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح بالهم بل صرف قلوبهم عن الحق، وأمال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين في قضية النسطورية واليعقوبية، وكل فرقة من هؤلاء تكفر الاخرى وتعتقد تخليدهم في نار جهنم، ولا يرى مجامعتهم في المعابد والكنائس وكلهم يقول بالاقانيم (٢) الثلاثة أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة. ولكن بينهم اختلاف في الحلول والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدرعه (٣) أو حل فيه أو اتحد به، واختلافهم في ذلك شديد وكفرهم بسببه غليظ، وكلهم على الباطل إلا من قال من الاريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألهاها إلي مريم وروح منه، كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن لما استقر أمر الاريوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالابعاد والطرد حتى قلوبا فلا يعرف اليوم منهم أحد فيما يعلم. والله أعلم. كتاب الجامع لآخبار الانبياء المتقدمين قال الله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) الآية [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى:

(١) قال براستد في العصور القديمة: وكان ارتقاء الفنون بين المسيحيين الاولين بطيئا، ولكن الحاجة إلى وجود أماكن للاجتماع أدت إلى نبوغ بنائين من الدرجة الاولى بين المسيحيين الاولى فبنوا في عهد قسطنطين أماكن للاجتماع مهيبة جدا على نمط الباسيليكا التجارية القوية. ص ٦٦٢. (٢) الاقانيم الثلاثة: قال الشهرستاني: يعنون بالاقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها: الاب والابن وروح القدس، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الاقانيم. (٣) تدرع: من فعل ادرع أي دخل، يقال: ادرع الليل: دخل في ظلمته، وكل ما أدخلته في جوف الشئ فقد أدرعته. [*]

(إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وأتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]. وقد روى ابن حبان في صحيحه، وابن مردويه في تفسيره وغيرهما من طريق إبراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد الغساني الشامي - وقد تكلموا فيه - حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس، عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، كم الانبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً". قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير". قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: "آدم". قلت: يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: "نعم". خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً (١). ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانين آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك" (٢). وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات. وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله كم الانبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جم غفيرا" (٣). وهذا أيضا من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء معان وشيخه وشيخه. وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن إسحاق، أبو عبد الله الجوهري البصري، حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي (٤)، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس" (٥) موسى وشيخه ضعيفان أيضا وقال أبو يعلى أيضا: حدثنا أبو الربيع، حدثنا محمد بن

(١) قبلا: أي عيانا ومقابلة. (٢) أخرج قسما منه الهيثمي في زوائد ١ / ١٦٠ وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الاوسط بنحوه وعند النسائي طرف منه وفيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط. (٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٥٩ وفيه: أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الهيثمي: ورواه أحمد والطبراني في الكبير. وفي ٨ / ٢١٠ عن أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله... قال الهيثمي ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليل الحلبي وهو ثقة وأخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٦٦. (٤) كذا في الاصل اليزيدي، وهو تحريف والصواب الريزي والرجل معروف ومشهور وهو ضعيف جدا (قاله الهيثمي). (٥) رواه الهيثمي في زوائد؛ وقال رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الريزي وهو ضعيف جدا. ٨ / ٢١٠. [*]

ثابت العبدى، حدثنا معبد بن خالد الانصاري، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن خلا من إخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا" (١). يزيد الرقاشي ضعيف. وقد رواه الحافظ أبو بكر الاسماعيلي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: " بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل " (٢). وهذا إسناد لا بأس به لكنني لا أعرف حال أحمد بن طارق هذا. والله أعلم. حديث آخر قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حديثي عبد المتعالي بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الاموي، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك قال: قال أبو سعيد: هل تقر الخوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث الله نبياً يتبع إلا وحذر أمته منه وإنني قد بين لي فيه ما لم يبين لاحد منهم وأنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن " (٣) وهذا حديث غريب. وقد روي عن جابر بن عبد الله؛ فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنني لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال، وإنه قد تبين لي فيه ما لم يتبين لاحد منهم، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور " (٤). وهذا إسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الانبياء لكن في الحديث الآخر: " ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال ". فالله أعلم. وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن فرات [يعني القزاز] قال: سمعت أبا حازم [يحدث] قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعتة

(١) رواه الهيثمي في الزوائد ٨ / ٢١١ وقال: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن ثابت العدي وهو ضعيف. (٢) رواه الهيثمي في زوائده ٨ / ٢١٠ وقال: رواه الطبراني في الاوسط وفيه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار وهو ضعيف، ووثقه ابن معين ويزيد الرقاشي وثق على ضعفه. (٣) مسند أحمد ج ٣ / ٧٩ ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٤٦ وقال: رواه أحمد وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي في رواية وقال في أخرى ليس بالقوي. وضعفه جماعة. وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي سعيد: ٧ / ٣٣٦ وفيه: ومعه مثل الجنة والنار فجننته عين ذات دخان وناره روضة خضراء، وقال: قلت هو في الصحيح باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار وفيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس. وعطية ضعيف وقد وثق. (٤) رواه الهيثمي في زوائده ٨ / ٣٤٧ وقال: رواه البزار وفيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الجمهور وفيه توثيق. [*]

[١٨٤]

يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم (١) الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله قال: " فوا (٢) بيعة الاول فالاول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم " (٣). وكذا رواه مسلم عن بندار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه. وقال البخاري: حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبي، حدثني الاعمش، حدثني شقيق قال: قال عبد الله - هو ابن مسعود - كأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " رواه مسلم من حديث الاعمش به نحوه. وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن زيد بن أسلم، عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال: وضع رجل يده اليمنى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: والله ما أطيق أن أضغ يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر إن كان النبي من الانبياء ليبتلى بالقملة حتى يقتله، وإن كان النبي من الانبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباء فيجوبها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء " (٤) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم، عن رجل، عن أبي

سعيد وقد رواه ابن ماجه: عن دحيم عن ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكره. وقال الامام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عاصم بن أبي النجود، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: " الانبياء ". ثم الصالحون. ثم الامثل فالامثل من الناس، بيتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على [ظهر] الارض وما عليه خطيئة " (٥). ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود. وقال الترمذي حسن صحيح. وتقدم في الحديث: " نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى " (٦) والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع، ونسخ بعضها بعضا حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين إلا أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه

(١) تسوسهم: أي يتولون أمورهم كما تفعل الامراء والولاة بالرعية ؛ والسياسة، القيام على الامر بما يصلحه. (٢) أي إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الاول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها. (٣) أخرجه البخاري في ٦٠ كتاب الانبياء (٥٠) بباب ما ذكر عن بني اسرائيل. ومسلم في ٣٣ كتاب الامارة باب (١٠) حديث ٤٤ ص ٣٣ / ١٤٧١ وابن ماجه في الجهاد. وأحمد في مسنده ٢ / ٢٩٧. ما بين معقوفين في الحديث زيادة استدركت من دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٣٣٨. (٤) مسند أحمد ج ٣ / ٩٤. (٥) مسند أحمد ج ١ / ١٧٢. وابن ماجه في الفتن ٢٣. (٦) تقدم تخريجه فليراجع. [*]

[١٨٥]

الاسلام، وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الانبياء: ٢٥] وقال تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الآية [النحل: ٣٦]. فأولاد العلات أن يكون الاب واحدا والامهات متفرقات، فالاب بمنزلة الدين وهو التوحيد والامهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها كما قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [المائدة: ٤٨] وقال: (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) [الحج: ٦٧] وقال: ولكل وجهة هو موليها) [البقرة: ١٤٨] على أحد القولين في تفسيرها. والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع أمره بعبادة الله وحده، لا شريك له وهو دين الاسلام الذي شرعه الله لجميع الانبياء، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة، كما قال تعالى: (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [البقرة: ١٣٠ - ١٣١] وقال تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) الآية [المائدة: ٤٤]. فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الاخلاص له وحده دون ما سواه، والاحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت الأمور به، ولهذا لا يقبل الله من أحد عملا بعد أن بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على ما شرعه له كما قال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) [الاعراف: ١٥٨] وقال تعالى: (وأوحى إلى هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ) [الانعام: ١٩] وقال تعالى: (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) [هود: ١٧]. وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: " بعثت إلى الاحمر والاسود " (١). قيل أراد العرب والعجم. وقيل الانس والجن: وقال صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم " (٢) والاحاديث في هذا كثيرة جدا. والمقصود أن أخوة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ح ٣ وأحمد في مسنده ١ / ٢٥٠، ٣٠١، ٤ / ٤١٦، ٥ / ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢ مطولا. والدارمي في سننه، كتاب السير (٢٨) عن جابر بن عبد الله، والبخاري في (٨) كتاب الصلاة (٥٦) باب. وأبو داود عن أبي ذر في كتاب الصلاة باب: في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة. ١ / ١٣٢ مختصرا. (٢) أخرجه الدارمي في سننه مقدمة ٢٩ وأحمد في مسنده ح ٣ / ٤٧١، ٤ / ٢٦٦ عن عبد الله بن ثابت وفي آخره: " انكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين ". [*]

[١٨٦]

العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهم شتى مأخوذ من شرب العسل بعد النهل. وأما أخوة الاخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى. وأخوة الاعيان فهم الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم. وفي الحديث الآخر " نحن معاشر الانبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة " (١) وهذا من خصائص الانبياء أنهم لا يورثون، وما ذلك إلا لان الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلقة عنهم، ولأن توكلهم على الله عزوجل في ذرارهم أعظم وأشد وأكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بعدهم ما لا يستأثرون به عن الناس، بل يكون جميع ما تركوه صدقة لفقراء الناس، ومحابوهم وذو خلتهم. وسنذكر جميع ما يختص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالامام أبي عبد الله الشافعي رحمة الله عليه وعليهم أجمعين. وقال الامام أحمد: حدثنا أبو معاوية، عن الاعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن، أن (٢) عبد رب الكعبة قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمرو، وهو جالس في ظل الكعبة فسمعته يقول: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر إذ نزل منزلا فمنا من يضرب خيابه، ومنا من هو في جشرة، ومنا من ينتضل إذ نادى مناديه: الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبنا فقال: " إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم، وحذرهم ما يعلمه شرا لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وإن آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها تجئ فتن يريق بعضها بعضا، تجئ الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي. ثم تنكشف. ثم تجئ الفتنة فيقول المؤمن هذه. ثم تنكشف فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ". قال فأدخلت رأسي من بين الناس فقلت أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي. قال: فقلت هذا ابن عمك - يعني معاوية - يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) [النساء: ٢٩] قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة. ثم رفع رأسه فقال أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن الاعمش به وقال فيه أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم وينذرهم ما يعلمه شرا لهم وذكر تاممه بنحوه. وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش به ورواه مسلم أيضا من حديث الشعبي عن

(١) تقدم تخريجه فليراجع في مكانه. (٢) في نسخ البداية المطبوعة أن والصواب ابن من المسند. [*]

[١٨٧]

عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه (١) آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب وكان الفراغ من تنمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة سهر ربيع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه وكرمه إسماعيل الدرعي الشافعي الانصاري غفر الله تعالى له وختم له بخير ولاحابه ولاخوانه ولمشايقه ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. ذكر أخبار العرب قيل إن جميع العرب (٢) ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والاكرام. والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة (٣) منهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم والعماليق وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضا. فأما العرب المستعربة (٤) وهم عرب الحجاز فمن ذرية (٥) إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان واسمه مهزم قاله ابن ماكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة قحطان (٦) وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان بن

(١) مسند أحمد ج ٢ / ١٦١، ١٩١. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الامارة ٤٦ والنسائي في سننه - بيعة ٢٥. وابن ماجة في سننه: الفتن ٩. - جشرة: إخراج الدواب للرعي. - النضل: الهزل والاعياء والتعب. (٢) قال الجوهري في الصحاح: العرب جيل من الناس وهم أهل الامصار والاعراب سكان البادية والنسبة إلى العرب عربي وإلى الاعراب اعرابي والذي عليه العرف العام إطلاق لفظة العرب مشتقة من الاعراب. وقال ابن حزم في الجمهرة ص ٧: جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال. وهم عدنان وقحطان وقضاعة. وجاء في سبائك الذهب: ص ١٢: أعلم أن العرب كلها ترجع إلى أصلين: عدنان وقحطان. (٣) قال في نهاية الارب: ١٨: فالعاربة هم العرب الاولى الذي فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها فقبل لهم عاربة أي بمعنى الراسخة في العروبية. وقد يقال فيهم العرب العرباء. وهم العرب البائدة الذين بادوا ودرست آثارهم. (٤) المستعربة: قال في نهاية الارب: المستعربة هم الداخلون في العروبية من بعد العجمة أخذًا من استفعال بمعنى الصبورة. (٥) قال ابن حزم في الجمهرة: عدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك. إلا أن تسمية الاسماء بينه وبينه قد جهلت جملة. قال في سبائك الذهب: لا خلاف بينهم [النساين] في أن عدنان من ولد إسماعيل. (٦) قال ابن حزم: قحطان. فمختلف فيه من ولد من هو؟ قالوا: من ولد إسماعيل - عليه السلام - وهذا باطل [*]

[١٨٨]

هود. وقيل هو هود. وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل إن قحطان من سلالة إسماعيل حكاه ابن إسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن [الهميسع] تيمن بن فيذر [بنت] (١) بن إسماعيل. وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل والله أعلم. وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال (٢): (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علي قوم من أسلم يتناضلون بالسيف فقال أرموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان لاحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال

مالككم قالوا وكيف نرمي وأنت مع بني فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم. انفرد به البخاري وفي بعض ألفاظه: " ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع ابن الأدرع " فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم. قال البخاري: وأسلم (٣) بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم كما سيأتي بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بني إسماعيل فدل على أنهم من سلالته وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل. لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل. وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان (٤) سبأ

= بلا شك. وقيل من ولد هود - عليه السلام - وهذا باطل بيقين قوله تعالى: (والى عاد أخاهم هودا). وقال صاحب تاريخ حماة: بني قحطان هم العاربة وإن العاربة هم بنو إسماعيل فقط. وقال في مروج الذهب إن قحطان من ولد عابر. بن سام. وهو أبو اليمن كلها وهو أول من تكلم بالعربية لأعرابه عن المعاني وإبانته عنها. وقال الطبري ج ١ / ١٠٤ قحطان أول من ملك اليمن. (١) من سيرة ابن كثير، وفي سيرة ابن هشام نابت. ما بين معكوفين. (٢) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق ج ٤ / ١٥٦. (٣) في البخاري: ومنهم أسلم. (٤) قال السمعاني في الأنساب ص ٥: والعرب على طبقات ست: شعب وقبيلة وعمارة ووطن وفخذ وفصيلة وما بينهما من الأباء وإنما يعرفها أهلها. وحكى أبو عبيد، عن ابن الكلبي عن أبيه: تقديم الفصيلة مقام العمارة قال صاحب سبائك الذهب: ولا يخفى أن الترتيب الأول أولى. [*]

[١٨٩]

وحضر موت (١) والعدنانية شعبان أيضا ربعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم (٢) فقيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الأكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري وابن هشام وقد ورد في حديث قضاة بن معد ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال إنهم لن (٣) يزالوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام ينتسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواله انتسبوا إلى قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له: أبلغ قضاة في القرطاس أنهم * لولا خلائف آل الله ما عتقوا قالت قضاة إنا من ذوي يمن * والله يعلم ما بروا وما (٤) صدقوا قد ادعوا والدا ما نال أمهم * قد يعلمون ولكن ذلك الفرق وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضا من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير (٥) قضاة في انتسابهم إلى اليمن والله أعلم. والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن إسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب. قال ابن إسحاق وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة (٦) صحابي له حديثان:

(١) وسبأ اسمه عبد شمس وهو أول من سبى وأسر الأعداء. وحضرموت وبنوه قبيلة من بني قحطان. قال الجوهري: وحضرموت اسم بلد وقبيلة. (٢) قال في سبائك الذهب: وهم قبيلة من حمير من القحطانية. وهذا هو المشهور في قضاة وعليه جرى الكلبي وابن إسحاق. (٣) كذا في الأصل وفي سيرة ابن كثير: لن والصواب لم. (٤) كذا في الأصل وما وفي سيرة ابن كثير ولا. (٥) كذا في الأصل، وفي سيرة ابن كثير تغيير، و (٦) عمرو بن مرة بن عيسى بن مالك بن الحرث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة بن نصر بن عطفان بن قيس بن جهينة. قال ابن سعد: كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا، يكنى أبا طلحة ويقال أبا مريم وقيل أبا مرة. وهو أول من ألحق قضاة باليمن. قال ابن حبان وأبو عمر مات في خلافة معاوية. وقال ابن سميع مات في خلافة عبد الملك بن مروان. له في جامع الترمذي حديث واحد

في كتاب الاحكام وهو عند أحمد وفيه قوله لمعاوية: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من إمام يعلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله تعالى أبواب السماء دون حاجته ومسألته ومسكنته وله في مسند أحمد حديثان آخران أحدهما في ذم الحقوقي. وله عند الطبراني عدة أحاديث منها حديث في قصة إسلامه. تقريب ابن حجر ج ٣ / ٧٩ الاصابة ٣ / ١٥ مسند أحمد: جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٥. [*]

[١٩٠]

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر * وكن قضاعيًا ولا تنزرن نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر (١) قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر قال بعض أهل النسب هو قضاة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن معروف بن سويد عن أبي عشايب (٢) محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أما نحن من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاة بن مالك بن حمير قال أبو عمر بن عبد البر ولا يختلفون أن جهينة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلحاف بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهني فعلى هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حملا فنسب إلى زوج أمه (٣) كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه والله أعلم. وقال محمد بن سلام البصري النسابة: العرب ثلاثة جراثيم العدنانية والقحطانية وقضاة. قيل له فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية فقال ما شاءت قضاة أن تيامنت والقحطانية أكثر وإن تعددت فالعدنانية أكثر وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فإن صح حديث ابن لهيعة المقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم. وقد قال الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٤). قال علماء النسب يقال شعوب. ثم قبائل ثم عمائر. ثم بطون. ثم أفخاذ، ثم فصائل. ثم عشائر (٥). والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شئ. ولنبدأ أولا بذكر القحطانية

(٢) الهجان: الكريم العالي النسب. والأزهر: المشهور. (٣) قوله أبي عشايب كذا بالأصل بياء. وليس بين الرجال من تكنى بهذه الكنية والموجود أبو عشايب المعافري المصري. واسمه حي بن يؤمن. (٤) في أصول الاحساب: فجاءت بقضاة على فراش مالك بن مرة فنسبته العرب إلى زوج أمه. وقيل إن اسم الجرهمية قضاة فلما جاءت بولدها سمته باسمها، وقيل كان اسمه عمرا. وقيل كان اسمها عكبرة. وقال الطبري في ذلك: ج ٣ / ١٩٠: ونزار كان يكنى أبا إياد أمه معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو وأخوته لأمه وأبيه. وعد منهم قضاة، وبه كان معد يكنى. وفي أنساب السمعاني: ص ٦ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قضاة من معد وكان به يكنى. (٥) سورة الحجرات الآية ١٣. (٥) تقدم التعليق على طبقات الانساب. وقال النووي في تحرير التنبيه: وزاد بعضهم العشيرة قبل القصيعة. وقال الجوهر في الصحاح: وعشيرة الرجل هم رهطه الادنون. [*]

[١٩١]

ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى وبه الثقة. وقد قال البخاري (باب ذكر قحطان) حدثنا عبد العزيز بن عبد الله [قال] حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي المغيث (١) عن أبي هريرة [رضي الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان

يسوق الناس بعصاه وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن زيد به. قال السهيلي وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له أنعم صباحا. وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة عن جرير حدثني راشد بن سعد المقرابي عن أبي حي، عن ذي فجر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان هذا الامر في حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش (وسى ع و د ا ل ي ه م) قال عبد الله كان هذا في كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعني: " وسيعود إليهم ". قصة سبأ قال الله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشئ من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير يسيرا فيها ليالي وأياما آمنين. فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (٢). قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ عبد شمس (٣) بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمي سبأ لذلك. وكان يقال له الرائش لانه كان يعطي الناس الاموال من متاعه. قال السهيلي: ويقال إنه أول من تتوج. وذكر بعضهم أنه كان مسلما وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله: سيملك بعدنا ملكا عظيما * نبي لا يرخص في الحرام ويملك بعده منهم ملوك * يدينون العباد بغير ذام

(١) في البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر قحطان: أبي الغيث، وكذلك في سيرة ابن كثير. (٢) سورة سبأ الآيات من ١٥ - ١٩. (٣) في جمهرة أنساب العرب: اسم سبأ عامر. [*]

[١٩٢]

ويملك بعدهم منا ملوك * يصير الملك فينا باقتسام ويملك بعد قحطان نبي * تقي جبينه خير الانام (١) يسمى أحمدا ياليت أني * أعمر بعد مبعثه بعام فأعضده وأحبوه بنصري * بكل مدحج وبكل رام متى يظهر فكونوا ناصريه * ومن يلقاه يبلغه سلامي حكاة ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير. وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعلة (٢) سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو رجل أم امرأة أم أرض قال: " بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة. فأما اليمانيون فمدحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير [وعربا كلها]. وأما الشامية فلخم وحزام وعاملة وغسان. وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفي (٣) هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك ولله الحمد. والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التباينة بأرض اليمن واحدهم تبع وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الاكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمي كل من ملك اليمن مع الشجر وحضرموت تبعا، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك مصر فرعون، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطليموس، وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس. وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفرا أحلوا قومهم دار البوار. قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيا وزعم السدي أنه

(١) كذا في الاصل، وفي تفسير ابن كثير: مخبت. (٢) في المسند ١ / ٢١٦: ثنا أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، عن عبد الله بن هبيرة السبائي عن عبد الرحمن بن وعلة قال: (٣) في أنساب السمعاني: السائل فروة بن مسيك المرادي. وفيه الذين تيامنوا: فالاسد وكندة وخمير والاشعريون ومدحج، فقال رجل يا رسول الله ما أنمار قال: هم الذين منهم بجيلة وختعم. وفي إسناد آخر ذكر: هوازن وعك وسقط اسم مدحج. ويذهب جواد علي في أن سبأ هو اسم لشعب وليس لرجل وأن هذا الشعب كان يحكم ناحية صغيرة من اليمن ثم اتسع شيئا فشيئا. [*]

[١٩٣]

أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي فالله أعلم. والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى (١) إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضا واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم (٢) كما قال تعالى: (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) (٣). ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعته (٤) أن المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدا حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الانيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة، ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب (٥) وسلط إليه سبعين واديا يفد إليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكملمته حمير بعده وكان اتساعه فرسخا في فرسخ (٦) وكانوا في غيبة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شئ من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب فرائحهم كما قال تعالى: (لقد كان لسبأ في سكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) [سبأ: ١٥] وكما قال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) [إبراهيم: ٣] فلما عبدوا غير الله ويطروا نعمته وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفريهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يبذلوا بالخير شرا كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى يقول والقضاء والغوم والعدس والبصل فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والتشنات على وجوه العباد كما

(١) قال القرطبي في الجامع: ١٤ / ٢٨٥: بعد أن اعرضوا عن أمره واتباع رسله بعد أن كانوا مسلمين. (٢) العرم: قال ابن عباس: العرم: السد وقال عطاء: العرم اسم الوادي. وقال الزجاج: العرم اسم الجرد الذي نقب السكر عليهم - فنسب السيل إليه. وقال ابن الاعرابي: العرم من أسماء الفأر. (٣) سورة سبأ الآية ١٦. (٤) قال جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ / ١٠٠ - ٢١٢: أن المكربون (لقب أصحاب سبأ) هم الذين بدأوا إقامة السدود، وقد بدأت السدود عمليات هندسية صغيرة عرضها احتجاز مياه الأمطار الموسمية وقد أقيمت مجموعة من السدود. إلى عهد المكرب يتبع أمر بين فأقام هو وابنه سلسلة من السدود أكملت سد مأرب. وعثر ميلر في أنقاضه على كتابات تعود إلى أن بناءه كان في القرن الثامن قبل الميلاد. (٥) تاريخ العرب قبل الاسام ص ١٧٤: العرم وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا. [*]

[١٩٤]

قال تعالى: (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم). قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرد ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك أرسدوا عندها السنانير (١) فلم تغن شيئا إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والانهار وانقطعت تلك الثمار ومادت تلك الزروع والاشجار وتبدلوا بعدها بردئ الاشجار والاثمار كما قال العزيز الجبار: (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الاراك وثمره البربر وأثل وهو الطرفاء (٢). وقيل يشبهه. وهو حطب لا ثمر له (وشئ من سدر قليل) وذلك لانه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قال تعالى: (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) أي إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا. وقال تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر (٣) فنزلت طوائف منهم الحجاز ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الاوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وحذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما. قال محمد بن إسحاق حدثني أبو عبيدة قال: قال الاعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس: وفي ذاك للمؤتسي أسوة * ومارم عفى عليها العرم (٤)

(١) قال القرطبي في أحكامه: قال وهب: كانوا يزعمون أنهم يجدون في عملهم وكهانتهم أنه يخرب سددهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة. (٢) قال أبو عبيدة: الخمط: هو كل شجرة ذي شوك فيه مرارة. وقال الزجاج: الخمط كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله. والأثل: واحده أثلة وجمعه أثلاث. وقال الحسن: الأثل الخشب وقال أبو عبيدة: الأثل: هو شجر النضار. (٣) مثل كانت العرب تضربه في سبأ فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ. (٤) كذا في الاصل مارم والصواب من ابن هشام: مأرب. [*]

[١٩٥]

رخام بنته لهم حمير * إذا جاء مواره لم يرم (١) فأروى الزرع وأعانها * على سعة ماؤهم إذ قسم (٢) فصاروا أيادي لا بقدر * ن على شرب طفل إذا ما فطم (٣) وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي ولخم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أزد (٤) بن زيد بن مهي (٥) بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام. قال ابن إسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقوم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي. وعرض أمواله. فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتبنوا غصبة عمرو فاشترتوا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد لا تتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالا، ففي ذلك قال عباس

بن مرداس: وعك بن عدنان الذين تلعبوا (٦) بغسان حتى طردوا كل مطرد قال فارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس

(١) موارء: بضم الميم وفتحها: تلاطم مائة وتموجه. (٢) كذا في الاصل الزرع: وفي سيرة ابن كثير وابن هشام: الزرع وهو الصواب. وفي كتاب الاكليل للهمداني: فأروى الحروت وأعانها على ساعة ماؤهم ينقسم. (٣) في ابن هشام: ما يقدر. (٤) في ابن هشام أد وهو الصواب. (٥) في ابن هشام: هميسع وهو الصواب. وفي جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٥: ابن زيد بن عريب بن زيد بن كهلائ بن سبأ. وزاد ولخم هو مالك. (٦) في أصول الاحساب: تلقبوا. قال ابن هشام: وغسان ماء بسد مأرب في اليمن ويقال غسان: ماء بالمشلل جبل وراء عزور: وأد قريب من المدينة. قريب من الجحفة. وهي قرية على طريق المدينة في مكة. وقال صاحب فهرست المعجم الجغرافي: رحل آل جفنة من اليمن، إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان فسموا به وأقاموا ببادية الشام. ولقد لاحظنا الرأيين هنا لما بينهما من خلاف. [*]

[١٩٦]

والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا (١) ونزلت أزد السراة السراة (٢) ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات (٣) وقد روي عن السدي قريب من هذا. وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فأخبرت بقرب هلاك بلادهم وكأنهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سددهم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم. وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير. فصل وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل إنما تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة وحمير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبايع حتى سلبهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميره أبرهة وأرباط نحو من سبعين سنة ثم استرجعه سيف بن ذي يزن الحميري. وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل كما سنذكره مفصلا قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان. ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن عليا وخالد بن الوليد ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ثم تغلب على اليمن الأسود العنسي وأخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فلما قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سنبين ذلك بعد البعثة إن شاء الله تعالى. قصة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن إسحاق وقال السهيلي: ونساب اليمن تقول نصر بن ربيعة (٤) بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن

(١) مر وهو الذي يقال له مر الظهران، وهو على مرحلة من مكة. (٢) السراة: جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء وإنما سمي بذلك لعلوه ويقال له سراة: (٣) قال الله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية فجتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم). (٤) في السهيلي: وبعضهم يقول فيه: نصر بن ربيعة وهو في قول نساب اليمن ربيعة بن نصر. [*]

شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وسمي لخمًا لأنه لخم أخاه أي لطمه فعرضه الآخر في يده فجذمها فسمي جذامًا. وكان ربيعة أحد ملوك حمير التابعة وخبره مع شق وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان. وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس (١) بن عيقر بن أنمار بن نزار ومنهم من يقول أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت (٢) بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال إن سطيحا كان لا أعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجه في صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس وكان شق نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله بن القسري كان سلالته وذكر السهيلي أنهما ولدا في يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ويقال إنها تفلت في فم كل منهما فورث الكهانة عنها وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم. قال محمد بن إسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هائلة هالته وفضع (٣) بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إنني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بها وتأويلها. فقالوا (٤) أقصصها علينا نخبرك بتأويلها. فقال: إنني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها (٥) لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلي شق وسطيح، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه. فبعث إليهما فقدم إليه سطيح قبل شق فقال له: إنني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها فقال أفعّل. رأيت حممة (٦) خرجت من ظلمة.

= وفي جمهرة ابن حزم: نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم. ولخم هو مالك بن عدي. (١) في ابن هشام: مس. وفي الطبري: ابن نذير بن قيس. (٢) في ابن هشام وفي الاشتقاق لابن دريد: نبت. (٣) فضع بها: اشتدت عليه، يقال فضع به الأمر: اشتد عليه. (٤) في ابن هشام: قالوا له: (٥) في ابن هشام: عن تأويلها. وفي الطبري بتأويلها. (٦) حممة: فحمة، وأراد هنا فحمة فيها نار. وفي المسعودي حمرة خرجت ظلمة. [*]

فوقعت بأرض تهمة (١). فأكلت منها كل ذات حممة. فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها، قال: أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهيطن أرضكم الحبش (٢). فليملكن ما بين أبين إلى جرش (٣) فقال له الملك: يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفي زمني أم بعده. فقال: لا وأبيك بل بعده بحين. أكثر من ستين أو سبعين. يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم (٤) أم ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون (٥) ويخرجون منها هارين قال ومن بلى ذلك من قتلهم وإخراجهم قال يليهم أرم [بن] ذي بزنج يخرج عليهم من عدن. فلا يترك منهم أحدا باليمن. قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال: ومن يقطعه، قال: نبي زكي. يأتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال أحق ما تخبرني قال نعم. والشفق والغسق والغلق إذا اتسق إن ما أنباتك به لحق. قال ثم قدم عليه شق فقال له كقولك لسطيح وكنمه ما قال سطيح لينظر

أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة. فوُفِعت بين روضة وأكمة. فأكلت منها كل ذات نسمة. [قال] (٦): فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن سطيحا قال وُفِعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة. وقال شق وُفِعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من انسان. لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة (٧) البنان وليملكن ما بين لين إلى نجران فقال له الملك وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفي زمانى. أم بعده قال لا بل بعده زمان. ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان. ويذيقهم أشد الهوان. قال ومن هذا العظيم

(١) تهمة: الأرض المنخفضة المتصوية نحو البحر ومنها سميت تهامة. (٢) الحبش: يقال إنهم بنو حبش بن كومش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة. (٣) أبين: بفتح أوله ويكسر، مخلاف باليمن منه عدن. وفي معجم البلدان: أبين: موضع في جبل عدن. جرش: بضم أوله وفتح ثانيه: من مخاليف اليمن من جهة مكة. وفتحت جرش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ١٠ هـ. (٤) في الطبري وابن هشام: ملكهم بدل سلطانهم. (٥) في الطبري: يقتلون بها أجمعون. (٦) ما بين المعكوفين زيادة من ابن هشام. (٧) طفلة: الناعمة الرخصة. [*]

[١٩٩]

الشان ؟ قال غلام لبس بدني ولا مدن (١) يخرج عليهم من بيت ذي يزن [فلا يترك منهم أحدا باليمن]. قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل قال: وما يوم الفصل ؟ قال يوم يجزى فيه الولات يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه للميتات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات. قال أحق ما تقول قال إي ورب السماء والأرض. وما بينهما من رفع وخفض. إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض (٢). قال ابن إسحاق فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد فأسكنهم الحيرة قال ابن إسحاق فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر يعني الذي كان نائبا على الحيرة لملوك الاكاسرة وكانت العرب تغد إليه وتمتدحه وهذا الذي قاله محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس. وقد روى ابن إسحاق أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جئ بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه ممن كان ؟ فقال: من أشلاء قنص بن معد بن عدنان قال ابن إسحاق فالله أعلم أي ذلك كان. قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة (وكيف أراد غزوة البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه الحلل فكان أول من كساه) قال ابن إسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تيان أسعد أبي كرب وتيان أسعد تبع الآخر ابن كلبيكرب (٣) بن زيد وزيد تبع الاول بن عمرو ذي الازعار (٤) بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن عدي (٥) بن صيفي بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قس (٦) بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن العوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أنس (٧) بن الهميسع بن العريحج والعريحج هو حمير بن سبأ الاكبر بن يعرب بن

(١) مدن: وهو المقصر في الامور وفي ابن الاثير: مدن: المتهم بالامر. (٢) أمض: الشك بلغة حمير. وقال أبو عمرو: أمض: أي باطل. (٣) في ابن هشام كلي كرب وفي

بلى ؛ قالوا: بيت بمكة يعيده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله عزوجل اتخذته في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به، وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذلل له (٣)، حتى تخرج من عنده. قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالآوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل شرك - أو كما قالا له - فعرف نصحهما وصدق حديثهما، وقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم (٤) ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل،

(١) في الطبري وابن هشام: عاجل. وفي تراجمه عن المدينة وفضل ابن الطلة وامتناعه عن تبع بقول خالد بن مالك بن النجار: أصحا أم انتهى ذكره * أم قضى من لذة وطره يا بني النجار إن لنا * فيهم قبل الأوان تره سيد سامي الملوك ومن * يغز عمرا لا يجد قدره وفي أخبار الأزرقى: حتى إذا كان بالد ف من جمدان بين أمج وعسفان ج ١ / ١٣٣. وجاء في تعليقه: أن هذيل حسدا لقريش على ولايتهم البيت فعلوا ذلك. (٢) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. وقيل على ستة وثلاثين ميلا من مكة. وأمج: بلد من أعراض المدينة وقيل واد. (٣) في الطبري: وتذلل له ؛ وفي ابن هشام: وتذلل له. (٤) في أخبار الأزرقى: فضربت أعناقهم وصلبهم، ١ / ١٣٣. [*]

[٢٠٢]

وأري في المنام أن يكسوا البيت فكساء الخصف (١) ثم أري في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء المعافر (٢) ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملاء (٣) والوصائل، وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مثلاتا (٤) وهي المحايض وجعل له بابا ومفتاحا ففي ذلك قالت سبيعة بنت الاحب تذكر ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتنهأه عن البيغي بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها: أبني لا تظلم بمك * كة لا الصغير ولا الكبير واحفظ محارمها * نبي ولا يغرنك الغرور أبني من يظلم بمك * ة يلق أطراف الشرور أبني يضرب وجهه * ويلج بخديه السعير (٥) أبني قد جربت * فوجدت ظالمها بيور الله أمنها وما * بنيت بعرضتها قصور والله آمن طيرها * والعصم تآمن في ثبير (٦) ولقد غزاها تبع * فكسا بنيتها الحبير وأذل ربي ملكه * فيها فأوفى بالندور يمشي إليها حافيا * بفنائها ألفا يعير ويظل يطعم أهلها * لحم المهاري والجزور يسقيهم العسل المصفى * والرحيض من الشعير (٧)

(١) كذا في الاصل فكساء الخصف وفي الطبري وابن هشام: فكساء الخصف ؛ والخصف: حصر تنسخ من خوص النخل ومن الليف. (٢) كذا في الاصل فكساء المعافر ؛ وفي الطبري وابن هشام: فكساء المعافر. والمعافر ثياب تنسب إلى قبيلة بمنية. وفي الاخبار الأزرقى: كساها الانطاع ١ / ٢٥٠. (٣) كذا في الاصل فكساء الملاء والصواب كما في الطبري وابن هشام فكساء الملاء والوصائل. والملاء جمع ملاءة وهي الملحفة. والوصائل: ثياب مخططة بمنية توصل بعضها ببعض. وفي أخبار الأزرقى: ثياب حبرة من عصب اليمن. وقال أسعد في ذلك: وكسونا البيت الذي حرم الل * ه ملاء ومعضدا وبرودا (٤) في الطبري: ميلاتا. (٥) في ابن هشام وسيرة ابن كثير: يلج. (٦) العصم: الوعول التي تقصم في الجبال. وثبير: جبل بمكة. (٧) الرحيض: المنقى والمصفى. [*]

والغيل أهلك جيشه * يرمون فيها بالصخور والملك في أقصى البلا *
 د وفي الاعاجم والخزور (١) فاسمع إذا حدثت واو * هم كيف عاقبة
 الامور قال ابن إسحاق ثم خرج تبع متوجها إلى اليمن بمن معه من
 الجنود (٢) وبالخبيرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول
 فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.
 قال ابن إسحاق: حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي
 قال سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله يحدث: أن تعبنا
 لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا: لا
 تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من
 دينكم قالوا تحاكمنا (٣) إلى النار قال: نعم. قال: وكانت باليمن فيما
 يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأخذ (٤) الظالم
 ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج
 الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند
 مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار إليهم فلما أقيمت (٥) نحوهم
 حادوا عنها وهابوها فجزهم (٦) من حضرهم من الناس وأمرهم
 بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن
 حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما
 تعرق جباههما ولم تضرهما فأصفت عند ذلك حمير على دينهما
 (٧) فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن. قال ابن إسحاق وقد
 حدثني محدث (٨) أن الخبيرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار
 ليردوها وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق. فدنا منها رجال حمير
 بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا
 ردها فدنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهي تنقص (٩)

(١) كذا في الاصل الخزور وهو تحريف، وفي ابن هشام وسيرة ابن كثير: الخزير
 والخزير: أمة من العجم ويقال لهم الخزر أيضا. (٢) في الطبري وابن هشام: من
 جنوده. (٣) في الطبري وابن هشام وسيرة ابن كثير: فحاكمنا. (٤) في ابن هشام
 والطبري: تأكل. (٥) في الطبري وابن هشام وسيرة ابن كثير: أقيمت. (٦) في الطبري
 وابن هشام وسيرة ابن كثير: فجزهم: أي حضهم وشجعهم. (٧) في سيرة ابن كثير
 وابن هشام والطبري: فأصفت حمير عند ذلك على دينه: أي اجتمعت. (٨) في
 الطبري: عن بعض أصحابه. (٩) كذا في الاصل والمطبوعة تنقص وهو تحريف والصواب
 في الطبري وابن هشام وسيرة ابن كثير: تنقص. [*]

عنهما، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفت عند ذلك
 حمير على دينهما والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن إسحاق وكان رثام
 بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون فيه (١) إذ كانوا على
 شركهم فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا
 وبينه قال: فثأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا
 أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار
 الدماء التي كانت تهراق عليه. وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي
 ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان
 أسلم " قال السهيلي وروي معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تسبوا أسعد الحميري
 فإنه أول من كسى الكعبة ". قال السهيلي وقد قال تبع حين أخبره
 الحبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا: شهدت على
 أحمد أنه * رسول من الله باري النسم فلو مد عمري إلى عمره *
 لكنك وزيراً له وابن عم وجهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره
 كل هم قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان
 عند أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه وأرضاه. قال السهيلي وذكر

ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبرا حفر بصنعاء فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر لميس وحبي ابنتي تبع ماتا (٢) وهما تشهدان ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تيان أسعد وهو أخو (٣) اليمامة الزرقاء التي صلبت على باب مدينة جو (٤) فسميت من يومئذ اليمامة.

(١) في ابن هشام والطبري: منه وهي أكثر مناسبة. (٢) كذا في الاصل والمطبوعة وهو تحريف والصواب: ماتتا من سيرة ابن كثير. (٣) في الطبري حسان بن تبع واليمامة الزرقاء ليست أخته بل هي أخت رياح بن مرة رجل من طسم هرب من اليمامة وأخبر حسان بخبر أخته اليمامة. وفي نهاية الارب للقلقشندي: سبأ بن سعد صاحب الحادثة. (٤) كانت اليمامة تسمى جو أو القرية، وبها أتى حسان باليمامة ابنة مرة ففقت عيونها فإذا فيها عروق سود، من أثر كحل حجر الاثمد. وأمر حسان بأن تسمى جو اليمامة. انظر الطبري ج ٢ / ٢٨ و ١٠٠. [*]

[٢٠٥]

قال ابن إسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تيان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم فكلّموا أخا له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميري فإنه نهى عمرا عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان. ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من بيت قرير عين فأما حمير غدرت وخانت (١) * فمعذرة الاله لذي رعين ثم استودعها عمرا (٢). فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع إلى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسأل الاطباء والحذاق (٣) من الكهان والعرافين عما به فقيل له إنه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغيا إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فعند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلاص إلى ذي رعين قال له إن لي عندك براءة قال وما هي قال الكتاب الذي دفعته إليك فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا (٤). وثوب لخنيسة (٥) ذي شناتر على ملك اليمن وقد ملكها سبعا وعشرين سنة (٦). قال ابن إسحاق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له لخنيسة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك أمراء فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له

(١) في الاشتقاق لابن دريد ؛ ٢٢٥؛ فإن تك حمير غدرت وخانت. (٢) زاد ابن الاثير ج ١ / ٤٢٠ قال: فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو: يا عمرو لا تعجل علي منيتي * فالملك تأخذه بغير حشود فأبى إلا قتله، فقتله بموضع رحبة مالك. (٣) في الطبري وابن هشام وسيرة ابن كثير: والحزاة: جمع حاز وهو الذي ينظر في النجوم ويقضي بها. (٤) ملك عمرو بن تبع بعد أخيه أربعا وستين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكب ثم عمرو بن تبع ثم مرثد بن عبد كلال ثم وليعة بن مرثد ثم ابراهة بن الصباح بن وليعة ثم عمرو بن ذي قيفان. على ما ذكره صاحب مروج الذهب ١ / ٨٢ وكانت مدة ملكهم بعد عمرو أخي حسان ٢٥٣ سنة. وفيما ذكره المسعودي أن تبع بن حسان كان قبل حسان تيان أسعد كما ورد سابقا. (٥) قوله لخنيسة بالنون وهو كذلك في سيرة ابن هشام والطبري وقال ابن دريد: لخنيسة وفي ابن الاثير: لخنيسة تنوف ذو شناتر وفي القاموس: لخنيسة ذو شناتر من ملوك اليمن. وفي مروج الذهب: ذو شناتر ولم يكن من أهل بيت الملك. (٦) في مروج الذهب: ثلاثين سنة وقيل: تسعا وعشرين ١ / ٨٢. [*]

قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك (١) ثم يطلع من شربته (٢) تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا (٣) فجعله في فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى زرعة (٤) ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكيناً جديدا لطيفا (٥) فخبأه بين قدميه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه فوائبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حزر رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له: ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا بأس (٦) فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث، فملكوه عليهم واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زمانا، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم (٧) رأس يقال له عبد الله بن الثامر. ثم ذكر ابن إسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصارى وأن ذلك كان على يدي رجل يقال له فيميون (٨) كان من عباد النصارى بأطراف الشام وكان مجلب الدعوة وصحبه رجل

(١) كانت حمير لا تملك من أبناء الملوك من نكح به. (٢) في المطبوعة شربته وفي الطبري وابن الأثير وابن هشام: مشربته. (٣) في ابن الأثير والطبري وابن هشام: سواكا. (٤) في مروج الذهب: يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الأصغر بن حسان بن كليكرب. وفي أخبار الدينوري ص ٦١، اسمه زرعة بن زيد بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم وإنما سمي ذا نواس للدولية تنوس على شعره. (٥) في الطبري وابن هشام: حديدا لطيفا. وفي ابن الأثير: لطيفا. (٦) في ابن هشام والطبري نخماس. وفي ابن الأثير نحاس. والعبارة وردت هكذا في الاصل سل نخماس استرطبان أم يباس وهي غير واضحة وسباق العبارة في الاغانى: " كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافرا ناقتة وذنبها وصاحوا به: أرطب أم يباس ولما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقه له. قالوا: ذو نواس أرطب أم يباس ؟ فقال: ستعلم الاحراس، است ذي نواس، است رطبان أم يباس ". (٧) كذا في الاصل وابن هشام والعبارة فيها خلل واضح، والصواب في الطبري: أهل فضل واستقامة لهم من أهل دينهم رأس، وفي كامل ابن الأثير: على استقامة، لهم رئيس يقال له.. (٨) في ابن الأثير أن عبد الله بن الثامر كان أصل النصرانية بنجران. وفي الطبري أن عبد الله بن الثامر كان موقع أصل ذلك الدين (النصرانية) بنجران. وقال الدينوري في الاخبار الطوال: أن عبد الله بن الثامر ملك النصارى في نجران أبي أن يهود فقتله ذو نواس. وفي الطبري أن [*]

يقال له صالح فكان (١) يتعبدان يوم الاحد ويعمل فيميون بقية الجمعة في البناء وكان يدعوا للمرضى والزمنى وأهل العاهات فيشفون، ثم استأسره وصاحبه بعض الاعراب فباعوهما بنجران فكان الذي اشترى فيميون يراه إذا قام في مصلاه بالبيت الذي هو فيه في الليل يمتلى عليه البيت نورا فأعجبه ذلك من أمره. وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة [لها عيد كل سنة] (٢) يعلقون عليها حلي نسائهم ويعكفون عندها فقال فيميون لسيدة: أرأيت إن دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أتعلمون أن الذي أنتم عليه باطل. قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون إلى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصفا فجعلها (٣) من أصلها ورمها إلى الارض فاتبعه أهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت فيهم الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن إسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدي فيميون وكيف قتله وأصحابه ذو نواس وخذ لهم الاخدود (٤). وقال ابن هشام وهو

الحفر المستطيل في الارض مثل الخندق وأجج فيه النار وحرقهم بها قتل آخرين حتى قتل قريبا من عشرين ألفا كما قدمنا ذلك مبسوطا في أخبار بني إسرائيل وكما هو مستقصى في تفسير سورة (والسماذ ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد (٥) خروج الملك باليمن من حمير إلى الحبشة السودان كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك أنه لم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان (٦) علي فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم، وذلك لأنه نصراني على دينهم.

= عبد الله بن الثامر قتله ملك كان قبل ذي نواس وإن ذا نواس قتل من كان بعده من أهل دينه ج ٢ / ١٠٥. وكان عبد الله بن الثامر قد تنصر على يدي فيميون، واستجمع أهل نجران على دينه. الطبري ابن الأثير - ابن هشام. (١) الصواب: فكانا يتعبدان. (٢) ما بين معكوفين من الطبري وابن هشام. (٣) فجعلها: قطعها، وفي ابن الأثير: رجا فجفتها والقتها. وفي ابن هشام والطبري: رجا فجفتها من أصلها (٤) يقال إن الذين خددوا الاخدود ثلاثة: تبع صاحب اليمن، وقسطنطين بن هلائي حين صرف النصارى عن التوحيد إلى عبادة الصليب، ويختصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا فامتنع دانيال وأصحابه، فألقاهم في النار. (٥) راجع الآيات ٤، ٤، ٥، ٦ من سورة البروج. (٦) في رواية للطبري أن الذي أفلت هو جبار بن فيض من أهل نجران. ثم قال: و " الثبت عندي أنه دوس ذو ثعلبان " ج ٢ / ١٠٦. وهو يوافق ما ذكره ابن اسحاق وابن الأثير. [*]

[٢٠٨]

فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه بأمره بنصره والطلب بثأره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمره عليهم رجلا منهم يقال له أرباط (١) ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار إليه ذو نواس في حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن. فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به ويقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضحاح البحر حتى أفضى به إلى غمرة، فأدخله فيها فكان آخر العهد به ودخل أرباط اليمن وملكها (٢).

(١) أورد الطبري وصية النجاشي إلى أرباط في مسيره إلى اليمن: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم. وأخرب ثلث بلادهم واسب ثلث نساءهم وأبنائهم. (٢) تناول جواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ / ١٥٠ وما بعدها مسألتي علاقة الاحباش باليمن والنصرانية واليهودية في جنوب الجزيرة وأتى على كل الآراء التي أوردها العلماء في ذلك وخلاصاتها: تناول جواد علي في كتابه: تاريخ العرب قبل الاسلام (ج ٣ ص ١٥٠ وما يليها) مسألتي علاقة الاحباش باليمن والنصرانية واليهودية في جنوبي الجزيرة وأتى على كل الآراء التي أوردها العلماء في ذلك بتفصيل كامل، ونحن نورد خلاصة ذلك فيما يلي: ١ - من العلماء من يذهب إلى أن أصل الاحباش من جنوبي الجزيرة، هاجروا إلى العدوة الافريقية لاسباب كثيرة، منها استيلاء البرثيين على سواحل بلاد العرب الشرقية، ومن هؤلاء العلماء أدوارد جلازر في كتابه " الاحباش ". ٢ - إن لفظ اثيوبيا يوناني معناه الوجه المحترق أو الاسود، وقد أطلق على أرض الحبشة وعلى مناطق واسعة لا تدخل في الحبشة اليوم تشمل جنوب مصر وسواحل أفريقيا المطلة على البحر الاحمر والمحيط الهندي جنوبي بلاد العرب، وهي تقابل لفظ كوش الوارد في التوراة، مما يدل على أن الاتصال كان وثيقا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي. ٣ - إن أصل الاحباش الذين هاجروا من جنوبي جزيرة العرب إلى افريقية غير معروف. ٤ - لا يعرف على وجه التحديد مكان أرض " حبشت " في جزيرة العرب، والموضع الذي نزلوا فيه أول ما عبروا باب المنذب. ويرى هرمل أن الحضارة القديمة أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبش الجنوبيين، بدليل تقارب اللهجة الحضرية القديمة المبنية في المسند واللغة الحبشية. ٥ - يذهب جلازر إلى أن الحبش هاجروا إلى افريقية بين سنتي ٣٧٠ و ٣٧٨ ميلادية، ويرى هرمل أن رحلتهم منها كانت سنة ٣٧٥، وكان ذلك في عهد ملكين من ملوك الحبش هما " الاعميدة " وابنه عيزان وكان عيزان يلقب بملك أكسوم وحمير وريدان والحبشة وسلح وتيماء وصيمو والبيجة وقسو. وكان مركز الدولة في أكسوم، أي أن ما

دخل في زمامها من بلاد العرب كان تابعاً لها. ٦ - وحوالي سنة ٣٧٨ قام زعيم عربي اسمه " ملك كرب يهأمن " بطرد الاحباش من اليمن وأثنياً ملكاً عربياً، وتلقب بملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات، وخلفه أبناه أبو كرب أسعد ورا أمر اليمن، وكانوا يعبدون إلهاً = [*]

[٢٠٩]

.....

= يسمى ذو سموى أي إله السماء، ولوحظ أن بلاد اليمن أخذت تسير بعد ذلك نحو ديانة التوحيد. ٧ - يرى المستشرقون أن أبا كرب أسعد هو أسعد كامل تبع، الذي يرى الاخباريون أنه أول من تهود من ملوك اليمن، وليس لدينا دليل على ذلك، والثابت أن هذا الملك كان يتعبد لاله يسمى ذو سموت أو إله السماء. ٨ - وكانت لهؤلاء الملوك جميعاً عناية بمجموعة السدود التي تعرف بسد مأرب، وأول أخبار نسجها عن تصدعه حوالي سنة ٤٥٠ أو ٤٥١ ميلادية في عهد الملك شرحبيل يعفر، فاستعان بالحميريين وقبائل حضرموت لاصلاح الصدوع. ٩ - كانت عاصمة سبأ مدينة حتى نهاية القرن الثالث للميلاد، ثم حلت محلها مدينة ظفار، ويرى جلازير أن نجم مأرب أخذ في الافول منذ القرن الاول للميلاد، وإن سبب هذا هو غزو الحبش لليمن. ويرى هارتمان أن السبب ثورة الهمدانيين على الحميريين وانتصارهم، ويرى جواد علي أن السبب قد يكون تحول التجارة عن مأرب بسبب تغير طرق التجارة وتأثير الطرق البحرية التي أخذت تنافس الطرق البرية، وكانت سفن البيزنطيين قد أخذت طريقها في البحر الاحمر " فسلبت من اليمانيين ثروة عظيمة ولم يبق في امكانهم الاتفاق على السد لادامته والمحافظة عليه، وهذا ما اضطر القبائل إلى الهجرة من هذه الجنة التي ولجها الجفاف بالتدريج " ولكن الملوك لم يهجروا مأرب دفعة واحدة، إذ تدل النصوص على أنهم أقاموا بها أمداً من الوقت بعد ذلك ١٠ - وآخر ملوك حمير كما يقول الاخباريون هو ذو نواس (وإن كان بعضهم يذهب إلى أن ابنه ذا جدن خلفه) وللأخباريين عنه قصص طويلة، وفي أيامه غزا الاحباش اليمن من جديد. ولم تورد النصوص المدونة بالمسند لدى نواس ذكراً، والنص الذي يحدثنا عن غزو الاحباش لليمن هذه المرة يسمى نص " حصن غراب " وتاريخه سنة ٥٢٥ بعد الميلاد. ١١ - ولا يذكر مؤرخو الرومان أن ملك حمير - عندما غزا الاحباش اليمن - كان يهودياً ويكتفي بروكوبيوس بالقول بأن النجاشي كان نصرانياً، وبلغه أن الحميريين كانوا يضطهدون النصارى ويعذبونهم، ولذلك أرسل أسطولا استولى على أرض حمير وأقام عليها ملكاً حميرياً نصرانياً، وذكر أن بعض الحميريين كانوا على اليهودية، أما بقيتهم فكانوا وثنيين على مذهب الهيلينيين. أما الرواية الحبشية فتذهب إلى أن معظم أهل سبأ كانوا وثنيين، وأن بعضهم كانوا يهوداً، وأن اليهودية دخلت اليمن بعد تشتت اليهود عقب قضاء الرومان على دولة اسرائيل وهم الامبراطور تيتوس لمعبد سليمان في اورشليم. والمفهوم أن اليهودية دخلت اليمن بعد تشتت اليهود عقب قضاء الرومان على دولة اسرائيل وهم الامبراطور تيتوس لمعبد سليمان في اورشليم. والمفهوم أن اليهودية دخلت اليمن عن طريق الحجاز. ١٢ - أما النصرانية فلم تدخل اليمن من طريق واحد، " وإنما دخلتها من البر والبحر، دخلتها من البر من ديار الشام والحجاز فاليمن، ومن العراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق، ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية والرومانية، ودخلتها كذلك مع الاحباش الذين تنصروا أيضاً في القرن الرابع للميلاد ". ١٣ - وقد قامت بين اليهودية والنصرانية منافسة في اليمن، وانتصرت اليهودية بتولي ذي نواس اليهودي العرش، وتسميه كتابات اليونان والسريان دميانوس ودمنوس. وقد اضطهد ذو نواس النصارى، فكان ذلك سبباً في غزو الاحباش لليمن سنة ٥٢٥ على ما ذكرناه. ١٤ - وأقام الاحباش ابرهة الحميري حاكماً على اليمن، وكان نصرانياً. ثم اختلف ابرهة مع النجاشي، فأرسل = [*]

[٢١٠]

قد ذكر ابن إسحاق هاهنا أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغربية وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا إيرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان. خروج ابرهة الاشرم على أرباط واختلافهما قال ابن إسحاق: فأقام أرباط بأرض اليمن سنين (١) في سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة [الحبشي - وكان في جنده] حتى تفرقت الحبشة عليهما. فانحاز إلى كل منهما طائفة [منهم] ثم سار أحدهما إلى الآخر. فلما تقارب الناس أرسل ابرهة إلى أرباط: إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً شيئاً، فابرز لي وأبرز لك، فاينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده،

فأرسل إليه أرباط انصفت، فخرج إليه أبرهة، وكان رجلا قصيرا لحميا [حادرا] (٢) وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه أرباط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة له. وخلف أبرهة غلام - يقال له عتودة - يمنع ظهره. فرفع أرباط الحربة فضرب أبرهة يريده يافوخه. فوقع الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمي أبرهة الأشرم. وحمل عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله (٣)، وانصرف جند أرباط إلى أبرهة. فاجتمعت عليه الحيشة باليمن وودى أبرهة أرباط. فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحيشة الذي بعثهم إلى اليمن غضب غضبا شديدا على أبرهة وقال عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يبطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملا جرابا من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي ثم كتب إليه: أيها الملك إنما كان أرباط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل طاعته لك إلا أنني كنت أقوى على أمر الحيشة واضبط لها وأسوس منه. وقد حلفت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه في. فلما انتهى ذلك

= هذا الأخير جيشا بقيادة أرباط ليقضي على أبرهة. وتمكن أبرهة من قتل أرباط ثم استرضى النجاشي. وقد ترك لنا أبرهة نصا على درجة كبيرة من الأهمية، أورده جواد علي كاملا، يذكر فيه ترميمه لسد مأرب مرتين، وكان أبرهة نائبا لملك الحيشة ولكنه تلقب بملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في النجاشي وفي تهامة، وهو اللقب القديم للملوك حمير المستقلين. وقد عظم شأن أبرهة ووفدت عليه وفود ملك الفرس والمنذر والحارث بن حيلة ورؤساء القبائل. وقد انتشرت المسيحية في اليمن بعد ذلك وبنيت الكنائس الكثيرة وأهمها الكنيسة المعروفة بالقبليسي، وتركزت النصرانية بصفة خاصة في نجران على ما هو معروف. ١٥ - وقد ظل سلطان الأحباش على اليمن حتى ثار عليهم سيف بن ذي يزن وحرر بلاده منهم. واستعان بالفرس، مما أدى إلى غزوهم اليمن على ما هو معروف. (١) في مروج الذهب: عشرين سنة، وفي أخبار الأزرقي: سنتين. (٢) ما بين معقوفين في الحديث زيادة من الطبري. (٣) في الأخبار الطوال: أن أبرهة ضرب أرباط بالسيف على مفرق رأسه فقتله، مخالفا بروايته ابن الأثير والطبري والمسعودي. [*]

[٢١١]

إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن أثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن. سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول) (١). قيل أول من ذلّل الفيلة إفريدون بن أثفيان (٢) الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو أول من اتخذ للخيل السرج. وأما أول من سخر الخيل وركبها فظهمورث (٣) وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال إن أول من ركبها اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم. ويقال إن الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهر. وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال الهند بإحضار سنانير إلى حومة الوغى فنفرت الفيلة (٤). قال ابن إسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس (٥) بصنعاء كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشئ من الأرض وكتب إلى النجاشي إنني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. فذكر السهيلي أن أبرهة استذل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيصة وسخرهم فيها أنواعا من السخر. وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة. وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا (٦) فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحيشة كان من يتعرض لآخذ شئ من بنائها وامتنعها أصابته الجن بسوء. وذلك لأنها كانت مبنية على اسم

صنمين - كعيب وامراته - وكان طول كل منهما ستون ذراعا. فتركها أهل

(١) سورة الفيل الآيات. (٢) في ابن الاثير اثعيان وهو أول من ذلل الفيلة وامطأها وفتح للبعال. وفي مروج الذهب ١ / ٢٢١ افريدون بن اثقابان. (٣) في الطبري وابن الاثير: أول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبعال والحمير. (٤) في مروج الذهب ج ٢ / ٩: والفيل يهرب من السنابير وهي القطاط ولا يقف لها البتة. وقد ذكر من ملوك الفرس أنها كانت توفي الفيلة. بتخيلية السنابير عليها. وفي ذلك يقول هارون بن موسى أحد أمراء السند وكان قد واجه ملك الهند فواجه الفيل فبسط معه فهرب الفيل وكان ذلك سبب هزيمة الملك: وكنت قد أعددت هرا لها * قليل التهب للزندبيل (٥) في الاخبار الطوال: بيعة. (٦) في رواية للطبري ج ٢ / ١١٠ أن أبرهة كتب إلى قيصر يطلب مساعدته فأعانه بالصناع والفسيفساء والرخام. [*]

[٢١٢]

اليمن على حالها. فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح (١) أول خلفاء بني العباس فبعث إليها جامعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا ودرست آثارها إلى يومنا هذا. قال ابن إسحاق فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة (١) الذين ينسئون شهر الحرام (٢) إلى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله: (إنما النسئ زيادة في الكفر) الآية (٣). قال ابن إسحاق فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعده فيه (٤) أي أحدث حيث لا يراه أحد ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك. فقال من صنع هذا. فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعده فيها أي أنه ليس لذلك بأهل. فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسييرن إلى البيت حتى يهدمه. ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت. ثم سار وخرج معه بالفيل (٥) وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفتعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر. فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه. فأجابه من أجابه إلى ذلك. ثم عرض له فقاتله. فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتي به أسيرا. فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: يا أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من القتل (٦). فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم (٧) عرض له نغيل بن حبيب الخثعمي (٨)

(١) في ابن الاثير والطبري: من بني فقيم. (٢) كانوا يجلون الشهر من الاشهر الحرم، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر. ونسأت الشئ فهو منسوء إذا أخرته. وكانوا يحرمون القتال في المحرم، فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا في المحرم. (٣) سورة التوبة الآية ٢٧. (٤) في ابن هشام والطبري وابن الاثير: فيها وهو الصواب. (٥) قال ابن الاثير ١ / ٤٤٢: كان اسمه محمودا، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا، وإنما وجد الله الفيل لانه عنى به كبيرها محمودا. وقال الضحاك: ثمانية فيلة. (٦) في ابن هشام: قتلي. (٧) في الاشتقاق لابن دريد: خثعم اسم جبل سمي به بنو عفرس بن خلف بن أفل بن أنمار لأنهم نزلوا عنده وقيل لأنهم تختعموا أي تلتطخوا بالدم عند حلف عقده بينهم. (٨) في ابن هشام والطبري: قبيلي. [*]

[٢١٢]

في قبيلتي خنعم وهما شهران وناهس (١) ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرا فأتى به فلما هم يقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خنعم - شهران وناهس - بالسمع والطاعة. فخلى سبيله (٢) وخرج به معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف. وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم. قال ابن إسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة. قال فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس (٣). فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغمس وقد تقدم في قصة ثمود أن أبا رغال كان رجلا منهم وكان يمتنع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه " وأية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب " فحفروا فوجدوهما قال وهو أبو ثقيف. قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق أن أبا رغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ورحمه الناس كما رحموا قبر الأول أيضا والله أعلم. وقد قال جرير: إذا مات الفرزدق فارجموه * كرحمكم لقبر أبي رغال الظاهر أنه الثاني. قال ابن إسحاق فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مفضود (٤) على خيل له حتى انتهى إلى مكة. فساق إليه أموال [أهل] تهامة من قريش وغيرهم. وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم - وهو يومئذ كبير قريش وسيدها - فهتت قريش وكنانة وهذيل (٥) ومن كان بذلك الحرم [من سائر الناس] (٦) بقتاله. ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا

(١) يقال إن خنعم ثلاث: شهران وناعس وأكلب نهاية الأرب وقال أبو عبيدة: ويقال هو أكلب بن ربيعة بن نزار. قال ابن حزم في الجمهرة: وأكلب بن ربيعة بن نزار دخلوا في بني خنعم فقالوا: أكلب بن ربيعة بن عفرس. (٢) في الطبري: فأعفاه. (٣) المغمس: واقع بين الجعرانة والشرايع في طريق السيل إلى الطائف؛ على ثلثي فرسخ من مكة. (٤) في الطبري وابن الأثير: مقصود؛ وفي نسخة للزرقي كالأصل. (٥) في الأزرقى زاد: خزاعة. (٦) ما بين معكوفين زيادة من الطبري. [*]

[٢١٤]

ذلك. وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول إنني لم أت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فائتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ف قيل له عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف بن قصي]. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة. فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتية بك. فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا - حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا؟ ما عندي غناء في شئ مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي. فسأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقاك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فنكلمه بما بدا لك وبشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك.

فقال حسبي. فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين (١) مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وإنفعه عنده بما استطعت. قال: أفعّل. فكلّم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين (١) مكة وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلّمك في حاجته [وأحسن إليه] (٢) فأذن له أبرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبيشة يجلسه معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني. أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك قد جئت لاهدمه لا تكلمني فيه ؟ فقال له عبد المطلب إنني أنا رب الابل، وإن للبيت ربا سيمنعه. فقال ما كان ليمنع مني. قال أنت وذاك. فرد على عبد المطلب إبله. قال ابن إسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمر (٣) بن نفاثة بن

(١) في الطبري وابن هشام والازرقعي: صاحب غير مكة. (٢) ما بين معكوفين زيادة من الطبري. (٣) كذا في الاصل وابن هشام والازرقعي ؛ وفي الطبري: يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل. واختلف في الدئل = [*]

[٢١٥]

عدي بن الدليل بن بكر بن عبدمناة بن كنانة سيد بني بكر (١) وخويلد بن وائلة (٢) سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فآله أعلم أكان ذلك أم لا. فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال [خوفاً عليهم من معرفة الجيش] (٣). ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده. وقال عبد المطلب - وهو أخذ بحلقة باب الكعبة - : لاهم إن العبد يم * نع رحله فامنع رحالك (٤) لا يغلبن صليهم * ومحالهم غدوا محالك إن كنت تاركهم وفي * لنا فأمر ما بدا لك قال ابن هشام هذا ما صح له منها (٥). وقال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها فينتظرون ما أبرهة فاعل (٦). فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة

= بهمز أو الدليل. والمعروف أن الدئل هم الذين من بني كنانة وهم الهون أيضاً وأما الدليل فهم من الازد ؛ وفي ابياد وفي عبد القيس. راجع نهاية الارب للقلقشندي - جمهرة انساب العرب لابن حزم - الانساب للسمعاني. لسان العرب مادة دأل. (١) في ابن هشام والازرقعي كالأصل وفي الطبري: بني كنانة. وبنو بكر كما في جمهرة ابن حزم هم بطن من بطون كنانة. (٢) في الطبري والازرقعي وابن هشام وائلة. (٣) زيادة اقتضاها السياق، من الطبري وابن الاثير والازرقعي وابن هشام. والتحرز: التمتع، وبرى التحوز؛ وهو أن ينحاز إلى جهة يتمنع. ومعرفة الجيش: شدته، أي عند نزولهم يقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم وقبل وطأتهم من مروا به من مسلم أو معاهد واصابتهم إياهم في جريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه. (٤) لاهم وفي الازرقعي يا رب. لاهم أصلها اللهم والعرب تحذف الالف واللام منها وتكتفي بما بقي. (٥) زاد السهيلي: وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم ألك وقد ذكر الطبري قصيدة أخرى لعبد المطلب غير هذه القصيدة ج ٢ / ١١٢ - ١١٣. وذكر الازرقعي قصيدة أخرى له ص

[٢١٦]

وهياً فيله وعبى جيشه، وكان اسم الفيل محمودا. فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب (١) حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وارجع راشدا من حيث أتيت. فإنك في بلد الله الحرام وأرسل أذنه. فبرك الفيل. قال السهيلي أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما ببرك كالبعير فالله أعلم (٢). وخرج نفيل بن حبيب يشند حتى أصد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبر زين (٣) ليقوم فأبى فادخلوا محاجن لهم في مرافقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (٤) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت. وخرجوا هارين يتدرون الطريق التي منها جاؤوا. ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل في ذلك: ألا حبيت عنا يا ردينا * نعمناكم مع الاصباح عينا ردينة لو رأيت فلا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا (٥) إذا لعذرتني وحمدت أمري * ولم تأسي على ما فات بينا حمدت الله إذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا (٦) وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

(١) نفيل بن حبيب الخنعمي كما في الطبري وابن الأثير والأزرقى. وقال في الروض الأنف هو: نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل. وهو خنعم. ويتفق معه ابن حزم ٢٩١ في نسبه إلا أنه يقول: نفيل بن حبيب بن عبد الله. وهو دليل الحبشة إلى البيت. (٢) عبارة السهيلي: قوله فبرك الفيل فيه نظر لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض لما دهمه من أمر الله تعالى، وقد سمعت أن في الفيلة صنفا يبرك كما يبرك الجمال. راجع حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ / ٢٢٢. (٣) الطبري: آلة معقفة من الحديد، وطير كلمة فارسية معناها الفأس. وفي حياة الحيوان عند الدميري: فضربوه بالحديد. (٤) قال ابن الأثير في النهاية مادة بلس: قال عباد بن موسى أظنها الزرازير. ١ / ١١١. (٥) في الطبري وابن الأثير: ولم تريه وفي الأزرقى: ولن تريه. وفيه في الطبري وابن الأثير: أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا (٦) في الطبري وابن الأثير: إذ عابنت بدل أبصرت. [*]

[٢١٧]

قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل. وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط (١) أنملة أنملة كلما سقطت أنملة اتبعها منه مدة تمت (٢) قيحا ودماء حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى أنصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون. قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة (٣) أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رأي بها مرائر الشجر الحرمل، والحنظل والعشير (٤) ذلك العام. قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف

مأكول) (٥). ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة. قال ابن هشام الأبايل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه (٦). قال: وأما السجيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب (٧). قال: وزعم

(١) في الطبري: تسقط أنامله أنملة أنملة. وفي ابن الأثير، فسقطت أعضاؤه عضوا. (٢) في الطبري وابن هشام: تمت بالناء أي ترشح وتنزف. (٣) هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي المدني كما في أخبار الأزرق وكان فيها عالما بالسيرة توفي عام ١٢٨ هـ. (٤) الحرمل: شجر لا يأكله شئ سوى المعزى. والعشر: شجر مر له صمغ ولين وتعالج بلبنه الجلود قيل دباغتها. وأما القول بأن الحصية والجدرى أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل وأيضا العشر والحرمل والشجر فهذا مما لا ينبغي أن يعرض عليه ولا يعول عليه كثيرا فالأمراض والأشجار مذ خلق الله العالم، ومذ وجد الإنسان على الأرض وقبل الفيل بدهور. (٥) سورة الفيل (٦) أبايل: قال صاحب القاموس في "أبل": "أبل": فرق جمع بلا واحد. والابالة القطعة من الطير أو المتابعة منها. قال صاحب اللسان "أبل": الأبايل جماعة في تفرقة، واحدا إبل وإبول. وزعم الرؤاسي أن واحدا إبالة. (٧) قال صاحب اللسان: السجيل: حجارة كالمدر، ومن قرأ السجيل فهو الصلب الشديد. وقال أبو عبيدة: تأويله كثيرة شديدة. وقال أبو إسحاق: سجيل من سجلت إذا أعطيت وعند الجوهري: [*]

[٢١٨]

بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وأنها سنج وجل (١) فالسنج الحجر؛ والجل الطين. يقول: الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين. قال: والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب. وقال الكسائي سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبايل أبل وقال كثيرون من السلف الأبايل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضا من ههنا وههنا. وان ابن عباس كان له خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأف الكلاب وعن عكرمة كانت رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضرا. وقال عبيد بن عمير كانت سودا بحرية في مناقيرها وأكفها الحجارة. وعن ابن عباس كانت أشكالها كعنقاء مغرب وعن ابن عباس كان أصغر حجر منها كراس الإنسان ومنها ما هو كالابل. وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق. وقيل كانت صغارا والله أعلم (١) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شيبه حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجله وحجرا في مناقره قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم. ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها. فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره. ولا يقع على شئ من جسده إلى خرج من الجانب الآخر (٢). وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادنها شدة فأهلكوا جميعا. وقد تقدم أن ابن إسحاق قال وليس كلهم أصابته الحجارة يعني بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أنملة أنملة فلما وصل إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله (٣).

= حجارة طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم. (١) في تفسير القرطبي: قال عبد المطلب: إنها أشباه اليعاسيب. وقال الكلبي: في مناقيرها حصى كحصى الحذف. أمام كل فرقة طائر يقودها، أحمر المنقار، أسود الرأس طويل العنق. وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقيل كانت بيضا. (٢) قال القرطبي في تفسيره: قيل: كان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها ويقع في دماغه، ويخرق الدابة والفيل. ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه. (٣) في تفسير القرطبي ج ٢٠ / ١٩٢: وكان أصحاب الفيل ستمين ألفا، لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم، ورجع معه

شردمة لطيفة، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا. وفي رواية للقرطبي: ولم يسلم منهم إلا رجلا من كندة - نفيل بن حبيب - وجاء في أخبار الأزرقى: وأقام بمكة فلاك من الجيش وعسفاء وبعض من ضمه العسكر، فكانوا بمكة يعتملون ويرعون لاهل مكة. [*]

[٢١٩]

وروى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن سمرة (١) عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان (٢). وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أنيسا فأما قائده فلم يسم والله أعلم. وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمال جثتهم فألقاها في البحر (٣). قال السهيلي وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة (٤) من تاريخ ذي القرنين. قلت وفي عامها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشهور. وقيل كان قبل مولده بسنين كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة. ثم ذكر ابن إسحاق ما قالته العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ويطهره ويوفره ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة: فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش وإنما كان النصر للبيت الحرام وإرهاصا وتوطئة لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم. فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبير السهمي: تنكوا عن بطن مكة إنها * كانت قديما لا يرام حريمها (٥) لم تخلق الشعري ليالي حرمتم * إذ لا عزيز من الأنام يرومها (٦) سائل أمير الحبش عنها ما رأى * فلسوف يني الجاهلين علمها (٧)

(١) كذا في الاصل سمرة. وفي ابن هشام والطبري وابن الأثير: عمرة. وعمرة هي بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية المدنية الفقيهة. كانت في حجر عائشة وروت عنها الكثير توفيت سنة ٩٨ هـ وقيل سنة ١٠٦ هـ عن سبع وسبعين سنة. (٢) جاء في تفسيره عن عتاب بن أسيد قال: وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس ٣٠ / ١٩٥. (٣) في الطبري ج ٢ / ١١٥: ويعت الله سيلا أتيا فذهب بهم فألقاهم في البحر. (٤) في السهيلي سنة اثنتين وثمانين؛ وفي مروج الذهب ج ٢ / ٣٩٦. وفي الطبري لمضي ٤٢ سنة من ملك كسرى انوشروان وفي هذا العام كان يوم جيلة. وفي أيام العرب في الجاهلية يوم جيلة كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة. نهاية الأرب ٤١٤ وقال ابن سيد الناس: ص ٢٧: ذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي قال: كان قدوم الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وأفقه المسعودي. وزاد كان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب ولسنة أربعين من ملك كسرى. (٥) تنكوا ورويت تنكوا ومعناها: انصرفوا وارجعوا خوفا. (٦) الشعري: وهما شعريان - اسم نجم - الغمضاء والاخرى تتبع الجوزاء. (٧) في ابن هشام الجيش بدل الحبش. [*]

[٢٢٠]

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم * بل لم يعيش بعد الاياب سقيمها (١) كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت الانصاري المدني: ومن صنعه يوم فيل الحبو * ش إذ كلما بعثوه رزم محاجنهم تحت اقرايه * وقد شرموا أنفه فانخرم (٢) وقد جعلوا سوطه مغولا * إذا يمموه ففاه كلم فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم فأرسل من فوقهم حاصبا * فلفهم مثل لف القزم (٤) تحض على الصبر أحبارهم * وقد ثاجوا كتؤاج الغنم (٤) ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي قال ابن هشام ويروي لامية بن أبي الصلت: إن آيات ربنا ثاقبات * مما يماري فيهن إلا الكفور (٥) خلق الليل والنهار فكل

* مستبين حسابه مقدور ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهارة شعاعها
منثور حبس الفيل بالمغمس حتى * صار يحبو كأنه معقور لازما حلقة
الجران كما ق * د من صخر كيكب محدود (٦) حوله من ملوك كندة
أبطا * ل ملاويث في الحروب صقور (٧) خلفوه ثم ابذعروا جميعا *
كلهم عظم ساقه مكسور كل دين يوم القيامة عند الا * ه إلا دين
الحنيفة بور ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت أيضا: فقوموا فصلوا
ريكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الاخشاب (٨)

(١) في ابن هشام حذف بل، ونبه السهيلي على أن بل زيادة زادها بعضهم ممن
ظن خطأ أن البيت مكسور. (٢) في الأزرقى: وقد كلموا أنفه بالخزم. (٣) في الأزرقى:
يلفهم. (٤) في الأزرقى: يحث على الطير أجنادهم. (٥) في الأزرقى: إن آيات ربنا
بينات. (٦) في ابن هشام كما قطر بدل كما قد. وككب: اسم جبل. (٧) ملاويث جمع
ملاث وهو الشديد والشريف. (٨) الاخشاب: جبال مكة وجبال منى. [*]

[٢٣١]

فعندكم منه بلاء مصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكنائب كتييته
بالسهل تمشي ورجله * على القاذفات في رؤوس المناقب فلما
أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب (١)
قولوا سراعا هاربين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير عصائب (٢)
ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحمائته
بهلاك من أراده بسوء: كاده الاشرم الذي جاء بالفئ * - ل فولى
وجيشه مهزوم واستهلت عليهم الطير بالجد * - دل حتى كأنه
مرجوم ذاك من يغزه من الناس ير * جع وهو فل من الجيوش ذميم
قال ابن إسحاق: وغيره فلما هلك أبرهة ملك الحبشة (٣) بعده ابنه
يكسوم. ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة وهو آخر ملوكهم. وهو
الذي انتزع سيف بن ذي يزن الحميري الملك من يده بالجيش الذين
قدم بهم من عند كسرى أنو شروان كما سيأتي بيانه. وكانت قصة
الفيل في المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين
وهو الثاني إسكندر بن فليس المقدوني الذي يؤرخ له الروم. ولما
هلك أبرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر القليس الذي
كان بناه أبرهة وأراد صرف حج العرب إليه لجهله وقلة عقله. وأصبح
يبابا لا أنيس به. وكان قد بناه على صنمين وهما كعب وامراته وكانا
من خشب طول كل منهما ستون ذراعا في السماء وكانا مصحوبين
من الجان ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شئ من بناء القليس
وأمتعته إلا أصابوه بسوء. فلم يزل كذلك إلى أيام السفاح أول خلفاء
بني العباس فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذي كان
أبرهة نقله إليه من صرح بلقيس الذي كان باليمن فبعث إليه من
خبره حجرا حجرا وأخذ جميع ما فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره
السهيلي والله أعلم. خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف
بن ذي يزن قال محمد بن إسحاق رحمه الله: فلما هلك أبرهة ملك
الحبشة يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك
اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة. قال: فلما طال البلاء
على أهل اليمن (٤) خرج سيف بن ذي يزن الحميري وهو سيف بن
ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن

(١) في الأزرقى: فلما أجازوا بطن نعمان ردهم. (٢) في الأزرقى: بالجيش، وفي
هامشه قال: كذا في تصحيحات الطبعة الأوروبية. (٣) في ابن هشام: ملك اليمن في
الحبشة وفي الطبري: ملك اليمن ابنه في الحبشة. (٤) أذل مسروق اليمن، حمير
وقبائل اليمن، ووطنهم الحبشة فنكحوا نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم [*]

زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج، وهو حمير بن سبأ - وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى إليه ما هو فيه، وسأله أن يخرجهم عنه ويوليهم، وهو يخرج إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يشكه [ولم يجد عنده شيئاً مما يريد]. فخرج (١) حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل (٢) العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الباقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له. فلما دخل عليه [سيف] طأطأ رأسه فقال الملك: إن هذا الاحمق يدخل علي من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه. فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لهما لانه يضيق عنه كل شيء. ثم قال: أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغرية. قال كسرى أي الاغرية الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجتتك لتنصرني ويكون ملك بلادك لك فقال له كسرى بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لاورط جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك، ثم أجازته بعشرة آلاف درهم واف (٣) وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأناً ثم بعث إليه فقال عمدت إلى حياء الملك تنثره للناس قال وما أصنع بحياك، ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة، يرغبه فيها [مما رأى من زهادته فيها إنما

= تراجمة بينهم وبين العرب (انظر الطبري - ابن الاثير) وقال المسعودي: عم آذان سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه.. (١) في مروج الذهب ج ٢ / ٨٦: أقام سيف على باب قيصر سبع سنين فأبى نجدته وقال له: أنتم يهود والحبشة نصارى وليس في الديانة أن تنصر المخالف. فمضى إلى كسرى فاستنجده فوعده أنو شروان بالنصرة، وشغل بحرب الروم. ومات سيف فأتى بعده ابنه معديكرب بن سيف. الاخبار الطوال ٦٣ ذهب إليه في انطاكية. وفي ابن الاثير ان ذي بز الذي طلب المساعدة الاولى من كسرى. (٢) القنقل: مكبال، يسع ثلاثة وثلاثين منا (والمن: وزان رطلين تقريباً). (٣) واف: وفى الدرهم المثقال، وذلك إذا عدله.] *

جئت الملك ليمنعني من الظلم ويدفع عني الذل] (١) فجمع كسرى مرازبته فقال لهم: ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له. فقال قائل: أيها الملك إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكاً أزدتته، فبعث معه كسرى من كان في سجونهم وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن (٢) ست سفائن (٣) فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً فقال له وهرز: أنصفت وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده (٤) فأرسل إليهم وهرز ابناً له (٥) ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم. قال وهرز: أروني ملكهم فقالوا له أترى رجلاً على الفيل

عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء. قال: نعم. قالوا ذلك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو؟ قالوا قد تحول على الفرس. قال اتركوه فتركوه طويلا ثم قال علام هو؟ قالوا على البغلة قال وهرز: بنت الحمار ذك وذل ملكه، إني سأرنيه فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فأثبتوا حتى أودنكم فإني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولائوا فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم. ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه وتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته واستدارت الحبيشة ولائت به، وحملت عليهم الفرس فانهمزوا فقتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايته منكسة أبدا اهدموا هذا الباب فهدم، ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيف بن ذي يزن الحميري: يظن الناس بالملك * ن أنهما قد التأموا ومن يسمع بلامهما * فإن الخطب قد فقما قتلنا القيل مسروقا * وروينا الكتيب دما وإن القيل قيل لنا * س وهرز مقسم قسما يذوق مشعشعا حتى * نفئ السبي والنعما

(١) ما بين معكوفين في الحديث زيادة من الطبري اقتضاها اكتمال المعنى. (٢) في مروج الذهب: أتوا ساحل حضرموت في مكان يقال له: مئوب، فأمرهم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا أنه الموت. (٣) في الطبري: فيهن ستمائة رجل. (٤) في الطبري: مائة ألف من الحبيشة وحمير والاعراب. وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس. مروج الذهب ٢ / ٨٧. (٥) في الطبري: يقال له: نوزاد. [*]

[٢٣٤]

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود الملك إليه وأمتدحوه. فكان من جملة من وفد فريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فيشره سيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من أمره وسيأتي ذلك مفصلا في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام. قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي قال ابن هشام وبيروى لامية بن أبي الصلت (١): ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن * ريم في البحر للاعداء أحوالا (٢) يمم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذي سالا (٣) ثم انتنى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين يهين النفس والمالا (٤) حتى أتى بني الاحرار يحملهم * إنك عمري لقد أسرعت قلقالا (٥) لله درهم من عصبة خرجوا * ما إن أرى لهم في الناس أمثالا (٦) غلبا مرابزة بيضا أساورة * أسدا ترب في الغيضا أشبالا (٧) يرمون عن سدق كأنها غبط * بزمر يعجل المرمي إعجالا (٨) أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم في الارض فلالا فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا * في رأس غمدان دارا منك محلالا (٩) واشرب هنيئا فقد شالت نعماتهم * وأسبل اليوم في برديك إسبالا (١٠) تلك المكارم لا قعبان من لبن * شييا بماء فعادا بعد أبوالا يقال - إن غمدان - قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان وملكه بعده واحتله وائلة بن حمير بن سبا ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فالله أعلم.

(١) في المسعودي ٢ / ٩٠: لابي زمعة جد أمية بن أبي الصلت (٢) في المسعودي: في لجة البحر أحوالا وأحوالا. (٣) في الطبري: أتى هرقل وقد شالت نعماتهم. قال. (٤) في الطبري: ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة. وفي الشعر والشعراء بعد تاسعة. (٥) في الطبري: إنك لعمرى لقد أطولت. والاحرار يعني: الفرس. وفي المسعودي: تخالهم في سواد الليل أجيالا. (٦) في الطبري: ما إن ترى. وفي المسعودي: ما إن رأيت. (٧) في الطبري: غر حاججة بيض مرابزة. وفي ابن هشام: بيضا مرابزة غلبا أساورة والغلب: الشداد. والأساورة: رماة الفرس. (٨) في الطبري وابن هشام: شدف بدل سدق. وشفد عظام الاشخاص وهنا يعني القسي. (٩) غمدان: قصر بناه يشرح بن يحصب وقيل بناه سليمان عليه السلام وقد هدم في عهد عثمان رضي الله عنه.

(١٠) شالت نعامتهم: إشارة إلى هلاكهم. فالهالك ترتفع رجلاه وينتكس رأسه فتظهر نعامة قدميه وترتفع. [*]

[٢٢٥]

قال ابن إسحاق: وقال عدي بن زيد الحميري وكان أحد بني تميم: ما بعد صنعاء كان يعمرها * ولاة ملك جزل مواهبها رفعها من بني لذي قزح ال * مزن وتندى مسكا محاربا محفوفة بالجبال دون عرى ال * كأند ما يرتقى غواربها يأنس فيها صوت النهام إذا * جاوبها بالعشي قاصبها (١) ساقى إليها الأسباب جند بني ال * أحرار فرسانها مواكبها وفوزت بالبعال توسق بالحد * تف وتسعى بها توالبها (٢) حتى يراها الأقوال من طرف الم * نقل مخضرة كتائبها يوم ينادون آل بربر واليك * سوم لا يفلحن هاربها فكان يوما باقي الحديث وزا * لت إمة ثابت مراتبها (٣) وبدل الهيج بالزرافة والا * يام خون جم عجائبها (٤) بعد بني تبع نخاورة * قد اطمأنت بها مراربها قال ابن هشام: وهذا الذي عني سطيح بقوله يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أحدا باليمن. والذي عني شق بقوله: غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن. قال ابن إسحاق: وأقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء (٥) الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة: أرباط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة. ما ال إليه أمر الفرس باليمن قال ابن هشام: ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات

(١) النهام: ذكر اليوم القاصب: صاحب الزمارة. (٢) توالبها: جمع تولب وهو ولد الحمام. (٣) في بعض النسخ أمة وهو خطأ والصواب إمة: وهي النعمة. (٤) في ابن هشام وسيرة ابن كثير: الفيح بدل الهيج: وهو المنفرد في مشيته. والزرافة: الجماعة. (٥) في النهاية لابن الأثير: ويقال لاولاد فارس الأبناء، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن، فقبل لاولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم لان امهاتهم من غير جنس آبائهم. [*]

[٢٢٦]

المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان ثم مات فأمر ابن التينجان (١)، ثم عزله عن اليمن وأمر عليها بأذان وفي زمنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن هشام فبلغني عن الزهري أنه قال: كتب كسرى إلى بأذان: أنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه، فبعث بأذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا، فلما أتى بأذان الكتاب وقف لينتظر وقال إن كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن هشام: على يدي ابنه شيرويه. قلت: وقال بعضهم بنوه تماالوا على قتله، وكسرى هذا هو ابرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباز (٢)، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى: (الم غلبت الروم في أدنى الارض). كما سيأتي بيانه. قال السهيلي: وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الاولى سنة تسع (٣) من الهجرة. وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الاسلام فغضب ومزق كتابه، كتب إلى نائبه باليمن يقول له ما قال. وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول بأذان: إن ربي قد قتل

الليلة ربك فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل تلك الليلة بعينها، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعدما خلعه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه إلا ستة أشهر أو دونها (٤). وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني: وكسرى إذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحم تمخضت المنون له بيوم * ألا ولكل حامله تمام قال الزهري: فلما بلغ ذلك بإذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل: إلى من نحن يارسول الله. قال أنتم منا وإلينا أهل البيت قال:

(١) في الطبري ج ٢ / ١٢١ ابن الأثير ج ١ / ٤٥١: اسمه: خر خسره بن البيهقان. وفي مروج الذهب: ٢ / ٨٢ ملك النوشجان بن وهز بعد وهز ثم رجل يقال له سبحان ثم خرزاد ثم ابن سبحان ثم المرزيان ثم بعد خر خسرو وكان مولده باليمن ثم بعده بإذان. وفي إخبار الدينوري: بعد وهز وجه كسرى إلى أرض اليمن بإذان فلم يزل ملكا عليها إلى أن قام الإسلام. وقال ابن الأثير: وقد اختلفوا في ولادة اليمن للاكاسرة اختلافا كثيرا (٢) في الطبري وابن الأثير والمسعودي: قباد، وفي قصة مقتله قال الطبري ٢ / ١٥٩: وثبت فارس على كسرى فقتلته وساعدهم على ذلك ابنه شيرويه: وكان الذي قتله مهر هرمز بن مردنشاها فاذوسبان نيمرود. وزاد ابن الأثير: ان شيرويه أمر بقتل مهرمهر بعد دفن أبيه. (٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ / ٢٦٠: سنة سبع. (٤) في الطبري ٢ / ١٦٦ وابن الأثير ١ / ٤٩٧ ثمانية أشهر، وفي المسعودي ج ١ / ٢٩١ سنة وستة أشهر. وكان هلاكه بالطاعون. [*]

[٢٢٧]

الزهري ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت. قلت والظاهر أن هذا كان بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولهذا بعث الامراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله عز وجل، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل. ودانت اليمن وأهلها للإسلام ومات بإذان فقام بعده ولد شهر بن باذان، وهو الذي قتله الاسود العنسي حين تنبأ وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه وأجلى عن اليمن نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها. وقال ابن هشام: وهذا هو الذي عنى به سطيح بقوله: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي. والذي عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال ابن إسحاق: وكان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب بالزمان الاول: لمن ملك ذمار؟ الحمير الاخيار، لمن ملك ذمار؟ للحبيشة الاشرار. لمن ملك ذمار؟ لفارس الاحرار (١)، لمن ملك ذمار لفريش التجار. وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي: حين شددت ذمار قيل لمن از * ت فقالت لحمير الاخيار ثم سيلت من بعد ذاك فقال * ت أنا للحبيش أخبث الاشرار ثم قالوا من بعد ذاك لمن از * ت فقالت لفارس الاحرار ثم قالوا من بعد ذاك لمن از * ت فقالت إلى قريش التجار (٢) ويقال إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق، وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بلقيس ببسبير في أيام مالك بن ذي المنار أخي عمرو ذي الأذعار بن ذي المنار ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضا وهو من كلامه عليه السلام حكاة السهيلي والله أعلم.

(١) سمى حمير الاخيار: لانهم كانوا أهل دين. وسمى الحبيشة الاشرار: لما احدثوا في اليمن من الفتن والعيث والفساد. وهمهم بهدم بيت الله الحرام. فارس الاحرار: لانهم لم يؤدوا الأتاوة لسلطان أجنبي ولم تخضع بلادهم لسيطرة ولم يدينوا لملك غريب عنهم. (٢) في مروج الذهب ٢ / ٩٤: كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار، وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر أسود: يوم شيدت ظفار قيل: لمن از ت

الاحبار إن ملكي للاحبش الاشرار ثم سلبت من بعد ذلك ؟ فقالت * إن ملكي: لفارس
الاحرار ثم سلبت: ما بعد ذلك فقالت * إن ملكي إلى قريش التجار [*]

[٢٢٨]

قصة الساطرون صاحب الحضرة وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ما قاله بعض علماء النسب: إن النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في ورود سيف بن ذي يزن عليه وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن إليه إنه من سلالة الساطرون صاحب الحضرة وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر (١) وأنه روي عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء فيصر (٢) بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة. والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء، واسع الرحبة والفتاء، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الاحكام والبهاء والحسن والسناء، وإليه يجبي ما حوله من الاقطار والارجاء. واسم الساطرون الصيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاة كذا نسبه ابن الكلبي. وقال غيره: كان من الجرامقة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات (٣). قال ابن هشام: وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا الساطرون ملك الحضرة وقال غير (٤) ابن هشام: إنما الذي غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الاكاسرة. وأما سابور ذو الاكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله أعلم ذكره السهيلي. قال ابن هشام: فحضره سنتين - وقال غيره أربع سنين (٥)، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بأرض العراق - فأشرفت بنت الساطرون (٦) وكان اسمها النضيرة فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلاً، فدمست إليه: أتزوجني إن فتحت لك باب الحضرة ؟ فقال: نعم ! فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر،

(١) قال الطبري في تاريخه ٢ / ٢٨: وهذا قول مضر وحماة الراوية وهو باطل. (٢) كذا في الاصل فيصر، والصواب في الطبري قنص. وجاء في ٢ / ٢٨ عنده: ولم يأت في قنص بن معد شيئاً أثبت من قول جبير بن مطعم: أن النعمان كان من ولده. (٣) في الطبري ٢ / ٦١ ابن الاثير ١ / ٢٨٧ يجبال تكريث بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضرة وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون. وزعم الكلبي أنه من العرب من قضاة وأنه الصيزن بن معاوية بن عبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سيح بن حلفان بن عمران بن الحاف بن قضاة وأمه من تزويد بن حلوان واسمها جيهلة. (٤) الطبري ج ٢ / ٦١ ابن الاثير ١ / ٢٨٧ المسعودي مروج الذهب ٢ / ٢٧١. (٥) في خبر الطبري وابن الاثير أربع سنين: وفي المسعودي: أقام عليه سابور شهراً. (٦) في هشام: ساطرون، وفي المسعودي: والساطرون واسيطرون هذه الألقاب. [*]

[٢٢٩]

وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحضرة من تحت رأسه، وبعثت بها مع مولى لها. ففتح الباب - ويقال بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضرة، ويقال بل دلتهم على طلسم كان في الحضرة وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتغضب رجلاها (١) يحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فإذا وقعت على سور الحضرة سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فانفتح الباب، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضرة وخربه وسار بها معه فتزوجها. فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تمللم لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس

(٢). فقال لها سابور أهذا الذي أسهرك ! قالت: نعم ؟ قال فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ ويسقيني الخمر (٣). قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به. أنت إلي بذلك أسرع، فربطت قرون (٤) رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة: ألم تر للحضر إذ أهله * بن عمي وهل خالد من نعم أقام به شاهبور الجنو * د حولين تضرب فيه القدم فلما دعا ربه دعوة * أناب إليه فلم ينتقم (٥) فهل زاده ربه قوة * ومثل مجاوره لم يقم وكان دعا قومه دعوة * هلموا إلى أمركم قد صرم فموتوا كراما بأسيا فكم * أرى الموت يجشمه من جشم وقال عدي بن زيد في ذلك: والحضر صابت عليه داهية * من فوقه أيد مناكبها (٦) ربية لم توق والدها * لحينها إذ أضاع راقبها (٧) إذ غبقتة صهباء صافية * والخمر وهل يهيم شاربها فأسلمت أهلها بليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها (٨)

(١) في الطبري وابن الأثير والمسعودي: فاكذب في رحلها. (٢) في الطبري وابن الأثير والمسعودي: ورقة من ورق الأس (الريحان) ملتزقة بعكته من عكنا قد أثرت فيها. (٣) في الطبري وابن الأثير والمسعودي: الزيد والمخ وشهد الأيكار من النحل وصفو الخمر: (٤) ثم عصب غداثرها (الطبري - ابن الأثير - المسعودي). (٥) كذا في ابن هشام والذي في الطبري: فلما رأى ربه فعله * أنه طروفا فلم ينتقم (٦) كذا في ابن هشام: وفي المسعودي: صبت بدل صابت. وعجزه: من قصره قد أبد ساكنها. (٧) كذا في ابن هشام وفي المسعودي: ربية بدل ربية. (٨) كذا في ابن هشام والذي في المسعودي: واسلمت أهلا ليلتها. [*]

[٢٣٠]

فكان حظ العروس إذ جشرا ال * صبح دماء تجري سبائبها (١) وخرب الحضر واستبيح وقد * أحرق في خدرها مشاجبها وقال عدي بن زيد أيضا: أيها الشامت المعير بالده * رأت المبرأ الموفور أم لديك العهد الوثيق من الا * يام بل أنت جاهل مغرور من رأيت المنون خلدن أم * من ذا عليه من أن يضام خفير أين كسرى كسرى الملوك أنو * شروان أم أين قبله سابور وبنو الأصغر الكرام ملوك ال ب روم لم يبق منهم مذكور وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجل * ة تجبى إليه والخابور شاده ممرما وجلله كل * سا فللطير في ذراه وكور لم يهيه رب المنون فبا * ن الملك عنه فبابه مهجور (٢) وتذكر رب الخورنق إذ * أشرف يوما وللهدي تفكير سره ماله وكثرة ما يم * لك والبحر معرضا والسدير (٣) فارعوى قلبه وقال وما غب * طة حي إلى الممات يصير ثم اضحوا كأنهم ورق ج * ف فألوت به الصبا والديور قلت: ورب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاه فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده. فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه، وفكر في يومه وأمسه، وخاف من ضيق رمسه. فتاب وأناب ونزع عما كان فيه وترك الملك ولبس زي الفقراء وساح في الفلوات وحظي بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب التوابين وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين. خبر ملوك الطوائف وأما صاحب الحضر وهو ساطرون فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان

(١) جشرا: طلع وأضاء. سبائبها: طرائقها. (٢) في الطبري: فباد بدل فبان. [*]

من زمن اسكندر بن فليبس المقدوني اليوناني وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل مملكته وخرّب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر مذر عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في إقليم من أقاليم الارض ما بين عربيها وأعاجمها فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محلته فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الامر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان ازدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشناسب بن لهراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك برمتها إليه وأزال ممالك مملوك الطوائف ولم يبق منهم تلذ ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم فلما مات ازدشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم. ذكر بني اسماعيل وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة تقدم ذكر اسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الانبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فاسكنها بوادي مكة بين جبال فاران (١) حيث لا أنيس به ولا حسيب وكان إسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب (٢) فيه تمر ووكاء فيه ماء فلما نفذ ذلك أتبع الله لهاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري (٣) رحمه الله. ثم نزلت جرهم وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الاقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شئ إلا ما يشربون منه وينتفعون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين يقال إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبح كما تقدم بيان أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة (٤) ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة (٥) بنت

(١) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من اسماء مكة ذكرها في التوراة، وقيل هي اسم لجبال مكة. ياقوت ٤ / ٣٢٤. (٢) في الازرقى: شنة فيها ماء تشرب منها وتدر على ابنها وليس معها زاد - ١ / ٥٥. (٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق - باب يزفون النسلان في المشي ج ٢ / ١١٣. (٤) في الازرقى: عمارة بنت سعيد بن أسامة. والذي في الروض الأنف: جداء بنت سعد وهي المرأة التي أمره أبوه بتطبيقها ثم تزوج أخرى: سامة بنت مهلهل، وقيل عاتكة. امرأة من العماليق بنت صيدى الطيبات ١ / ٥١ المسعودي: الجداء بنت سعد ٢ / ٥١. (٥) كذا في الروض الأنف وفي الطبري - وفي ابن هشام رعدة ١ / ٥ وفي الازرقى ١ / ٨٦. وقال الكلبي رعدة بنت يشجب بن يعرب بن لوزان بن جرهم الطيبات ١ / ٥١. المسعودي: سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيني بنت نبت ٢ / ٥٢. [*]

مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما تقدم ذكرهم وهم: نابت وقيذر. ومنشا. ومسمع. وماشي. ودما. وأذر. ويطور. ونيشى. وطيفا. وفيذما هكذا ذكره محمد بن إسحاق (١) وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نسمة (٢) وهي التي زوجها من ابن أخيه العيص بن إسحاق بن إبراهيم فولد له منها الروم وفارس والاشبان أيضا في أحد القولين. ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم إلى ولديه نابت وقيذر

(٣)، وكان الرئيس بعده والقائم بالامور الحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نائب بن إسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين. ثم تغلبت جرهم على البيت طمعا في بني أختهم فحكموها بمكة وما والاها عوضا عن بني إسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نائب مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر (٥) بن نبت بن جرهم. وجرهم بن قحطان ويقال جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح

(١) قال الطبري ١ / ١٦١ وقد ينطق اسماء أولاد اسماعيل بغير الالفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق: نائب متفق عليه. قيذر - قيذر - قيذر. أذبل - أذبل - أذبال - أدبال - أدب ايل. ميشا - منشأ - منشأ - مشا - ميشام - منشى. مسمع - مشماعة. ماشى - ماسى. دما - دمار - دوما. ادر - اذر - أزر - أذور. قيذما - قيذمان - قيذما - نيش - نيفس - يافيش - فنس. طيما - طما - طيما. يطور - تطور - طور - قمطور. مسعودي ٢ / ٥٢. نائب قيذر - اذبل - ميسم - مشمع - دوما - دوام - مسا - حداد - ثيما - يطور - نافش. (٢) في الطبري ج ١ / ١٦٢: بسمة تزوجها عيص بن إبراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بني الأصغر من ولده وبعض الناس يزعم أن الأشيان من ولده ولا أدري أمن بنت اسماعيل أم لا. (٣) في الطبري والأزرقى: فمن نائب وقيذر نشر الله العرب وزاد الأزرقى وكان أكبرهم قيذر ونابت (٤) في السهيلي والمسعودي: ابن هيني. وفي رواية للمسعودي ان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض وهو أولى من ولي البيت. ٢ / ٥٤ - ٥٥. [*]

[٢٢٢]

الجرهمي، وكان نازلا بأعلى مكة بقرعقان (١). وكان السמידع سيد قطوراء نازلا بقومه في أسفل مكة (٢) وكل منهما يعشر من مر به مجتازا إلى مكة. ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقتلوا [قتالا شديدا] فقتل السמידع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتارهم بمكة وبغيرها وذل لخؤولتهم له ولعظمة البيت الحرام [أن يكون به بغي أو قتال] (٣). ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ثم إلى عمرو بن الحارث. ثم بغب جرهم بمكة واكثر فيها الفساد وألحدوا بالمسجد الحرام (٤) حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بغي وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل (٥) اجتمعا في الكعبة فكان منه إليها الفاحشة فمسخهما الله حجرتين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبرا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه. فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة. فلما اكثر جرهم البغي بالبلد الحرام تمالات عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم

(١) في الأزرقى: وكان في أعلى مكة وكان يعشر من دخلها من أعلاها وكان حوزهم وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعدا يمينا وشمالا وقرعقان إلى أعلى الوادي. (٢) أسفل مكة واجيادين وكان حوزهم المسفلة ظهر الكعبة والركن اليماني والغربي واجيادين والثنية إلى الرمضة وأزرقى ١ / ٨٢. وفي المسعودي السמידع بن هوير بن لاوي بن قيطور بن وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة ١ / ٨١ - ٨٥. كركر بن حيد ٢ / ٥٤. (٣) ما بين معكوفين زيادة من الأزرقى. وفي المسعودي أن القتال كان على الجرهميين ثم اصطلحوا وصارت ولاية البيت إلى العماليق. ثم كانت لجرهم عليهم وأقاموا ولاية للبيت نحو ثلاثمائة سنة. وكان أول ملوكهم مضاض بن عمرو. ثم عمرو بن مضاض ثم الحارث بن عمرو ثم عمرو بن الحارث ثم مضاض بن الحارث بن عمرو بن مضاض بن عمرو. (٤) قال في الأزرقى ٨٦: فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم فقال: يا قوم احذروا البغي فإنه لا بقاء لاهله قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا.. فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمه بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظما لحرمته أو آخر جاءه بأثما لسلعته أو مرتغيا في جواركم. (٥) في الأزرقى: أساف بن سهيل أساف بن يعلى - بن عمرو ونائلة بنت عمرو بن ذيب وقيل نائلة بنت زيد من جرهم نائلة بنت سهل - بنت زفيل. وفي ابن هشام: أساف بن بغي ونائلة بنت ديك ١ / ٨٤ وقيل غير ذلك (ابن الكلبي - معجم البلدان - شرح القاموس). [*]

وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم. وقيل إن خزاعة من بني إسماعيل فالله أعلم. والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وأذنوهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغيشان (١) واجلوهم عن البيت فعمد عمرو (٢) بن الحارث بن مضاخ الجرهيمي وهو سيدهم إلى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الاسود وإلى سيوف محلاة وأشياء أخر دفننها في زمزم وعلم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن. وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاخ (٣): وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالدمع منها المحاجر كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر (٤) فقلت لها وإلقلب مني كأنما * يلجلجه بين الجناحين طائر بلى نحن كنا أهلها فأزالنا (٥) * صروف الليالي والجدود العواثر وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعز فما يحظى لدينا المكائر ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا * فليس لحي غيرنا ثم فاخر ألم تنكحوا من خير شخص علمته (٦) * فابناؤه منا ونحن الاصاهر فإن تثني الدنيا علينا بحالها * فإن لها حالا وفيها التشاجر فأخرجنا منها المليك بقدره * كذلك يا للناس تجري المقادر (٧)

(١) بنو غيشان، منهم الحارث وهو غيشان بن عبد عمرو بن بوي بن ملكان بن أفضى بطن من خزاعة. (٢) في الأزرقى: مضاخ بن عمرو ؛ وكان مضاخ حسب رواية الأزرقى قد اعتزل عن جرهم بعد بغيهم ولم يشترك في القتال بينهم وبين خزاعة. وبعد نصر خزاعة جاءهم بنو إسماعيل فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم. وأرسل مضاخ يستأذن النزول مكة فرفضوا فانطلق مضاخ نحو اليمن إلى أهله. (٣) في الأزرقى مضاخ بن عمرو بن الحارث بن مضاخ في قصيدة طويلة ٩٧ / ١. وفي المسعودي الحارث بن مضاخ الأصغر. وفي ابن هشام عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاخ. (٤) الحجون: الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة. والصفا: مكان عال في أصل جبل أبي قبيس جنوبي المسجد الحرام. (٥) في ياقوت والمسعودي: فأبادنا. (٦) في الأزرقى: فانكح جدي خير شخص علمته. (٧) في التيجان: بالانسان يدل يا للناس وفي الأزرقى بين الناس. [*]

أقول إذا نام الخلي ولم أنم * أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر (١) وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير وبحابر (٢) وصرنا أحاديثا وكنا بغيطة * بذلك عضتنا السنون الغواير فسحت دموع العين تبيكي لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر وتبيكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر (٣) وفيه وحوش لا ترام أنيسة * إذا خرجت منه فليست تغادر قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاخ أيضا يذكر بني بكر وغيشان الذين خلفوا بعدهم بمكة: يا أيها الناس سيروا إن قصاركم (٤) * أن تصيحوا ذات يوم لا تسيرونا حثوا المطي وأرخوا من أزمته * قبل الممات وقضوا ما تقضونا كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما صرنا تصيروننا (٥) قال ابن هشام: هذا ماصح له منها وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم قائلها. وذكر السهيلي لهذه الابيات أخوة وحكى عندها حكاية معجبة وانشادات معربة. قال: وزاد أبو الوليد الأزرقى في كتابه فضائل مكة على هذه الابيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاخ: قد مال دهر علينا ثم أهلكتنا * بالبغي فينا وبز الناس ناسونا (٦) واستخبروا في صنيع الناس قبلكم * كما استبان طريق عنده الهونا كنا زمانا ملوك الناس قبلكم * بمسكن في حرام

الله مسكونا قصة خزاعة وعمرو بن يحيى وعبادة العرب للانصام قال
ابن إسحاق: ثم أن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن
عبد مناة، وكان

(١) سهيل وعامر: جبل من جبال مكة (الروض الانف - معجم البلدان). (٢) في
الازرقى: منهم بدل منها وشنطه: وحمير قد بدلتها واليحابر. (٣) في الازرقى والاعلام
والروض اختلاف يسير في رواية البيت. (٤) في ابن هشام والازرقى قصركم: أي
غابتكم ونهايتكم. وفي الازرقى: يا أيها الحي. (٥) في ابن هشام عجزه: دهر فأنتم
كما كنا تكونونا. وفي الازرقى: إنا كما كئنا كنا فغيرنا * دهر فسوف كما صرنا تصيرونا
(٦) في الازرقى: فيه بدل فينا. وير بدل وين. [*]

[٢٣٦]

الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني، وقريش إذ ذاك حلول
وصرم (١)، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة. قالوا (٢):
وإنما سميت خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين
أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا به. قال
عون بن أيوب الانصاري ثم الخزرجي في ذلك (٣): فلما هبطنا بطن
مر تخزعت * خزاعة منا في حلول كراكر (٤) حمت كل واد من تهامة
واحتمت * بضم القنا والمرهفات البواتر وقال أبو المطهر اسماعيل بن
رافع الانصاري الاوسي: فلما هبطنا بطن مكة أهدمت * خزاعة دار
الأكل المتحامل فحلت أكاريسا وشتت قنابلا * على كل حي بين
نجد وساحل (٥) نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعي
شديد الكواهل فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابر عن كابر حتى
كان آخرهم حليل (٦) بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن
ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصي بن كلاب ابنته حبي فولدت له بنيه
الأربعة عبد الدار وعبد مناف، وعبد العزى وعبد، ثم صار أمر البيت
إليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه
الثقة. واستمرت خزاعة علي ولاية البيت نحو من ثلاثمائة (٧) سنة
وقيل خمسمائة سنة والله أعلم. وكانوا سوس (٨) في ولايتهم وذلك
لان في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم
عمرو بن لحي (٩) لعنه الله فإنه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا
مال جزيل جدا. يقال: إنه قفاً أعين عشرين بغيرا وذلك عبارة عن أنه
ملك عشرين ألف بغير وكان من عادة العرب أن من الملك ألف بغير
فقاً عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها.

(١) صرم: جماعات متفرقة. (٢) قالوا: عن ابن هشام وغيره. (٣) كذا في ابن هشام
وياقوت، وفي الازرقى حسان بن ثابت الانصاري، ونسب صاحب التيجان الابيات إلى
عمرو بن أنيف الغساني. (٤) كذا في الأصل والازرقى والروض الانف. وفي ابن هشام:
خيول. والحلول: البيوت الكبيرة. وكراكر: جمات الخيل. (٥) الاكاريس: الجماعات من
الناس. والقنابل: جمع قنبلة: وهي القطعة من الخيل. (٦) في المسعودي: خليل.
(٧) كذا في المسعودي، وفي الازرقى خمسمائة سنة. (٨) كذا في الأصل: ولعلها:
وكانوا مشؤومين في ولايتهم. (٩) أبوه لحي وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
وأمه فهيرة بنت عامر بن عمرو بن مضا بن عمرو الجهمي. كما في الازرقى. [*]

[٢٣٧]

وممن ذكر ذلك الازرقى وذكر السهيلي: أنه ربما ذبح أيام الحجيج
عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب
ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل وبلت لهم السويق (١). قالوا:
وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم
وكرمه عليهم. قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن

لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رأهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه (٣). فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه. قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح في البلاد. إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف (٣) ونسوا ما كانوا عليه. وفي الصحيح عن أبي رضاء العطاردي. قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها. قال ابن إسحاق: واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الاوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة، وهدي البدن، والاهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا هلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فيوجدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده. يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٤) أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا

(١) وذكر الأزرقى: كان أول من أطعم الحج سدائيف الابل ولحمانها على التريد وعم جميع الحاج بثلاثة أثواب من برود اليمن. (٢) في ابن هشام: فيعبدوه. (٣) خلوف: جمع خلف وهو القرن بعد القرن. (٤) سورة يوسف الآية ١٠٦. [*]

[٢٣٨]

جعلوا معي شريكا من خلقي (١). وقد ذكر السهيلي وغيره: أن أول من لبي هذه التلبية عمرو بن لحي وأن ابليس تبدى له في صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك. وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول: " قد قد " أي حسب حسب. وقد قال البخاري ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي حفص عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أول من سيب السوائب وعبد الاصنام، أبو خزاعة عمرو بن عامر واني رأيت يجر أمعاءه في النار. تفرد به أحمد من هذا الوجه. وهذا يقتضي أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب إليه القبيلة بكاملها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن إسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهرا في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه. فقال البخاري وقال أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري. قال سمعت سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس - والسائبة - التي كانوا يسيبونها لأكفهم لا يحمل عليها شئ. قال وقال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر فصبه (٢) في النار. كان أول من سيب السوائب. وهكذا رواه البخاري أيضا ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به. ثم قال البخاري ورواه ابن الهاد عن الزهري قال الحاكم أراد البخاري رواه ابن الهاد عن عبد الوهاب

بن بخت عن الزهري كذا قال. وقد رواه أحمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في

(١) قال في مروج الذهب ٢ / ١٣٧: كانت العرب في جاهليتها فرقا: - منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور. - وكان من العرب من أقر بالخالق وانكر الرسل وعكف على عبادة الأصنام وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ونحروا لها البدن ونسكوا لها النسائك. - ومنهم من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث. - ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية. - ومنهم المار على عنجهيته الراكب لهجمته. - ومنهم صنف يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله. (٢) قصه: أمعاءه. [*]

[٢٣٩]

النار، وكان أول من سيب السوائب ويجر البحيرة ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فالله أعلم. وقال أحمد أيضا حدثنا عيد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب. وهذا منقطع من هذا الوجه. والصحيح الزهري عن سعيد عنه كما تقدم وقوله في هذا الحديث والذي قبله الخزاعي يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسب إليها مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوي من أخو خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لاكنم بن الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف (١) يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبهه برجل منك به ولا بك منه ". فقال أكنم: عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال: " لا إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان ويجر البحيرة (٢) وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ". ليس في الكتب من هذا الوجه (٣). وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضا. وقال البخاري حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانني حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب ". تفرد به البخاري. وروى الطبراني من طريق صالح ابن عباس مرفوعا في ذلك. والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك فذلوا بذلك ضلالا بعيدا بينا فظيعا شنيعا وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آية منه فقال تعالى: (ولا تقولوا لم تصف السننكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) [النحل: ١١٦] الآية. وقال تعالى: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) [المائدة: ١٠٦] وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطا وبيننا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن أراد فليأخذه من ثم والله الحمد والمنة. وقال تعالى: (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) [النحل: ٥٦]. وقال

(١) قمعة: عمير وسمي قمعة لانه انقمع وقعد. وخندف لقب بنت عمران بن الحاف بن قضاعه؛ وقد خرجت مسرعة فقبل لها: تخندفين، فسميت خندف. (٢) ومثله في

[٢٤٠]

تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) [الانعام: ١٣٦] وقال تعالى: (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) [الانعام: ١٣٨]. وقال تعالى: (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن مية فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم أنه حكيم عليم. قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) [الانعام: ١٣٩ - ١٤٠] (١). وقال البخاري في صحيحه (٢)، باب جهل العرب حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر (٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الانعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحة الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه بل قد تابعوه فيما هو أطم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الاوثان مع الله عزوجل وبدلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصرط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيره شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الامم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الاصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحا وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الاصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح (وقالوا لا تذرنا الهتكم ولا تذرنا

(١) وانعام حرمت ظهورها أي ما يسيبونه لآلهتهم. وقال مجاهد: المراد البحيرة والوصيلة والحام. فالبحيرة: الناقة. التي انتجيت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا بحروا أذنوا واعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح. الوصلة: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ومن الشاه التي وصلت سبعة أبطن. والحامي: الفحل من الابل يضرب الضراب المعدود قبل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام، أي حمى ظهره فيترك. (٢) كتاب بدء الخلق - باب قصة زمزم و جهل العرب ج ٤ / ١٦٠ - ١٦١. (٣) أبو النعمان هو محمد بن الفضل عازم. وأبو عوانة اسمه الواضح بن عبد الله اليشكري وأبو بشر: واسمه جعفر بن أبي وحشية. [*]

[٢٤١]

ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) [نوح: ٢٣] الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الامد عبدوهم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته ههنا. قال ابن إسحاق وغيره: ثم صارت هذه الاصنام في العرب بعد تبديلهم دين اسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة (١) بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وكان منصوبا بدومة الجندل وكان سواع

لبنى هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر. وكان منصوبا بمكان يقال له رهاط (٢). وكان يغوث لبني أنعم من طيء ولاهل جرش من مذحج (٣) وكان منصوبا بجرش. وكان يعوق منصوبا بأرض همدان (٤) من اليمن لبني خيوان بطن من همدان. وكان نسر منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لهم ذو الكلاع (٥). قال ابن إسحاق: وكان لخلوان بأرضهم صنم يقال له عم أنس (٦) يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله: (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) قال: وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد، صخرة بغلاة (٧) من أرضهم طويلة فاقبل رجل منهم يابل له مؤيلة ليقفها عليه، التماس بركته، فيما يزعم فلما رآته الأبل وكانت مرعية لا تتركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها [الملكاني] وأخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على إبلي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال:

(١) في ابن هشام وجمهرة أنساب العرب: وبرة؛ وسدنته بنو الغرافصة بن الاحوص بن كلب. (٢) كذا في الأصل وابن هشام ومعجم البلدان ورهاط: من أرض ينبع. وفي جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٢: وفي المحبر ٣١٦ كان بنعمان ونعمان واد بقرب مكة من بلاد هذيل. وسدنته: بنو صاهلة من هذيل وفي ياقوت سدنته بنو لحيان من هذيل. (٣) عبارة ابن الكلبي في الاصنام: واتخذت مذحج وأهل جرش، لم يجعل جرش من مذحج؛ والمعروف ان جرش في حمير وفي نهاية الارب للقلقيشندي حرش بطن من حمير ص ٢١٥، ومذحج من كهلان بن سبأ. وفي الجمهرة: كان لمذحج. (٤) في الجمهرة ٤٩٢: في أرحب. (٥) في الجمهرة: كان لحمير بنجران. وذو الكلاع، رهطه أحاطة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد وهم بطن من حمير ص ٤٧٨ - ٤٩٢. (٦) في ابن هشام: عميانس، وفي عمود النسب للشنقيطي كالاصل. وفي الجمهرة لابن حزم: يعوق كان يعبد همدان وخلوان. (٧) في معجم البلدان والاصنام لابن الكلبي: الغلاة بساحل جدة. ولم يذكر الصنم في المحبر. [*]

[٢٤٢]

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد وهل سعد إلا صخرة بتنوفة (١) * من الارض لا يدعو لغى ولا رشد قال ابن إسحاق: وكان في دوس صنم (٢) لعمر بن حممة الدوسي. قال [ابن إسحاق] وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحي لعنه الله. قال ابن إسحاق: واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم (٣) ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليهما في الكعبة فمسخهما الله حجرتين. ثم قال [ابن إسحاق]: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة (٤) أنها قالت سمعت عائشة تقول: ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله عزوجل حجرتين والله أعلم. وقد قيل إن الله لم يمهلها حتى فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب: وحيث بينخ الاشعرون ركابهم * بمفضي السيول من أساف ونائل وقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور. وقد ذكر السهيلي: أن أجا وسلمى وهما جيلان بأرض الحجاز إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحي فجر بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فعرفا بهما قال: وكان بين أجا وسلمى صنم لطي يقال له قلس (٥). قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما

بيدأ به قبل أن يدخل على أهله. قال فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش: " أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ".

(١) تنوفة: القفر من الارض الذي لا ينبت شيئا. (٢) يسمى: ذو الكفين كما في ابن حزم ص ٤٩٤ وأصنام ابن الكلبي ص ٣٧ والمحبر ص ٢١٨. (٣) كان أحد الصنمين أولا بلصق الكعبة، والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة إلى الآخر - أنظر الالوسي - وأصنام ابن الكلبي. وعند ابن حزم: إساف كان بالصفة ونائلة كانت بالمرورة ص ٤٩٢. (٤) تقدم التعليق فليراجع. (٥) في جمهرة ابن حزم وياقوت: قلس كان بنجد قريبا من قيد سدنته بنو بولان. [*]

[٢٤٣]

قال ابن إسحاق: وقد كانت (١) العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدى لها كما تهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحدر عندها. وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها (٢) بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده. وكانت لقريش وبنو كنانة العزى بنخلة (٣) وكانت سدنتها وحجارتها بني (٤) شيبان من سليم حلفاء بني هاشم. وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح كما سيأتي. قال [ابن إسحاق]: وكانت اللات لتقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجارتها بني (٥) معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة (٦) بعد مجئ أهل الطائف كما سيأتي. قال [ابن إسحاق]: وكانت مناة للاوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل المدينة (٧)، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد. وقد خربها أبو سفيان أيضا وقيل علي بن أبي طالب كما سيأتي. قال [ابن إسحاق]: وكان ذو الخلصة لدوس وخنعم وجيلية ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة. وكان يقال له الكعبة اليمانية، ولبيت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلي كما سيأتي. قال: وكان قلس لطي ومن يليها بجيلي طي بين أجا وسلمى، وهما جبلان مشهوران كما تقدم. قال: وكان رأم بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين حين خرباه وقتلا منه كلبا أسود. قال: وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب [حين هدمها]: ولقد شددت على رضاء شدة * فتركها قفرا بقاع أسحما (٨) وأعان عبد الله في مكروها * وبمثل عبد الله أغشى المحرما

(١) في ابن هشام: وكانت. (٢) في ابن هشام: لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم.. (٣) نخلة: هي نخلة الشامية بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، وكانت العزى بواد منها (معجم البلدان) وعند ابن حزم: العزى يعيدها غطفان وتعظمها قريش وغنى وباهلة. (٤) كذا في الاصل: والصواب بنو شيبان كما في ابن هشام. وعند ابن حزم: سدنتها: بنو صرمة بن مرة. (٥) كذا في الاصل والصواب كما في ابن هشام بنو معتب. وعند ابن حزم: آل أبي العاصي من بني مالك بن ثقيف. وعند ابن الكلبي: من ثقيف بن عتاب بن مالك. (٦) كذا في الاصل والمحبر ٣١٥. وعند ابن حزم: هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة ص ٤٩١ واقتصر في الاصنام ص ١٧ على المغيرة. (٧) في ابن هشام: يثرب. (٨) القاع: المنخفض من الارض. ورواية العجز عند ابن الكلبي: فتركها تلا تنازع أسحما. [*]

[٢٤٤]

ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذي يقول: ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا مائة حدثها بعدها مائتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا قال ابن هشام: ويروى هذه الآيات لزهير بن جناب بن هبل. قال السهيلي: ومن المعمرين الذين جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضيع الفزاري وذو الأصبع العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان، وكان قد اسود شعره بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد اعوجابه. قال [ابن إسحاق]: وكان ذو الكعبات ليكر وتغلب بن (١) وأئل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة (٢): بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الشرفات من سنداد وأول هذه القصيدة: ولقد علمت وأن تطاول بي المدى * أن السبيل سبيل ذي الاعواد ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إياد نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجئ من أطواد أرض الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات من سنداد (٣) جرت الرياح على محل ديارهم * فكانما كانوا على ميعاد (٤) وأرى النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد (٥) قال السهيلي: الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده (٦)، وبناه

(١) في ابن هشام: ابني. وسنداد: منازل لايد اسفل سواد الكوفة وراء نجران الكوفة (معجم البلدان). (٢) في رواية عند ابن هشام: للاسود بن يعفر النهشلي. (٣) في معجم البلدان " سنداد " أهل الخورنق وشطره: والقصر ذي الشرفات من سنداد. (٤) في معجم البلدان: عراض ديارهم. (٥) صدره في معجم البلدان: فإذا النعيم وكل ما يلهى به. (٦) قال ابن الكلبي كما نقل عنه ياقوت: أمر بيناته بهرام جور بن يزيد بن سابور ذي الاكتاف وذلك انه كان لا يبقى له ولد وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره علة فسأل عن منزل مرث صحيح من الادواء. فأشار عليه أطباؤه أن يخرج إلى أرض العرب. فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبني له قصرا. فبناه له وأنزله إياه وعالجه حتى برأ من مرضه. " مادة خورنق " [*]

[٢٤٥]

رجل يقال له سنمار في عشرين سنة (١) ولم ير بناء أعجب منه فخشي النعمان أن يبني لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله ففي ذلك يقول الشاعر: جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب سوى رضفه البنيان عشرين حجة * يعد عليه بالقرامد والسكب (٢) فلما انتهى البنيان يوما تماما * وأض كمثل الطود والباذخ الصعب (٣) رمى بسنمار على حق رأسه * وذاك لعمر الله من أفيح الخطب (٤) قال السهيلي: أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان. والسنمار من أسماء القمر. والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الاسلام جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه، وإلي تلك الاصنام من كسرها، حتى لم يبق للكعبة ما يضاهاها، وعبد الله وحده لا شريك له. كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة. خير عدنان جد عرب الحجاز لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل. على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أباً وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة عشر وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعي عن عمته عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " معد بن عدنان بن أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى ". قالت: أم سلمة فزند هو الهميسع واليرى هو نابت واعراق الثرى هو اسماعيل لانه ابن إبراهيم وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى. قال

الدارقطني: لا نعرف زندا إلا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر: قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة: مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة. وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل

(١) في معجم البلدان: بناه رجل من الروم يقال له سنمار في ستين سنة (٢) في معجم البلدان: سوى رمة البنيان، ستين حجة. (٣) في معجم البلدان: فلما رأى البنيان تم سحوقه. (٤) في معجم البلدان: فقال: اقدفوا بالعج من فوق رأسه.. من أعجب الخطب. [*]

[٢٤٦]

معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختتم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسيه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم. ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان. قال السهيلي: وإنما تكلمنا في رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كإبن إسحاق والبخاري والزيبر بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، وقال له من أين له علم ذلك فقبل له فإلى اسماعيل فأنكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الانبياء مثل أن يقال إبراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه. قال: وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان وإسماعيل ثلاثون آبا لا يعرفون وروي عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله. وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان، وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الإنباه في معرفة قبائل الرواه: روى ابن لهيعة (١) عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان إلا تخرصا، وقال أبو الأسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم. قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) قالوا: كذب النسابون. قال أبو عمر رحمه الله: والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهاث قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

(١) ابن لهيعة: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عتبة بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري، كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية. توفي بمصر سنة سبعين ومائة. وكان عمره إحدى وثمانين سنة، وكان مولده سنة سبع وتسعين (ابن خلكان). [*]

قال أبو عمر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت (١) بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة. قال ابن هشام: ويقال عدنان بن أد يعني عدنان بن أد بن أدد (٢) ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام. وأما الانساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحافظة شهيرة جدا لا يتماهى فيها اثنان والنسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهي قوله: مدحت رسول الله أبغي بمدحه * وفور حظوظي من كريم المأرب مدحت امرءا فاق المديح موحدا * بأوصافه عن مبعده ومقارب نبيا تسامى في المشارق نوره * فلاحته هواديه لاهل المغارب أتتنا به الانباء قبل مجيئه * وشاعت به الاخبار في كل جانب وأصبحت الكهان تهتف باسمه * وتنفي به رجم الظنون الكواذب وأنطقت الاصنام نطقا تبرأت * إلى الله فيه من مقال الاكاذب وقالت لاهل الكفر قولاً مبينا * أتاكم نبي من لؤي بن غالب ورام استراق السمع جن فزيلت * مقاعدهم منها رجوم الكواكب هدانا إلى ما لم نكن نهتدي له * لطول العمى من واضحات المذاهب وجاء بآيات تبين أنها * دلائل جبار مثيب معاقب فمنها أنشقاق البدر حين تعممت * شعوب الضيامنة رؤوس الاخشاب ومنها نبوع الماء بين بنانه * وقد عدم الورد قرب المشارب فروى به جماً غفيرا وأسهمت * بأعناق طوعا أكف المذانب وبئر طغت بالماء من مس سهمه * ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب

(١) ابن قتيبة في المعارف ساق نسب عدنان إلى قيذار بن اسماعيل أخي نابت. وهذا ما فعله الجواني في أصول الاحساب والزيدي في روضة الالباب. وهكذا قال هشام بن محمد الكلبي كما في رواية ابن الاعرابي عنه (المسعودي) وقال المسعودي: ٢ / ٢٨٩: وقد نهى النبي أن يتجاوز عن معد، وقد اختلف أهل النسب [في رواياتهم] فالواجب الواقف عند أمره عليه السلام ونهيه. (٢) في ابن هشام: ويقال عدنان بن أد. وفي رواية الكلبي: عدنان بن أد بن أدد. [*]

وضرع مراه فاستدر ولم يكن * به درة تصغي إلى كف حالب ونطق فصيح من ذراع مبينة * لكيد عدو للعداوة ناصب وإخباره بالامر من قبل كونه * وعند بواديه بما في العواقب ومن تلکم الآيات وحي أنى به * قريب المآني مستجم العجائب تقاصرت الافكار عنه فلم يطع * بليغا ولم يخطر على قلب خاطب حوى كل علم واحتوى كل حكمة * وفات مرام المستمر الموارب أتانا به لا عن روية مرتئ * ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب بواتيه طورا في إجابة سائل * وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب واتيان برهان وفرض شرائع * وقص أحاديث ونص مأرب وتصريف أمثال وتثبيت حجة * وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى * وعند حدوث المعضلات الغرائب فيأتي على ما شئت من طرفاته * قويم المعاني مستدر الضرائب يصدق منه البعض بعضا كأنما * يلاحظ معناه بعين المراقب وعجز الوري عن أن يجيئوا بمثل ما * وصفناه معلوم بطول التجارب

تأبى بعيد الله أكرم والد * تيلج منه عن كريم المناسب (١) وشيبة
ذي الحمد الذي فخرت به * قريش على أهل العلى والمناصب ومن
كان يستسقى الغمام بوجهه * ويصدر عن آرائه في النوائب وهاشم
الباني مشيد افتخاره * بغير المساعي وامتنان المواهب وعبد مناف
وهو علم قومه اشد * تطاط الاماني واحتكام الرغائب (٢) وإن قصيا
من كريم غراسه * لفي منهل لم بدن من كف قاض به جمع الله
القبائل بعدما * تقسمها نهب الاكف السوالب وحل كلاب من ذرى
المجد معقلا * تقاصر عنه كل دان وغائب ومرة لم يحلل مريرة عزمه
* سفاه سفيه أو محوية حائب وكعب علا عن طالب المجد كعبه *
فنال بأدنى السعي أعلا المراتب وألوى لؤي بالعادة فطوعت * له
همم الشم الانوف الاغالب وفي غالب بأس أبى اليأس دونهم *
يدافع عنهم كل قرن مغالب وكانت لفهر في قريش خطابة * يعود بها
عند اشتجار المخاطب وما زال منهم مالك خير مالك * وأكرم مصحوب
وأكرم صاحب

(١) تيلج: أضاء. (٢) اشتطاط: ابتعاد. [*]

[٢٤٩]

وللنصر طول يقصر الطرف دونه * بحيث التقى ضوء النجوم النواقب
لعمرى لقد أبدى كنانة قبله * محاسن تأبى إن تطوع لغالب ومن
قبله أبقى خزيمة حمده * تليد تراث عن حميد الاقارب ومدركة لم
يدرك الناس مثله * أعف وأعلى عن دني المكاسب واليأس كان
اليأس منه مقارنا * لاعدائه قيل اعتداد الكنائب وفي مضر يستجمع
الفخر كله * إذا اعتركت يوما زحوف المقانب وحل نزار من رئاسة
أهله * محلا تسامى عن عيون الرواقب وكان معد عدة لوليه * إذا
خاف من كيد العدو المحارب وما زال عدنان إذا عد فضله * توحد فيه
عن قرين وصاحب وأد نادى الفضل منه بغاية * وأرث حواه عن قروم
اشايب وفي أدد حلم تزيد بالحجا * إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
وما زال يستعلي هميسع بالعلی * ويتبع آمال البعيد المرأغب ونبت
نبته دوحة العز وأبتنى * معافله في مشمخر الالهاضب وحيزت لقيذار
سماحة حاتم * وحكمة لقمان وهمة حاجب هموا نسل اسماعيل
صادق وعده * فما بعده في الفخر مسعى لذهاب وكان خليل الله
أكرم من عنت * له الارض من ماش عليها وراكب وتارج ما زالت له
أريحية * تبين منه عن حميد المضارب وناحور نجار العدى حفظت له
* مآثر لما يحصها عد حاسب وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة * يقدر
الطللى بالمرهفات القواضب وأرغو ناب في الحروب محكم * ضنين
على نفس المشح المغالب وما فالغ في فضله تلو قومه * ولا عابر
من دونهم في المراتب وشالغ وارفتشذ وسام سمت بهم *
سجايا حمتهم كل زار وعائب وما زال نوح عندي ذي العرش فاضلا *
يعدده في المصطفين الاطايب ولمك أبوه كان في الروع رائعا * جريئا
على نفس الكمي المضارب ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ * يذود
العدى بالذائدات الشواذب وكانت لادريس النبي منازل * من الله لم
تقرن بهمة راغب ويارد بحر عند آل سراته * أبى الخزايا مستندق
المأرب وكانت لمهلاييل فهم فضائل * مهذبة من فاحشيات المثالب
وقينان من قبل اقتنى مجد قومه * وفاد بشأو الفضل وخذ الركائب
وكان أنوش ناش للمجد نفسه * ونزهها عن مرديات المطالب

[٢٥٠]

وما زال شيث بالفضائل فاضلا * شريفا برينا من ذميم المعائب
 وكلهم من نور آدم أقبسوا * وعن عوده أجنوا ثمار المناقب وكان
 رسول الله أكرم منجب * جرى في ظهور الطيبين المناجب مقابلة
 أبأوه أمهاته * مبرأة من فاضحات المثالب عليه سلام الله في كل
 شارق * ألح لنا ضوءا وفي كل غارب هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو
 عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه من
 شعر الاستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن
 شرشير (١) أصله من الأنبار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها
 حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلمًا معتزليا يحكي
 عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكي عن
 المعتزلة وكان شاعرا مطبقا حتى أن من جملة اقتداره على الشعر
 كان يعاكس الشعراء في المعاني فينظم في مخالفتهم ويبتكر ما لا
 يطبقونه من المعاني البديعة والالفاظ البليغة حتى نسيه بعضهم
 إلى التهوس والاختلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على
 قافية واحدة قريبا من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما
 ذكرنا. قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته
 وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحس لفظه وإطلاعه واضطلاع
 واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه
 على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحره
 فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه. أصول انساب عرب الحجاز
 إلى عدنان وذلك لان عدنان ولد له ولدان معد وعك. قال السهيلي:
 ولعدنان أيضا ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب. قال وقد ذكر
 أيضا في بنيه الضحاك. وقيل إن الضحاك ابن لمعد لا ابن عدنان. قال
 وقيل إن عدن الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أبيين كانا ابنين
 لعدنان حكاه الطبري (٢) فتزوج عك في الأشعريين وسكن في

(١) ابن شرشير: اسم طائر يصل إلى الديار المصرية في زمن الشتاء وهو أكبر من
 الحمام بقليل وهو كثير الوجود بساحل دمياط وباسمه سمي الرجل. وابن شرشير هو
 الناشئ الأكبر، كان نحويًا عروضيًا متكلمًا أقام ببغداد مدة طويلة ثم رحل إلى مصر
 وأقام بها إلى آخر عمره. كان متبحرا في عدة علوم من جملتها علم المنطق وكان
 بقوة علم الكلام نقض علل النحاة وأدخل على قواعد العروض شيئا ومثلها بغير أمثلة
 الخليل مات سنة ٢٩٣ (شذرات الذهب ٢ / ٢١٤). (٢) في نهاية الأرب ٣٢١: قال
 الزهري: كان لعدنان ستة أولاد: معد، وعك واسمه الديب، وعدن وبه سميت عدن
 من اليمن، وأد، وأبي الضحاك، والعني. وأمهم مهدد. وقال في جمهرة الانساب ص ٩:
 ولد عدنان: معد، وعك وقيل اسمه الحارث وقد قيل: عك بن الديث بن عدنان. [*]

[٢٥١]

بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم
 منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد بن يغوث ويقال (١)
 عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الاسد ويقال الريث بدل
 الذيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان. قال عباس بن مرداس:
 وعك بن عدنان الذين تلعبوا * بغسان حتى طردوا كل مطرد (٢) وأما
 معد فولد له أربعة نزار وقضاعة وقنص وإياد (٣) وكان قضاعة بكره وبه
 كان يكنى وقد قدمنا الخلاف في قضاعة ولكن هذا هو الصحيح عند
 ابن إسحاق وغيره والله أعلم. وأما قنص فيقال إنهم هلكوا ولم يبق
 لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائبا لكسرى على
 الحيرة كان من سلالته على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من
 حمير كما تقدم والله أعلم. وأما نزار فولد له ربيعة ومضر وأنمار قال
 ابن هشام وإياد بن نزار كما قال الشاعر: وقتو حسن أوجههم * من
 إياد بن نزار بن معد قال [ابن هشام]: وإياد ومضر شقيقان أمهما
 سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن
 عدنان. ويقال جمعة بنت عك بن عدنان: قال ابن إسحاق فأما أنمار
 فهو والد خثعم وبجيللة (٤) قبيلة جرير بن عبد الله الجلي قال وقد
 تيامنت فلحقت باليمن. قال ابن هشام: وأهل اليمن يقولون: أنمار بن

أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن ملك بن زيد بن كهلان بن سبأ. قلت: والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا والله أعلم. قالوا: وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول وايدياه وايدياه فأعنت الابل لذلك. قال ابن إسحاق: فولد مضر بن نزار

= والظاهر أن كلمة الديث مقحمة. فكل الذين عرضوا لك بن عدنان لم يذكروه في نسبهم. وفي الجمهرة أن الضحاك ولد لمعد بن عدنان. (١) هذا قول ابن قتيبة في المعارف، وابن دريد في الاشتقاق والجواني في أصول الاحساب. (٢) كذا في الاصل وفي ابن هشام: تلقوا. (٣) لا خلاف بين النسابين في نسب نزار لمعد، وأما سائر ولده فمختلف فيهم وفي عددهم. وفي الجمهرة لم يأت على قضاة، وذكر عبيد الرماح بن معد، واعتبر الضحاك ولدا لمعد. وفي الطبري زاد: قناسة وسنام وحيدان وحيدة وحيدة وحنيد وحنادة والفحم. والعرف وعوف وشك. (٤) في نهاية الارب: قال ابن الكلبي: إن انمار هذا لا عقب له إلا ما يقال في بجيلة وخنعم فإنه يقال انهم ابناء انمار. وقال في العبر: وبجيلة تنكر هذا. وأما انمار فهو كما قال أبو عبيد: خنعم وخنعم والغوث وهنية وخزيمة وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ص ٢١٦. [*]

[٢٥٢]

رجلين الياس وعيلان (١) وولد لالياس مدركة وطابخة وقمعة (٢) وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة. قال ابن إسحاق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا ولكن اصطاد صيدا فبينا هما يطبخانه إذ نفرت الابل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر: أنت مدركة وقال لعمرو: أنت طابخة قال: وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس. قلت: والظاهر أنه منها لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم (٣) والله أعلم. قال ابن إسحاق: فولد مدركة خزيمة وهذيل وأمهما امرأة من قضاة وولد خزيمة كنانة وأسدا وأسدة (٤) والهون وزاد أبو جعفر الطبري (٥): في أبناء كنانة على هؤلاء الاربعة عامرا والحارث والنضير وغنما وسعدا وعوفا وجرولا والحدال وغزوان. قال [ابن إسحاق] وولد كنانة النضر (٦) ومالكا وعبد مناة وملكان. قريش نسبا واشتقاقا وفضلا وهم بنو النضر بن كنانة قال ابن إسحاق: وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة [بن الياس بن مضر] وسائر بنيها لامرأة أخرى. وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مرأم النضر ومالك وملكان. وأم عبد مناة هاله بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة (٧). قال ابن هشام: النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي (٨)، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وقال: ويقال: فهر بن مالك هو قريش.

(١) في نهاية الارب ٣٧٦: وفي الروض الانف إياس. وعيلان قيل هو قيس عيلان وأمهما اسمى بنت سود بنت أسلم بن الحارث بن قضاة وفي كتاب نسب قريش ص ٧ هي الحنفاء ابنة إباد بن معد وفي الطبري: أم الياس الرباب بنت حيدة بن معد. (٢) قمعة وهو عمير وسمي قمعة لأنه انقمع في الخياء وقعد (نهاية الارب ص ٢٢٨ - الجمهرة ص ١٠). (٣) كذا في نهاية الارب والجمهرة وتقدم التعليق فليراجع. (٤) لم يذكر ابن قتيبة في المعارف أسدة، وفي الجمهرة: إن لخما وجذام وعاملة هم بنو أسدة بن خزيمة ص ١١. وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان. (٥) كذا في الاصل والعبارة مختلة المعنى. وعبارة الطبري بتمامها ج ٢ / ١٨٨. (٦) النضر واسمه قيس كما في الطبري. وفي جمهرة الانساب ملك بدل مالك وقال لم يعقب لكنانة ولد غير هؤلاء. (٧) وفي الطبري: أم عبد مناة فكيهة وقيل فكيهة وهي الذفراء بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة. (٨) قرشي: قال صاحب اللسان في مادة قرش: قريش غير مصروف إذا أردت القبيلة، والنسب إليه قرشي نادر، وقريشي على القياس. قال: بكل قريشي عليه مهابة * سريع إلى داعي الندى والتكرم قال ابن بري: إثبات الياء في النسب إلى قريش. وقال في التهذيب: إذا نسبوا إلى قريش قالوا: قرشي يحذف الزيادة وللشاعر إذا اضطر أن يقول قريشي. [*]

فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد. قال أبو عبيد وابن عبد البر: والذي عليه الاكثرون أنه النضر بن كنانة لحديث الاسعد (١) بن قيس قلت: وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جازي مذهب الشافعي رضي الله عنه. ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزيبر بن بكار ومصعب الزيبري وعلي بن كيسان قال: وإليهم المرجع في هذا الشأن وقد قال الزيبر بن بكار: وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وأن من جاوز فهر بن مالك ينسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول نصرا عزيزا وتحامى له بأنه ونحوه أعلم بالنساب قومهم وأحفظ لما آثرهم (٢). وقد روي البخاري (٣) من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيبة النبي صلى الله عليه وسلم - يعني زينب [بنت أبي سلمة] - في حديث ذكره أخبريني عن النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر؟ قالت فممن كان إلا من مضر. من بني النضر بن كنانة. وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش (٤) الكندي قال جاء قوم من كندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنت منا وإدعوه فقال: " لا، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا نتنفي من أيينا " (٥).

(١) كذا في الاصل: والصواب كما في البخاري والبيهقي والسمعاني: الاشعث. (٢) اختلف النسابون في قريش فمنهم من قال اسم شخص ومنهم من قال اسم حي أو اسم قبيلة. قيل هو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر وبه سميت قريشا. وقيل ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا وقيل القرشي. وقيل أن فهر بن مالك هو جماع قريش، وقيل قريش ولده ولا قريش غيرهم ولا يكون قريشي إلا منهم ولا من ولد فهر أحد إلا قريشي. وقيل إن قريشا اسم لفهر وإن فهر لقب عليه. وقال المبرد: إن التسمية لقريش وقعت لقصي بن كلاب. وعند الفلقشندي: أن قريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قريش على ما ذهب إليه جمهور النسابين وهو الاصح من الوجهين عند الشافعية. انظر الانساب للسمعاني - الطبري - ابن الاثير - جمهرة الانساب - نهاية الأرب - طبقات ابن سعد. (٣) أول كتاب المناقب فتح الباري (٦: ٥٢٥) ورواه الاسماعيلي من رواية حبان بن هلال، عن عبد الواحد. (٤) في أسد الغابة: جشيش. (٥) لا نقف أمنا: أي لا نتهمها ولا نقذفها، يقال قفا فلانا إذا ذفقه بما ليس فيه، وقيل معناه لا تترك النسب [*]

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إنا نزعم أن عبد مناف منا، فأعرض عنه، ثم عاد فقال: مثل ذلك ثم أعرض عنه، ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا نتنفي من أيينا " فقال الاشعث ألا كنت سكت من المرة الاولى فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والكلبي ضعيف والله أعلم. وقد قال الامام أحمد (١) حدثنا بهز وعفان قالنا ثنا حماد بن سلمة. قال ثني عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمى عن مسلم بن الهيصم عن الاشعث بن قيس أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة. قال عفان - لا يروني أفضلهم قال فقلت يارسول الله. انا نزعم

أنكم منا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمتنا ولا ننتفي من أبنينا. قال: فقال الأشعث بن قيس: فوالله لا أسمع أحدا نفي قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد. وهكذا رواه ابن ماجه (٢) من طرق عن حماد بن سلمة به وهذا إسناد جيد قوي وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه والله أعلم والله الحمد والمنة. وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان: فما الام التي ولدت قريشا * بمقرفة النجار ولا عقيم (٣) وما قرم بأنجب من أبيكم * ولا خال بأكرم من تميم (٤) قال ابن هشام: يعني أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مر أخت تميم بن مر. وأما اشتقاق قريش فقبل من التقريش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم (٥) كما سيأتي بيانه وقد قال حذافة بن غانم العدوي (٦): أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

= إلى الآباء ومنتسب إلى الامهات (النهاية ٢ / ٣٠٣). (١) مسند الامام أحمد ج ٥ / ٢١١ وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ١ / ١٧٣ وفيه: مسلم بن هيصم. (٢) كتاب الحدود - باب - من نفي رجلا من قبيلته (٢ / ٨٧١). (٣) المقرفة يعني اللثيمة، والنجار: الاصل. العقيم: التي لا تحمل. (٤) القرم: استعاره هنا للرجل السيد؛ وهو الفحل من الابل. (٥) في الطبري ج ٢ / ١٨٢: وجمع قبائل قريش فأنزلهم أبطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة فقسّم منازلهم بينهم فسمى مجمعا. (٦) في الطبري: مطرود وفي الأزرقى فكالاصل. [*]

[٢٥٥]

وقال بعضهم: كان قصي يقال له قريش قيل من التجمع والتقريش التجمع كما قال أبو خلدة اليشكري (١): اخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرنا وقديم (٢) وقيل سميت قريش من التقريش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله. وقال الجوهري: القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء: وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة فكل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه. وقيل من التفتيش قال هشام بن الكلبي كان النضر بن كنانة تسمى قريشا لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقريش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن التقريش التفتيش: أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو فهل له إبقاء (٢) حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش (٣) وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء: وقريش هي التي تسكن البح * ر بها سميت قريش قريشا قال البيهقي (٤): أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني حدثنا محمد ابن الحسن بن الخليل النسوي أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي ركانة العامري أن معاوية قال لابن عباس: فلم سميت قريش قريشا ؟ فقال: لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه، فيقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين إلا أكلته قال فأنشدني في ذلك شيئا فأنشد [ته] شعر الجمحي إذ يقول: وقريش هي التي تسكن البح * ر بها سميت قريش قريشا تأكل الغث والسمين ولا * تترك لذى الجناحين ريشا (٥) هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا

(١) في ابن هشام: أبو جلدة وفيه: من عمرنا بدل من دهرنا. (٢) في الطبري: لهن انتهاء وفي اللسان: وهل لذاك بقاء. (٣) في اللسان: قريش دابة في البحر لا تدع

دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها، وروي عن ابن عباس أن النضر كان في سفينة فطلعت عليهم دابة قريش فرماها بسهم فقتلها وحملها إلى مكة فسمي باسمها (نهاية الارب ٣٥٦). (٤) أخرجه في دلائل النبوة ج ١ / ١٨٠ - ١٨١ وفيه أبي ربحانة العامري بدل من أبي ركانة. (٥) في البيهقي: ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا. [*]

[٢٥٦]

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا وقيل سموا بقريش بن الحارث (١) بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول: قد جاءت غير قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه (٢) التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان (٣) يوم التقى الجمعان والله أعلم. ويقال في النسبة إلى قريش قرشي وقرشي قال الجوهري وهو القياس. قال الشاعر: لكل قريشي عليه مهابة * سريع إلى داعي الندا والتكرم قال فإذا أردت بقريش الحي صرفته وإن أردت القبيلة منعتة قال الشاعر في ترك الصرف: * وكفى قريش المعضلات وسادها (٤) * وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمرو الاوزاعي قال: حدثني شداد أبو عمار حدثني وأثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله [تعالى] اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم " (٥). قال أبو عمر بن عبد البر يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم فخذة وبنو عبد مناف بطنه وقريش عمارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. ثم قال ابن إسحاق: فولد النضر بن كنانة مالكا ومخلدا (٦) قال ابن هشام والصلت وأمهم جميعا بنت سعد بن الطرب العدواني (٧). قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني مليح بن عمرو من خزاعة:

(١) في ابن حزم: قريش بن بدر بن يخلد بن النضر. ٩ / ١ وفي الطبري قريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة. (٢) في الطبري: سميت بدرا بدرا. (٣) يوم الفرقان: وقعة بدر التي أظهر الله بها الاسلام وورق بين الحق والباطل. وبين بدر والمدينة سبعة برد. (٤) البيت لعدي بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك وصدره في اللسان: غلب المساميح الوليد سماحة.. وقيل في قريش أن بعضهم نظر إلى النضر فقال انظروا إلى النضر كأنه جمل قريش. وقيل سميت قريشا من أجل أنها تقرشت عن الغارات. وقيل لعلية قريش وفهرهم سائر القبائل. (٥) أخرجه مسلم في أول كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ١٧٨٢. وأخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٤ / ١٠٧ وأخرجه البيهقي في دلائله ١ / ١٦٥ - ١٦٦. (٦) في ابن هشام والطبري: يخلد. (٧) في الطبري عكرشة بنت الحارث بن عمرو بن قيس العدواني وعند ابن إسحاق عاتكة بنت عدوان. وفي ابن الأثير: اسمها عاتكة ولقبها عكرشة. [*]

[٢٥٧]

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي * لكل هجان من بني النضر أزهرا (١) رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بنا وبهم والحضرمي المخضرا (٢) فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا * أراكا بأذنان الفواتج أخضرا (٣) قال ابن هشام: وبنو مليح بن عمرو يعزون إلى الصلت بن النضر (٤). قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر فهر بن مالك، وأمهم جندلة بنت الحارث (٥) بن مضاى الاصغر وولد فهر غالبا ومحاربا والحارث وأسدا وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة (٦). قال ابن هشام: وأختهم لايهم جندلة بنت فهر. قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فهر لؤي بن غالب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الادرم (٧) وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي (٨). قال ابن هشام وقيس

بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي (٩) قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر كعبا وعمرا وسامة وعوفا. قال ابن هشام ويقال: الحارث وهم جشم بن الحارث في هزان من ربيعة وسعد بن لؤي وهما بنات في شيبان بن ثعلبة وبنات (١٠) حاضنة لهم وخزيمة بن لؤي وهم عايدة في شيبان بن ثعلبة.

(١) الهجان: الكريم الاصل والعالي النسب ؛ والازهر: المشهور. (٢) ثياب العصب: ثياب يمنية. الحضرمي: النعال. والمخصرة التي تضيق من جانبيها. (٣) كذا في الاصل وفي ابن هشام الفوائج: وهي رؤوس الاودية وقيل هي عيون. (٤) الصلت بن مالك، وولده دخلوا في بني مليح من خزاعة، وهم رهط كثير بن عبد الرحمن (الابناء على قبائل الرواه ٩٢ - ٩٤ جمهرة ابن حزم ١ / ١٢). (٥) في الطبري وابن الاثير جندلة بنت عامر بن الحارث. وقال أبو عبيدة عمر بن المثنى: سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. (٦) في الطبري: ولد فهر غالب الحارث ومحارب وأسد وعوف وجون وذئب وأمهم ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة. (٧) الادرم: المدفون الكعبي من اللحم، وهو أيضا المنقوص الدقن وغالب كان كذلك، وبنو الادرم هم اعراب مكة، وهم من قريش الطواهر لا من قريش البطاح. راجع الطبري. (٨) في الطبري وابن الاثير: عاتكة بنت النصر بن يخلد بن كنانة وهي أولى العواتك اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش. (٩) في الطبري: أم كعب ماوية. وأم عوف الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان خرجت إلى قومها لما مات لؤي وتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض وتبنى عوفا. (١٠) بنات حاضنة لهم وهي من بني القين كما عند ابن إسحاق وفي الطبري بنات أمهم. واعتبر الطبري مخالفا ابن هشام في أن عاتكة أم خزيمة. [*]

[٢٥٨]

ثم ذكر ابن إسحاق خبر سامة بن لؤي وأنه خرج إلى عمان، فكان بها. وذلك لشنآن كان بينه وبين أخيه عامر فأخافه عامر فخرج عنه هاربا إلى عمان وأنه مات بها غريبا وذلك أنه كان برعى (١) ناقته فعلفت حية بمشفرها فوقع لشقها ثم نهشت الحية سامة حتى قتلتها فيقال إنه كتب بأصبعه على الأرض: عين فابكي لسامة بن لؤي * علفت ما بسامة العلاقة (٢) لا أرى مثل سامة بن لؤي * يوم حلوا به قتيلا لناقته بلغا عامرا وكعبا رسولا * أن نفسي إليهما مشتاقة إن تكن في عمان داري فإني * غالبى خرجت من غير فاقه رب كأس هرقت يابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه رمت دفع الخوف يابن لؤي * ما لمن رام ذاك بالحنف طاقه وخروس السرى تركت رزيا * بعد جد وحدة ورشاقه (٣) قال ابن هشام: وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لؤي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه: كأنك يارسول الله أردت قوله " ؟ رب كأس هرقت يابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه فقال: " أجل ". وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يعقب. وقال الزبير ولد أسامة (٤) بن لؤي غالبا والنبيت والحارث قالوا وكانت له ذرية بالعراق (٥) يبغضون عليا ومنهم علي بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه عليا ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعة بن اليزيد شيخ البخاري (٦).

= ووافق ابن قتيبة في المعارف، والسيرة في اعتبار الحارث ولدا للؤي وخالفهما الطبري وابن دريد حيث لم يذكر في ولد لؤي اسما للحارث. (١) كذا بالاصل، وفي ابن هشام: بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترزع فأخذت حية بمشفرها ففصرتها حتى وقعت الناقه. ويخالف صاحب الاغانى في روايته لقصة سامة بن إسحاق، بل كان الخلاف بين سامة وأخيه كعب. (٢) العلاقة: هنا: الحية التي تعلق بالناقه. (٣) خروس السرى: يريد ناقه صموتا على السرى لا تضجر منه. رزيا في ابن هشام رديا والردى: التي سقطت من الاعياء. (٤) كذا بالاصل والصواب سامة. (٥) وهم بنو ناجية الذين قتلهم علي رضي الله عنهم على الردة وسأهم كما عند ابن حزم في الجمهرة ص ١٣ والاغانى ووفيات الاعيان ١ / ٢٤٩. (٦) كذا في الاصل اليزيد وهو تصحيف. [*]

وقال ابن إسحاق: وأما عوف بن لؤي فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، أبطيئ به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه في نسب بني ذبيان، فحبسه وزوجه والتاطه (١) وأخاه. فشاع نسيه في ذبيان. وثعلبة - فيما يزعمون - (٢). قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر (٣) بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن الحصين أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف، إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسيكم فارجعوا إليه. قال ابن إسحاق: وكان القوم أشرافا في غطفان، هم ساداتهم وقادتهم (٤). قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسيهم قالوا وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسيهم ما ننكره وما نجده وإنه لاحب النسب إلينا ثم ذكر أشعارهم في انتمائهم إلى لؤي قال ابن إسحاق: وفيهم كان البسل (٥) وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويؤمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا قلت: وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت: مضر هو الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة

= هو محمد بن عريرة بن البرند كما في تقريب التهذيب والكاشف للذهبي وشذرات الذهب توفي سنة ٢١٢ هـ. روى عنه البخاري. (١) تقدم التعليق على خروج أم عوف الباردة وزوجها في بني ذبيان. التاطه: ألصقه به، وضمه إليه وألحقه بنسبه. (٢) نقص في العبارة. لعل الساقط سهوا من التباس، وتكلمته كما في ابن هشام: " الذي يقول لعوف حين أبطيئ به فتركه قومه: أحبس علي ابن لؤي جملك * تركك القوم ولا منزل لك وفي الطبري القائل فزارة بن ذبيان وأوله: عرج علي. (٣) ينتمي إلى الزبير بن العوام الأسدي حدث عن عمه عروة وابن عمه عباد بن عبيد الله كان فقيها عالما وثقه النسائي. وابن سعد والدارقطني وذكره البخاري في الأوسط. (٤) ومنهم: هرم بن سنان بن مرة بن أبي حارثة، وخارجة بن سنان، والحارث بن عوف، والحصين بن حمام وهاشم بن حرملة. (٥) البسل: الحلال والحرام فهو من الأضداد. [*]

هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين (١) عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع: " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عزوجل: (إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسئ الذين كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر. وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة. قال ابن إسحاق: فولد كعب بن لؤي ثلاثة، مرة، وعديا، وهصيفا وولد مرة، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة، وتيم بن مرة، وبقظة بن مرة من أمهات ثلاث (٢). قال وولد كلاب رجلين قصي (٣) بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد [بني] الجدرية عمن جعثمة الأسد من اليمن حلفاء بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي

أبيها يقول الشاعر: ما نرى في الناس شخصا واحدا * من علمناه
كسعد بن سيل فارسا أضيظ فيه عسرة * وإذا ما واقف القرن نزل
(٤) فارسا يستدرج الخيل كما اسد * تدرج الحر القطامي الحجل (٥)
قال السهيلي: سيل اسمه خير بن جمالة (٦) وهو أول من طليت له
السيوف بالذهب والفضة. قال ابن إسحاق: وإنما سمو الجدر، لأن
عامر بن عمرو بن خزيمة (٧) بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن ماض
الجرهمي وكانت جرهم إذ ذاك ولاية البيت. فبنى للكعبة جدارا
فسمي عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدره لذلك.

(١) رواه البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة في ٦٤ كتاب المغازي ٧٧ باب حجة
الوداع. ومسلم في ٢٨ كتاب القسامة (٩) باب تغليب الدماء ج ٢٩ ص ٢ / ١٣٠٥. (٢)
في الطبري أم كلاب هند بنت سيرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك من بني
كنانة. وتيم ويقظة أمهما كما ذكر ابن الكلبي: أسماء بنت عدي بن حارثة وأما ابن
إسحاق فقال أمهما: هند بنت حارثة البارقية. (٣) قصي اسمه زيد مات أبوه وهو
فطيم فخرت أمه وتزوجت في بني ربيعة فسمى زيد قصيا لبعده عن دار قومه (راجع
الطبري). (٤) الاضيظ الذي يعمل بكلتا يديه. والقرن: الذي يقاوم بصلابة في الحرب.
(٥) الحر القطامي: هنا - يعني الصقر. (٦) وفي الطبري: خير بن جمالة بن عوف بن
غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعثمة. (٧) في الطبري والروض الانف: عمرو بن
جعثمة، باسقاط خزيمة. [*]

[٣٦]

خبر قصي بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت إلي قريش وانتزاعه ذلك
من خزاعة وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من
عذرة وخرج بها وبه إلى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج
حبي ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية (١). فأما خزاعة فرغم أن
حليلا أوصي إلى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته
وقال أنت أحق بذلك مني. قال ابن إسحاق: ولم نسمع ذلك إلا
منهم وأما غيرهم فإنهم يزعمون أنه استغاث بإخوته من أمه وكان
رئيسهم رزاح بن ربيعة وأخوته وبني كنانة وقضاعة ومن حول مكة
من قريش وغيرهم فأجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن
إجازة الحجيج كانت إلى صوفة (٢) وهم بنو الغوث بن مر بن أد بن
طابخة بن إلياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا
ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا
فورثهم ذلك بالعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم
صفوان بن الحارث بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد
بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم
الاسلام وهو كرب بن صفوان. وكانت الإجازة من المزدلفة في عدوان
حتى قام الاسلام على آخرهم وهو أبو سيار عميلة بن الاعزل
وقيل اسمه العاص واسم الاعزل خالد وكان يجيز بالناس على أتان
له عوراء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل
الدية مائة وأول من كان يقول أشرق ثبير كيما نغير حكاة السهيلي.

(١) والسبب في عودته إلى مكة كما يرويه الطبري وابن إسحاق ؛ هو تعبيره بنسبه
لأنه ادعى في بني ربيعة، ومرة تساب مع آخر فغيره وقال له: لست منا.. فأخبرته أمه
بنسبه وشرفه فعاد إلى مكة في حاج قضاعة. وفي مكة تزوج حبي بنت حليل. وأقام
قصي في مكة مع حليل وولدت له حبي عيد الدار وعيد مناف وعيد العزى فلما انتشر
ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني
بكر. فكلهم رجلا من قريش وبني كنانة لمساعدته، وكتب إلى أخيه في بني ربيعة..
فاقتتلوا بمفضي مازمي منى وكثرت القتلى في الحرم ودخلت قبائل العرب بينهم
واصطلحوا على أن يحكموا بينهم يعمر بن عوف.. فحكم إلى قصي بحجابه الكعبة
وولاية البيت. وقيل إن حليل كان ربما أعطى المفاتيح إلى ابنته حبي لما كبر وضعف،
وربما كان قصي أخذها في بعض الأحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ولما هلك حليل
أوصى بولاية البيت لقصي فرفضت خزاعة فهاجت الحرب بينها وبينه. ويذكر أيضا أن
حليل لما كبر وضعف أعطى أبا غبشان المفاتيح وهو من خزاعة فابتاعها منه قصي
برق خمر. وصارت ولاية البيت له. (راجع الطبري - ابن هشام - الروض الانف - ابن

الاثير - الازرقى). (٢) صوفة وهم الغوث وولده وسمي صوفة لان أمه حين جعلته ربيطا في الكعبة علقت برأسه صوفة ؛ وقيل ألبسته ثوبا من الصوف. ويقال: إن من ولي من البيت شيئا من غير أهله أو قام بخدمة في البيت يقال لهم صوفة وصوفان. [*]

[٢٦٢]

وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة (١) إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يقضي به فتحاكموا إليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فأرته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة، فقالت له مالك لا أبالك ؟ الليلة ساهرا ؟ فذكر لها ما هو - مفكر فيه، وقال لعلها يكون عندها في ذلك شئ فقالت اتبع القضاء المبال (٢) فقال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك. قال السهيلي: وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى: (وجاءوا على قميصه بدم كذب) [يوسف: ١٨] حيث لا أثر لانياب الذئب فيه. وقال تعالى: (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) [يوسف: ٢٦ - ٢٧]. وفي الحديث: " انظروها فإن جاءت به أورك جعدا جماليا فهو للذي رميت به ". قال ابن إسحاق: وكان النسئ في بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر. قال ابن إسحاق: وكان أول من نسا الشهور على العرب، القلمس (٣) وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فعلى أبي ثمامة قام الاسلام (٤) وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم وجعل مكانه صفرا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول: (اللهم إني أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وانسات الآخر للعام المقبل) فتتبعه العرب في ذلك ففي ذلك يقول عمير بن قيس أحد بني فراس بن غنم [بن ثعلبة] بن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بجذل الطعان (٥): لقد علمت معد أن قومي * كرام الناس أن لهم كراما

(١) النائرة: الكائنة الشنيعة تكون بين القوم. (٢) أي دعه يقعد، كما في ابن إسحاق، فإن بال من حيث بيول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة فهي امرأة. (٣) القلمس: سمي به لجوده إذ القلمس من أسماء البحار. (٤) قال السهيلي: وجدت له خيرا يدل على أنه أسلم فإنه حضر الحج في زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحجر الأسود فقال: أيها الناس: إني قد أجرته منكم فخففه عمر بالدرة. وقال ويحك إن الله قد أبطل أمر الجاهلية. الاصابة ج ١ / ٢٤٧. (٥) في ابن هشام جذل الطعان سمي بذلك لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف. وقال أبو عبيدة جذل الطعان هو علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة انظر (سيرة ابن هشام - الروض الانف - شرح السيرة لابي ذر). [*]

[٢٦٣]

فأي الناس فاتونا بوتر * وأي الناس لم نعلك لجاما (١) ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما وكان قصي في قومه سيدا رئيسا مطاعا معظما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وإجلاتهم عن البيت وتسليمه إلى قصي فكان بينهم قتال (٢) كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا إلى التحكيم فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بأن قصيا أولى بالبيت من خزاعة وأن كل

دم أصابه قصي من خزاعة وبنى بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنى بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين مكة والكعبة فسمي يعمر يومئذ الشداخ. قال ابن إسحاق: فولى قصي البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه، لانه يرى ذلك دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله، قال [ابن إسحاق] فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء (٣)، فجاز شرف مكة كله. وقطع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة. قلت: فرجع الحق إلى نصابه، ورد شارذ العدل بعد إبابه، واستقرت بقريش الدار، وقضت من خزاعة المراد الاوطار، وتسلمت بيتهم العتيق القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول الكعبة ونحرهم لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها. وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة، وأنزل طائفة منهم ظواهرها، فكان يقال قريش البطاح، وقريش الظواهر. فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدائنه واللواء وبنى دارا لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة إذا أعضلت قضية

(١) الوتر: طلب الثأر. (٢) اقتتلوا عند مفضى مأزمي منى. فسمي المكان المفجر لما فجر فيه وسفك فيه من الدماء وانتهك من حرمة (الازرقى ١ / ١٠٦). (٣) زاد الازرقى: القيادة. والحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده لا يدخله أحد إلا بإذنه. السقاية: يعني سقاية زمزم. الرفادة: طعام تجمعه قريش كل عام لاهل الموسم. الندوة: دار تخذها قصي للاجتماع بأهل المشورة والرأي. [*]

[٣٦٤]

اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع إلا بها وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام. ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام (١) بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية، وقال بعت شرف قومك بمائة ألف ؟ فقال إنما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمر وها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأبنا المغبون. ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ وكانت إليه سقاية الحجيج فلا يشربون إلا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تقادم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها قال الواقدى: وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات. والرفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم. قال ابن إسحاق: وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم، وأن الحجاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق بالضيافة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يصدروا عنكم. ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه، فيصنع طعاما للناس أيام منى. فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام، ثم جرى في الاسلام إلى يومك هذا. فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج. قلت: ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق ثم أمر بإخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لابناء السبيل القاصدين إلى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه بطول ذكرها، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال، من أحل ما فيه والاولى أن يكون من جوالي الذمة لانهم لا يحجون البيت

العتيق وقد جاء في الحديث: " من استطاع الحج فلم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا " (٢). وقال قائلهم (٣) في مدح قصي وشرفه في قومه: قصي لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وفي ابن الاثير ج ٢ / ٢٣: أن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار باعها من معاوية فجعلها دار الامارة بمكة. وفي جمهرة ابن حزم أن عكرمة كانت له الندوة وباعها من حكيم بن حزام في الجاهلية ولعله الصواب إذ أن حكيم الذي باعها زمن معاوية. (٢) تقدم تخريجه. (٣) هو حذافة بن غانم الجمحي كما في الارزقي: وفيه: أبوههم قصي. [*]

[٣٦٥]

هموا ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا * وهم طردوا عنا غواة بني بكر قال ابن إسحاق: ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه وإخوته من أبيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجلهمة (١). قال رزاح في إجابته قصيا: ولما أتى من قصي رسول * فقال الرسول أحيبوا الخليلا نهضنا إليه نقود الجيا * د ونطرح عنا الملول الثقيلنا نسير بها الليل حتى الصبا * ح ونكمي النهار لثلا نزولا (٢) فهن سراع كورد القضا * يجبن بنا من قصي رسولا جمعنا من السر من اشمذين * ومن كل حي جمعنا قبيلنا (٣) فيا لك حلبة ما ليلة * تزيد على الالف سببا رسيلا فلما مررن على عسجر * وأسهلن من مستناخ سبيلا (٤) وجاوزن بالركن من ورقا * ن وجاوزن بالعرج حيا حلولا (٥) مررن على الحلبي ما ذقه * وعالجن من مر ليلا طويلا (٦) ندني من العوذ أفلاءها * إرادة أن يستترقن الصهيلا (٧) فلما انتهينا إلى مكة * أبحنا الرجال قبيلنا نعاورهم ثم حد السيو * ف وفي كل أوب خلسنا العقولا نخبزهم بصلاب النسو * ر خبز القوي العزيز الذليلا (٨) قتلنا خزاعة في دارها * وبكرا قتلنا وجيلنا فجيلنا نفيهاهم من بلاد الملي * ك كما لا يحلون أرضا سهولا فأصبح سبيهم في الحدي * د ومن كل حي شغينا الغليلا قال ابن إسحاق: فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله ونشر حنا، فهما قبيلنا عذرة إلى اليوم. قال ابن إسحاق: وقال قصي بن كلاب في ذلك: أنا ابن العاصمين بني لؤي * بمكة منزلي وبها ربيت

(١) في الطبري هؤلاء ليس بأخوته بل أولاد ربيعة بن حرام من امرأة أخرى غير أم قصي. (٢) نكمي: نكمن. (٣) الاشمذين، قيل قبيلتان. وقيل جيلان بين المدينة وخيبر. (٤) في ابن هشام عسجد وكلاهما موضع بعينه (انظر معجم البلدان). (٥) ورقان والعرج موضعان: جبل وواد. (معجم البلدان ومعجم ما استعجم). (٦) في ابن هشام: الحل - (٧) العوذ: جمع عائد: وهي الناقة التي لها أولاد. (٨) نخبزهم: نسوقهم سوقا شديدا. [*]

[٣٦٦]

إلى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت فلست لغالب أن لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت (١) رزاح ناصري وبه أسامي * فلست أخاف ضيما ما حييت وقد ذكر الاموي عن الاشرم عن أبي عبيدة عن محمد بن حفص: أن رزاحا إنما قدم بعدما نفى قصي خزاعة والله أعلم. فصل ثم لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفاة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده.

وإنما خصه بها كلها لان بقية أخوته عيد مناف وعيد الشمس وعيدا كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفا كبيرا فأحب قصي أن يلحق بهم عيد الدار في السؤدد فخصه (٢) بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انقضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خصص قصي عيد الدار بذلك ليلحقه بإخوته فنحن نستحق ما كان أبائنا يستحقونه وقال بنو عيد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافا كثيرا وانقسمت بطون قريش فرقتين وفرقة بايعت عيد الدار وحالفتهم وفرقة بايعت بني عيد مناف وحالفوهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة (٣) فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين. وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر وكان مع بني عيد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي (٤) واعتزلت بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرقادة والسقاية لبني عيد مناف وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عيد الدار فانبرم الامر على ذلك واستمر. وحكى الاموي عن الاشرم عن أبي عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حبي بنت حليل ونقل حليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حبي واستتاب عنها أبا غبشان

(١) قيذر والنيبت من اولاد اسماعيل عليه السلام. (٢) قال له قصي: أما والله لالحنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها. فأعطاه دار الندوة التي لا تقضي قريش أمرا إلا فيها. (الطبري - ابن الاثير - ابن هشام). (٣) التي أعطتهم الجفنة هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه النبي صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه (جمهرة ابن حزم - الروض الانف). (٤) في الطبري وابن الاثير وابن هشام: وتعاقد بنو عيد الدار وتعاهدوا وحلفواهم عند الكعبة حلفا مؤكدا، على أن لا يتخادلوا ولا يسلم بعضهم بعضا، فسموا الاخلاف. وتعبوا للقتال. ثم تداعوا إلى الصلح وتناجز الناس عن الحرب. [*]

[٣٦]

سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وفعود فكان يقال (أخسر من صفقة أبي غبشان) ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه فقدم بمن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء والندوة والرقادة والسقاية إلى ابنه عيد الدار كما سيأتي تفصيله وإيضاحه وأقر الاجازة من مزدلفة في بني عدوان وأقر النسئ في فقيم وأقر الاجازة وهو النفر في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك. قال ابن إسحاق: فولد قصي أربعة نفر وامرأتين عيد مناف وعيد الدار وعبد العزى وعيدا وتخمر (١) وبرة، وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصي بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عيد مناف بن قصي أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عيد مناف وأمهم واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الاخثم وأم سفيان. قال ابن هشام: وولد هاشم بن عيد مناف أربعة نفر، وخمس نسوة: عبد المطلب، وأسدا، وأبا صيفي، ونضلة والشفا، وخالدة وضعيفة، ورفية، وحية؛ فأمر عبد المطلب ورفية: سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد (٢) بن خداس بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقين (٣). قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحمزة وعبد الله وأبو طالب - واسمه عيد مناف - لا عمران والزبير والحارث، وكان بكر أبيه وبه كان يكنى، وحجل، ومنهم من يقول حجل، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيرته، والمقوم وضرار وأبو

لهب - واسمه عبد العزى - وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة، وذكر أمهاتهم إلى أن قال وأم عبد الله وأبي طالب والزبير وجميع النساء إلا صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال [ابن هشام] فولد عبد الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وأمّه آمنة بنت وهب بن

(١) لم يرد ذكر تخمر في الطبري. وعند ابن الاثير لم يذكر إلا أولاده البنين الاربعة. وعبداء، عبد قصي في الطبري وابن الاثير. (٢) في الطبري: ابن لبيد بن حرام. وفي رواية عنده وعند ابن الاثير، اسمها: سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية. (٣) أم أسد: قبيلة بنت عامر بن مالك الخزاعية؛ وأم أبي صيفي وحية: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية، وأم نضلة والشفاء امرأة من قضاة، وأم خالدة وضعيفة واقدة بنت أبي عدي المازنية. (ابن هشام). [*]

[٣٦٨]

عبد مناف بن زهرة (١) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ثم ذكر أمهاتها فأغرق إلى أن قال فهو أشرف ولد آدم حسبا، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمّه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. وقد تقدم حديث الازاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم " رواه مسلم وسيأتي بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والآثار وسنورد عند سرد النسب فوائد أخر ليست هاهنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان. ذكر جمل من الاحداث في الجاهلية قد تقدم ما كان من أخذ جرهم ولاية البيت من بني إسماعيل طمعوا فيهم لانهم أبناء بناتهم وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقر تلك الوظائف على ما كانت عليه. ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية خبر خالد بن سنان العيسبي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان نبيا والله أعلم. قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال: " بنت نبي ضيعه قومه ". وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس بن سالم عن سعيد بن ابن عباس. قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ذاك نبي ضيعه قومه ". ثم قال ولا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع (٢) ثقة في نفسه إلا أنه كان ردئ الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم. قال البزار وقد رواه الثوري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الحافظ أبو

(١) ذهب ابن قتيبة في المعارف إلى القول أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة، وهو خطأ على ما ورد عند ابن إسحاق والطبري وغيرهما أن زهرة هو جد بني زهرة وهو زهرة بن كلاب ومن ولده الحارث وعبد مناف ومن ولد عبد مناف وهب (انظر جمهرة الانساب ص ١٢٨). (٢) قيس بن الربيع أبو محمد الكوفي صدوق تغير لما كبر، مات سنة بضع وستين ومائة وقال العجلي: الناس يضعفونه. وقال ابن معين: ليس بشئ وقال أبو حاتم: ليس بقوي وقال ابن عدي: عامة رواياته مستقيمة (ثقات العجلي - الكاشف ٢ / ٣٤٨ - التقريب ٢ / ١٢٨). [*]

يعلي الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه (١) وإله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فأتوها فإذا هي تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي بيدي حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد وإله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد قالوا فادعوه باسمه. قال فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد وإله قتلتموني فادفونوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتز فأنبشونني فإنكم تجدونني حيا فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتز فقلنا أنبشوه فإنه أمرنا أن نبشوه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا وإله لا تحدث مضر أن نبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيها فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم (٢). قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ذاك نبي أضاعه قومه" قال أبو يونس: قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "مرحبا بابن أخي". فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبيا والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا والاشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي". وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لان الله تعالى قال: (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) (٣) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا في العرب إلا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعا وبشرت به الانبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث إلى العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني

(١) في المستدرک للحاکم قال: هو عمارة بن زياد. (٢) من الاساطير الغريبة ليس من سبيل لتصديقها والقبول بها. (٣) سورة السجدة الآية ٢. [*]

إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم. وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرهم. حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ

القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم (١) واسمه هرومة (٢) بن ربيعة بن جحول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طئ أبو سفانة الطائي والدعدي بن حاتم الصحابي، كان جوادا ممدحا في الجاهلية، وكذلك كان ابنه في الاسلام. وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، وإنما كان قصده السمعة والذكر. قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ذاك أراد أمرا فأدرکه " (حديث غريب) قال الدارقطني تفرد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد. قال ابن عساكر: وقد فرق أبو أحمد الحاكم بن أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر عن أبي نصر شيبة الناجي والله أعلم. وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن إسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك، يعني من أجر. قال: " إن أبك طلب شيئا فأصابه ". وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريري عن غندر عن شعبة عن سماك به. وقال: " إن أبك أراد أمرا فأدرکه " يعني الذكر. وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة به سواء وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسعر بهم جهنم منهم الرجل الذي ينفق ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الآخر في الصحيح أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقالوا له كان يقري الضيف ويعتق ويتصدق فهل ينفعه ذلك فقال: " إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ". هذا وقد كان من الاجواد المشهورين أيضا المطعمين في السنين المحملة والاقوات المرملة. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤) أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن

(١) كذا في بلوغ الارب للالوسي ؛ وفي جمهرة ابن حزم: أحزم بن أبي أحزم. (٢) في الاغانى ١٧ / ٣٦٣ عن ابن السكيت: هرومة. (٣) مسند أحمد ج ٤ / ٢٥٨ بتغيير في بعض الفاظه. (٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ / ٢٤١. [*]

[٢٧١]

يوسف العماني، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي، حدثنا ضرار بن سرد، حدثنا عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد النخعي، قال: قال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله ! ما أزهّد كثيرا من الناس في خير عجا، لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة (١) فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الاخلاق فإنها تدل على سبيل (٢) النجاح. فقام إليه رجل وقال: فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال نعم ! وما هو خير منه: لما أتى بسبايا طئ وقعت جارية حمراء لعساء زلفا (٣) عيطاء، شماء الانف، معتدلة القامة والهامة، درماء الكعبين خدلجة الساقين (٤) لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين. قال فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لاطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعلها في فيئي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد: إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع، ويكسو العاري،

ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، وأنا ابنة حاتم طيئ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا جارية هذه (٥) صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مؤمنا (٦) لترحمنا عليه، خلوا عنا فإن أباهما كان يحب مكارم الاخلاق، والله تعالى يحب مكارم الاخلاق. فقام أبو بردة بن نيار (٧) فقال يا رسول الله، والله يحب مكارم الاخلاق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق ". وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني عمر بن بكر عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدي - عن عثمان بن عركى بن حليس الطائي عن أبيه عن جده وكان أخا عدي بن حاتم لأمه قال قيل لنوار امرأة حاتم (٨) حدثينا عن حاتم قالت كل أمره كان عجبا أصابتنا سنة حصت كل شئ فاقشعرت لها الارض وأغيرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الابل حديا حدابير ما تبض بقطرة وحلقت المال وأنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاعى الا صيبة

(١) في الدلائل: الحاجة. (٢) في الدلائل: سبل. (٣) في الدلائل: ذلفاء، وفي الاغاني حماء؛ وهي بيضاء، وعيطاء؛ طويلة العنق. (٤) في الدلائل: درماء العين، خدلة الساقين ؛ وهو خطأ والصواب ما أثبتناه: ودرماء المرأة التي لا تستبين كعورها ؛ وخدلجة: ممتلئة. (٥) وهي ابنة حاتم واسمها سفانة وبها كان يكنى وقد أسلمت. (٦) في الدلائل: مسلما. (٧) في الدلائل: دينار، وفي الكنى والاسماء للدولابي ص ١٧: نيار واسمه هاني. (٨) في الاغاني ج ١٧ / ٢٨٧: اسمها ماوية. [*]

[٢٧٢]

من الجوع عبد الله وعدي وسفانة فوالله إن وجدنا شيئا نعلمهم به فقام إلى أحد الصبيان فحمله ووقمت إلى الصبية فعللتها فوالله إن سكتنا إلا بعد هداة من الليل ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فأضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ثم أقبل علي يعلطني لانام وعرفت ما يريد فتناومت فقال مالك أمنت فسكت فقال: ما أراها إلا قد نامت وما بي نوم فلما أدلهم الليل وتهورت النجوم وهذات الاصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا ؟ فولى حتى قلت إذا قد أسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا ؟ قالت: جارتك فلانة يا أبا عدي ما وجدت على أحد معولا غيرك أنتك من عند أصيبة يتعاوون عواء الذئاب من الجوع قال أعجليهم علي قالت النوار: فوثبت. فقلت. ماذا صنعت اضطجع والله لقد تضاعى اصيبتك فما وجدت ما تعلمهم فكيف بهذه وبولدها فقال أسكنني فوالله لاشبعنك إن شاء الله. قالت: فأقبلت تحمل اثنتين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نهامة حولها رثالها فقام إلى فرسه فوجأ بحرته في لبنه ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال: دونك ثم قال ابعتي صبيانك فيعتتهم ثم قال سوءة أناكلون شيئا دون أهل الصرم فجعل يطوف فيهم حتى هبوا وأقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا والله ما ذاق مزعة وانه لاجوهم إليه فأصبحنا وما على الارض منه إلا عظم وحافر. وقال الدارقطني: حدثني القاضي أبو عبد الله المحاملي حدثنا عبد الله بن أبي سعد وحدثنا عثيم بن نوابة بن حاتم الطائي عن أبيه عن جده قال: قالت امرأة حاتم لحاتم: يا أبا سفانة أشتهي أن أكل أنا وأنت طعاما وجدنا ليس عليه أحد فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهئ وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضح الطعام كشف عن رأسه ثم قال: فلا تطبخي قدرتي وسترك دونها * علي إذن ما تطبخين حرام ولكن بهذا اليفاع فأوقدي * بجزل إذا أوقدت لا بضرام قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعا الناس فأكل وأكلوا فقالت ما أتممت لي ما

قلت فأجابها لا تطاوعني نفسي ونفسي أكرم علي من أن يثني علي هذا وقد سبق لي السخاء ثم أنشأ يقول: أمارس نفسي البخل حتى أعزها * وأترك نفس الجود ما استثيرها (١) ولا تشتكيني جارتني غير أنها * إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها سبيلها خيري ويرجع بعلمها * إليها ولم تقصر عليها ستورها ومن شعر حاتم:

(١) أمارس: أعالج. أعزها: أغلبها وأقوى عليها. [*]

[٢٧٣]

إذا ما بت اشرب فوق ري * لسكر في الشراب فلا رويت إذا ما بت
أختل عرس جاري * ليخفيني الظلام فلا خفيت أفصح جارتني وأخون
جاري * فلا والله أفعل ما حييت ومن شعره أيضا: ما ضر جارا لي
أجاوره * أن لا يكون لباه ستر (١) أغضي إذا ما جارتني برزت * حتى
يوارني جارتني الخدر ومن شعر حاتم أيضا: وما من شيمتي شتم ابن
عمي * وما أنا مخلف من يرتجيني وكلمة حاسد من غير جرم *
سمعت وقلت مري فانقذيني وعابوها علي فلم تعبني * ولم يعرق
لها يوما جيني وذي وجهين يلقاني طليقا * وليس إذا تغيب
يأتسيني ظفرت بعبيه فكففت عنه * محافظة على حسبي وديني
ومن شعره: سلي البائس المقرور يا أم مالك * إذا ما أتاني بين ناري
ومجزري أبسط وجهي إنه أول القرى * وإبذل معروفني له دون
منكري وقال أيضا: وانك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى
الذم أجمعا وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريدي حدثنا
الحسين بن القاسم الكوكبي حدثنا أبو العباس المبرد أخبرني
الثوري عن أبي عبيدة. قال لما بلغ حاتم طئ قول المتلمس: قليل
المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد وحفظ المال خير
من فناه * وعسف في البلاد بغير زاد قال: ماله قطع الله لسانه حمل
الناس على البخل فهلا قال:

(١) في الاغاني ١٧ / ٢٨٦: وما ضر جارا يا ابنة القوم فاعلمي * يجاورني ألا يكون لي
ستر بعيني عن جارات قومي غفلة * وفي السمع مني عن حديثهم وفر قال: ليس
البيتان في ديوانه. وفي الشعر والشعراء نسب البيتان لمسكين الدارمي ١ / ٥٢٠
ونسبه في الاغاني له في رواية ج ٢٠ / ٢١٤ وفيه: ما ضر جارا لي أجاوره * ألا يكون
لباه ستر [*]

[٢٧٤]

فلا الجود يفني المال قبل فنائه * ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس مالا بعيش مقتر * لكل غد رزق يعود جديد ألم تر إن
المال غاد ورائح * وان الذي يعطيك غير بعيد (١) قال القاضي أبو
الفرج ولقد أحسن في قوله: " وان الذي يعطيك غير بعيد ". ولو كان
مسلم لرجي له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه: (واسألوا
الله من فضله) [النساء: ٣٢]. وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني
فإنني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني) [البقرة: ١٨٦]. وعن
الوضاح بن معبد الطائي قال: وقد حاتم الطائي على النعمان بن
المنذر فأكرمه وأدناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهبيا وورقا غير ما
أعطاه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف علي أهله تلقته أعاربت
طئ. فقالت: يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهاليها
بالفقر ! فقال حاتم: هلم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه. فوثبوا إلى ما
بين يديه من حباء النعمان فافتسموه. فخرجت إلى حاتم طريفة

جاريته، فقالت له: اتق الله وابق علي نفسك، فما يدع هؤلاء دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا. فأنشأ يقول: قالت طريفة ما تبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا * ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق ما يألف الدرهم الكاري خرقتنا * إلا يمر عليها ثم ينطلق إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت إلى سيل المعروف تستيق وقال أبو بكر بن عياش: قيل لجاتم هل في العرب أجود منك. فقال: كل العرب أجود مني. ثم أنشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة، وكانت له مائة من الغنم، فذبح لي شاة منها وأتاني بها، فلما قرب إلي دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ ! قال: فذهب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت قد اكتفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقي لا شئ له ؟ فقيل فما صنعت به فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شئ. قال: على كل حال فقال أعطيته مائة ناقة من خيار إبلي. وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب " مكارم الاخلاق " حدثنا العباس بن الفضل الربيعي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طئ. قالوا: كانت عنتره (٢) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طئ لا تمسك شيئا سخاء وحوذا ؛

(١) في البيت إقواء. (٢) كذا في الاصل، وفي مكارم الاخلاق غنية، وفي الشعر والشعراء عنبة، وفي الاغانى ج ١٧ / ٣٦٥ عنبة. [*]

[٢٧٥]

وكان اخوتها يمنعونها فتأبى وكانت امرأة موسرة فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق فدفعوا إليها صرمة (١) من مالها وقالوا استمتعي بها، فأنتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها فقالت: دونك هذه الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت أن لا أمنع سائلا ثم أنشأت تقول: لعمرى لقدما عضني الجوع عضه * فأليت أن لا أمنع الدهر جائعا فقولوا لهذا اللائمى اليوم أعفني * وإن أنت لم تفعل فعض الاصابعا فماذا عساكم أن تقولوا لاختكم * سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا وماذا ترون اليوم إلا طبيعة * فكيف بتركي يا بن امي الطبايعا (٢) وقال الهيثم بن عدي عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده. قال: شهدت حاتما يكيد (٣) بنفسه، فقال لي: أي بني إني أعهد من نفسي ثلاث خصال والله ما خالت جارة لريبة قط، ولا أوتمنت على أمانة إلا أدبتها، ولا أوتي أحد من قبلي بسوء. وقال أبو بكر الخرائطي: حدثنا علي بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوي، حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين - يعني جعفر بن المحرر بن الوليد - عن المحرر (٤) مولى أبي هريرة قال: مر نغر من عبد القيس بقبر حاتم طئ فنزلوا قريبا منه فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيبري فجعل يركض قبره برجله. ويقول: يا أبا جعد أقرنا. فقال له بعض أصحابه: ما تخاطب من رمة (٥) وقد بليت ؟ وأجنهم الليل فناموا، فقام صاحب القول فزعا يقول: يا قوم عليكم بمطيمكم فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته يقول (٦): أبا الخيبري وأنت امرؤ * ظلوم العشيبة شتامها أتيت بصحك تبغي القرى * لدى حفرة قد صدت هامها أتبغي لي الذنب عند الميب * ت وحولك طئ وانعامها

(١) الصرمة: القطعة من الابل ما بين العشر إلى الثلاثين أو إلى الخمسين والاربعين. أو ما بين العشرة إلى الاربعين أو ما بين عشرة إلى بضع عشرة (القاموس). (٢) في الديوان ٤٢: ولا ما ترون إلا.. طبايعا. (٣) يكيد بنفسه: يجود، وهو يحتضر. (٤) كذا في

الاصل المحرر وفي الاغانى محرز، وفيه: الحديث عن المحرز عن الوليد مولى أبي هريرة قال: سمعت محرز بن أبي هريرة (في التقريب محرز بن أبي هريرة) ولم أجد للوليد ذكرا لا في التقريب أو في ثقات العجلي والكاشف. (٥) الرمة: العظم البالي والجمع رمم. (٦) الابيات في الاغانى ج ١٧ / ٢٧٥ بتغيير في الالفاظ، وفيه أن الذي أنشدتها عدي بن حاتم، وهو من جاءه حاتم في النوم. [*]

[٢٧٦]

وإنا لنشيع أضيافنا * وتأتي المطي فنعتمها قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس (١) عقيرا فنحروها وقاموا يشنونون ويأكلون. وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا. قال: وأصبح القوم واردفوا صاحبهم وساروا فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا ويقود آخر. فقال: أيكم أبو الخير قال أنا قال إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك وهذا يعير فخذة ودفعه إليه. شئ من أخبار عبد الله بن جدعان هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان من الكرماء الاجواد في الجاهلية المطعمين للمسنئين وكان في بدء أمره فقيرا مملقا وكان شريرا يكثر من الجنایات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شقا في جبل فظن أن يكون به شيئا يؤذي فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغني شيئا فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ومنهم الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته فلا يدري أين ذهب ووجد عند رؤوسهم لوحا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شئ كثير فأخذ منه حاجته ثم خرج وعلم باب الغار ثم انصرف، إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع فممن ذكر هذا عبد الملك بن هشام في كتاب " التيجان " وذكره أحمد بن عمار في كتاب " ري العاطش وأنس الواحش " وكانت له جفنة يأكل منها الراكب علي بعيره ووقع فيها صغير فغرق. وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي " (٢) أي وقت الظهيرة. وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: " تطلبوه بين الفتلى وتعرفوه بشجة في ركبته، فإنني تزاحمت أنا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهمشمت

(١) كاس البعير: في القاموس: مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب. وقال الزمخشري في الاساس أي قلب على رأسه. (٢) الصكة شدة الهاجرة، وتضاف إلى عمي، رجل من العمالقة أغار على قومهم في الظهيرة فاجتاحهم. قال الالوسي في بلوغ الارب: سميت الهاجرة صكة عمي لخبر ذكره أبو حنيفة في الانواء وهو أن عميا رجلا من عدوان، وقيل من إباد، وكان فقيها فقدم في قومه معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في وسط الظهيرة من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة. فسميت الظهيرة صكة عمي. ١ / ٨٩ - ٩٠. [*]

[٢٧٧]

فأثرها باق في ركبته ". فوجدوه كذلك. وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت: ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني الديان البر بليك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان فأرسل ابن جدعان إلى الشام

ألفي بعير [وعادت] تحمل البر والشهد والسمن، وجعل مناديا
ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا إلي حفنة ابن جدعان.
فقال أمية في ذلك: له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق كعبتها ينادي
(١) إلى رده من الشيزي ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد (٢) ومع
هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يا رسول الله
إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم
القيامة ؟ فقال: " لا، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم
الدين ". امرؤ القيس بن حجر الكندي صاحب إحدى المعلقات وهي
أفخرهن وأشهرهن التي أولها: * قفا نيك من ذكري حبيب ومنزل *
قال الإمام أحمد: حدثنا هشام (٣) حدثنا أبو الجهم (٤) عن الزهري
عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار " وقد روى هذا
الحديث عن هشام جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم، والحسن
بن عرفة، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين
ويحيى بن معين، وأخرجه ابن عدي من طريق عبد الرزاق عن
الزهري به وهذا منقطع وردئ من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح
من غير هذا الوجه.

(١) مشمعل: المبادر والمجتهد ؛ اشمعل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا
والبيت في الاغاني وبلوغ الارب: وآخر فوق دارته ينادي (٢) رده جمع رداح وهي
الجفنة العظيمة قال الالوسي وهي سترة تكون في مؤخر البيت أو قطعة تزد فيه
والرداح الخفيفة العظيمة. والشيزي: خشب أسود تتخذ منه القصاع وروى الجوهري
صدر البيت هكذا: إلى رده من الشيزي عليها (٣) في المسند ج ٢ / ٢٢٨ هشيم
بدل من هشام، وهو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار، أبو معاوية السلمى
الواسطي توفي سنة ١٨٣ هـ (التقريب - الكاشف) ثقة ثبت، كثير التدليس. (٤) في
المسند أبو الجهم الواسطي. [*]

[٢٧٨]

وقال الحافظ ابن عساكر: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن
عمرو بن حجر أكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن
ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة. أبو يزيد ويقال أبو وهب ويقال أبو
الحارث الكندي. كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره
فمن ذلك قوله: قفا نيك من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين
الدخول فحومل فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من
جنوب وشمال قال وهذه مواضع معروفة بحوران. ثم روى من طريق
هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثني فروة بن سعيد بن
عفيف بن معدي كرب عن أبيه عن جده. قال: بينا نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن فقالوا يا رسول الله
لقد أحيانا الله ببنتين من شعر امرئ القيس. قال: وكيف ذاك ؟ قالوا
أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق اخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا
نقدر على الماء فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر ليموت كل رجل منا
في ظل شجرة فبينما نحن بأخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما
رأه بعضنا قال والراكب يسمع: ولما رأته أن الشريعة همها * وان
البياض من فرائضها دامى (١) تيممت العين التي عند ضارج * يفئ
عليها الظل عرمضها طامى (٢) فقال الراكب: ومن يقول هذا الشعر
وقد رأى ما بنا من الجهد ؟ قال قلنا امرؤ القيس بن حجر قال: والله ما
كذب هذا ضارج عندكم فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين
ذراعا فحبونا إليه على الركب فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه
العرمض يفئ عليه الظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "
ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة، شريف في الدنيا
خامل في الآخرة، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار " (٣). وذكر
الكلبي: أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا
أباه فمر بتبالة (٤) وبها ذو الخصلة وهو صنم وكانت العرب تستقسم
عنده فاستقسم فخرج الفدح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك

فكسر القداح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضضت بأير أبيك لو كان أبوك المقتول لما عوفتني. ثم أغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا قال ابن الكلبي: فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الاسلام. وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض

(١) الشريعة: مشرعة الماء. (٢) ضارح: موضع ببلاد عيس. (٣) القصة في الشعر والشعراء ١ / ٥٨ وما بعدها وعيون الاخبار ١ / ١٤٣ - ١٤٤ والاغانى ٧ / ١٢٣. (٤) تباله: موضع ببلاد اليمن بينها وبين مكة ٥٢ فرسخا ومعجم البلدان ٢ / ١٠. [*]

[٢٧٩]

الحروب ويسترفده فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك فيقال إنه سقاه سما فقتله فالجاء الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك: أجاتنا إن المزار قريب * وإني مفيم ما أقام عسيب (١) أجاتنا إنا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب وذكروا أن المعلقة السبع كانت معلقة بالكعبة، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المعلقة السبع فالأولى لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم وأولها: قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل والثانية للناطقة الذيباني: واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها: يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الأبد والثالثة لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وأولها: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم (٢) والرابعة لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل وأولها: لخولة أطلال ببرقة ثمهد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس العبسي وأولها: هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم والسادسة لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها: طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

(١) عسيب: جبل بولاية نجد. وامرؤ القيس بالاجماع مات مسموما بأنقرة في طريق بلد الروم؛ وقد ذكر في أنقرة. معجم البلدان ٤ / ١٢٤ - ١٢٥. (٢) المتثلم: جبل في بلاد بني مرة معجم البلدان ج ٥ / ٥٣. [*]

[٢٨٠]

والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقة وهو قول الاصمعي وغيره - وهي للبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها: عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها فاما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبدة والاصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله: هل بالطلول لسائل رد * أم هل لها بتكلم عهد وهي مطولة وفيها معان حسنة كثيرة. أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي قال الحافظ ابن عساكر: هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف (١) بن عقدة بن عزة (٢) بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر

بن هوازن أبو عثمان ويقال أبو الحكم الثقفي شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الاسلام وقيل إنه كان مستقيما (٣) وإنه كان في أول أمره على الايمان ثم زاغ عنه وإنه هو الذي أراد الله تعالى بقوله: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) (٤). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف وقال غيره كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم. وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) هو أمية بن أبي الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن المنثري عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود. قال: إني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقراً رجل من القوم الآية التي في الاعراف: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا

(١) في الاغانى: ابن عمرو. (٢) في الاغانى: عنزة وفي الاصابة غيرة. (٣) في ابن عساکر: ويقال إنه كان نبيا. (٤) سورة الاعراف الآية ١٧٥. قال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم: نزلت في أمية، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الوقت، وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول؛ ولما أرسل الله محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمن شعره وكفر قلبه. وقيل غير ذلك القرطبي ٧ / ٣٢٠. [*]

[٢٨١]

فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صيفي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلعم رجل من بني إسرائيل فقال لا! قال فمن؟ قال هو أمية بن أبي الصلت وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربيعي حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي حدثنا اسماعيل بن الطريح بن اسماعيل الثقفي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأمّية بن أبي الصلت الثقفي تجارا إلى الشام فكلما نزلنا منزلا أخذ أمية سفرا له يقرأه علينا فكنّا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤوه واكرموه واهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب تسأله. قلت: لا إرب لي فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ولئن حدثني بما أكره لاجدن منه. قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علي فقال ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وإن فإنك تسمع منه عجبا وتراه. ثم قال لي أتثقي أنت؟ قلت لا ولكن قرشي؟ قال فما يمنعك من الشيخ فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم. قال فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيبا حزينا ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل. قلت وهل بك من رحيل؟ قال نعم! فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ثم قال في الليلة الثالثة: لا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما إن ذلك لشيء لست فيه إنما ذلك لشيء وجلت منه من منقلبي قلت وهل لك من منقلب. قال: أي والله لاموتن ثم لاحيين قال قلت هل أنت قابل أمانتي قال على ماذا؟ قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال: بلى! والله يا أبا سفيان لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار. قلت: ففي أيهما أنت أخبرك

صاحبك قال لا علم لصاحبي بذلك لا في ولا في نفسه. قال فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤوه واهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم فما جاء إلا بعد منتصف النهار فليس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاء بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام وأصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل؟ قلت: بلي إن شئت. فرحلنا كذلك في بئته وحزنه ليالي. ثم قال لي: يا أبا سفيان هل لك في المسير لتتقدم أصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال: هيا صخر. فقلت: ما تشاء؟ قال حدثني عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المظالم والمجارم قلت: إي والله قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها. قلت إي والله! قال وكريم الطرفين وسط في العشيرة قلت نعم! قال فهل تعلم قرشيا أشرف منه؟ قلت

[٢٨٢]

لا والله لا أعلم قال أمحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم أتى عليه من السن فقلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذاك يزري به لا والله بل يزيد خيرا قال هو ذاك. هل لك في المبيت قلت لي فيه قال فاضطجعنا حتى مر الثقل قال فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قال لي يا أبا سفيان قلت ما تشاء قال هل لك في مثل البارحة قلت هل لك فيه قال: نعم فسرنا على ناقتين بخيتين حتى إذا برزنا قال: هيا صخر، هيه عن عتبة بن ربيعة قال قلت هبها فيه قال أيجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إي والله إنه ليفعل قال وذو مال قلت وذو مال قال أتعلم قرشيا أسود منه قلت: لا والله ما أعلم؟ قال كم أتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فإن السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ما أزرى به ذلك وأنت قائل شيئا فقله. قال لا تذكر حديثي يأتي منه ما هو أت ثم قال فإن الذي رأيت أصابني أني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب فمن أي العرب هو قال من أهل بيت تحجه العرب قلت وفينا بيت تحجه العرب قال هو من إخوانكم من قريش فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون إياه قلت فإذا كان ما كان فصفه لي قال رجل شاب حين دخل في الكهولة. بدو أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها فيها مصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصائب. قال أبو سفيان: فقلت هذا والله الباطل لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا. قال أمية: والذي حلفت به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان تقول إن قول النصراني حق. هل لك في المبيت؟ قلت نعم لي فيه قال فبتنا حتى جاءنا الثقل ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهل الشام بعدكم رجفة دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة. قال أبو سفيان فأقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان قلت أرى وأظن والله إن ما حدثك به صاحبك حق قال أبو سفيان فقدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صبيانها فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام. فقلت: لهند والله إنه هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له

معي بضاعة إلا وقد سألتني عنها وما سألتني هذا عن بضاعته. فقالت لي هند أو ما علمت شأنه فقلت وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوفدتنني وتذكرت قول النصراني فرجفت حتى قالت لي هند مالك؟ فانتبهت فقلت إن هذا لهو الباطل لهو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله إنه ليقولن ذلك ويدعو إليه وإن له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فيينا أنا أصرف بالبيت

[٢٨٢]

إذ بي قد لقيته فقلت له إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست أخذ منك فيها ما أخذ من قومي فأبى علي. وقال إذن لا أخذها قلت فأرسل فخذها وأنا أخذ منك مثل ما أخذ من قومي فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت أخذ من غيره. قال أبو سفيان: فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقال لي يا أبا سفيان ما تشاء هل تذكر قول النصراني فقلت أذكره وقد كان فقال: ومن؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فالله يعلم؟ وأخذ يتصب عرقا. ثم قال: والله يا أبا سفيان لعله. إن صفته لهي ولئن ظهر وأنا حي لأطلبن من الله عزوجل في نصره عذرا قال: ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبي الصلت بالطائف فقلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعته فقال قد كان لعمرى قلت فأين أنت منه يا أبا عثمان فقال والله ما كنت لاومن برسول من غير ثقيف أبدا قال أبو سفيان وأقبلت إلى مكة فوالله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحرقون قال أبو سفيان فجعلت أقول فأين جنده من الملائكة قال فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبراني الذي أوردناه أتم وأطول والله أعلم. وقال الطبراني: حدثنا بكر بن أحمد بن نفيل حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا مجامع بن عمرو الاسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو بابلية فلما قفلنا قال لي أمية يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرفقة فنحدث قلت نعم! قال ففعلنا فقال لي يا أبا سفيان إيه عن عتية بن ربيعة قلت: كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف أزريا به فقلت له كذبت ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحدا يقولها لي منذ تبصرت فلا تعجل علي حتى أخبرك قال قلت هات قال: إني كنت أجد في كتبي نبيا يبعث من حرتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا أشك إني أنا هو فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتية بن ربيعة فلما أخبرتنني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه قال أبو سفيان فضرب الدهر ضربه فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تتعته قال أما إنه حق فاتبعه قلت ما يمنك من اتباعه قال ما يمنني إلا الاستحياء من نساء ثقيف إني كنت أحدثهن أني هو ثم يرينني تابعا لغلाम من بني عبد مناف ثم قال أمية كأنني بك يا أبا سفيان قد خالفتك ثم قد ربطت كما يربط الجددي حتى يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد.

[٢٨٤]

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الكلبي قال بينا أمية راقد ومعه ابنتان له إذ فزعت إحداهما فصاحت عليه فقال لها ما شأنك قالت رأيت نسرين كشطا سقفا البيت فنزل أحدهما إليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناده فقال أوعى قال نعم قال أركى قال لا فقال ذاك خير أريد بأبيكما فلم يفعله وقد روى من وجه آخر بسياق آخر فقال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها معجبا فقال لها ذات يوم يا فارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم وأعجب من ذلك ما قد رأيت قالت كان أخي في سفر فلما انصرف بدأني فدخل علي فرقد على سريري وأنا أحلق أديما في يدي إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على الكوة أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه ما بين قصه إلى عانته ثم أدخل يده في جوفه فأخرجه قلبه فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال أركى قال أبي ثم رد القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفة عين ثم ذهب فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته فقلت هل تجد شيئا. قال: لا إلا توهينا في حسدي - وقد كنت ارتعبت مما رأيت - فقال مالي أراكي مرتاعة. قالت فأخبرته الخبر فقال خير أريد بي ثم صرف عني ثم انشأ يقول: باتت همومي تسري طوارقها * اكف عيني والدمع سابقها ما أتاني من اليقين ولم * أوت براءة يقص ناطقها أم من تلتقى عليه واقدة الذ * نار محيط بهم سرادقها أم أسكن الجنة التي وعد ال * أبرار مصفوفة نمارقها لا يستوي المنزلان ثم ولا ال * أعمال لا تستوي طرائقها هما فريقان فرقة تدخل الجنة * نة حفت بهم حدائقها وفرقة منهم قد أدخلت ال * نار فساءتهم مرافقها تعاهدت هذه القلوب إذا * همت بخير عاقت عوائقها وصدتها للشقاء عن طلب ال * حنة دينا الله ما حقها عيد دعا نفسه فعاتبها * يعلم أن البصير رامقها ما رغب النفس في الحياة وان * تحيي قليلا فالموت لاحقها يوشك من فر من منيته * يوما على غرة يوافقها إن لم تمت غبطة تمت هرما * للموت كأس والمرء ذائقها قال ثم انصرف إلى رحله فلم يلبث إلا يسيرا حتى طعن في حيارته فأتاني الخبر فانصرفت إليه فوجدته منعوشا قد سجي عليه فدنوت منه فشقق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته. وقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، لا ذو مال فيفديني ولا ذو أهل فتحميني، ثم أغمي [*]

[٢٨٥]

عليه إذ شقق شهقة فقلت قد هلك الرجل. فشق بصره نحو السقف فرفع صوته. فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، لا ذو براءة فاعتذر، ولا ذو عشيرة فانتصر. ثم أغمي عليه إذ شقق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف. فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، بالنعمة محفود وبالذنب محصود، ثم أغمي عليه إذ شقق شهقة. فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما. إن تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما ثم أغمي عليه إذ شقق شهقة فقال: كل عيش وإن تناول دهرًا * سائر مرة (٢) إلى أن يزولا ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال أرعى الوعولا قالت: ثم مات. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذي أتاه الله آياته فانسلخ منها ". الآية وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث. وروى الجافظ ابن عساكر عن الزهري أنه قال قال أمة بن أبي الصلت: ألا رسول لنا منا يخبرنا * ما بعد غايتنا من رأس مجرانا قال ثم خرج أمية بن أبي الصلت إلى البحرين وتبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام أمية بالبحرين ثمانين سنين ثم قدم الطائف فقال لهم: ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم أنه نبي هو الذي كنت

تتمنى. قال: فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه. فقال: يابن عبد
المطلب ما هذا الذي تقول قال أقول: إني رسول الله وأن لا إله إلا
هو. قال: إني أريد أن أكلمك فعدني غدا قال فموعدك غدا قال فتحب
أن أتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي وتأتيني وحدك أو في
جماعة من أصحابك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ذلك
شئت قال فإنني أتيك في جماعة فأت في جماعة قال فلما كان الغد
غدا أمية في جماعة من قريش قال وغدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة. قال: فبدأ
أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ الشعر قال
أجيني يابن عبد المطلب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(بسم الله الرحمن الرحيم. يسن والقرآن الحكيم) حتى إذا فرغ منها
وثب أمية يجر رجليه قال فتبعته قريش يقولون ما تقول يا أمية قال
أشهد أنه على الحق. فقالوا: هل تتبعه قال حتى أنظر في أمره قال
ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرا ثم
ترحل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل: يا أبا الصلت
ما تريد؟ قال أريد محمدا قال وما تصنع؟ قال أو من به والقي إليه
مقاليد هذا الامر قال: أتدري من في القلب؟ قال لا قال: فيه عتبة
بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك - وأمه ربيعة بنت عبد
شمس - قال فجذع أذني ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القلب
يقول: ماذا بيدر فالعقد * - قل من مرابزة جحاح القصيدة إلى آخرها
كما سيأتي ذكرها بتمامها في قصة بدر إن شاء الله. ثم رجع إلى
مكة

[٢٨٦]

والطائف وترك الاسلام. ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم
وأنشد شعره عند الوفاة: كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى
أن يزولا ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال أرى
الوعولا فاجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا
نائلا ظفرها القساور والصد * عان والطفل في المنار الشكيلا وبغات
النياف واليعفر النا * فر والعهوج البرام الضئلا فقول: القساور جمع
قسورة وهو الاسد. والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع والطفل
الشكل من حمرة العين، والبغات الرخم، والنياف الجبال، واليعفر
الطبي، والعهوج ولد النعام. يعني أن الموت لا ينجو منه الوحوش
في البراري ولا الرخم الساكنة في رؤوس الجبال ولا يترك صغيرا
لصغره ولا كبيرا لكبره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه
الاحاديث وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والاعلام: أن أمية بن
أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم، وذكر عند ذلك قصة غريبة
وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية
والد أبي سفيان قال فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها فلما أمسوا
جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية ومعها قضيب
فضربت به الارض ضربة نفرت الابل عن آخرها فذهبت وشردت كل
مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردها فلما اجتمعوا جاءتهم
أيضا فضربت الارض بقضيبها فنفرت الابل فذهبوا في طلبها فلما
أعياهم ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله
ولكن سأنظر في ذلك قال فساروا في تلك المحلة لعلهم يجدون
أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء إذا نار تلوح على بعد
فجاؤوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا وإذا هو من الجان في
غاية الضالة والدمامة فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه فقال إذا
جاءتكم فقل بسمك اللهم فإنها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة
أو الرابعة قال في وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار
لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فنبه أصحابه
هنالك حيث لا جار ولا دار ففي ذلك يقول الجان: وقبر حرب بمكان
قفر * وليس قرب قبر حرب وذكر بعضهم: أنه كان يتفرس في

بعض الاحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لاصحابه: إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدها فالتفتت إليه فئغت كأنها تستحثه. فقال: أتدرون ما تقول له قالوا لا قال إنها تقول أسرع بنا لا يجئ الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فأسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقعة فقال نعم. قال: ومر يوما على يعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو. فقال: إنه يقول لها إنك رحلتيني وفي

[٢٨٧]

الحداجة مخيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فإذا فيه مخيط كما قال. وذكر ابن السكيت: أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نعب غراب. فقال: له بغيك التراب مرتين. فقيل له ما يقول؟ فقال: إنه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت. ثم نعب الغراب فقال إنه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المزبلة فأكل منها فيعلق عظم في حلقي فأموت. ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئا فعلق في حلقه عظم فمات. فقال: أمية أما هذا فقد صدق في نفسه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فمات. وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم. فقال الامام أحمد: حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت نعم! قال فأنشدني فأنشدته بيتا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا أيه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكت. وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به. ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن كاد يسلم ". وقال يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الهمداني وأخواله ثقيف قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم إذا وقع ناقه خلفي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشريد فقلت نعم: قال ألا أحملك قلت بلى وما من إعياء ولكنني أردت البركة في ركوبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ فحملني فقال: أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت نعم! قال هات فأنشدته قال أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت: ثم قال ابن صاعد هذا حديث غريب فأما الذي يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أمية: " أمن شعره وكفر قلبه " فلا أعرفه والله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره قال:

[٢٨٨]

زحل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليث مرصد والشمس تبدو كل آخر ليلة * حمراء يصبح لونها يتورد تآبى فما تطلع لنا في رسلها * إلا معذبة وإلا تجلد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق. وفي رواية أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعي اطلعي فتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله فإذا همت بالطلوع أتاها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه فإذا تضيف للغروب عزمت لله عزوجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب من قرنيه وتحرقه. أورده ابن عساكر مطولا. ومن شعره في حملة العرش: فمن حامل إحدى قوائم عرشه * ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا قيام على الأقدام عانون تحته * فرائضهم من شدة الخوف ترعد رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية: مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا بالبناء الأعلى الذي سبق الذ * ناس وسوى فوق السماء سريرا شرحا [ما] يناله بصر العي * - ن ترى دونه الملائك صورا ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل العنق وهؤلاء حملة العرش. ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمي: أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إن شيمتك الحياء وعلمك بالحقوق وأنت فرع * لك الحسب المهذب والسناء كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء يباري الريح مكرمة وجودا * إذا ما الكلب أحجره الشتاء وأرضك أرض مكرمة بنتها * بنو تيم وأنت لها سماء إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء وله فيه مدائح أخر. وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الأجواد الممجدين المشهورين وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها، وكان يملأها لباب البر يلبك بالشهد والسمن، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم أينفعه ذلك ؟ فقال إنه لم يقل يوما من الدهر (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ومن شعر أمية البديع: لا ينكتون الأرض عند سؤالهم * كتطلب العلات بالعيدان بل يسفرون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن الألوان

[٢٨٩]

وإذا المقل أقام وسط رجالهم * ردوه رب صواهل وقيان وإذا دعوتهم لكل ملمة * سدوا شماع الشمس بالفرسان آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت. بحيرا الراهب الذي توسم في رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجار من أهل مكة وعمره إذا ذاك اثنتي (١) عشرة سنة فرأى الغمامة تظله من بينهم. فصنع لهم طعاما ضيافة واستدعاهم كما سيأتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثا بسطنا الكلام عليه هنالك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجب وذكر ابن عساكر أن بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة أميال وهي التي يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال: إنه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبلقاء وراء زيرا والله أعلم. ذكر قس بن ساعدة الأيادي قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب " هواتف الجان ": حدثنا داود القنطري، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني أبو عبد الله المشرقي، عن أبي الحارث الوراق، عن ثور بن يزيد، عن مورق العجلي، عن عبادة بن الصامت. قال: لما قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يا معشر وفد إياد ما فعل قس بن ساعدة الأيادي ". قالوا: هلك يا رسول الله. قال: " لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب موق لا أجدني أحفظه ". فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يارسول الله. قال: فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

قال: " فكان بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شئ آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهق، وحيال مرسية، وأنهار مجرية، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبيراً، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالاقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا. أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه. إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ثم أنشأ يقول: في الذاهبين الأولي * ن من القرون لنا بصائر لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها * يمضي الاصغر والاكابر لا من مضى يأتي اليه * ك ولا من الباقيين غابر أيقنت أنني لا محاً * لة حيث صار القوم صائر وهذا إسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه " المعجم

(١) في الاصل اثني وهو خطأ. [*]

[٢٩٠]

الكبير " : حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي، حدثنا محمد بن حسان السهمي، حدثنا محمد بن الحجاج، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس. قال: قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " أياكم يعرف القس بن ساعدة الايادي ". قالوا: كلنا يعرفه يا رسول الله. قال: " فما فعل " ؟ قالوا: هلك، قال: فما أنساه بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبيراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور. وأقسم قس قسماً حقا لئن كان في الأمر رضي ليكون بعده سخط. إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. أرضوا بالمقام فأقاموا. أم تركوا فناموا. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أياكم من يروي شعره ؟ فأنشده بعضهم: في الذاهبين الأولي * - ن من القرون لنا بصائر لما رأيت موارد * للموت ليس ما مصادر ورأيت قومي نحوها * يسعي الاصغر والاكابر لا يرجع الماضي إلي * ولا من الباقيين غابر أيقنت أنني لا محاً * لة حيث صار القوم صائر وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمى به. وهكذا رواه في الجزء الذي جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولي عن سعيد بن شبيب، عن محمد بن الحجاج، عن إبراهيم الواسطي نزيل بغداد، ويعرف بصاحب الفريسة. وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والدارقطني واتهمه غير واحد منهم ابن عدي بوضع الحديث. وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهذه الطريق أمثل من التي قبلها وفيه: إن أبا بكر هو الذي أورد القصة بكمالها نظمها ونثرها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الحطمي. حدثنا علي بن الحسين بن محمد المخزومي حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس. قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: " ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة الايادي " وذكر القصة مطولة. وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبي طالب الحجار إجازة إن لم يكن سماعاً قال أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي سماعاً وقرات على شيخنا

الحافظ أبي عبد الله الذهبي أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن
أبي بكر الخلال سماعا قال أنا جعفر بن علي سماعا قال أنا
السلفي سماعا

[٢٩١]

أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي أنا أبو الفضل محمد
بن أحمد بن عيسى السعدي أنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن
علي المقرئ حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي
قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي - قاضي فارس -
حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل
حوران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربيع عن محمد بن إسحاق حدثني
بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه
قال: كان الجارود بن المعلی بن حنش بن معلی العبدي نصرانيا
حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالما بسير الفرس وأقويلها
بصيرا بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والادب كامل الجمال ذا ثروة
ومال وأنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا في رجال من
عبد القيس ذوي آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان فلما قدم
على النبي صلى الله عليه وسلم وقف بين يديه وأشار إليه وأنشأ
يقول: يا نبي الهدى أتتكَ رجال * قطعت فدفا وألا فألا وطوت نحوك
الصحاح تهوى * لا تعد الكلال فيك كلالا كل بهماء قصر الطرف عنها
* أرقتها قلاصنا أرقالا وطوتها العناق يجمع فيها * بكماة كأنجم تتلألا
تبتغي دفع بأس يوم عظيم * هائل أوجع القلوب وهالا ومزادا لمحشر
الخلق طرا * وفراقا لمن تمادى ضلالا نحو نور من الآله وبرها * ن وبر
ونعمة أن تنالا خصك الله يا بن أمانة الخ * - ير بها إذ أتت سجالا
سجالا فأجعل الحظ منك يا حجة اللا * ه جزيلا لاحظ خلف أحالا قال
فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه وقال له. يا جارود
لقد تأخر الموعود بك ويقومك. فقال الجارود: فذاك أبي وأمي أما من
تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوبة وأغلظ عقوبة وما كنت
فيمن رآك أو سمع بك فعداك واتبع سواك وإني الآن على دين قد
علمت به قد جئتكَ وها أنا تاركه لدينك أفذلك مما يمحض الذنوب
والمآثم والحبوب؟ ويرضى الرب عن المريب فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم: أنا ضامن لك ذلك وإخلص الآن لله بالوحدانية ودع
عني دين النصرانية. فقال الجارود: فذاك أبي وأمي مد يدك فأنا أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله.
قال: فأسلم وأسلم معه أناس من قومه فسر النبي صلى الله عليه
وسلم بإسلامهم، وأظهر من إكرامهم ما سرورا به وابتهجوا به. ثم
أقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أفيكم من يعرف
قس بن ساعدة الأيادي فقال الجارود فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه
وإنني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره كان قس يارسول الله
سيطا من أسباط العرب عمر ستمائة سنة تقفز منها خمسة أعمار
في البراري والقفار يضج بالتسييح على مثال المسيح لا يقره قرار
ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار. كان يلبس الامساح ويقف فوق السياح،
ولا يفتر من رهبانيته يتحسى في سياحته بيض النعام ويأنس
بالهوام،

[٢٩٢]

ويستمتع بالظلام، يبصر فيعتبر، ويفكر فيختبر، فصار لذلك واحدا
تضرب بحكمته الامثال، وتكشف به الاهوال. أدرك رأس الجواريين
سمعان، وهو أول رجل تأله من العرب ووحده، وأقر وتعبد، وأيقن
بالبعث والحساب، وحذر سوء المآب، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ
بالموت وسلم بالقضاء، على السخط والرضا، وزار القبور، وذكر

النشور، وندب بالاشعار، وفكر في الاقدار، وأنبأ عن السماء والنماء، وذكر النجوم وكشف الماء، ووصف البحار، وعرف الآثار، وخطب راكبا، ووعظ دائبا، وحذر من الكرب، ومن شدة الغضب، ورسل الرسائل، وذكر كل هائل، وأرغم في خطبه، وبين في كتبه، وخوف الدهر، وحذر الازر، وعظم الامر، وجنب الكفر، وشوق إلى الحنيفية، ودعا إلى اللاهوتية. وهو القائل في يوم عكاظ. شرق وغرب، ويتم وحب، وسلم وحب، وبابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وأناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وأباء وأمهات، وجمع واشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام، لقد ضل الانام، نشو مولود، وواد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغني، ومحسن ومسئ، تبا لارباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الأمل أمله، كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والانثى، رب الآخرة والاولى. أما بعد: فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والاجداد؟ وأين العليل والعواد؟ كل له معاد يقسم قس برب العباد، وساطح المهاد، لتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، إذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، وأشرقت الارض، ووعظ الواعظ، فانبتذ القانط وأبصر اللاخط، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر، والنور الازهر، والعرض الاكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، ففريق في الجنة وفريق في السعير. وهو القائل: ذكر القلب من جواه اذكار * وليال خلالهن نهار وسجال هو اطل من غمام * ثرن ماء وفي جواهن نار ضوءها يطمس العيون وأرعا * دشداد في الخافقين تطار وقصور مشيدة حوت الخ * - ير وأخرى خلت بهن قفار وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياهن غزار ونجوم تلوح في ظلم اللي * - ل نراها في كل يوم تدار ثم شمس يحثها قمر اللي * - ل وكل متابع موار وصغير وأشمط وكبير * كلهم في الصعيد يوما مزار وكبير مما يقصر عنه * حدسه الخاطر الذي لا يحار فالذي قد ذكرت دل على الل * ه نفوسا لها هدى واعتبار

[٢٩٣]

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهما نسيت فلست أنساه بسوق عكاظ، واقفا على جمل أحمر يخطب الناس: اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فانتهعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، ولك ما هو آت، مطر ونبات، واحياء وأموات، ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وأثام، إن في السماء خبرا، وإن في الارض عبرا، يحار فيهن البصرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تغور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس، ووزن القسطاس. أقسم قس قسما، لا كاذبا فيه ولا أثما، لئن كان في هذا الامر رضي، ليكونن سخط. ثم قال: أيها الناس إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه وهذا زمانه وأوانه. ثم قال مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، ارضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا. والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى بعض أصحابه فقال: أيكم يروي شعره لنا؟ فقال أبو بكر الصديق: فذاك أبي وأمي أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول: في الذاهبين الاول * - ن من القرون لنا بصائر لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها * يمضي الأصغر والاكابر لا يرجع الماض إليه * ي ولا من الباقين غابر أيقنت أني لا محا * له حيث صار القوم صائر قال: فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة، بعيد ما بين المنكبين فقال: فذاك أبي وأمي وأنا رأيت من قس عجا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الذي رأيت يا أبا بني عبد القيس؟ فقال: خرجت في شبيبتني أربع بعيرا لي فدعني أفغو أثره في تائف قفاف ذات ضغابيس وعرصات جثجات بين صدور جذعان، وغمير حودان، ومهمه

ظلمان، ورصيغ ليهقان، فبيننا أنا في تلك القلوات أجول بسببها وأرنق فدفدها إذا أنا بهضبة في نشراتها أراك كبث مخضولة وأغصانها متهدلة كأن بربرها حب الغلغل ويواسق اقحوان، وإذا بعين خراة وروضة مدهامة، وشجرة عارمة، وإذا أنا بقس بن ساعدة في أصل تلك الشجرة ويده فضيب. فدنوت منه وقلت له: أنعم صباحا ! فقال: وأنت فنعم صباحك ! وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقصيب الذي بيده. وقال: اصبر حتى يشرب الذي قبلك فذعرت من ذلك ذعرا شديدا، ونظر إلي فقال لا تخف. وإذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان ؟ القبران ؟ قال قبر أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع فأنا مقيم بين قبريهما عبد الله حتى الحق بهما. فقلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتبينهم على شرهم ؟ فقال لي: ثكلتك أمك أو ما علمت أن ولد إسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الاضداد وعظموا الانداد ثم أقبل على القبرين وانشأ يقول:

[٢٩٤]

خليلي هبا طالما قد رقدتما * أجد كما لا تقضيان كراكما أرى النوم بين الجلد والعظم منكما * كأن الذي يسقي العقار سفاكما أمن طول نوم لا تجيبان داعيا * كأن الذي يسقي العقار سفاكما ألم تعلمنا أني بنجران مفردا * ومالي فيه من حبيب سواكما مقيم على قبريكما لست بارحا * إياب الليالي أو يجيب صداكما أبكيكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي لوعة أن بكاكما فلو جعلت نفس لنفسي أمرئ فدى * لجدت بنفسي أن تكون فداكما كأنكما والموت أقرب غاية * بروحي في قبريكما قد أتاكما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله قسا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة واحدة. وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود والله أعلم. وقد رواه البيهقي: والحافظ أبو القاسم بن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى ابن محمد بن سعيد القرشي الاخباري ثنا أبي ثنا علي بن سليمان بن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال: قدم الجارود بن عبد الله فذكر مثله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة في نظمه ونثره، وفيه ما ذكره عن الذي ضل بغيره فذهب في طلبه قال فبت في واد لا آمن فيه حتفي، ولا أركن إلى غير سيفي، أرقب الكوكب، وأرمق الغيب، حتى إذا الليل عسعس، وكاد الصبح أن يتنفس، هتف بي هاتف يقول: يا أيها الراقد في الليل الأجم * قد بعث الله نبيا في الحرم من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجيات الدياجي والبهم قال فأدرت طرفي فما رأيت له شخصا ولا سمعت له فحفا، قال فأنشأت أقول: يا أيها الهاتف في داخي الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم بين هداك الله في لحن الكلم * ماذا الذي تدعو إليه يغتنم قال فإذا أنا بنحنة وقائلا يقول: ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمدا بالحبور صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقم، والطرف الأحمر، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول: الحمد لله الذي * لم يخلق الخلق عبث لم يخلنا يوما سدى * من بعد عيسى واكثرث أرسل فينا أحمدا * خير نبي قد بعث صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

[٢٩٥]

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة: يا ناعى الموت والملحود في جدث * عليهم من بقايا قولهم خرق دعهم فإن لهم يوما يصاح بهم * فهم إذا انتبهوا من نومهم أرقوا حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا

جديدا كما من قبله خلقوا منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهوج الخلق ثم رواه البيهقي عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد الاصبهاني. حدثنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرضخ الاخميمي بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ثنا سفیان بن عيينة عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. فذكر القصة وذكر الانشاد قال فوجد واعبد رأسه صحيفة فيها: يا ناعي الموت والاموات في حدث * عليهم من بقايا نومهم خرق دعهم فإن لهم يوما يصاح بهم * كما تنبه من نوماته الصعق منهم عراة وموتى في ثيابهم * منها الجديد ومنها الازرق الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث. وأصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نهينا عليه في الحواشي. وقال البيهقي: أنا أبو سعيد بن محمد بن أحمد الشعثي ثنا أبو عمرو بن أبي طاهر المحمدي أباضي لفظا ثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الاموردي ثنا أبي ثنا سعيد بن هبيرة ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس بن مالك قال قدم وفد أياد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل قس بن ساعدة ! قالوا هلك. قال أما إنني سمعت منه كلاما أرى أنني أحفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله قال هاتوا: فقال قائلهم إنني واقف بسوق عكاظ فقال: يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا، كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو أت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهز، وبحار تزخر، وجبال مرسية وأنها مجرية إن في السماء لخبيرا، وإن في الأرض لعلبرا، أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالأقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم قس قسما بالله لا أثم فيه، إن لله ديننا هو أرضى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول: في الذاهبين الاول * بين من القرون لنا بصائر لما رأيت مصارعا * للقوم ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها * يمضي الاكابر والاصاغر أيقنت أنني لا محا * لة حيث صار القوم صائر [*]

[٢٩٦]

ثم ساقه البيهقي من طرق آخر قد نهينا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان. وروى من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعا وروى مختصرا من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة. قلت: وعبادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب الدلائل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره. وروى أبو نعيم أيضا حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص. ثم قال البيهقي وإذا روى الحديث من أوجه آخر وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا والله أعلم. زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه وذلك لان عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد بن إسحاق. وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده. قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري. ثم يقول:

اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته. وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به وزاد وكان يصلني إلى الكعبة ويقول إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم. وكان يحيي الموءودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها إلي أكفلها فإذا ترعرت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها. أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة وعلقه البخاري فقال: وقال الليث كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه به وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: وقد كان نغر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن برة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسعد بن أسد بن خزيمه. وأمه أميمة بنت عبد المطلب. واخته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتي بيانه. حضروا قريشا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض. فقال قائلهم تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ما وثن يعبد؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون في الارض يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والملل

[٢٩٧]

كلها. الحنيفية دين إبراهيم، فلما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم في النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علما كثيرا من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أحدل أمرا وأعدل ثباتا من زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفية دين إبراهيم يوحد الله ويخلع من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فإذا هم بالفراق لما هم فيه. قال: وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيرا حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووكل به الخطاب شبابا من قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لا تتركوه يدخل فكان لا يدخلها إلا سرا منهم فإذا علموا به أخرجوه وأذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه. وقال موسى بن عقيب سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب علي قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الارض لم تذبوحها على غير اسم الله. انكارا لذلك وإعظاما له؟ وقال يونس عن ابن إسحاق وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الارض يطلب الحنيفية دين إبراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأراده أدنت الخطاب بن نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ويسأل عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهبا بيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال له الراهب إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه، ولكنه قد أظل خروج نبي وهذا زمانه. وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منها فخرج سريعا حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بأرض لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة يرثيه: رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار حاميا بدينك ربا ليس رب كمثلته * وتركك أوثان الطواغي كماهيا وقد تدرك الانسان رحمة ربه * ولو كان تحت الارض ستينا واديا وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق الوايشي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن تدخلني معك في دينك. فقال له اليهودي لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله. فقال

من غضب الله أفر. فانطلق حتى أتى نصرانيا فقال له أحب أن تدخلني معك في دينك، فقال لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة. فقال من الضلالة أفر. قال له النصراني فأني أدلك على دين إن تبعته اهتديت. قال أي دين؟ قال دين إبراهيم قال فقال اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم عليه أحيى وعليه أموت. قال فذكر شأنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: هو أمة وحده يوم القيامة. وقد روى موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحو هذا وقال محمد بن سعد حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي عن اسماعيل عن مجالد

[٢٩٨]

عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قل قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما فكنت بالشام وما والاهما حتى أتيت راهبا في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكرهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية. فقال له: أراك تريد دين إبراهيم يا أبا أهل مكة إنك لتطلب دينا ما يوجد اليوم (أحد يدين) به وهو دين أبيك إبراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي ببلادك فالحق ببلدك فإن الله يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله. وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل: إن زيدا كان إذا دخل الكعبة قال لبيك حقا، تعبدا ورفا، عدت بما عاذ به إبراهيم وهو قائم، إذ قال إلهي أنفي لك عان راغم، مهما تجشمني فأني جاشم، البر أبغي لا انحال، ليس مهجر كمن قال. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي. عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ فقال من بنية إبراهيم، فقال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك. قال: فاما ورقة فتنصر وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول: لبيك حقا حقا * تعبدا ورفا البر أبغي لا انحال * فهل مهجر كمن قال أمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول: انفي لك عان راغم، مهما تجشمني فأني جاشم، ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعني سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إن أبي كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له، قال نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة. قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما، فدعواه لطعامهما فقال زيد بن عمرو: يا بن أخي أنا لا أكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حجر بن أبي أهاب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعدما رجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل للكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجرا ولا أصلي له ولا أكل ما ذبح له ولا استقسم الألام وأنا أصلي لهذا البيت حتى أموت. وكان يحج فيقف بعرفة، وكان يليي فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفعه من عرفة ماشيا وهو يقول لبيك متعبدا مرفوقا. وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد ابن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أو من به وأصدق وأشهد أنه نبي فان طال بك مدة فرايته فافترئه مني السلام وسأخبرك

ما نعته حتى لا يخفى عليك قلت: هلم ! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فأياك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول زيد بن عمرو وأقراؤه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب ذيولا. وقال البخاري في صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل. حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقية حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وأن زيد بن عمرو يعيب علي قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله انكارا لذلك وإعظاما له. قال موسى بن عقية: وحدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني، فقال إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيعه فهل تدلني على غيره ؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا قال زيد وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من على غيره قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم. قال وقال الليث: كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وكان يحيي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فأخذها فإذا ترعرعت قال لايبها إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري. وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه. وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى

الكعبة يقول: يا معشر قريش إياكم والزنا فإنه يورث الفقر. وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جدا وفي بعضها نكارة شديدة. ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بيعت يوم القيامة أمة واحدة. فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصغار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم ويسجد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم. إسناده جيد حسن. وقال الواقدي: حدثني موسى بن شيبه عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين، ولقد نزل به وأنه ليقول أنا على دين إبراهيم فأسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له. وقال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حراء، وقد تقدم أنه مات بأرض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني لخم فقتلوه بمكان يقال له ميفة والله أعلم. وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام بن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين. وهذا إسناده جيد وليس هو في شيء من الكتب. ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء الخلق من تلك القصيدة: إلى الله أهدي مدحتي وثنائي * وقولا رضا لا يني الدهر باقيا إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إله ولا رب يكون مدانيا وقد قيل إنها لامية بن أبي الصلت والله أعلم. ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق والزبير بن بكار وغيرهما: وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرها ثقلا دحاهما فلما استوت شددا * سواء وأرسي عليها الجبال وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا إذا هي سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الريح تصرف حالا فحالا وقال محمد بن إسحاق حدثني هشام بن عروة قال روي أبي أن زيد بن عمرو قال:

[٢٠١]

أرب واحد أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الأمور عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور فلا العزى أدين ولا ابنتها * ولا صنمي بني عمرو أزور ولا غنما أدين وكان ربا * لنا في الدهر إذ حلمي يسير عجبت وفي الليالي معجبات * وفي الأيام يعرفها البصير بأن الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور وابقى آخرين ببر قوم * فيربل منهم الطفل الصغير وبيننا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن النضير ولكن أ عبد الرحمن ربي * ليغفر ذنبي الرب الغفور فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبوروا ترى الأبرار دارهم جنان * وللكفار حامية سعير وخزي في الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تضيق به الصدور هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة. وقد رواه أبو القاسم البغوي عن مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت قال زيد بن عمرو بن نفيل: عزلت الجن والجنان عني * كذلك يفعل الجلد الصبور فلا العزى أدين ولا ابنتها * ولا صنمي بني طسم أدير ولا غنما أدين وكان ربا * لنا في الدهر إذ حلمي صغير أربا واحدا أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الأمور ألم تعلم بأن الله أفنى * رجالا كان شأنهم الفجور وابقى آخرين ببر قوم * فيربو منهم الطفل الصغير وبيننا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن النضير قالت فقال ورقة بن نوفل: رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار حاميا لدينك ربا ليس ربا كمثلته * وتركك جنان الجبال كما هيا أقول إذا أهبطت أرضا مخوفة * حنانيك لا تظهر علي الأعاديا حنانيك أن الجن

كانت رجاءهم * وأنت إلهي ربنا ورجائنا لتدركن المرء رحمة ربه * وإن كان تحت الأرض سبعين واديا أدين لرب يستجيب ولا أرى * أدين لمن لا يسمع الدهر واعيا أقول إذا صليت في كل بيعة * تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

[٢٠٢]

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصروا إلا زيदा فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعا ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه. وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث. وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر. وله خبر عجيب ذكره الاموي ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشا لحرب قريش فعزم على ذلك فكتب إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل، فكساه ابن جفنة قميصا مصبوغا مسموما فمات من سمه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الاموي تركناه اختصارا وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم. شيء من الحوادث في زمن الفترة فمن ذلك بنيان الكعبة وقد قيل: إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام. كما تقدم وكذلك رواه سماك بن حرب عن خالد بن عرعة عن علي بن أبي طالب قال: ثم تهدم فبنته العمالقة ثم تهدم فبنته جرهم ثم تهدم فبنته قريش. قلت: سيأتي بناء قريش له وذلك قبل المبعث بخمس سنين وقيل بخمس عشرة سنة وقال الزهري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم. وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة. كعب بن لؤي روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زباله عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة. قال: كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول: أما بعد فأسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا، ليل ساج، ونهار ضاح، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، والآنثى والذكر والروح وما يهيج إلى بلى فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم. فهل رأيتم من هالك رجع؟ أو ميت نشر؟ الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون، حرمكم زينوه وعظموه، وتمسكوا به فسيأتي له نبا عظيم؛ وسيخرج منه نبي كريم، ثم يقول: نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها يؤويان بالأحداث حتى تأوبا * وبالنعم الضافي علينا ستورها على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها ثم يقول: والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر، ويد ورجل، لتنصبت فيها تنصب الجمل،

[٢٠٢]

ولارقلت بها إرقال العجل. ثم يقول: يا ليتني شاهدا نجواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا قال وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام وستون سنة. تجديد حفر زمزم على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها إلى زمانه. قال محمد بن إسحاق: ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رزين الغافقي

أنه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها. قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني أت فقال لي احفر طيبة. قال قلت وما طيبة؟ قال ثم ذهب عني قال فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنامت فجاءني فقال احفر برة. قال قلت وما برة؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنامت فجاءني فقال احفر المذنونة قال قلت وما المذنونة؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنامت فيه فجاءني قال احفر زمزم. قال قلت وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا ولا تزم، تسقي الحجيج الاعظم، وهي بين الغرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم، عند قرية النمل. قال: فلما بين لي شأنها ودل على موضعها وعزف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته. فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إننا بئر ابينا اسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال: نعم وكانت بإشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والارض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمغارة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه. فقالوا: نعم أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض لا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى أن يزرقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون إليهم في جميع هذه الاحوال فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤوا فشربو واستقوا

[٢٠٤]

كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبدا إن الذي سفاك هذا الماء بهذه الغلاة هو الذي سفاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلصوا بينه وبين زمزم. قال ابن إسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال ابن إسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم: ثم ادع بالماء الروي غير الكدر * يسقي حجيج الله في كل مبر ليس يخاف منه شيء ما عمر قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال تعلموا أنني قد أمرت أن احفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي؟ قال: لا! قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقا من الله يبين لك وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك فرجع ونام فأنى فقيل له: احفر زمزم. إنك إن حفرتها لن تندم. وهي تراث من أبيك الاعظم. لا تنزف أبدا ولا تزم. تسقي الحجيج الاعظم. مثل نعام جافل لم يقسم. ينذر فيها نادر بمنعم. تكون ميراثا وعقدا محكم. ليست لبعض ما قد تعلم. وهي بين الغرث والدم. قال ابن إسحاق: فرعموا أن عبد المطلب حنى قيل له ذلك قال وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا. فالله أعلم أي ذلك كان. قال فغلبا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره. زاد الاموي ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين أساف ونائلة

الذين كانت قريش تنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش وقالت والله لا نتركك تحفر بين وثبنا الذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث: زد عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطمي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرحهم قد دفنتهما ووجد فيها أسيافا قلعية وأدرعا. فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد: أعل هبل. يعني هذا الصنم. وقام عبد المطلب يدعو الله. وذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول: اللهم أنت الملك المحمود * ربي أنت المبدئ المعيد وممسك الراسية الجلمود * من عندك الطارف والتليد

[٢٠٥]

إن شئت ألهمت كما تريد * لموضع الحلية والحديد فبين اليوم لما تريد * إنني نذرت العاهد المعهودا أجعله رب لي فلا أعود قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش. فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون. ثم أن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عددها ابن إسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافريها إلى أن قال ففعلت زمزم على البئر كلها وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن إبراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب. وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زمزم: إنها لطعام طعم. وشفاء سقم. وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب منه. وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له. ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب له. ولكن سويد بن سعيد ضعيف والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم. وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فإذا فرغت فاحمد الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم. وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال: اللهم إني لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل. وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه فإنه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم. وقد قال الاموي في مغازيه: حدثنا أبو عبيد أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم. قال: لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل. وذلك أنه جعل لها حوضين حوضا للشرب، وحوضا للوضوء. فعند ذلك قال: لا

أحلها لمغتسل لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه. قال أبو عبيد قال الاصمعي: قوله وبل اتباع قال أبو عبيد والاتباع لا يكون بواو العطف وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان أن بل بلغة حمير مباح ثم قال أبو عبيد حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود أنه سمع زرا أنه سمع العباس يقول: لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل. وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة أنه سمع ابن عباس

[٢٠٦]

يقول ذلك وهذا صحيح اليهما، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفرة لها فلا ينافي ما تقدم والله أعلم. وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق أنه أملق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرقها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شئ فقال لأخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك فقال له العباس: بشرط إن لم تعطني تترك السقاية لي أكفكها فقال: نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ثم إلى داود بن علي ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبا رزين ذكره الاموي. نذر عبد المطلب ذبح ولده قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعهو ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة. فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عزوجل بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم اتنوني ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة، وكان عند هبل قدح سبعة وهي الأزام التي يتحاكمون إليها إذا أعزل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور جاؤوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه. والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى أساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من انديتها فقالوا: ما تريد يا عبد المطلب؟ قال اذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا. وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه فيقال إنه شج وجهه شجا لم يزل في وجهه إلى أن مات ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فأذبحه وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاج فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق بخبير فركبوا حتى جاؤوها فسالوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا عنني اليوم حتى يأتيني تابعي فأساله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام

عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربيكم وإن خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربيكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربي يا عبد المطلب، فعندها زعموا أنه قال لا حتى اضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربوا ثلاثا ويقع القدح فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع. قال ابن هشام ويقال ولا سبع وقد روى أنه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله أيضا فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم. وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب. وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشئ بل توقف، فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال إنهما لم يصيبا الفتيا ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الابل، وأخذ الناس يقول مروان بذلك والله أعلم. تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من أمينة بنت وهب الزهرية قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبد المطلب أخذا بيد ابنه عبد الله فمر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله؟ قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع على الآن. قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا فزوجه ابنته أمينة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت بالأمس؟ قالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك حاجة. وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر واتبع الكتب - أنه كائن في هذه الامة نبي

فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالي في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل كما قال تعالي: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وسنذكر المولد مفصلا ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الامر الذي رامته وذلك فيما رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق رحمه الله: عليك بال زهرة حيث كانوا * وأمينة التي حملت غلاما ترى المهدي حين نزا عليها * ونورا قد تقدمه أماما إلى أن قالت: فكل الخلق يرجوه جميعا * يسود الناس مهتديا إماما يراه الله من نور صفاه * فأذهب نوره عنا * الظلاما وذلك صنع ربك إذ حباه * إذا ما سار يوما أو أقاما فيهدي أهل

مكة بعد كفر * ويفرض بعد ذلكم الصياما وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي: حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها فاطمة بنت مر الخنعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تغف علي الآن وأعطيك مائة من الأبل؟ فقال عبد الله: أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه فكيف بالامر الذي تبغيه * يحمي الكريم عرضه ودينه ثم مضى مع أبيه فزوجه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثا. ثم إن نفسه دعتة إلى ما دعتة إليه الكاهنة فاتاها فقالت: ما صنعت بعدي؟ فأخبرها. فقالت والله ما أنا بصاحبة ربية ولكني رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في. وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد. ثم أنشأت فاطمة تقول: إني رأيت مخيلة لمعت * فتلالت بحناتم القطر فلما أتتها نورا يضيئ له * ما حوله كإضاءة البدر ورجوتها فخرا أبوء به * ما كل قاذح زنده يورئ لله ما زهرية سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدري وقالت فاطمة أيضا: بني هاشم قد غادرت من أحيكم * أمينة إذ للباه يعتركان كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد ميثت له بدهان

[٢٠٩]

وما كل ما يحوي الفتى من تلاده * بحزم ولا ما فاته لتواني فأجمل إذا طالبت أمرا فانه * سيكفيك جدان يعتلجان سيكفيك إما يد مغللة * وإما يد مبسوفة بينان ولما حوت منه أمينة ما حوت * حوت منه فخرا ما لذلك ثاب وروى الامام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود قال فقال لي رجل من أهل الديور - يعني أهل الكتاب يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك؟ قال نعم إذا لم يكن عورة. قال ففتح إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة وأنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك؟ قلت لا أدري قال هل لك من شاعة؟ قلت وما الشاعة؟ قال زوجة. قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج فيهم. فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفيية ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمنة بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش حين تزوج عبد الله بأمنة فلج أي فاز وغلب عبد الله علي أبيه عيد المطلب. بسم الله الرحمن الرحيم كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها، يعني في أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين. فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة. أبو القاسم. وأبو إبراهيم. محمد. وأحمد. والمأحبي الذي يمحي به الكفر. والعاقب الذي ما بعده نبي. والهاشر الذي يحشر الناس على قدميه. والمقفي. ونبي الرحمة. ونبي التوبة. ونبي الملحمة. وخاتم النبيين. والفتاح. وطه. ويس. وعبد الله. قال البيهقي (١): وزاد بعض العلماء فقال سماه الله في القرآن رسولا. نبيا. أمينا (٢)

(١) دلائل النبوة ج ١ / ١٦٠. (٢) كذا في الاصل، والصواب كما في البيهقي: أميا. [*]

شاهدا. مبشرا. نذيرا، وداعيا إلى الله يادنه وسراجا منيرا. ورؤوفا رحيما. ومذكرا. وجعله رحمة ونعمة وهاديا (١). وسنورد الاحاديث المروية في أسمائه عليه الصلاة والسلام في باب نعقدده بعد فراغ السيرة. فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقي وأبو القاسم بن عساكر وأفرد الناس في ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم. وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذي بكتابه الذي سماه لاحوذي فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم. وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الابل كما تقدم. قال الزهري: وكان أجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزبير وحمزة وضرار وأبي طالب - واسمه عبد مناف - وأبي لهب - واسمه عبد العزى - والمقوم - واسمه عبد الكعبة - وقيل هما اثنان وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كبير الجود - واسمه نوفل - ويقال إنه حجل. فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام. وعماته ست وهن أروى. وبرة. وأميمة. وصفية. وعاتكة. وأم حكيم - وهي البيضاء - وستنكلم على كل منهم فيما بعد إن شاء الله تعالى. كلهم أولاد عبد المطلب - واسمه شيبه - يقال لشيبه كانت في رأسه ويقال له شيبه الحمد لجوده. وإنما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدش بن خندف (٢) بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري وكان سيد قومه فأعجبه ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوجها منه واشتراط عليه مقامها عنده وقيل بل اشتراط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبه فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين (٣) ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية من أمه فذهب به إلى مكة. فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عدي ثم جاؤوا فهناؤه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورأسهم. فكان جماع أمرهم عليه وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذي جدد حفر زمزم بعدما كانت مطمومة من عهد جرهم وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك

(١) زاد البيهقي: ونذيرا مبينا وسماه عبدا. (٢) في الطبري: جندب. وفي الجمهرة اتفق مع ابن هشام: ابن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. (٣) في الطبري زاد: أو ثمانين سنين. [*]

الغزالتين اللتين من ذهب وجدهما في زمزم مع تلك الاسياف القلعية (١). قال ابن هشام: وعبد المطلب أخو أسد وفضلة (٢) وأبي صيفي وحية وخالدة ورقية والشفاء وضعيفة. كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وإنما سمي هاشما لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل (٣) للزبيرى والد عبد الله: عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف سنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الاصياف وذلك لانه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه. وحكى ابن جرير أنه كان تؤام أخيه عبد شمس

وأن هاشما خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى
سال بينهما دم فقال الناس (٤) بذلك يكون بين أولادهما حروب
فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث
وثلاثين ومائة من الهجرة. وشقيقهم الثالث المطلب وكان المطلب
أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال. ورابعهم نوفل من أم
أخرى وهي واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد
أبيهم وصارت إليهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون (٥) وذلك لانهم
أخذوا لقومهم قريش الامان من ملوك الاقاليم ليدخلوا في التجارات
إلى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم
وغسان وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الاكبر ملك الحبشة،
وأخذ لهم نوفل من الاكاسرة، وأخذ لهم المطلب أمانا من ملوك
حمير. ولهم يقول الشاعر: يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بأل
عبد مناف وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه، وإليه وإلى
أخيه المطلب نسب ذوي القريبي، وقد كانوا شيئا واحدا في حالتهم
الجاهلية والاسلام لم يفترقوا، ودخلوا معهم في الشعب، وانخذل
عنهم بنو عبد شمس ونوفل. ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته:
حزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل ولا
يعرف بنو أب تباينوا في الوفاة مثلهم، فإن هاشما مات بغزة من أرض
الشام، وعبد

(١) تقدم التعليق على ذلك في الحرب بين جرهم وخزاعة، واعتكاف عمرو بن الحارث
بن مضاى قومه والقتال إلى جانبهم. فليراجع. (٢) كذا في الاصل وفي ابن هشام
وجمهرة أنساب العرب: نضلة. (٣) في الطبري قال الكلبي للزبيرى. (٤) في الطبري:
فتطير من ذلك فليل تكون بينهما دماء. وعنده في رواية أخرى أن عبد شمس هو أكبر
ولد عبد مناف. وفي جمهرة الانساب: كان هاشم وعبد مناف توأمين وخرج عبد
شمس في الولادة قبل هاشم. (٥) عند الطبري: فكانوا أول من أخذ لقريش العزم
فانتشروا من الحرم. وفي الطبري وابن الاثير: المجيرون = المخيرون. [*]

[٣١٢]

شمس مات بمكة (١)، ونوفل مات بسلامان من أرض العراق، ومات
المطلب - وكان يقال له القمر لحسنه - بريمان من طريق اليمن.
فهؤلاء الاخوة الاربعة المشاهير وهم هاشم، وعبد شمس، ونوفل،
والمطلب. ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد،
وأصل اسمه عبد قصي (٢). فقال الناس عبد بن قصي درج ولا عقب
له. قاله الزبير بن بكار وغيره. وأخوات ست وهن: تماضر، وحية،
وريطه، وقلابة، وأم الاختم، وأم سفيان. كل هؤلاء أولاد عبد مناف
ومناف اسم صنم وأصل اسم عبد مناف المغيرة. وكان قد رأس في
زمن والده، وذهب به الشرف كل مذهب. وهو أخو عبدالدار الذي كان
أكبر ولد أبيه وإليه أوصي بالمناصب كما تقدم وعبد العزى وعبد وبرة
وتخمر وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشي (٣) بن سلول بن
كعب بن عمرو الخزاعي وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم،
وكلهم أولاد قصي واسمه زيد. وإنما سمي بذلك لان أمه تزوجت بعد
أبيه بريعة بن حزام بن عذرة فسافر بها إلى بلاده وابنها صغير
فسمي قصيا لذلك. ثم عاد إلى مكة وهو كبير ولم شعث قريش
وجمعها من متفرقات البلاد، وأزاح يد خزاعة عن البيت، وأجلاهم عن
مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت
إليه الوفاة (٤) والسقاية - وهو سنها - والسدانة والحجاية واللواء
وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله - ولهذا قال الشاعر: قصي،
لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر وهو أخو
زهرة كلاهما ابنا كلاب أخي تيم ويقظة أبي مخزوم ثلاثتهم أبناء مرة
أخي عدي وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذي كان يخطب قومه كل
جمعة ويبشرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد
في ذلك أشعارا كما قدمنا، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسط
والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤي أخي تيم الادرم وهما أبناء غالب

أخي الحارث ومحارب ثلاثتهم أبناء فهر، وهو أخو الحارث وكلاهما ابن مالك. وهو أخو الصلت وبخلد، وهم بنو النضر الذي إليه جماع قريش: على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه، وهو أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخي أسد وأسدة والهون أولاد خزيمة، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو أخو طابخة واسمه عامر وقمعة ثلاثتهم أبناء الياس وأخي الياس هون غيلان والد فيس كلها وهما ولدا مضر أخي

(١) في ابن الأثير: وقبر بأجباد، ونوفل مات بسلمان من طريق العراق. المطلب بردمان من أرض اليمن. (٢) لم يذكره ابن هشام في أولاد عبد مناف بل ذكره وكذلك الطبري في أولاد قصي، وذكر أنه لم يعقب انظر جمهرة أنساب العرب، وزاد ابن هشام اسم أبي عمرو من أولاد عبد مناف. (٣) كذا في الأصول والصواب حبشية (الطبري - ابن هشام). (٤) كذا في الأصول وقادة والصواب الرفادة وقد وردت كثيرا (الطبري - ابن هشام). [*]

[٣١٣]

ربيعة. ويقال لهما الصريحان من ولد إسماعيل وأخواهما أنمار وإياد تيامنا، اربعتهم ابنا نزار أخي قضاة - في قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاة حجازية عدنانية - وقد تقدم بيانه كلاهما أبناء معد بن عدنان. وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (١) لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم. وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما قال وأزيد مما قال، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالأباء وكثير منهم بالأمهات أيضا كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره. وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر. وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وأنه من ولد إسماعيل لا محالة وإن اختلف في كم بينهما أبا (٢) ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم. وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشئ المتضمنة ذلك، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد. وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه (٣) على ذلك كلاما مبسوطا جيدا محررا نافعا. وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو علي المنبر ولكن الله أعلم بصحته، كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤) أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - ببغداد - حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار [قال] حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعد (٥) - أملاء سنة ست وتسعين ومائتين -، [قال]: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي [قال]: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي [قال] حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري عن أنس [بن مالك] وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. قال (٦): بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال: " إنما كان يقول ذلك: العباس، وأبو سفيان بن حرب [إذا قدما المدينة ليأمننا] فيأمننا بذلك. وأنا لن نتنفي من

(١) سورة الشورى الآية: ٢٣ (٢) كذا بالأصول والصواب: كم أب بينهما. (٣) راجع الطبري بداية الجزء الثاني. (٤) دلائل النبوة ج ١ / ١٧٤ وفيه: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن حفص وصح الحديث من الدلائل. (٥) في البيهقي: سعيد. (٦) في البيهقي: قال: [*]

بائنا، نحن بنو النضر بن كنانة " قال: وخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " أنا محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار (١) وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها (٢) فأخرجت من بين أبوي فلم يصنني شئ من عهر الجاهلية. وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم، حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفسا، وخيركم أبا " وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك. تفرد به القدامي (٣) وهو ضعيف. ولكن سنذكر له شواهد من وجوه آخر. فمن ذلك قوله: " خرجت من نكاح لا من سفاح " قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح " وهذا مرسل جيد. وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن يحيى بن أبي بكير عن عيد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح " وقد رواه ابن عدي موصولا فقال حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال أشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصنني من سفاح الجاهلية شئ " هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح. وقال هشيم حدثنا المدني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شئ، ما ولدني إلا نكاح ككناح الاسلام " وهذا أيضا غريب أورده الحافظ ابن عساكر ثم أسنده من حديث أبي هريرة وفي إسناده ضعف والله أعلم. وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ولدت من نكاح غير سفاح " ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: (وتقلبك في الساجدين) قال من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبيا. ورواه عن عطاء. وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية.

(١) في البيهقي: نزار. (٢) في البيهقي: خيرهما. (٣) القدامي من أهل المصيبة كان يقلب الاخبار، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثا ذكره ابن حبان في المجروحين ٢ / ٣٩ ولم يرد ذكره في ثقات العجلي، له ترجمة في تقريب التهذيب، ابن الربيع الكرمانى أبو عبد الرحمن، ثقة ١ / ٤٤٦ والكاشف ٢ / ١١٢. [*]

وثبت في صحيح البخاري (١) من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه ". وفي صحيح مسلم (٢) من حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة

قريشا واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
 ". وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم (٣) عن سفیان بن يزيد بن أبي
 زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال
 قال العباس بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس " فصعد
 المنبر فقال: من أنا ؟ " قالوا أنت رسول الله قال: " أنا محمد بن عبد
 الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه
 وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في
 خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا. فأنا خيركم بيتا
 وخيركم نفسا " (٤) صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا إلى يوم
 الدين. وقال يعقوب بن سفیان حدثنا عبيد الله بن موسى عن
 اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث
 بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يارسول الله إن
 قريشا إذا التقوا، لقي بعضهم بعضا بالبشاشة، وإذا لقونا لقونا بوجوه
 لا نعرفها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضبا
 شديدا ثم قال: " والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
 حتى يحكم الله ولرسوله " فقلت يارسول الله إن قريشا جلسوا
 فتذكروا أحسابهم فجعلوا مثلك كمثلك نخله في كبوة من الارض.
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله [عزوجل] يوم خلق
 الخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرقهم جعلني في خيرهم قبيلة
 (٥). ثم حين جعل البيوت جعلني

(١) الحديث أخرجه البخاري في ٦١ كتاب المناقب (٣٣) باب صفة النبي صلى الله
 عليه وسلم فتح الباري ٦ / ٥٦٦. وفيه عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، وأخرجه
 البيهقي عنه في دلائله ١ / ١٧٥. (٢) صحيح مسلم أول كتاب الفضائل باب فضل
 نسب النبي ح ١ ص ١٧٨٢. (٣) أبو نعيم وهو الفضل بن دكين. (٤) مسند أحمد ج ٤ /
 ١٦٦ - ١٦٧ وأخرجه الترمذي في ٥٠ كتاب المناقب - باب فضل النبي صلى الله عليه
 وسلم ٥ / ٦٥٣ وقال: حديث حسن. (٥) أخرجه البيهقي بإسناده في دلائل النبوة ج
 ١ / ١٦٧ - ١٦٨. في الكلام نقص واضح وتمامه من الدلائل: ثم حين فرقهم جعلني
 في خير الفريقين، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة. وأخرجه ابن ماجه في
 المقدمة (١١) باب ح (١٤٠) ص (١ / ٥٠) والترمذي في كتاب المناقب وقال: هذا
 حديث حسن صحيح. وفي الزوائد: رجال إسناده ثقات. [*]

[٢١٦]

في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا ". ورواه أبو بكر بن
 أبي شيبة عن ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن
 الحارث عن ربيعة بن الحارث قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
 فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس (١). وقال يعقوب بن سفیان
 حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الأعمش
 عن عليقة (٢) بن ربيعة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: " إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما
 قسما، فذلك قوله [تعالى]: (وأصحاب اليمين) (٣) و (أصحاب
 الشمال) (٤)، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم
 جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثالثا، فذلك قوله [تعالى]:
 و (أصحاب الميمنة) (٥) (والسابقون السابقون) (٦) فأنا من
 السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الا ثلاث قبائل فجعلني في
 خيرها قبيلة فذلك قوله [تعالى]: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
 إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (٧) وأنا أتقى ولد آدم
 وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها
 بيتا وذلك قوله [عزوجل]: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
 البيت ويطهركم تطهيرا) (٨) " فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب ".
 وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة. وروى الحاكم والبيهقي (٩) من
 حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن
 ابن عمر قال: إنا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت به
 امرأة، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن. فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعرف في وجهه الغضب. فقال: " ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فيحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فيبغضي أبغضهم " هذا أيضا حديث غريب (١٠). وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا

(١) أخرجه من هذا الوجه أحمد في مسنده ج ٤ / ١٦٦ - ١٦٧. (٢) كذا في الاصول والصواب عباية بن ربيعي. ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ٣ / ٤١٥. (٣) سورة الواقعة الآية ٣٧. (٤) سورة الواقعة الآية ٤١. (٥) سورة الواقعة الآية ٨. (٦) سورة الواقعة الآية ١٠. (٧) سورة الحجر الآية ١٣. (٨) سورة الاحزاب الآية ٣٣. (٩) دلائل النبوة ج ١ / ١٧١ والحاكم في المستدرک ج ٤ / ٧٣. (١٠) سرده العقيلي في الضعفاء وقال لا يتابع عليه. وضعف العقيلي يزيد بن عوانة. [*]

[٣١٧]

فخر " وروى الحاكم والبيهقي أيضا (١) من حديث موسى بن عبيدة [قال] حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة أو أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال لي جبريل [عليه السلام] قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم " قال الحافظ البيهقي وهذه الاحاديث وإن كان في روايتها من لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضا ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الاسقع [وأبي هريرة] والله أعلم. قلت وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبي صلى الله عليه وسلم: إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعيد مناف سرها وصميمها فان حصلت أشراف عيد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تطفر وطاشت حلومها (٢) وكنا قديما لا نفر طلامه * إذا ما ثناوا صعر الخدود نقيمها (٣) ونحمي جماها كل يوم كريمة * ونضرب عن أحجارها من يرومها بنا انتعش العود الذواء وإنما * بأكتافنا تدى وتنمى أرومها (٤) وقال أبو السكن زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور: حدثني عمر بن أبي زجر بن حصين، عن جده حميد بن منهب، قال: قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك، فأسلمت، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول: يارسول الله إنني أريد أن أمتدحك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل، لا يفضض الله فاك، فأنشأ يقول: من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخضف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر أذ * ت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق تنقل من صلب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق

= محمد بن ذكوان اتفقوا على ضعفه، وقال البخاري منكر الحديث، وقال ابن حبان: سقط الاحتجاج به وقال الدارقطني: ضعيف وقال أبو حاتم: منكر الحديث كثير الخطأ. (١) دلائل النبوة ج ١ / ١٧٦ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢١٧ وعزاه للطبراني في الاوسط. (٢) الفت: اللحم الضعيف، هنا استعارة للضعيف النسب. (٣)

[٣١٨]

حتى احتوى بيتك المهيم من * خندف علياء تحتها النطق وأنت لما ولدت أشرققت الا * رض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي ال * نور وسيل الرشاد نخترق وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت. فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد: أخبرنا محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني اسحاق بن إبراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت وأدم في الجنة؟ قال فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: " كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي إبراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسينية إلى الارحام الطاهرة صفتي مهدي (١) لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالاسلام عهدي ونشر في التوراة والانجيل ذكرني وبين كل نبي صفتي تشرق الارض بنوري والعمام بوجهي وعلمني كتابه وزادني شرفا في سمائه وشق لي اسما من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع ثم أخرجني من خير قرن لأمتي، وهم الحمادون يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر " قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم: قلبها طبت في الظلال وفي * مستودع يوم يخصف الورق ثم سكنت البلاد لا بشر أز * ت ولا نطفة ولا علق مطهر تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله العرق تنقل من صلب إلى رحم * إذا مضى طبق بدا طبق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يرحم الله حسانا " فقال علي بن أبي طالب وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة ثم قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جدا. قلت: بل منكر جدا والمحفوظ أن هذه الايات للعباس رضي الله عنه ثم أوردتها من حديث أبي السكن زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم. قلت: ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى فالله أعلم. تنبيه: قال القاضي عياض - في كتابه الشفاء -: " وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله. حتى لا يدخل لبس على

(١) كذا بالاصل، وفي سيرة ابن كثير: صفيا مهديا. [*]

[٣١٩]

ضعيف القلب أوشك. وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم، إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد. فسمي قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم وهو (والله أعلم حيث يجعل رسالاته) وهم: محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسي. ومحمد بن سلمة (١) الانصاري. ومحمد بن البراء الكندي (٢). ومحمد بن سفيان بن مجاشع. ومحمد بن حمران الجعفي. ومحمد بن خزاعي السلمى لا سابع لهم. ويقال إن أول من سمى محمدا محمد بن سفيان بن مجاشع. واليمن تقول بل محمد بن

إليحمد من الازد. ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد، أو يظهر عليه سبب يشكك (٢) أحدا في أمره حتى تحققت الشيمتان له صلى الله عليه وسلم لم ينزع فيهما ". هذا لفظه. باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين. لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن (٤) عبد الله بن معبد الزماني (٥) عن أبي قتادة أن أعرابيا قال يارسول الله، ما تقول في صوم يوم الاثنين فقال: " ذاك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه ". وقال الامام أحمد (٦) حدثنا وموسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصنعاني عن ابن عباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين. تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكر عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم). وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضا وكانت وقعة بدر يوم الاثنين. ممن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جدا. قال ابن عساكر والمحموظ أن يدرا ونزول: (اليوم أكملت لكم دينكم) يوم الجمعة وصدق ابن عساكر. وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين. وهكذا روي من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين. وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين. وأبعد بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الاول نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب أعلام الروى بأعلام الهدى لبعض الشيعة. ثم

(١) كذا بالاصول والصواب محمد بن مسلمة. (٢) كذا بالاصول وفي سيرة ابن كثير: البكري. (٣) في سيرة ابن كثير: يشكك. (٤) كذا في الاصل ابن عبد الله وهو خطأ وعند مسلم عن عبد الله. أخرجه مسلم في ١٣ كتاب الصيام ٣٦ باب استحباب صيام ثلاثة أيام. ص ٨١٩. (٥) الزماني نسبة إلى زمان بن مالك بطن من ربيعة. (٦) مسند أحمد ج ١ / ٢٧٧. [*]

[٢٢٠]

شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص. ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الاول فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني. وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم. ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر. وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن إسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنهما قالوا: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ربيع الاول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم. وقيل لسبع عشرة (١) خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة. وقيل لثمان بقين منه نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الاول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت. والقول الثاني: إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جدا وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه

في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم. وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن المعلي بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الاول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول. وهذا غريب جدا رواه ابن عساكر. قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى. وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء في المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من عزوة أصحاب الفيل. وذكر غيره أن الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت أمرت ببناء هذه الدار مسجدا. فهو يعرف بها اليوم. وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان. وهذا أعدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج. وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدى وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء. وكان

(١) في الاصل لسبعة عشر، وهو خطأ. [*]

[٢٢٦]

موافقا من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل نقله كله ابن دحية والله أعلم. قال ابن إسحاق: وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور. قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل. وقد رواه البيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال محمد بن إسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، كنا لدين. قال وسأل عثمان رضي الله عنه قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد. ورأيت خرق الفيل أخضر محيلا. ورواه الترمذي والحاكم من حديث محمد بن إسحاق به. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عكاظ ابن عشرين سنة. وقال ابن إسحاق: كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة. وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمسة عشر سنة، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين. وقال محمد بن جبير بن مطعم: " كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة. وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني [قال] حدثنا الزبير بن موسى، عن أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان، يقول لقباث بن أشيم الكناني ثم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أسن [منه]. ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل محبلا أعقله. وتنبأ رسول

الله صلى الله عليه وسلم علي رأس أربعين سنة. وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير [قال] حدثنا نعيم يعني ابن ميسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة أنه قال: أنا لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت عام الفيل. قال البيهقي وقد روي عن سويد بن غفلة أنه قال أنا أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين. قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم. قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة، وبنى البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من الفيل. والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل على قول الجمهور فقبل بعده بشهر، وقبل بأربعين يوما، وقبل بخمسين يوما - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده بخمس وخمسين ليلة، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين. قاله ابن أبي عمير. وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن

[٢٢٢]

شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة. قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله. واختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله. وقال أبو زكريا العجلاني: بعد الفيل بأربعين عاما، رواه ابن عساكر وهذا غريب جدا، وأغرب منه ما قال خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضا، قال خليفة بن خياط والمجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل. صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام قد تقدم أن ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قدر في الازل من ظهور النبي الأمي صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه، فذهب كما تقدم فزوجه أشرف عقيلة في قريش أمينة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية، فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع أمينة من النور، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه قد أوفى زمانه فعرضت نفسها عليه. قال بعضهم ليتزوجها وهو أظهر والله أعلم، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى أمينة بموافقته إياها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه. فتعرض لها لتعاوده. فقالت لا حاجة لي فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ. وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كما قال تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وقد تقدم الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام: " ولدت من نكاح لا من سفاح ". والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور. قال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي. وحدثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة. قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في غير من غيران قريش يحملونه تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال أنخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى

أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض. فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث. فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدًا شديدًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل. ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة

[٢٢٢]

قال الواقدي: هذا هو أثبت الاقوال في وفاة عبد الله وسنه عندنا. قال الواقدي: وحدثني معمر عن الزهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا فمات. قال محمد بن سعد وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عوانة بن الحكم. قال: توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل سبعة أشهر. وقال محمد بن سعد: والاول أثبت أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل. وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن حسن عن عبد السلام عن ابن خربوذ. قال: توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن شهرين، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين، ومات جده وهو ابن ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب. والذي رجحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه. وقد تقدم في الحديث " ورؤيا أمي الذي رأت حين حمل بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام " وقال محمد بن إسحاق فكانت أمينة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد من كل بر عاهد * وكل عبد راند يزود عنني ذائد * فإنه عند الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمدًا. فإن اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد. وهذا وذاك يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام. ثم لما وضعته رأت عيانًا تأويل ذلك كما رآته قبل ذلك هاهنا والله أعلم. وقال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري. وقال الواقدي: حدثنا موسى بن عبيدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي. وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسود عن أبيها. وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزني وزبيد بن حشر عن أبيه وجزء. وحدثنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا طلحة بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس: دخل حديث بعضهم في حديث بعض. أن أمينة بنت وهب قالت لقد علقته به - تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم وقع جاثيًا على ركبتيه، وخرج معه نور

[٢٢٤]

ضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل ببصرى، رافعا رأسه إلى السماء. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن إسماعيل [قال] أنبأنا محمد بن

إسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن [قال] حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، [قال] حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص، [قال]: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة أمينة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولادته، قالت فما شئ أنظره في البيت إلا نور، وإنني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إنني لأقول ليقعن علي. وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابله وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلاً يقول یرحمك الله، وإنه سطم منه نور رثيت منه قصور الروم. قال محمد بن إسحاق: فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه وهي حبلى ويقال إن عبد الله هلك والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهراً فالله أعلم أي ذلك كان - فقالت قد ولد لك غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه. فأخذ عبد المطلب فأدخله على هبل في حوف الكعبة، فقال عبد المطلب يدعو ويشكر الله عزوجل ويقول: الحمد لله الذي أعطاني * هذا الغلام الطيب الاردان قد ساد في المهدي على الغلمان * أعيذه بالبيت ذي الأركان حتى يكون بلغة الفتیان * حتى أراه بالغ البنیان أعيذه من كل ذي شأن * من حاسد مضطرب العنان ذي هممة ليس له عينان * حتى أراه رافع اللسان أنت الذي سميت في القرآن * في كتب ثابتة المثاني * أحمد مكتوب على اللسان * وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابودي - بمر - [قال]: حدثنا أبو عبد الله البوشنجي، حدثنا أبو أيوب: سليمان بن سلمة الخبائري، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً، قال فأعجب [به] جده عبد المطلب وحظي عنده. وقال: ليكون لابني هذا شأن فكان له شأن. وهذا الحديث في صحته نظر. وقد رواه الحافظ ابن عساکر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن

[٢٢٥]

أنس. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً ولم ير سواتي أحد ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به. ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو الباغندي - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي حدثني خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر. قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً. وقال أبو نعيم: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريف حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس. قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظي عنده، وقال ليكون لابني هذا شأن، فكان له شأن. وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر وفي هذا كله نظر، ومعنى مختوناً أي مقطوع الختان، ومسروراً أي مقطوع السرة من بطن أمه. وقد روى الحافظ ابن عساکر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر أن جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه وهذا غريب جداً. وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم. وقال البيهقي: أنبأنا أبو

عبد الله الحافظ أنبأني محمد بن كامل القاضي - شفاها - أن محمد بن إسماعيل حدثه - يعني السلمي - حدثنا أبو صالح: عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح، عن أبي الحكم التنوخي، قال: كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلي نسوة من قريش إلى الصبح يكفان عليه برمة، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفان عليه برمة، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصا بصره إلى السماء. فأتاهن عبد المطلب، فقلن له: ما رأينا مولودا مثله، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا بصره إلى السماء. فقال: احفظنه فإنني أرجو أن يكون له شأن، أو أن يصيب خيرا، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه، ودعا له قريشا، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرايت ابنك هذا الذي أكرمنا علي وجهه، ما سميته؟ قال سميته محمدا، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال أردت أن يحمده الله [تعالی] في السماء وخلقه في الأرض قال أهل اللغة: كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا كما قال بعضهم: إليك - أبيت اللعن - أعملت ناقتي * إلى الماجد القرم الكريم المحمد وقال بعض العلماء: ألهمهم الله عزوجل أن سموه محمدا لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقي الاسم والفعل، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى، كما قال عمه أبو طالب ويروي لحسان: وشق له من اسمه ليحمله * فذو العرش محمود وهذا محمد

[٢٣٦]

وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله. قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن شيبان الرملي حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي عن العباس بن عبد المطلب قال قلت: يا رسول الله! دعاني إلى الدخول في دينك أمانة لنبوتك، رأيتك في المهدي تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال. قال: " إنني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء، واسمع وجيته حين يسجد تحت العرش ". ثم قال تفرد به الليثي وهو مجهول. فصل فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام قد ذكرنا في باب هواتف الجن ما تقدم من خور كثير من الأصنام ليلتذ لوجوهها وسقوطها عن أماكنها، وما رآه النجاشي ملك الحبشة، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد، وما كان من سقوطه جاثيا رافعا رأسه إلى السماء، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك. حكى السهيلي عن تفسير بقي بن مخلد الحافظ أن إبليس رن أربع رنات: حين لعن، وحين أهبط، وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين أنزلت الفاتحة. قال محمد بن إسحاق: وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم والله ما نعلمه فقال الله أكبر، أما إذا أخطاكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس. لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتاً من الجن ادخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا هل سمعتم حديث اليهودي وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا

حتى جاؤوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال فاذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا اخرجي إلينا ابنة فخرجته وكشفوا له عن ظهره. فرأى تلك الشامة. فوقع اليهودي مغشيا عليه. فلما أفاق قالوا له مالك وملك؟ قال قد ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، فرحتم بها يا معشر قريش. والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب. وقال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد

[٢٢٧]

بن زرارة قال حدثني من شئت من رجال قومي ممن لا أتهم عن حسان بن ثابت. قال: إني لغلّام يفة ابن سبع سنين - أو ثمان سنين - أعقل ما رأيت وسمعت إذا بيهودي في يثرب يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا وملك مالك؟ قال قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة. وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول جئت بني عبد الأشهل يوما لاتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أطل خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم. فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي - كالمستهزئ به ما صفته؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار. سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة. قال فرجعت إلى قومي بني خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده!؟ كل يهود يثرب يقولون هذا. قال أبي مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعا فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم. فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي أو ظهوره ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجرة. قال أبو سعيد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أبي هذا الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أسلم الزبير لاسلم ذووه من رؤساء اليهود إنما هم له تبع " وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا إبراهيم بن السندي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده. وأسمه أحمد ومهاجرة إلى يثرب فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا. وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد. وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان: حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد، قال قال زيد بن عمرو بن نفيل قال لي حبر من أحبار الشام: قد خرج في بلدك نبي - أو هو خارج - قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه. ذكر ارتجاس ايوان كسرى وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبدان وغير ذلك من الدلالات قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله الجلي - حدثني مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه - وأنت عليه خمسون ومائة سنة - قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها

[٢٢٨]

رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخدمت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرابته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره. ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده. قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك [ذلك]، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فإزداد غما إلي غمه، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله، يقال الموبدان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الليل، يقال أي شئ يكون هذا يا موبدان؟ قال حدث يكون في ناحية العرب - وكان أعلمهم من انفسهم - فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلي النعمان بن المنذر؛ أما بعد فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نغيلة الغساني، فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال لتخبرني أو ليسألني الملك عما أحب، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذي وجه به إليه فيه. قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح، قال فائته فأسأله عما سألتك عنه ثم أئتنني بتفسيره. فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفي على الضريح. فسلم عليه وكلمه فلم يرد إليه سطيح جوابا فانشأ يقول: أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فار لم به شاو العنن يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحي من آل سنن وأمه من آل ذئب بن حجن * أزرق نهم الناب صرار الاذن أبيض فضفاض الرداء والبدن * رسول قبل العجم يسري للوسن يجوب بي الارض علنداة شزن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن ترفعني وجنا وتهوي بي وجن * حتى أتى عاري الجأجي والقطن تلفه في الريح بوغاء الدمن * كأنما حثثت من حضني تكن قال فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: عبد المسيح، على جمل مشيخ، أتى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الايوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلا صعبا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخدمت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما. يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت. ثم قصى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول: شمر فإنك ماضي العزم شمير * لا يفرغ عنك تفريق وتغيير إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دهارير

[٢٢٩]

فريما ربما أضحوا بمنزلة * يخاف صولهم الاسد المهاصير منهم أخو الصرح بهرام وإخوته * والهرمزان وشابور وسابور والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فمحقور ومهجور ورب قوم لهم صحبان ذي اذن * بدت تلهيهم فيه المزامير وهم بنو الام إما إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح، فقال كسرى ألى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمر، فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه. ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه. قلت: كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك يزدجرد بن شهریار بن أبريز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذي انشق الايوان في زمانه. وكان لاسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة. وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح. أما سطيح هذا

فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه هو الربيع ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن الازد. ويقال الربيع بن مسعود وأمه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجوري وذكر غير ذلك في نسبه. قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعد لقمان بن عاد. ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذي نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الازد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولا ندرى ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد. وروى عن ابن عباس أنه قال: لم يكن شئ من بني آدم يشبه سطيحا إنما كان لحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه. ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه. وقال غيره إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس. ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق، فسألوه عما يكون في آخر الزمان. فقال خذوا مني ومن إلهام الله إياي: أنتم الآن يا معشر العرب في زمان الهرم سواء بصائرکم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبيكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم، ويتبعون الردم، ويقتلون العجم، يطلبون الغنم. ثم قال والباقي الابد، والبالغ الامد ليخرجن من ذا البلد، نبي مهتد، يهدي إلى الرشيد، يرفض بغوث والغند، يبرأ عن عبادة الضد، يعبد ربا انفراد، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا، من الارض مفقودا، وفي

[٢٢٠]

السماء مشهودا، ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، مجرب غطريف، قد أضاف المضيف، وأحكم التحنيف. ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس. وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله. وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال بل ينقطع. قال ومن يقطعه؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر؟ قال نعم، يوم يجمع فيه الاولون والآخرين، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال أحق ما تخبرني؟ قال نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه لحق. ووافقه على ذلك شق سوا بسواء بعبارة أخرى كما تقدم. ومن شعر سطيح قوله: عليكم بتقوى الله في السر والجره * ولا تلبسوا صدق الامانة بالعدر وكونوا لجار الجنب حصنا وحنة * إذا ما عرته النائبات من الدهر وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المعافى بن زكريا الجريري فقال: وأخبار سطيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم. والمشهور أنه كان كاهنا وقد أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن نعته ومبعثه. وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سطيح فقال: " نبي ضيعه قومه ". قلت: أما هذا الحديث فلا أصل له في شئ من كتب الاسلام المعهودة ولم أراه بإسناد أصلا. ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسي ولا يصح أيضا وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسطيح وفيها روايح التصديق لكنه لم يدرك الاسلام كما قال الجريري. فإنه قد ذكرنا في هذا الاثر أنه قال لابن أخته: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة، وخدمت نار فارس، فليس الشام لسطح شاما بملك منهم ملوك

وملكات، على عدد الشرفات وكل ما هو آت ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر - أو شية - أي أقل منه - وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق - فإله أعلم بأمره وما صار إليه. وذكر ابن طرار الحريري أنه عاش سبعمائة سنة. وقال غيره خمسمائة سنة، وقيل ثلاثمائة سنة فإله أعلم. وقد روى ابن عساكر أن ملكا سأل سطيحا عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام طويل مليح فصيح. فقال له الملك ياسطيح ألا تخبرني عن علمك هذا ؟ فقال إن علمي هذا ليس مني ولا يجزم ولا بظن ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء. فقال له رأيت أخاك هذا الجنى أهو معك لا يفارقك، فقال انه ليزول حيث أزل، ولا أنطق إلا بما يقول. وتقدم أنه ولد هو وشق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن

[٣٣١]

عقبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميدية فتفلت في أفواههما فورثا منها الكهانة وماتت من يومها. وكان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسري من سلالته، وقد مات شق قبل سطيح بدهر. وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حبان بن نفيلة الغساني النصراني فكان من المعمرين وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخ وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على. وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لأنه لما أخذه قال: بسم الله وبالله رب الأرض والسما الذي لا يضر مع اسمه أذى. ثم أكله فعلته غشية فضرب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق رضي الله عنه وذكر لعبد المسيح أشعارا غير ما تقدم. وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. قال: كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام وكان متخفرا بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم. وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته وبالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ولا حلت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء بعد. فيقال له فصفه فيقول لا. ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاق من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يكون إليه من الأذى يوما. ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا عيصاه. فناداه من هذا ؟ فقال أنا عبد الله فأشرف عليه فقال كن أباه فقد ولد المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود. قال فما سميته ؟ قال محمدا قال والله لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها منها أن نجمه طلع البارحة وأنه ولد اليوم وأن اسمه محمد. انطلق إليه فإن الذي كنت أخبركم عنه ابنك. قال فما يدريك أنه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله لي شبيه علمه على العلماء فإنه حجة. وأية ذلك أنه الآن وجع فيشتكي أياما ثلاثة، فيظهر به الجوع ثلاثا ثم يعافى. فاحفظ لسانك فإنه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبع على أحد كما يبغي عليه. إن تعش حتى بيدو مقاله ثم يدعو لظهر لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبر وعلى ذلك فاحفظ لسانك ودار عنه قال فما عمره ؟ قال إن

طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين، يموت في وترٍ دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جل أمته. قال

[٢٢٢]

وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشر المحرم. وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. هكذا رواه أبو نعيم وفيه غرابة. حواضنه ومراضعه عليه الصلاة والسلام كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة (١)، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم. وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب ثوية (٢) قبل حليلة السعدية. أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما (٣) من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة (٤) عن أم حبيبة بنت أبي سفيان. قالت: يارسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان - ولمسلم عزة بنت أبي سفيان - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أو تحبين ذلك؟ " قلت نعم! لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فإن ذلك لا يحل لي " قالت فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة - وفي رواية درة بنت أبي سلمة قال: " بنت أم سلمة؟ " قلت نعم قال: " إنها لو لم تكن ربييتي في حجري ما حلت لي. إنها لابنة أخي من الرضاعة. أرضعني وأبا سلمة ثوية. فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن " زاد البخاري قال عروة. وثوية مولاة لأبي لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة (٥). فقال له ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب لم ألق بعدكم خيرا غير أنني سقيت في هذه بعتاقتي ثوية - وأشار إلى النقرة (٦) التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع - وذكر السهيلي وغيره: أن الرائي له هو أخوه العباس. وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر. وفيه أن أبا لهب قال للعباس إنه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين. قالوا لأنه لما بشرته ثوية بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته فجوزي بذلك لذلك.

(١) في طبقات ابن سعد ج ٨ / ٢٢٣ أن أم أيمن تزوجت عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن، وقتل يوم حنين ثم تزوجت زيد بن حارثة، مولى خديجة، بعد النبوة، فولدت له أسامة. (٢) وهي أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن ابن لها يقال له مسروح وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي - وقيل معه - (٣) البخاري - كتاب النكاح - باب وأمها تكلم اللاتي أرضعنكم.. وباب: وربائكم اللاتي في حجوركم ومسلم في ١٧ كتاب الرضاع (٤) باب تحريم الربيبة ج ١٦ ص ١٠٧٢. (٥) زينب بنت أبي سلمة - وأمها أم سلمة - (٥) في البخاري ودلائل البيهقي: حبيبة. (٦) في البيهقي: النقرة وفي ابن سعد النقرة. [*]

[٢٢٣]

رضاعه عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة قال محمد بن إسحاق: فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة (١) بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر قال واسم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرضعه - يعني زوج حليلة الحارث بن عبد العزي بن رفاعة بن ملان بن ناصرة (١) بن سعد بن بكر بن هوازن (٢). وأخوته عليه الصلاة والسلام - يعني من الرضاعة - عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة (٣)

بنت الحارث وهي الشيماء وذكروا (٤) أنها كانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذا كان عندهم. قال ابن إسحاق: حدثني جهم بن أبي جهم مولى [لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث ابن حاطب، ويقال له مولى الحارث بن حاطب] (٥). قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال حدث عن حليلة بنت الحارث أنها قالت ! قدمت مكة في نسوة وذكر الواقدي بإسناده انهن كن عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعاء من بني سعد نلتمسن بها الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على أتان لي قمرء كانت أذمت بالركب (٦) ومعني صبي (٧) لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة. وما ننام ليلتنا ذلك أجمع (٨) مع صبينا ذاك ما نجد في ثديي ما

(١) في ابن هشام: ابن ناصرة ابن قصية بن نصر وفي الطبري باسقاط نصر وفي السهيلي قصية بالفاء. (الروض الأنف - الطبقات - الطبري - شرح السيرة). (٢) قدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن، فأناه فقال: أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول: إن الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنة ونار.. ثم أسلم وحسن إسلامه.. (الاصابة - الروض الأنف). (٣) في الاصابة: خذامة، وفي الطبري خذامة والطبقات: خذامة. (٤) الطبري - ابن هشام في السيرة - الطبقات. (٥) ما بين معقوفين ليس في ابن هشام، وهذا ما عودنا عليه ابن كثير في نقله عن ابن هشام وغيره؛ فإنه يلخص المعنى بعبارة فيزيد ويحذف ولا يلتزم النص إلا قليلا، وأحيانا كثيرة يخلط نقله بما يفسد المعنى. (٦) في ابن هشام: أذمت وفي الطبري أذمت. قال أبو ذر في شرح السيرة: أذمت أي أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها. وأذمت، وپروي أذمتت: أي أعبت وتخلف بالركب بسببها ولم تستطع اللحاق به. (٧) وهو عبد الله بن الحارث، وكانت ترضعه (الطبقات ٨ / ١١٠). (٨) في ابن هشام والطبري: وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا = معي = من يكائه من الجوع. [*]

[٣٣٤]

يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه. ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أتانتي تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا. فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل إنه يتيم، تركناه. قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا، فوالله ما بقي من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري. فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إنني لاكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع. لانطلقن إلى ذلك البيت فإأخذنه. فقال لا عليك أن تفعلني فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة. فذهبت فأخذته فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رجلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن. فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي. وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا. فبتنا بخير ليلة. فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليلة والله إنني لأراك قد أخذت نسمة مباركة. ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه. فلم يزل الله عزوجل يزيدنا خيرا. ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعنت أتانتي بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى أن صواحيبي ليقلن: وبلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول نعم والله إنها لهي فقلن والله إن لها لشانأنا. حتى قدمنا أرض بني سعد. وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فتحلب ما شئتنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن أغنامهم لتروح جياعا حتى إنهم ليقولون لرعاثهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم. فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا نحلب ما شئتنا. فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شبابا لا تشبه

الغلمان. فوالله ما بلغ السننتين حتى كان غلاما جفرا (١) فقدمنا به على أمه ونحن أضن شئ به مما رأينا فيه من البركة. فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع بابنا هذه السنة الاخرى فإننا نخشى عليه وباء مكة. فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم. فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة (٣). فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشند، فقال ذلك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضحاه فشقا بطنه. فخرجت أنا وأبوه نشند نحوه فنجده فائما منتقعا لونه. فاعتنقه أبوه وقال يا بني ما شأنك ؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا. فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقني بنا نرده

(١) الجفر: الغليظ الشديد، هنا استجفر أي قوي على الاكل. (٢) كذا في الاصل وابن هشام والطبري. والوبأ يهمز ويقصر والوباء بالمد: الطاعون. (٣) في ابن هشام والطبري وابن سيد الناس: بأشهر. والبهم: الصغار من الغنم واحدها بهمة. [*]

[٢٢٥]

إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف. قالت حليلة فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به. فقدمنا به عليها فقالت ما ردكما به ياطئر ؟ فقد كنتما عليه حريصين ؟ فقالا لا والله إلا أن الله قد أدى عنا، وقضينا الذي علينا، وقلنا نخشى الالتاف والاحداث نرده إلي أهله. فقالت ما ذلك بكما فاصدقاني شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل. والله إنه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما خبره ؟ قلنا بلى ! قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف [علي] منه فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود، معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما. وهذا الحديث قد روي من طرق أخر وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي (١). وقال الواقدي: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجدت البهم ثقيل فوجدته مع أخته فقالت في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا. رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف ووقفت وإذا سار سارت حتى انتهت إلى هذا الموضع. وقال ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك. قال: " نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشري [أخي] عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا [مع أخ لي] في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا، فأضجاني فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجوا منه علقة سوداء فألقياها. ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى إذا ألقياه (٢) رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بمائة فوزنتهم. ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بألف فوزنتهم، فقال دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنتهم " وهذا إسناد جيد قوي (٢).

(١) ورد حادث شق الصدر في كتب السيرة، فقد رواه ابن هشام في السيرة (١ / ١٧٦) طبقات ابن سعد (١ / ١١٢) دلائل النبوة لابن نعيم (١ / ١١١) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ١٣٥ - ١٣٦) الخصائص الكبرى للسيوطي (١ / ٥٤). وقد أشار له أصحاب التفسير في تفسير قوله عزوجل (ألم نشرح لك صدرك). وفي الاحاديث أن حادث شق الصدر هذه تكررت ؛ لما أصبح عمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ولما

جاوز صلى الله عليه وسلم الخمسين من عمره (راجع أحمد - ابن حبان - ابن عساکر - مسلم - الحاكم). (٢) في الطبري وابن هشام: أنقياه. (٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ١ / ١٤٦ والطبري ج ١ / ١٢٨ والحاكم في المستدرک ٢ / ٦٠٠ وقال: صحيح. [*]

[٢٣٦]

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس هذه القصة مطولة جدا ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع. فلماذا لم نذكر لفظ الحديث إذ لا يفرح به ثم قال: وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن نفيير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقیة بن الوليد عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمی عن عتبة بن عبد الله (١) أنه حدثنا أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: " كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكث عند البهم فأقبل [إلي] طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو؟ فقال نعم! فأقبلا بيئدراني فأخذاني فبطحاني للققا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا. فأخرجا منه علفتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه ائنتي بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائنتي بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائنتي بالسكينة فذرها (٢) في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم علي قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي اشفق أن يخر علي بعضهم. فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا فتركاني وفرقت فرقا شديدا، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت أن يكون قد لبس (٣) بي فقالت أعيدك بالله. فرحلت بعيرا لها، وحملتني على الرجل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت أدبت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها. وقالت " إنني رأيت خرج مني نور أضأت منه قصور الشام " ورواه أحمد من حديث بقیة بن الوليد به. وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقیة بن الوليد به. وقد رواه ابن عساکر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي أخبرني عمير بن عمر بن عروة بن الزبير. قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله: كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي؟ قال: " يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة وقع أحدهما على الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو؟ قال هو هو. قال

= الاسناد، ولم يخرجاه. وأفره الذهبي. وهو في السيرة ١ / ١٧٧ وما بين معقوفين في الحديث زيادة من ابن هشام والطبري. ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الحمصي أحد الحفاظ العلماء مات سنة ١٥٣ هـ وقيل سنة ١٥٥ هـ. وخالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي أبو عبد الله الشامي الحمصي توفي سنة ١٠٣ وقيل غير ذلك. (تراجم الرجال - تهذيب التهذيب). (١) في دلائل البيهقي: عتبة بن عبد. (٢) في البيهقي: فذراها. (٣) في البيهقي: التيس بي: أي أصابني مس. [*]

[٢٣٧]

زنه برجل فوزني برجل فرجته " وذكر تمامه، وذكر شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال: " فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أعابن الأمر معاينة " ثم أورد ابن عساکر عن أبي بن كعب

بنحو ذلك. ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك. وثبت في صحيح مسلم (١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان [منك]، ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم، ثم لامه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة، وأن ملكين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجا حشوته في طشت من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة وعلما. ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال قال خذوا خيرهم وسيدهم، فأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب فغسل جوفه ثم ملئ حكمة وإيمانا. وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وفي الصحيحين من طريق شريك [بن عبد الله] بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقتادة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الأسراء ليتأهب للوفود إلى الملا الأعلى ولمناجاة الرب عزوجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى (٢). وقال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: " أنا أعريكم، أنا قرشي وإسترضعت في بني سعد بن بكر " وذكر ابن إسحاق: أن حليلة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى (٣) فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقبلوه وقالوا إنا سنذهب بهذا

(١) أخرجه بطوله الحاكم في المستدرک ٢ / ٦١٦ - ٦١٧ - وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والامام أحمد في مسنده ٣ / ١٤٩. ٤ / ١٨٤ وأخرجه مسلم في صحيحه في ١ كتاب الايمان (٧٤) باب الأسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٢٦١ ص (١ / ١٤٧). وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٥ وما بعدها. لامه: جمعه وضم بعضه إلى بعض. ظئره: أي مرضته. المخيط: هي الابرة؛ وفي رواية بقية حصه فحاصه. قال أبو الفضل (أحد الرواة) يحصه: يخيطه. (٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ / ١٣٦ - ١٣٧. (٣) في دلائل البيهقي: أن أمه التي ترضعه نزلت به سوق عكاظ، فرأها كاهن من الكهان فقال: يا أهل عكاظ = [*]

[٢٢٨]

الغلام إلى ملكنا فإنه كائن له شأن فلم تكذب تنفلت منهم إلا بعد جهد. وذكر أنها لما ردتها حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده، فأخذه على عاتقه وذهب فطاق به يعوده ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة. وذكر الاموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الواقصي - وهو ضعيف - عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليلة علي غير سياق محمد بن إسحاق. وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاق حتى استأجر حليلة علي رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيره جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان ردتها إليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانين سنين ماتت فكفله جده عبد

المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين، فكفله عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن. فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة منها أن فحلاً من الابل كان قد قطع بعض الطريق في وادٍ ممرهم عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم برك حتى حك بكلكته الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام. ومنها أنه خاض بهم سيلاً عرماً فأبيسه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب، والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن يكماهم فواصله حين أسرهم بعد وقعتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر. فمتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى. قال محمد بن إسحاق: في وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده [عبد الله بن عمرو]. قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين فلما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجرعانة وقد أسلموا، فقالوا يا رسول الله إنا أهل (١) وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقال خطيبهم زهير بن سرد (٢) فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبائا خالاتك وحواضك (٣) اللاتي كن يكفلنك، فلو أنا ملحنا (٤) ابن أبي شمر، أو

= اقتلوا هذا الغلام، فإن له ملكاً، فزاعجت به أمه التي ترضعه، فأجابه الله تعالى، ١ / ٨٨. (١) في سيرة ابن هشام: إنا أصل وعشيرة. (٢) كذا في الاصل ودلائل البيهقي وطبقات ابن سعد، وهو زهير يكنى أبو سرد كما في سيرة ابن هشام. وفي الواقدي ٢ / ٩٥٠: أبو سرد زهير بن سرد وفي هامش السيرة الحلبية أبو سرد ويكنى أبو بركان ج ٢ / ٣٠٧. (٣) حواضك: النساء اللاتي أرضعنك، فحاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم من بني سعد بن بكر وهم من هوازن. (٤) ملحنا: وفي رواية مالحنا، يعني أرضعنا، وابن أبي شمر هو الحارث الغساني ملك الغساسنة. [*]

[٢٢٩]

النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين. ثم أنشد: أمنن علينا رسول الله في كرم * فإنك المرء نرجوه وندخر امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها في دهرها غير أبقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر إن لم تداركها نعماء تنشرها * يا أرحم الناس حلما حين يختبر امنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك يملاه من محضها درر (١) امنن على نسوة قد كنت ترضعها * وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر (٢) لا تجعلنا كمن شالت نعماته * واستبق منا فانا معشر زهر (٣) إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد بن طارق الجشمي عن أبي سرد زهير بن جرول - وكان رئيس قومه - قال لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعرا، أذكره حين شب ونشأ في هوازن حيث أرضعوه: امنن علينا رسول الله في دعة * فانك المرء نرجوه ومنتظر امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها في دهرها غير أبقت لنا الحرب هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر إن لم تداركها نعماء تنشرها * يا أرحم الناس حلما حين يختبر امنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك تملاه من محضها الدرر إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها * وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر لا تجعلنا كمن شالت نعماته * واستبق منا فانا معشر زهر إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك إن العفو مشتهر إنا نؤمل عفواً منك

تلبسه * هذي البرية إذ تغفو وتنتصر فاغفر عفا الله عما أنت راهبه *
يوم القيامة إذ يهدي لك الظفر

(١) في دلائل البيهقي: مخضها الدرر. وفي الواقي: مخضها الدرر وفيه مملوءة بدل
بملاه. (٢) صدره في الواقي: اللاني إذ كنت طفلا كنت ترضعها. (٣) شالت نعمته:
أي تفرقت كلمتهم أو ذهب عزهم (القاموس المحيط). [*]

[٢٤٠]

قال (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما ما كان لي
ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم " فقالت الانصار: وما كان لنا فهو لله
ولرسوله صلى الله عليه وسلم. وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام
أطلق لهم الذرية وكانت سنة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم
أنعاما وأناسى كثيرا. حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما
أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف درهم. فهذا كله من بركته
العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة.
فصل قال ابن إسحاق: بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه
أمنة بعد رضاعة حليلة له. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
أمه أمينة بنت وهب، وحده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، ينبت
الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت
أمه أمينة بنت وهب. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر
بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمينة توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة، كانت قد
قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيهه إياهم. فماتت
وهي راجعة به إلى مكة (٢). وذكر الواقي بأسانيده أن النبي صلى
الله عليه وسلم خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست
سنين، فزارت أخواله. قالت أم أيمن فجاءني ذات يوم رجلان من يهود
المدينة فقالا لي أخرجني إلينا أحمد ننظر إليه، فنظر إليه وقلباها فقال
أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الامة وهذه دار هجرته، وسيكون بها
من القتل والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به،
فماتت بالابواء وهي راجعة. وقد قال الامام أحمد (٣) حدثنا حسين
بن محمد حدثنا أيوب بن جابر عن سماك عن القاسم بن عيد
الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى إذا كنا بؤدان قال: " مكانكم حتى أتاكم " فانطلق
ثم جاءنا وهو ثقيل، فقال: " إنني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي
الشفاعة - يعني لها - فمنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها، وكنت نهيتكم عن لحوم الاضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا
وامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن الاشرية في هذه الاوعية فاشربوا
ما بدا لكم " وقد رواه البيهقي (٤) من طريق سفيان الثوري عن
علقمة بن مرثد (٥) عن سليمان بن بريدة

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نساؤكم وابناؤكم أحب إليكم، أم أموالكم ؟
فقالوا: خيرتنا.. أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا (ابن هشام - دلائل البيهقي). (٢) وفي رواية
للطبري: أن قبر أمينة في شعب أبي ذر بمكة. وفي معجم البلدان شعب أبي ذر قال:
يقال فيه مدفن أمينة بنت وهب أم الرسول صلى الله عليه وسلم. وفيه أيضا أن قبرها
بالابواء. وقال أبو عمر بن عبد البر: وقيل ابن سبع سنين وقال محمد بن حبيب: توفيت
أمه وهو ابن ثمان سنين.. (ابن سيد الناس). (٣) مسند أحمد ج ٥ / ٢٥٧. (٤) دلائل
النبوة ١ / ١٨٩. (٥) في الدلائل وطبقات ابن سعد: علقمة بن مرثد. [*]

[٢٤١]

عن أبيه قال: انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى علي، وأدركتني رقتها فيكيت ". قال فما رثيت ساعة أكثر باكيا من تلك الساعة. تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه. ثم روي البيهقي (١) عن الحاكم عن الأصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريح عن أيوب بن هاني عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود. قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر، وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها = فواجه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فيكينا لبقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إلينا (٢) فتلناه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذي أبكك؟ لقد أبكنا وأفزعنا. فجاء فجلس إلينا فقال: " افرعكم بكائي "؟ قلنا نعم! قال: " إن القبر الذي رأيتموني أناحي قبر أمينة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل علي: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم) (٣) فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني " غريب ولم يخرجوه. وروي مسلم (٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: " استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت ". وروي مسلم (٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان بن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: " في النار " فلما قفا دعاه فقال: " إن أبي وأباك في النار ". وقد روى البيهقي (٦) من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي كان يصل الرحم، وكان، وكان، فأين هو؟ قال: " في النار " قال فكان الأعرابي وجد من ذلك، فقال يا رسول الله أين أبوك؟ قال: " حيثما مررت

(١) دلائل النبوة ج ١ / ١٨٩ عن أبي عبد الله الحافظ عن أبي العباس محمد بن يعقوب. (٢) في الدلائل: إلينا (٣) سورة التوبة الآيات ١١٣ - ١١٤. (٤) كتاب الجنائز ٣٦ باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه في زيارة قبر أمه ح ١٠٥ - ١٠٦ ص ٦٧١، وأخرجه النسائي في كتاب الجنائز. وابن ماجه وعند الترمذي بعضه. (٥) كتاب الإيمان ١ - ٨٨ باب ح ٣٤٧ ص ١٩١. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. (٦) دلائل النبوة ج ١ / ١٩١. [*]

[٣٤٢]

بقبر كافر فبشره بالنار " قال فأسلم الأعرابي بعد ذلك. فقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه (١). وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو. قال بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بصر بامرأة لا بطن أنه عرفها، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟ فقالت أتيت أهل هذا البيت

فترحمت إليهم ميّتهم وعزيتهم. قال: " لعلك بلغت معهم الكدى " (٢) قالت معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكرني في ذلك ما تذكر (٣). قال: " لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك " ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي (٤) من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المعافري الصنمي الاسكندري وقد قال البخاري عنده مناكير. وقال النسائي: ليس به بأس وقال مرة صدوق، وفي نسخة ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ كثيرا. وقال الدارقطني صالح. وقال ابن يونس في تاريخ مصر في حديثه مناكير توفي قريبا من سنة عشرين ومائة، والمراد بالكدى القبور - وقيل النوح - . والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الاحاديث في كتابه دلائل النبوة: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام، وكفرهم لا يقدر في نسبه عليه الصلاة والسلام لان انكحة الكفار صحيحة. ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الاسلام وبالله التوفيق. انتهى كلامه. قلت: واخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصرم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسطناه سندا ومتنا في تفسيرنا عند قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجب ومنهم من لا يجب. فيكون هؤلاء من جملة من لا يجب فلا منافاة والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه في مجمع الزوائد عن الطبراني في الكبير وقال: رجاله رجال الصحيح. (٢) الكدى: المقابر. (٣) إشارة إلى حديث أخرجه أصحاب السنن قال صلى الله عليه وسلم: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. (٤) مسند أحمد ٢ / ١٦٩، أبو داود في الجنائز ٣ / ٣٦١، النسائي ٤ / ٢٧ وقال: أبو عبد الرحمن ضعيف واستدركه الحاكم (١ / ٣٧٣). [*]

[٢٤٢]

وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما وأما به، فإنه حديث منكر جدا. وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى. لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم. فصل قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه أمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان ينوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر، حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه. فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع. وقال الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله. وحدثنا هاشم بن عاصم الاسلمي عن المنذر بن جهم. وحدثنا معمر بن ابن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث. وحدثنا ابن أبي سيرة عن سليمان بن سحيم عن نافع عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه أمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقره منه ويدنيه،

ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام. وكان يجلس على فراشه فيقول عبد
المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابني إنه يؤسس ملكا (١). وقال قوم من
بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به فإننا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي
في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء
! فكان أبو طالب يحتفظ به. وقال عبد المطلب لام أيمن - وكانت
تحضنه - يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريب من
السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة. وكان عبد
المطلب لا يأكل طعاما إلا يقول: علي بابني فيؤتى به إليه. فلما
حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون. وقال
ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين
(٢) هلك جده عبد المطلب بن

(١) في الطبقات: إنه ليؤسس ملكا. (٢) الطبري - الطبقات، وفي رواية شكك فيها
الطبري قال: وكان بعضهم يقول توفي عبد المطلب ورسول الله ابن [*]

[٢٤٤]

هاشم. ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه. وهن أروى
وأميمة، وبرة، وصفية، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء وذكر أشعارهن وما
قلن في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح. وبسط
القول في ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر
يعرف هذا الشعر (١) قال ابن إسحاق: فلما هلك عبد المطلب بن
هاشم ولي السقاية وزمزم بعده ابنه العباس، وهو من أحدث إخوته
سنا فلم تزل إليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله صلى
الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد
المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان
شقيق أبيه عبد الله أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن
مخزوم. قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم [بعد جده] وكان إليه ومعه. وقال الواقدي: أخبرنا معمر
عن ابن نجيح عن مجاهد. وحدثنا معاذ بن محمد الأنصاري عن عطاء
عن ابن عباس. وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم
بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض -
قالوا: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه
حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج
معه. وصب به أبو طالب صباية لم يصب مثلها بشئ قط. وكان يخصه
بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا،
وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشبعوا. فكان إذ أراد
أن يغديهم قال كما أنتم حتى يأتي ولدي. فيأتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم
يكن منهم (٢) لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك. وكان
الصبيان يصبحون رمضا شعئا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه
وسلم دهينا كحيفا (٣). وقال الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت
عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت ابن عباس
يقول: كان بنو أبي طالب يصبحون رمضا عمصا ويصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان
صفحتهم أول البكرة، فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده فلا ينتهب معهم. فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه
على حدة. وقال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن
الزبير أن أباه حدثه أن رجلا من لهب (٤) كان عائفا فكان إذا قدم مكة
أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم.

= عشر سنين. وقال محمد بن حبيب توفي جده بعد وفاة أمه (وعمره ثمانين سنين) بسنة واحد عشر شهرا سنة تسع من عام الفيل. (١) راجع سيرة ابن هشام ج ١ / ١٧٩ وما بعدها. (٢) في الطبقات: معهم بدل منهم. (٣) رواه ابن سعد في الطبقات: ج ١ / ١١٩. (٤) بنو لهب من أزد شنوءة. وقيل هو لهب بن أحن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن [*]

[٢٤٥]

قال: فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام، مع من يأتيه، قال: فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شئ. فلما فرغ قال: الغلام، علي به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيته أنفا فوالله ليكون له شأن. قال وانطلق به أبو طالب. فصل في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام. فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال والله لا أخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدا - كما قال - فخرج به. فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له. وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها. إليه يصير علمهم عن كتاب، فيما يزعمون. يتوارثونه كابرا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببخيري - وكانوا كثيرا ما يملكون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم - حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم (٢). ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت (٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها. فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع. ثم أرسل إليهم. فقال إنني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم، كبيركم وصغيركم، وعبدكم وحركم. فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم. ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون (٤) منه كلكم، فأجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم، لحدثه سنة في رجال القوم تحت الشجرة فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التي يعرف ويجده عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم

= نصر بن الأزدي، وهي القبيلة التي تعرف بالعيافة والزجر والعائف: الذي يتغرس في خلقة الإنسان فيخبر بما يؤول حاله إليه؛ (شرح القاموس - الروض الانف). (١) صب به وفي البيهقي صب به: أي تعلق وتشبث. وصب به: أي مال إليه ورق عليه. ورويت ضبت به: أي أمسك قاله السهيلي. (٢) العبارة في سيرة ابن هشام: في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. (٣) تهصرت: مالت وتدلت. وهصرت الغصن: إذا جذبت حتى يميل. وفي البيهقي: شممت. (٤) كذا في الاصل وعند ابن هشام: فتأكلوا وهو الصواب. [*]

[٢٤٦]

عن طعامي، قالوا: يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدثنا سنا فتخلف في رجالنا. قال لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال فقال رجل من قريش مع القوم: واللوات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد

المطلب عن طعام من بيننا. ثم قال إليه فاحتضنه (١) وأجلسه مع القوم، فلما رأى (٢) بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له يا غلام: أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه. وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما (٣) فرعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لا تسألني باللات والعزى شيئا. فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما. فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ فقال له سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته وأموره. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره. فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال [له] ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني قال بحيرى ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي. قال فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلت به، قال صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود. فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (٤). قال ابن إسحاق: فرعموا فيما روى الناس أن زريرا، وثماما، ودريسما (٥) - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا [من] رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم عنه بحيرى. فذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم [إن] أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه. وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير اسناد منه. وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع. فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا قراد أبو نوح حدثنا

(١) احتضنه: هنا: أي اجلسه إلى جنبه. (٢) فلما رأى عن ابن إسحاق. (٣) يقال إنه سأله باللات والعزى اختارا، ولعل هذا مناسب أكثر. (٥) في ابن هشام: زريرا وتماما ودريسا. وفي الدلائل للبيهقي: زريرا وتماما ودريسا. (٤) قال أبو عمر بن عبد البر كانت رحلة أبي طالب ثلاث عشرة من الفيل. وقال أبو الحسن الماوردي خرج به عمه أبو طالب في تجارة وهو ابن تسع سنين. وذكر ابن سعد بإسناد له عن داود بن الحصين أنه كان ابن اثنتي عشرة سنة. [*]

[٢٤٧]

يونس عن (١) أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمشون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال: فنزل وهم يحلون رحالهم. فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين. وفي رواية البيهقي (٢) زيادة هذا رسول رب العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدون إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه [مثل التفاحة]. ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الأبل - فقال: أرسلوا إليه. فأقبل وغمامة [عليه] تظله. فلما دنا من القوم قال انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلي فئ الشجرة فلما جلس مال فئ الشجرة عليه. قال انظروا إلى فئ الشجرة مال

عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم (٣) ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر (٤) من الروم قد أقبلوا. قال فاستقبلهم فقال ما جاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وأنا أخبرنا خبره [فبعثنا] إلى طريقك هذه. قال [لهم]: فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا. إنما أخبرناه خبره إلى طريقك هذه. قال أفأرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا لا. قال فابيعوه وأقاموا معه عنده. قال فقال الراهب أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكحك والزيت. هكذا رواه الترمذي (٥) عن أبي العباس الفضل بن سهل الاعرج عن قراد أبي نوح به. والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الاصب عن عباس بن محمد الدوري به. وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي مولاهم، ويقال له الضبي ويعرف بقراد (٦). سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري، ووثقه جماعة

(١) في دلائل البيهقي يونس بن أبي إسحق، السبيعي صدوق وثقه ابن معين وقال أحمد حديثه مضطرب وقال أبو حاتم لا يحتج به مات ١٥٩ (الكاشف ج ٣ / ٣٦٤. تقريب التهذيب ٢ / ٢٨٤). (٢) دلائل النبوة ج ٢ / ٢٤. (٣) في دلائل البيهقي: ينشدهم. (٤) في دلائل البيهقي: بتسعة نفر - وفي رواية الاصب بسبعة - (٥) كتاب المناقب (٥٠) ٣ - باب ما جاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ح ٣٦٣٠ (ص ٥: ٥٩٠ - ٥٩١) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٦١٥ - ٦١٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي "أظنه موضوعا، فبعضه باطل" وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٢٤ وما بعدها. (٦) قراد هو أبو نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي روى عنه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما، وأخرج له [*]

[٢٤٨]

من الائمة والحفاظ ولم أر أحدا جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة، قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال عباس الدوري ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده. حكاه البيهقي وابن عساكر. قلت: فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة. ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلي كل تقدير فهو مرسل. فإن هذه القصة كانت ولسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم، أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة. الثاني: أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا. الثالث: أن قوله وبعث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة، وعمر بلال أقل من ذلك، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرا. إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ، فإنه إنما ذكره مقيدا بهذا الواقدي. وحكي السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم (١). قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين. قالوا: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيري.

فقال لأبي طالب بالسر ما قال. وأمره أن يحتفظ به فردّه معه أبو طالب إلى مكة. وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب يكاؤه الله [عزوجل] ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية

= البخاري والاربعة سوى ابن ماجه. وثقه علي بن المديني وابن نمير ويعقوب بن شيبه وابن سعد وابن حبان وروى له الدارقطني وقال: ثقة. (١) قال ابن سيد الناس ج ١ / ٤٢: في متنه نكارة وهي ارسال أبي بكر مع النبي وكيف وأبو بكر لم يبلغ العشر سنين فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكبر من أبي بكر بأزيد من عامين وكانت للنبي تسعة أعوام على ما قاله الطبري وغيره - أو اثنا عشر - ويلازم لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من عشرين عام فإنه كان لبنى خلف الجمحين وعند ما عذب في الله اشتراه أبو بكر. وقال ابن حجر في الإصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته. وأخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس أنا أبا بكر الصديق صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة. قال ابن حجر إن صحت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب. (الخصائص ج ١ / ١٤٤ - ١٤٥). [*]

[٢٤٩]

ومعائبها لما يريد [به] من كرامته حتى بلغ أن كان رجلا، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم من الفحش والاذى. ما رئي ملاحيا ولا مماريا أحدا، حتى سماه قومه الامين. لما جمع الله فيه من الامور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات. وقال محمد بن سعد: أخبرنا خالد بن معدان (١) حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب - أو أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد، فكان لا يسافر سفرا إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلا فأتاه فيه راهب. فقال إن فيكم رجلا صالحا؛ ثم قال أين أبو هذا الغلام؟ قال فقال ها أنا ذا وليه - أو قيل هذا وليه - قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حسد، وإنني أخشاهم عليه. قال: ما أنت تقول ذلك، ولكن الله يقوله. فردّه، وقال: اللهم إنني أستودعك محمد! ثم إنه مات. قصة بحيرا حكى السهيلي عن سير الزهري أن بحيري كان حبرا من أحبار يهود. قلت: والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهبا نصرانيا والله أعلم. وعن المسعودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس (٢). وفي كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الاسلام بقليل يهتف ويقول: ألا إن خير أهل الارض ثلاثة، بحيري، ورثاب بن البراء الشنبي، والثالث المنتظر. وكان الثالث المنتظر هو الرسول صلى الله عليه وسلم. قال ابن قتيبة وكان قبر رثاب الشنبي وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش، وهو المطر الخفيف. فصل في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له، وحياطته، وكيف كان يتيما فأواه وعائلا فأغناه قال محمد بن إسحاق: فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزهها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الامين، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال: " لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما

[٢٥٠]

يلعب الغلمان، كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره وجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة، فإني لاقبل معهم كذلك وأدير إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وحيعة، ثم قال شد عليك إزارك. قال فأخذته فشددته علي، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتني وإزاري على من بين أصحابي ". وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها والله أعلم. قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة. فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قال فقال: " إزاري " فشدد عليه إزاره أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق (١). وأخرجاه أيضا من حديث روح بن عبادة عن زكرياء بن أبي إسحاق (٢) عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه. وقال البيهقي (٣): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى حدثنا محمد بن بكر الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه: أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت، قال وأوردت قريش رجلين رجلين، الرجال ينقلون الحجارة، وكانت النساء تنقل الشيد. قال: فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس أئترنا. فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي قال: فخر وانبطح على وجهه، فجئت أسعى، وألقيت حجري وهو ينظر إلى السماء فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال: " إني نهيت أن أمشي عريانا ". قال وكنت أكنمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون. وروى البيهقي (٤) من حديث يونس بن بكر عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزوم عن الحسن بن محمد عن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عزوجل فيهما. قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها - فقلت

(١) صحيح البخاري ٢٥ كتاب الحج ٤٢ باب فضل مكة وبنائها فتح الباري (٢ / ٤٢٩) ومسلم كتاب الحيض ج ٧٧ ص ٣٦٨. البخاري في ٨ كتاب الصلاة (٨) باب كراهية التعري في الصلاة فتح الباري (١ / ٤٧٤) ومسلم. (٢) كذا في الاصل والصواب كريا بن إسحاق: المكى، ثقة رمي بالقدر (التقريب ١ / ٣٦١). (٣) دلائل النبوة ج ٢ / ٣٢. (٤) ج ٢ / ٣٣. [*]

[٢٥١]

لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال بلى. قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عرفا بالغرايب والمزامير، فقلت ما هذا ؟ قالوا تزوج فلان فلانة. فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي

حتى أسمر [بمكة] ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة. فسألت، فقيل نكح فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال ما فعلت ؟ فقلت لا شئ ثم أخبرته الخير، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشئ من ذلك حتى أكرمني الله عزوجل بنبوته " وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره " حتى أكرمني الله عزوجل بنبوته " مقحما والله أعلم (١). وشيخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات. وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح. قال شيخنا في تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي (٢): حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة. قال: كان صنم من نحاس يقال له: أساف، ونائلة (٣) يتمسح به المشركون إذا طافوا. فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تمسه ". قال زيد: فطفنا فقلت في نفسي لامسنته حتى أنظر ما يكون، فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألم تنه " قال البيهقي: زاد غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه. وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام ليحيرى حين سأله باللات والعزى " لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما " فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني (٤). أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا إبراهيم بن أسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن

(١) الخبر رواه السيوطي في الخصائص الكبرى ١ / ٨٩ / ١ ورواه أبو نعيم في دلائله (١٤٢) وسبل الهدى (٣ / ١٩٩) وقال: رواه إسحاق بن راهويه والبخاري وابن حبان. (٢) دلائل النبوة ج ٢ / ٢٤ / ٢ ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ / ٨٩ / ٢) في الدلائل: أو نائلة. (٤) هو أبو سعد أحمد بن محمد الماليني. [*]

[٢٥٢]

سفيان الثوري عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل (١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: يشهد مع المشركين مشاهدتهم قال: فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى تقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال كيف تقوم خلفه، وإنما عهده باستلام الاصنام ؟. قال فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدتهم. فهو حديث انكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الامام أحمد فيه لم يكن أخوه يتلفظ بشئ من هذا. وقد حكى البيهقي عن بعضهم (٢) أن معناه أنه شهد مع من يستلم الاصنام وذلك قيل أن يوحى إليه والله أعلم. وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته. وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق. حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير. قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقا من الله عزوجل له. قال البيهقي (٣): معنى قوله على دين قومه ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، [في حجهم ومناكحهم وبيوعهم، دون الشرك] ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائما. قلت:

وفيه من قوله هذا أيضا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه. وهذا توفيق من الله له. ورواه الامام أحمد عن يعقوب عن محمد بن إسحاق به. ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه وأنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقا من الله. وقال الامام أحمد: حدثنا سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أضللت بعيرا لي بعرفة (٤) فذهبت اطلبه فإذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف فقلت إن هذا من الحمس (٥) ما شأنه هنا؟ وأخرجه

(١) في دلائل البيهقي: عبد الله بن محمد بن عقيل، أبو محمد المدني، الطالبي روى عنه ابن عمر وجابر قال فيه الترمذي صدوق، كان أحمد وإسحاق والحميري يحتجون بحديثه وتوفي فيما قاله الواقدي بعد سنة ١٤٠ هـ. (الكشاف ج ٢ / ١١٣ - التقريب والتهذيب ١ / ٤٤٧). (٢) أبو القاسم الطبراني عن المعمر بن عثمان بن أبي شيبة. قال ابن حجر: " هذا الحديث أنكره الناس، فبالغوا، والمنكر قوله عن الملك، " عهده باستلام الاصنام " فإن ظاهره أنه باشر الاستلام، وليس ذلك مرادا، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام اصنامهم (المطالب العالية). وفي السيرة الشامية: المراد بالمشاهد مشاهد الحلف ونحوها لا مشاهد استلام الاصنام. (٣) دلائل النبوة ج ٢ / ٣٧. (٤) كذا في الاصل والصواب: عرنة كما في سيرة ابن كثير وعرنة: واد بجذاء عرفات. (٥) الحمس: جمع أحمس، وهو الشديد الصلب، وهم قريش وسميت حمسا لزعيمهم بأنهم اشتدوا في دينهم إلى = [*]

[٢٥٢]

من حديث سفيان بن عيينة به. شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار (١) ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة، وإنما سمي يوم الفجار، بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم. وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس وقال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان. وكان الذي هاجها أن عروة الرجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة (٢) - أي تجارة - للنعمان بن المنذر. فقال [له] البراض بن قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أتجيزها على كنانة؟ قال نعم وعلى الخلق. فخرج فيها عروة الرجال وخرج البراض يطلب غفلته. حتى إذا كان بتيمن ذي طلال (٣) بالعالية، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام. فلذلك سمي الفجار، وقال البراض في ذلك: وداهية تهم الناس قبلي * شددت لها بني بكر ضلوعي (٤) هدمت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالي بالضرع رفعت له بذئ طلال كفي * فخر يميم كالجدع الصريع (٥)

= حد التزهة والتأله؛ ودخل معهم كنانة وخزاعة وقيل بنو عامر بن صعصعة. (راجع سيرة ابن هشام في تفاصيل مهمة حول الحمس). وكانت قريش ومن يدين دينها يقفون عشية عرفة بالمزدلفة ويقولون: نحن قطن البيت. وكان بقية الناس والعرب يقفون بعرفات: (البخاري - مسلم، كتاب الحج، أبو داود والنسائي في المناسك). (١) الفجار بكسر الفاء، بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وسمي الفجار لان القتال جرى في الشهر الحرام ففروا فيه جميعا. (٢) كذا في الاصل وفي العقد الفريد وابن هشام: أجاز لطيمة واللطيمة الجمال التي تحمل التجارة، من طيب وبر وأشباههما. (٣) ذي طلال: واد إلى جانب فدك، وفي معجم البلدان، وهو الصواب، أنه بعالية نجد. (٤) رواية البيت في العقد الفريد: وداهية يهاك الناس منها * شددت على بني بكر ضلوعي (٥) رواية البيت في الاغانى والعقد الفريد: جمعت له يدي بنصل سيف * أقل فخر كالجدع الصريع [*]

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب: وأبلغ - إن عرضت - بني كلاب * وعامر والخطوب لها موالي وأبلغ - إن عرضت - بني نمير * وإخوان القتيل بني هلال بأن الوافد الرجال أمسى * مقيما عند تيمن ذي طلال قال ابن هشام: فأتى أت قريشا فقال: إن البراض قد قتل عروة، وهو في الشهر الحرام بعكاظ. فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم. ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم. فاقتتلوا حتى جاء الليل، فدخلوا الحرم، فأمسكت هوازن عنهم، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم. قال: وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم. أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كنت أنبل على أعمامي " أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. قال ابن هشام: وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال السهيلي: والفجار بكسر الفاء على وزن قتال. وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكرهن المسعودي (٢). وأخرهن، فجار البراض هذا. وكان القتال فيه في أربعة أيام، يوم شمطة، ويوم العباء، وهما عند عكاظ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوما - وهو الذي حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قيدا رئيس قريش وبني كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهما لئلا يفروا. وإنهزمت يومئذ قيس إلا بني نضر فإنهم ثبتوا. ويوم الحريرة عند نخلة. ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ. فلما توافوا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جملة ونادى يا معشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال الصلح، قالوا وكيف؟ قال ندي قتلاكم ونزهنكم رهائن عليها، ونعفو عن دياتنا. قالوا ومن لنا بذلك قال أنا، قالوا ومن أنت؟ قال عتبة بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار. وقد ذكر الاموي حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الأثرم. وهو المغيرة بن علي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك. فصل قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا يحيى ابن علي بن هشام (١) الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي (٢) حدثنا اسماعيل بن علي بن

(١) في الدلائل: هشام. (٢) في الدلائل: الأزدي. [*]

عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه [عن عبد الرحمن بن عوف]. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما أحب أن أنكته - أو كلمة نحوها - وإن لي حمر النعم ". قال وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن. قال: وأخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السمناني حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما شهدت حلفا لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقصته " قال: والمطيبون هاشم، وأممية، وزهرة، ومخزوم، قال البيهقي: كذا روي هذا التفسير مدرجا في الحديث ولا أدري قائله

(١)، وزعم بعض أهل السير (٢) أنه أراد حلف الفضول فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين. قلت: هذا لا شك فيه، وذلك أن قريشا تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابن عبد الدار من السقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، والحجابه، ونازعهم فيه بنو عبد مناف. وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا عن النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف حفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا. فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت. فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديما ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لاجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد (٣) ظالم مظلوما ". قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وذلك لان الفجار كان في شعبان (٤) من هذه السنة، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن

(١) وقال البيهقي في السنن الكبرى بعد روايته للحديث: " لا أدري: هذا التفسير من قول أبي هريرة أو من دونه. ٦ / ٣٦٦. (٢) أراد ابن قتيبة وقد ذكره في حديث السنن ونقل قوله: " إن حلف المطيبين هو حلف الفضول " وعقب البيهقي: " إن قوله إنما هو حلف الفضول غلط، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين، لان ذلك كان قديما قبل أن يولد بزمان ". والثابت لدينا، ومن خلال سياق أحاديث تكوين المطيبين يتبين أنه في زمان هاشم أبي عبد المطلب جدا الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) كذا في الاصل وفي السهيلي: ولا يعز ظالم على مظلوم. (٤) قال المسعودي ج ٢ / ٢٩٣: انتهى الفجار في شوال. ووافق ابن سيد الناس وابن سعد في الطبقات. وفي رواية لابن سعد عن عروة بن الزبير؛ كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة. [*]

[٢٥٦]

رجلا من زبيد قدم مكة بضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه - أي انتهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس - وقريش في أنديتهم حول الكعبة - فنادى بأعلى صوته: يا آل فهر لمظلوم بضاعته * بطن مكة نائي الدار والنفر ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر إن الحرام لمن ما تثت كرامته * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاهدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة. وما رسى ثبير وحراء مكنهما. وعلى التاسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول (١)، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الامر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه. وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك: حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وإن كنا جميعا أهل دار نسميه الفضول إذا عقدنا * يعزبه الغريب لذي الجوار ويعلم من حوالي البيت أنا * أباة الضيم نمع كل عار وقال الزبير أيضا: إن الفضول تعاهدوا وتحالفوا * ألا يقيم بطن مكة ظالم أمر عليه تعافدوا وتواثقوا * فالجار والمعتز فيهم سالم وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث -: أن رجلا من خثعم قدم مكة حاجا - أو معتمرا - ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوصا نساء العالمين، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها

(١) سمي هذا الحلف بحلف الفضول باسم ثلاثة من زعماء جرهم وهم: الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحارث. وقيل في النهاية: الفضل بن شراعة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاة. والفضول جمع فضل وهي أسماء هؤلاء الذين تقدموا. وقيل بل سمي كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ولا يغزو ظالم مظلوما. وقال السهيلي: ما قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو أقوى منه: السنن الكبرى ج ٦ / ٣٦٦ - ٣٦٧. وزعم ابن إسحاق أن هذا الحلف عقوده على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم.. وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب. [*]

[٢٥٧]

عنه. فقال الخثعمي: من يعديني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك بحلف الفضول (١). فوقف عند الكعبة ونادى يا آل حلف الفضول: فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب، وقد انتصوا أسيافهم يقولون: جاءك الغوث فما لك ؟ فقال إن نبيها ظلمني في بنتي وانترعها مني قسرا فساروا معه حتى وقفوا على باب داره، فخرج إليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدا عليه، فقال أفعل، ولكن متعوني بها الليلة، فقالوا لا والله ولا شخب لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول: راح صحتي ولم أحيي القتولا * لم أودعهم وداعا حميلا إذ أجد الفضول أن يمنعوها * قد أراني ولا أخاف الفضولا لا تخالي أني عشية راح الرك * ب هنتم علي أن لا يزولا وذكر أبياتا أخر غير هذه. وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفا تحالفته جرهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه. وكان الداعي إليه ثلاثة من أشرفهم اسم كل واحد منهم فضل: وهم الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث. هذا قول ابن قتيبة (١). وقال غيره الفضل بن شراعة، والفضل بن بضاعة، والفضل بن قضاة وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله. وقال محمد بن إسحاق بن يسار: وتداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه. وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة. فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. قال محمد بن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر [بن] قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت ". قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان. منازعة في مال كان بينهما بذي المروة (٢) فكان الوليد تجامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لادعون

(١) انظر الحاشية (١) ص ٢٥٦. (٢) ذو المروة: قرية بوادي القرى، وقيل بين خشب ووادي القرى. (معجم البلدان). [*]

[٢٥٨]

يحلف الفضول. قال فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا. قال وبلغت المسور بن مخزوم بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك. وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك. فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي. تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة (١). فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار. مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب (٢) من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة. فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي (٣) ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته - يعني تجارته - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري. ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له - فيما يزعمون - يا بن عم أني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك (٤) في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه، وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا. كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه، فخرج

(١) المضاربة: المقارضة، حيث كانت خديجة تقارضهم مالها في تجارتهم بشئ تجعل لهم منه. (٢) كان اسم الراهب نسطورا وليس هو بحيرى الذي ورد ذكره في حديث أبي طالب؛ وكان نزول في سوق بصرى. عيون الأثر. وطبقات ابن سعد. (٣) يريد بقوله إنه ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي؛ ليعد العهد بالانبياء قبل ذلك. (٤) كذا في الأصل وشرح المواهب وشرح السيرة والروض والطبري. وسطتك: شرفك. قال السهيلي: من الوسط. والوسط من أوصاف المدح والتفضيل. [*]

[٢٥٩]

معه عمه حمزة (١) حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام. قال ابن هشام: فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت. قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم: القاسم وكان به يكنى، والطيب والطاهر (٢)، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. قال ابن هشام أكبرهم القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر. وأكبر بناته رقية ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة (٣). قال البيهقي عن الحاكم: قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية. وكان أول من مات من ولده القاسم [مات بمكة]، ثم عبد الله. وبلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين. وهو أصح. وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبية

ثم مات بعد النبوة، وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن له مرضعا في الجنة يستكمل رضاعه " والمعروف أن هذا في حق إبراهيم (ع). وقال يونس بن بكير: حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم (٥) عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع نسوة: القاسم، وعبد الله، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب، ورقية. وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الطاهر، سمي بذلك لانه ولد بعد

(١) يقال إن الذي ينهض معه صلى الله عليه وسلم هو أبو طالب، وهو الذي خطب خطبة النكاح. وقيل لعلهما خرجا معا وخطب أبو طالب الخطبة لانه كان أسن من حمزة (الروض الانف، شرح المواهب). (٢) في أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم من خديجة خلاف فذكر بعضهم ثلاثة بنين القاسم والطاهر والطيب وقال آخرون ما تعلمها ولدت غلاما إلا القاسم. والأرجح أن الطاهر والطيب لقبان لعبد الله وقال ابن سعد: إن عبد الله ولد في الاسلام فسمي الطيب والطاهر وفي موت القاسم في الجاهلية خلاف. فقد ذكر السهيلي عن الزبير أن القاسم مات رضعا.. فبكت خديجة. فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أسمعتك صوته في الجنة.. فهو دليل على أنه لم يهلك في الجاهلية. (٣) في الطبقات عن ابن عباس: قبل النبوة القاسم (وفي رواية عنده مات ابن سنتين وهذا يناقض ما ذهب إليه الزبير، وفي رواية للبيهقي: أن القاسم قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيب) ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله. (٤) تقدم التعليق قريبا فليراجع. وذكر ابن سعد أن إبراهيم ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة. ومات وهو ابن ستة عشر شهرا وقال صلى الله عليه وسلم إن له ظئرا تتم رضاعه في الجنة وهو صديق. وفي رواية ثمانية عشر شهرا. يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر. (٥) عن الحكم عن مقسم أبي القاسم كما في دلائل النبوة ج ٢ / ٧٠ [*]

[٣٦٠]

النبوة فماتوا قبل البعثة. وأما بناته فأدركن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام: وأما إبراهيم فمن مارية (١) القبطية التي أهداها له المقوقس صاحب اسكندرية من كورة أنصنا (٢) وستنكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة. قال ابن هشام: وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من أهل العلم، منهم أبو عمرو المدني، وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد زوج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره خمسا وعشرين سنة وقريش تبني الكعبة. وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذاك خمسا وثلاثين - وقيل خمسا وعشرين سنة - (٣). وقال البيهقي: باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوج خديجة أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم " فقال له أصحابه وأنت يارسول الله ؟ قال: " وأنا راعيها لأهل مكة بالقراريط " (٤) رواه البخاري (٥) عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به. ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر - وهو ضعيف (٦) - عن أبي الزبير عن

(١) مارية بنت شمعون (والمارية البقرة الفتية بتخفيف الباء وبالتشديد الملساء. وسبب أهدائها إلى النبي أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى المقوقس واسمه جريح بن ميناء فقارب المقوقس الاسلام وأرسل هدية إلى النبي بغلته دلدل ومارية وقدحا من قوارير (الروض الانف). (٢) أنصنا: بالفتح ثم السكون وكسر الصاد مدينة من

نواحي الصعيد على شرقي النيل ويقال إنها كانت مدينة السحرة ينسب إليها كثير من أهل العلم. (٣) قيل كان سنه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين وقيل سبعا وثلاثين وقيل ستا وعشرين. وكان عمر خديجة إذ ذاك أربعين سنة وقيل خمسا وأربعين. وكانت خديجة قد تزوجت قبله رجلين: عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم أبو هالة التميمي وهو من بني أسيد بن عمرو واسمه هند بن زرارة بن النباش. (٤) دلائل النبوة ج ٢ / ٦٥. (٥) في ٣٧ كتاب الإجارة (٢) باب رعي الغنم فتح الباري (٤ / ٤٤١). وأخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات وابن سعد في الطبقات. (٦) الربيع بن بدر ضعفه ابن معين. وقال ابن حبان يقلب الاسانيد وقال الدارقطني والازدي: متروك. وقال النسائي ويعقوب بن سفيان متروك. تهذيب التهذيب (٣ / ٢٣٩). [*]

[٣٦١]

جابر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " آجرت نفسي من خديجة سفرتين بفلوس " وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس: أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو - أظنه - قال سكران (١). ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي (٢) حدثني عبد الله بن أبي عبيد (٣) بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم (٤) مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وما يكثرون فيه يقول: أنا أعلم الناس بتزويجه إياها، إني كنت له تريا، وكنت له إلفا وخذنا. وإني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم. حتى إذا كنا بالحزورة (٥) أجزنا على أخت خديجة، وهي جالسة على أدم تبعها، فنادتني، فانصرفت إليها، ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟ قال عمار: فرجعت إليه فأخبرته فقال: " بلى لعمرى " فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اغدوا علينا إذا أصبحنا، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة، والبسوا أبا خديجة حلة، وصفرت لحيته، وكلمت أخاها فكلم أباه وقد سقى خمرا فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانة وسألته أن يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فأكلنا منه ونام أبو هاشم استيقظ صاحيا. فقال: ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كلمت عمارا هذه حلة كساها محمد بن عبد الله ختنك، وبقرة أهداها لك، فذبحناها حين زوجته خديجة، فأنكر أن يكون زوجه، وخرج يصيح حتى جاء الحجر، وخرج بنو هاشم برسول الله صلى الله عليه وسلم فجأؤوه فكلموه. فقال ابن صاحبكم الذي تزعمون أنني زوجته خديجة؟ فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه، قال إن كنت زوجته فسبيل ذلك، وإن لم أكن فعلت فقد زوجته. وقد ذكر الزهري في سيره أن أباه زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاه السهيلي. قال المؤملي: المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي (٦) وحكاه عن ابن عباس وعائشة قالت: وكان خويلد مات قبل الفجار، وهو

(١) وأخرجه الامام أحمد في مسنده مطولا بإسناد ضعيف. والهيتمي في مجمع الزوائد عنه وعن الطبراني وقال رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح. (٢) في الدلائل ج ٢ / ٧١؛ الموصلي. (٣) في الدلائل وتقريب التهذيب: أبي عبيدة. (٤) في الدلائل، مقسم: أبي القاسم مولى عبد الله، وهو الصواب. ويقال له مولى ابن عباس للزومه، صدوق. مات سنة ١٠١ هـ. (تقريب التهذيب). (٥) الحزورة: كانت الحزورة سوق مكة، ودخلت في المسجد لما زيد، وباب الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام، والعامية تقول: باب عزورة. (٦) وعند الواقدي قال: الثبت عندنا المحفوظ من أهل العلم أن أباه خويلد بن أسد مات قبل الفجار وإن عمها = [*]

الذي نازع تبعا حين أراد أخذ الحجر الاسود إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ما روعه، فنزع عن ذلك وترك الحجر الاسود مكانه. وذكر ابن إسحاق: في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم. فصل قال ابن إسحاق: وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وكان ابن عمها، وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يطلانه - فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه - أو كما قال - فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك: ليجت وكنت في الذكرى لجوجا * لهم طالما ما بعث النشيجا (١) ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظارى يا خديجا بطن المكتنين على رجائي * حديثك أن أرى منه خروجا (٢) بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يعوجا (٣) بأن محمدا سيسود قوما * ويخضم من يكون له حجيجا (٤) ويظهر في البلاد ضياء نور * يقوم به البرية أن تموجا فيلقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمه فلوجا (٥) فيا ليتني إذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت أولهم ولوجا (٦)

= عمرو بن أسد زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقه الكلبي عن ابن عباس. وابن سعد بسنده عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس. (الطبقات - عيون الاثر). (١) اللجاج: التمادي في الامر. والنشيج: بكاء الصبي الذي يضرب فلا يخرج بكأؤه ويردده في صدره قال ابن الاعرابي: النشيج من الفم والنخير من الانف. وفي التهذيب: غص البكاء في حلقه عند الفزعة فهو إذ ذاك نشيج. (٢) المكتنين: قال السهيلي في روضه: ثنى مكة وهي واحدة لان لها بطاحا وظواهر. وهذا كثير عند العرب في أشعارهم. (٣) قس: هو قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب. (٤) في سيرة ابن هشام: فينا بدك قوما. وفي بلوغ الارب للألوسي: يوما. (٥) فلوجا: الفلوج الظهور على الخضم والعدو. (٦) قوله " فياليتني " بحذف نون الوقاية ؛ وحذفها مع ليت نادر. قال ابن مالك في الافية: وليتني فشا وليتني ندرا * ومع لعل أعكس... [*]

ولوجا في الذي كرهت قريش * ولو عجت بمكثها عجيجا (١) أرجي بالذي كرهوا جميعا * إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا وهل أمر السفالة غير كفر * بمن يختار من سمك البروجا فإن يبقوا وأبق يكن أمور * يضح الكافرون لها ضجيجا وإن أهلك فكل فتى سيلقى * من الاقدار متلفة خروجا (٢) وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عنه: أتبكر أم أنت العشية رائج * وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح ؟ (٣) لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه إذا غاب ناصح أتاك الذي وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاح (٤) إلى سوق بصرى في الركاب التي غدت * وهن من الاحمال تعص دوالج (٥) فيخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتيح بأن ابن عبد الله احمد مرسل * إلى كل من ضمت عليه الاباطح وطني به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هود وصالح وموسى وإبراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح ويتبعه حيا لؤي وغالب * شبابهم والأشيبون الججاجح (٦) فإن أبق حتى يدرك الناس دهره * فإنني به مستبشر الود فارح ولا فإنني يا خديجة فاعلمي * عن ارضك في الارض العريضة سائح وزاد الاموي: فمتبع دين الذي أسس البنا * وكان له فضل على الناس راجح وأسس بنيانا بمكة ثابتا * تلالا فيه بالظلام المصباح

(١) في بلوغ الأرب للالوسي: ولوجا في الذي كرهت قريشا.. (٢) المتلفة: المهلكة. خروجا في سيرة ابن هشام خروجاً: وهي الكثيرة التصرف. (٣) في بلوغ الأرب: وفي الصبر بدل وفي الصدر. (٤) في بلوغ الأرب: فتاك بدل أتك. والصاحص: جمع صحص وهو ما استوى من الأرض وجرى أي لا شجر فيها ولا قرار ماء. (٥) قعص: وأقعصه إذا قتله قتلاً سريعاً. دوالج: من دلج البعير إذا مر بحمله متقللاً؛ أي تناقل في مشيه من ثقل الحمل كما قال الأزهري. (٦) في بلوغ الأرب: لؤي بن غالب. والجحاح جمع جحجج وهو السيد السمح والكريم. [*]

[٣٦٤]

مثابا لافناء القبائل كلها * تخب إليه اليعملات الطلائح حراجيح أمثال
القداح من السرى * يعلق في أرساعهن السرايح ومن شعره فيما
أورده أبو القاسم السهيلي في روضه (١): لقد نصحت لأقوام وقلت
لهم * أنا النذير فلا يعرركم أحد لا تعبدن إلها غير خالقكم * فان
دعوكم فقولوا بيننا حداد (٢) سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له *
وقبلنا سبيح الجودي والجمد (٣) مسخر كل ما تحت السماء له * لا
ينبغي أن يناوي ملكه أحد لا شئ مما نرى تبقى بشاشته * يبقى
الإله ويودي المال والولد لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه * والخلد قد
حاولت عاد فما خلدوا ولا سليمان إذ تجرى الرياح به * والجن والانس
فيما بيننا مرد (٤) أين الملوك التي كانت لعزتها * من كل أوب إليها
وافد يفد حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوماً كما وردوا
ثم قال هكذا نسبه أبو الفرج إلى ورقة، قال وفيه أبيات تنسب إلى
أمية بن أبي الصلت. قلت: وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض لآحيان بشئ من
هذه الآيات والله أعلم. فصل في تجديد قريش بناء الكعبة قبل
المبعث بخمس سنين ذكر البيهقي (٥) بناء الكعبة قبل تزويجه عليه
الصلاة والسلام خديجة. والمشهور أن بناء قريش الكعبة بعد تزويج
خديجة كما ذكرناه بعشر سنين. ثم شرع البيهقي في ذكر بناء
الكعبة في

(١) قاله لما مر ببلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعذب برمضاء مكة
ونهاهم عنه فلم ينتهوا : فقال: والله لئن قتلتموه لاتخذن قبره حناناً (بلوغ الأرب - ٢ / ٢٧١). (٢) في بلوغ الأرب للالوسي وعجزه: فإن دعيتم فقولوا دونه حداد. والحداد:
بفتح الحاء والدال: المنع. (٣) عند الالوسي: سبحان ذي العرش لا شئ يعادله * رب
البرية فرد واحد صمد سبحانه ثم سبحانا نعوذ به * وقبلنا سبيح الجودي والجمد (٤)
في الالوسي: ولا سليمان إذا دان الشعوب له * والجن والانس تجري بيننا البرد (٥)
أنظر دلائل النبوة ج ٢ / ٤٣ وما بعدها. [*]

[٣٦٥]

زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته، وأورد حديث ابن عباس المتقدم
في صحيح البخاري وذكر ما ورد من الأسرئيليات في بنائه في زمن
آدم ولا يصح ذلك، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه
مبتدئاً وأول من أسسه، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها
مشرفة في سائر الأعصار والاقوات قال الله تعالى: (إن أول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام
إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً) [آل عمران: ٩٦ - ٩٧] وثبت في الصحيحين (١) عن
أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: "
المسجد الحرام " قلت ثم أي؟ قال: " المسجد الأقصى " قلت كم
بينهما؟ قال: " أربعون سنة " وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم، وإن
المسجد الأقصى أسسه اسرئيل وهو يعقب عليه السلام. وفي

الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وقال البيهقي (٢) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن مهرا بن حدثنا عبيد الله [بن موسى] حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، قال: كان البيت قبل الأرض بألفي سنة، (وإذا الأرض مدت) [الانشقاق: ٣] قال من تحته مدت. قال وقد تابعه منصور عن مجاهد. قلت: وهذا غريب جدا وكأنه من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك وكان فيهما اسراييليات يحدث منها وفيهما منكرات وغرائب. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن محمد (٣) بن عبد الله البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهني حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن (٤) أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا لي بيتا، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل، حتى أجابه الماء نودي من تحته حسبك يا آدم، فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس، وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه ". قال البيهقي: تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعا.

(١) أخرجه البخاري في ٦٠ كتاب الانبياء ١٠ باب حدثنا موسى بن إسماعيل الفتح ٦ / ٤٠٧ وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ح (١) صفحة (٣٧٠). (٢) دلائل ج ٢ / ٤٤، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٥١٨ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخبره ووافقه الذهبي. (٣) في الدلائل ج ٢ / ٤٤ محمد بن محمد بن عبد الله. (٤) كذا في الاصل وفي الدلائل: يزيد عن أبي الخير. [*]

[٣٦٦]

قلت: وهو ضعيف، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم. وقال الربيع [بن سليمان]: أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي ليبد عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال: حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا بر نسكك يا آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني بقية - أو قال ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال: ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح. قلت: وقد قدمنا حجهما إليه. والمقصود الحج إلى محله ويقعته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم. ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه وهو في صحيح البخاري. ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعة قال: سألت رجلا عليا عن قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) أهو أول بيت بني في الأرض؟ قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا. وإن شئت نباتك كيف بناؤه. إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض، فضاقت به ذرعا فأرسل [الله] إليه السكينة، وهي ريح خجوج لها رأس، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم [وكان بيني هو ساقا كل يوم] حتى بلغ مكان الحجر، قال لابنه أبغني حجرا، فالتمس حجرا حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال لابي من أين لك هذا؟ قال جاء به من لا يتكل على بنائك، جاء به جبريل، من السماء فأتمه (١). قال فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته جرهيم، ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب. فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه، فقالوا: نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ففضى

بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترفعه جميع القبائل كلهم. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة عن علي بن أبي طالب. قال: لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه، فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه، قال يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم حمرت امرأة الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها، حتى إذا بنوها، فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلي رفعه. فقالوا: تعالوا نحكم أول من

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣ / ٦٩ - ٧١) ورواه في أخبار مكة (١ / ٢٤ - ٢٥) ورواه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. [*]

[٣٦٧]

يطلع علينا، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نمره، فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب، ثم أخرج سيد كل قبيلة، فأعطاه ناحية من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن، فكان هو يضعه، فكان لا يزداد على السن الارضي (١) حتى دعوه الاميين قبل أن ينزل عليه الوحي، فطفقوا لا ينحرون جزورا إلا التمسوه فيدعو لهم فيها، وهذا سياق حسن، وهو من سير الزهري، وفيه من الغرابة قوله: فلما بلغ الحلم. والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله (٢). وقال موسى بن عقبة: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة. وهكذا قال مجاهد، وعروة، ومحمد بن جبير بن مطعم، وغيرهم. فالله أعلم. وقال موسى بن عقبة: كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة. قلت: وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة. وهذا يؤيد ما قال محمد بن إسحاق والله أعلم (٣). قال موسى بن عقبة: وإنما حمل قريشا على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها، من فوق الردم الذي صفوه فخر به فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة، فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شأؤوا فأعدوا لذلك نفقة وعمالا. ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنعهم الذي أرادوا. فكان أول رجل طلعا وهدم منها شيئا: والوليد بن المغيرة، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها، فأعجبهم ذلك. فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضع قدم فزعموا أنهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت، رأسها عند ذنبها. فأشفقوا منها شفقة شديدة، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة. وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفا لهم فلما سقط في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان

(١) في الدلائل: ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضا. (٢) رواه الأزرق في أخبار مكة ١ / ٩٩. (٣) قال ابن هشام: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة هاجت حرب الفجار. وقال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة. وقال ابن سيد الناس: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة. وقال الازرقعي: اختصمت قريش.. وطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاحا نمره والذي حزم به ابن إسحاق أن بنیان الكعبة كان قبل المبعث بخمس سنين. ١ / ١٥٩. نقول يمكن أن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء، أو لعل البناء كان في فترات.. انتهت قبل المبعث بخمس سنوات. ويمكن أن يكون قد وقع التباس لدى المؤرخين في زمن احتراق الكعبة (فقال الزهري لما بلغ رسول الله الحلم احترقت.. و) والانتهاه من هدمها وبنائها. [*]

[٣٦٨]

من نصحه لهم وأمره إياهم أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها. وأن يقتسموها أرباعا. وأن لا يدخلوا في بنائها مالا حرام. وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية في السماء وتغيبت عنهم وراوا أن ذلك من الله عز وجل. قال: ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد (١). وقال محمد بن إسحاق بن يسار: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها ويهايون هدمها. وإنما كانت رضما فوق القامة. فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان في بئر في جوف الكعبة. وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولد لبني مليح بن عمرو بن خزاعة. فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة (٢) لرجل من تجار الروم. فتحطمت. فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها. قال الاموي: كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبيشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها. قال ابن إسحاق: وكان بمكة رجل قيطي نجار فتهبأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها. وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم. فتشرف (٣) على جدار الكعبة وكانت مما يهايون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت (٤) وكشفت وفتحت فاهها، فكانوا يهايونها، فبينما هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائرا فاختطفها فذهب بها. فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية. وحكى السهيلي: عن رزين أن سارقا دخل الكعبة في أيام جرهم ليسرق كنزها. فأنهار البئر عليه حتى جاؤوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كرأس الجدي وبطنها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن إسحاق. قال محمد بن إسحاق: فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام عابد بن عمران بن مخزوم - فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسيكم إلا طيبا. لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس -

(١) أجياد، وفي الدلائل جباد. (٢) في الاخبار الازرقعي بالشعبية ؛ وهي واقعة جنوب جدة وتبعد عنها مقدار مرحلتين. (٣) في سيرة ابن هشام: تتشرق أي تبرز للشمس ويقال تشرفت: إذا قعدت للشمس لا يحجبك عنها شئ. (٤) احزألت: رفعت رأسها وتجمعت تستعد للوثوب. [*]

[٣٦٩]

والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. ثم رجع ابن إسحاق أن قائل ذلك أبو وهب بن عمرو - قال وكان خال أبي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا ممدحا. وقال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تجزأت الكعبة. فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم (١) وقبائل من قريش انضموا إليهم. وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم (٢). وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب، وهو الحطيم (٣). ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه. فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدوكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين فترى الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر فإن أصيب لم تهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي الله ما صنعنا من هدمها. فأصبح الوليد غاديا على عمله، فهدم وهدم الناس معه - حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الاساس - اساس إبراهيم عليه السلام - أفصوا إلى حجارة خضر كالاسنة (٤) أخذ بعضها بعضا - ووقع في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان كأسنمة الابل - قال السهيلي وأرى رواية السيرة كالاسنة وهما والله أعلم. قال ابن إسحاق: فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلا (٥) من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها. فانتهاوا عن ذلك الاساس. وقال موسى بن عقبة: وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلا (٦) من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة [وانتهوا] إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الاساس الاول فرفعه وهو لا يدري أنه من الاساس الاول، فأبصر

(١) زاد في تاريخ مكة: وبنى تميم. (٢) زاد في اخبار مكة فذكر: بني عامر بن لؤي. (٣) الحطيم: سمي حطيمًا، كما قيل، لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا. (٤) في رواية الأزرقى: كأنها الابل الخلف لا يطبق الحجر منها ثلاثون رجلا. ومن قال الاسنمة فهي جمع سنم، وأراد أن الحجارة تدخل بعضها في بعض كما تدخل عظام الاسنمة بعضها ببعض. ومن قال الاسنة فهي جمع سنان: أي أسنة الرماح. (٥) في تاريخ الأزرقى: هو الوليد بن المغيرة. وفي رواية له عن سعيد بن المسيب قال: أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وعن جبير بن مطعم قال: عامر بن نوفل بن عبد مناف وقال الواقدي: وقد ثبت أنه أبو وهب. (٦) كذا في الاصل، والصواب من الدلائل رجلا. [*]

[٣٧٠]

القوم برقة تحت الحجر كادت تلتمع بصر الرجل، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفزع الرجل والبناء. فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئا يحدثه. قال ابن إسحاق: وحدث أن قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسرانية فلم يعرفوا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود (١)، فإذا هو أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السماوات والارض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها - قال ابن هشام يعني جبلاها - مبارك لاهلها في الماء واللين. قال ابن إسحاق: وحدث أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه: مكة [بيت] الله الحرام، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يجلها أول من أهلها. قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة - إن كان ما ذكر حقا - مكتوبا فيه: من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة. يعملون السيئات ويجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب. وقال سعيد بن يحيى الاموي: حدثنا المعتمر بن سليمان الرقفي عن عبد الله بن بشر الزهري - يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال: " وجد في المقام ثلاثة أصفح،

في الصفح الاول: اني أنا الله ذويكة، صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وخففتها بسبعة أملاك حنفاء، وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الصفح الثاني: اني أنا الله ذويكة، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي. فمن وصلها وصلته ومن قطعها بنته، وفي الصفح الثالث: اني أنا الله ذويكة، خلقت الخير والشر وقدرته. فطوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه. قال ابن اسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة. ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الاخرى. حتى تحاوروا أو تحالفوا، وأعدوا للقتال فقريت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما. ثم تعافدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة. فسموا لعقة الدم. فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتنشأورا وتناصفوا. فرعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عامنذ أسن قريش (٢) كلها قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا. فكان أول داخل دخل

(١) كذا في الاصل وابن هشام وفي دلائل البيهقي: خبر من يهود اليمن، وفي رواية: من حمير. (٢) ذكر الأزرقي أن أبا زمعة بن الأسود كان أسن القوم. [*]

[٣٧١]

رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأوه قالوا: هذا الامين رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هلموا إلي ثوبا " فأتى به، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: " لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب (١). ثم ارفعوه جميعا " ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم. ثم بنى عليه. وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن حبان عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال: وكان لي حجر - أنا نحتة أعبدته من دون الله - قال: وكنت أجيئ باللبن الخائر الذي أنفه على نفسي فأصبه عليه فيجئ الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول عليه قال: فبينما حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد. فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترايا منه وجه الرجل. فقال بطن من قريش: نحن نضعه وقال آخرون نحن نضعه فقالوا اجعلوا بينكم حكما. فقالوا أول رجل يطلع من الفج. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أتاكم الامين. فقالوا له فوضعه في ثوب. ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القبايطي. ثم كسيت بعد البرور (٢). وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف (٣). قلت: وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم النفقة أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم. وجعلوا للكعبة بابا واحدا من ناحية

(١) أي بزواية من زواياه فكان عتبة بن ربيعة في ربيع عبد مناف، وفي الربيع الثاني: أبي زمعة بن الأسود، وفي الثالث العاص بن وائل (في الطبقات: قيس بن عدي)، وفي الرابع أبو حذيفة بن المغيرة. (٢) كذا في الاصل، وفي السيرة والأزرقي البرود: وهي ثياب يمنية. والقبايطي: جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض.

(٢) الديباج: معربة وهي القماش المنقوش. وفيمن كساها الديباج: روى الفاكهي من طريق مسعر عن جسرة: أن خالد بن جعفر بن كلاب أول من كسا الكعبة الديباج في الجاهلية. وعن الدارقطني في المؤلف: أن نتيلة بنت حيان والدة العباس بن عبد المطلب كسيت الكعبة الديباج. وقال ابن حجر: وحصلنا في أول من كساها الديباج على ستة أقوال: ١ - خالد - ٢ - نتيلة - معاوية - يزيد - ابن الزبير - الحجاج. قال: كسوة خالد ونتيلة لم تشملها كلها. وأما معاوية فلعله كساها في آخر خلافته فصادف ذلك خلافة ابنه يزيد. وأما ابن الزبير فلعله كساها بعد تجديد بنائها لكن لم يداوم على كسوتها الديباج. وأما الحجاج فكساها بأمر عبد الملك واستمر على ذلك، فلعله أول من داوم على كسوتها في كل سنة. (الروض الانف أخبار مكة). [*]

[٢٧٢]

الشرق. وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شأؤوا ويمنعوا من شأؤوا (١) وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: " ألم تري أن قومك قصرت بهم النفقة. ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا، وأدخلت فيها الحجر " ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل. لها بابان ملتصقان بالارض شرقيا وغربيا. يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر. فلما قتل الحجاج بن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه. فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامى فحصوه وأخرجوا منه الحجر ورسوا حجارتها في أرض الكعبة. فارتفع بابها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير. فقال مالك رحمه الله: إنني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة. فتركها على ما هي عليه. فهي إلى الآن كذلك. وأما المسجد الحرام: فأول من أخرج البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دورا وزادها فيه. فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه، وحسن جدرانها وأكثر أبوابه. ولم يوسعه شيئا آخر. فلما استبد بالامر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانها وأمر بالكعبة فكسيت الديباج. وكان الذي تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف. وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) (٢) وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا والله الحمد والمنة. قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من البنين وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها: عجبت لما تصوبت العقاب * إلى الثعبان وهي لها اضطراب وقد كانت تكون لها كشيئ * وأحيانا يكون لها وثاب إذا قمنا إلى التأسيس شدت * تهبنا البناء وقد نهاب فلما أن خشينا الزجر جاءت * عقاب تتلثب لها انصباب (٣) فضمتها إليها ثم خلت * لنا البنيان ليس لها حجاب فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب

(١) زاد في تاريخ مكة: رفعوا بابها حتى لا تدخلها السيول، ولا ترقا إلا بسلم. (٢) سورة البقرة الآية ١٢٧. (٣) الزجر: المنع. ويروي الرجز: العذاب. [*]

[٢٧٣]

غداة يرفع التأسيس منه * وليس على مساوينا ثياب (١) أعز به المليك بني لؤي * فليس لاصله منهم ذهاب وقد حشدت هناك بنو

عدي * ومرة قد تقدمها كلاب فبأننا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقدار الجاهلية، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى. فصل وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحمس، وهو الشدة في الدين والصلابة. وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة. وكانوا يقولون نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله. فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة. وكانوا لا يدخرون من اللين أقطا ولا سمنا ولا يسلمون شحما وهم حرم. ولا يدخلون بيتا من شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا ببيت من آدم. وكانوا يمنعون الحجيج والعمار - ما داموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحمس وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عربانا ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله * وبعد هذا اليوم لا أحله فإن تكرم أحد ممن يجد ثوب أحمسي فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يلقبها فلا ينتفع بها بعد ذلك. وليس له ولا لغيره أن يمسه. وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى (٣) قال بعض الشعراء: كفى حزنا كري عليه كأنه * لقي بين أيدي الطائفين حريم

(١) مساويتنا والمساوي هنا: السوات ؛ وفي سيرة ابن هشام: مساويتنا أي مساوي البنين. ثياب: إشارة إلى أنهم كانوا ينقلون الحجارة عرا ويرون أن ذلك كان ديننا وأنه من باب التشمير والجد في الطاعة. (٢) في سيرة ابن هشام: وما بدأ منه فلا أحله. يقال إن المرأة التي قالت ذلك هي ضياعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير (الروض الانف). (٣) اللقى: الشئ الملقى ويقال المنسى وجمعه: ألقا.] *

[٣٧٤]

قال ابن إسحاق: فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن ردا عليهم فيما ابتدعوه فقال [تعالى]: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) (١) وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقا من الله له، وأنزل الله عليه ردا عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (٢) الآية. وقال زياد البكائي (٣) عن ابن إسحاق: ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده (٤). مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. وذكر شئ من البشارات بذلك قال محمد بن إسحاق رحمه الله: وكانت الاحبار من اليهود والكهنة من النصارى ومن العرب (٥) قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه، أما الاحبار من اليهود والرهبان. من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. قال الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) [الاعراف: ١٥٧] الآية وقال الله تعالى: (واذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) [الصف: ٦] وقال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل) [الفتح: ٢٩] الآية. وقال الله تعالى: (واذ أخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم
إصري؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) [آل
عمران: ٨١] وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: " ما بعث الله
نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث

(١) سورة البقرة الآية ١٩٩. (٢) سورة الاعراف الآيات ٣١ و ٣٢. (٣) زياد البكائي هو
أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل القيسي العامري البكائي راوي السيرة عن ابن
إسحاق توفي سنة ١٨٢ هـ. (٤) ورد في تاريخ مكة ج ١ / ١٧٦: قال ابن جريج لما أن
أهلك الله تعالى أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا. وأهل مكة وقالوا: أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فازدادوا في تعظيم الحرم والمشاعر الحرام. وقالت
قريش نحن أهل الله وبنوا إبراهيم.. فابتدعوا في دينهم أحداثا أداروها بينهم. (٥) في
سيرة ابن هشام: والرهبان من النصارى، والكهان من العرب. [*]

[٢٧٥]

محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه " يعلم من هذا أن
جميع الانبياء بشروا وأمروا باتباعه. وقد قال إبراهيم عليه السلام
فيما دعا به لاهل مكة: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم
آياتك) [البقرة ١٢٩]. وقال الامام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا
الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت
لرسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: " دعوة أبي إبراهيم، وبشرى
عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام " وقد
روى محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مثله ومعنى هذا أنه
أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره فذكر دعوة إبراهيم
الذي تنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني
إسرائيل كما تقدم. يدل هذا على أن من بينهما من الانبياء بشروا به
أيضا. أما في الملا الأعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد
الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد
الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرياض بن سارية.
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني عبد الله خاتم
النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي
إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات
المؤمنين " (١). وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال: إن أمه
رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام. وقال الامام أحمد أيضا
حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن
عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله، متى
كنت نبيا؟ قال " وأدم بين الروح والجسد " تفرد بهن أحمد (٢). وقد
رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي
هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا
القاسم البيهقي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الاوزاعي
حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم متى وحيت لك النبوة؟ قال: " بين خلق آدم
ونفخ الروح فيه " ورواه من وجه آخر عن الاوزاعي به. وقال:

(١) كذا في الاصل وفي دلائل البيهقي: النبيين. (٢) أخرجه الحديثان أحمد في مسنده
ج ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ و ٤ / ٦٦ و ٥ / ٣٧٩. وأخرج الجزء الاول من حديث الحاكم في

المستدرک ٢ / ٦٠٠ وقال هذا حديث صحيح الاسناد، وأقره الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه أحمد والطبراني والبخاري وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. [*]

[٢٧٦]

" وأدم منجدل في طينته ". وروى عن البغوي أيضا عن أحمد بن المقدم عن بقية بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعا - في قول الله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث " ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال: " وأدم بين الروح والجسد ". وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقي العرب لذلك فيه بالا. حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرّفوها، فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر زمان مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تعقد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم فعرفت الشياطين أن ذلك لأمير حدث من أمر الله عزوجل. قال (١) وفي ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل أوحى إلي أني أستمتع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشده فأمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) إلى آخر السورة. وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير، وكذا قوله تعالى: (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآيات، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك. قال محمد بن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمى بها - هذا الحي من ثقيف - وإنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب وأمكرها (٢)، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها، فهو والله طي الدنيا، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمير أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم - يقال لها الغيطة

- (٣)

(١) أي ابن إسحاق. (٢) في سيرة ابن هشام: وأنكرها رأيا. أي أهداها رأيا من النكر وهو الدهاء، ويروي بالباء من البكور في الشئ وهو مبادرته فيه وسبقه إليه. (٣) قال ابن هشام الغيطة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة، أخوه بني مدلج بن مرة. ويقال الغيطة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصق بن شنوق بن مرة. [*]

[٢٧٧]

كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها، ثم قال: أدر ما أدر، يوم عقر ونحر، قلت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال: شعوب ما شعوب ؟ تصرع فيه كعب (١) الجنوب. فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ما ذا

يريد ؟ إن هذا لامر هو كائن فانظروا ما هو، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه. قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا (٢) - بطنا من اليمن - كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب، قالت له جنب: انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله. فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا علي قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو، ثم قال: أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه، وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل. ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء، ثم ذكر ابن إسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرجنا إلى هواتف الجان. فصل قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهده لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود (٣) - وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا يزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرا ماس نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به. فبادرناهم إليه، فأمننا به وكفروا به. ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين). وقال ورقة: عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي: كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا

(١) المراد هنا كعب بن لؤي، وسياق الحديث الآتي يؤيد ذلك خاصة أن معظم الذين صرعوا في بدر وأحد من أشرف قريش من كعب بن لؤي. (٢) جنب: هم بطن من بني يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد وهو مدحج وهم: بنو منبه والحارث والغلى وسبحان وشمره وهفان. وفي جمهرة الانساب: والقاموس ومعجم البلدان سنحان بدل سبخان وشمران بدل شمر. سموا جنب أو جناب لانهم تحالفوا على بني عمهم صداء أو صدا كما في نهاية الارب وهم من اتباع الكافر الصليحي - لعنه كاهنهم - القائم بنواحي زبيد. (٣) عبارة ابن هشام: لما كنا نسمع من رجال يهود. [*]

[٢٧٨]

النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به [على الناس] - رواه البيهقي (١). ثم روي من طريق عبد الملك بن هارون بن عنبرة (٢) عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: كانت اليهود بخير تقابل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا: اللهم [إنا] نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به. فأنزل الله عزوجل: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) (٣) الآية وروي عطية عن ابن عباس نحوه. وروي عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضا. وقال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش - وكان من أهل بدر - قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل، قال: فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الاشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا. علي فروة لي مضطجع فيها بقاء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار. قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثنا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم، والذي يحلف به ويود أن له تحطه (٤) من تلك النار أعظم تنور في الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا قالوا له:

ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد. وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن، قالوا ومتى نراه ؟ قال - فنظر إلي، وأنا من أحدثهم سنا - فقال: أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله [محمدا] رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا، فأما به وكفر به بغيا وحسدا. قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به. رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس. ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير (٥). وروى أبو نعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن

(١) دلائل النبوة ج ٢ / ٧٦. (٢) في الدلائل ابن عنترة / وهو الصواب (التقريب - الثقات للعجلي - الكاشف للذهبي). قال الدارقطني: ضعيفان وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان يضع الحديث وأبوه ثقة ووثق هارون العجلي. وأحمد وابن معين. (٣) سورة البقرة جزء من الآية ٨٩. (٤) كذا في الاصل وفي سيرة ابن هشام: ولود أن له بظه. (٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٤٦٨ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٧٨ - ٧٩ ونقله الصالحي في السيرة الشامية (١ / ١٢٥) وقال: رواه ابن إسحاق والبخاري وصححه الحاكم والخبر في الاكتفاء والوفاء. [*]

[٣٧٩]

سلمة قال: لم يكن في بني عبد الاشهل إلا يهودي واحد يقال له يوشع، فسمعتة يقول - وإني لغلام في إزار - قد أظلمكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت. ثم أشار بيده إلى بيت الله، فمن أدركه فليصدق. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسدا وبغيا. وقد قدمنا حديث أبي سعيد عن أبيه في أخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته وأخبار الزبير بن باطاعن ظهور كوكب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الحاكم عن البيهقي بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد - نفر من بني هذل، أخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الاسلام - قال: قلت: لا، قال: فإن رجلا من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكننا إذا فحط عنا المطر قلنا له: أخرج يا بن الهيبان فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة، فنقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر، أو مدين من شعير. قال فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرثنا (١) فيستسقي لنا، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف (٢) خروج نبي قد أطل زمانه، هذه البلدة مهاجرة فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه، وقد أظلمكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري [والنساء] فيمن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر (٣) بني قريظة قال هؤلاء الفتية - وكانوا شبابا أحداثا -: يا بني قالوا بلى والله إنه لهو بصفته، فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم. قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود. قلت: وقد قدمنا في قدوم تبع اليماني وهو أبو كرب تبان أسعد إلى المدينة ومحاصرته إياها وأنه خرج إليه ذانك الحبران من اليهود فقالا له إنه لا سبيل لك عليها، أنها مهاجر بني يكون في آخر الزمان فثناه

ذلك عنها. وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده. قال قال عبد الله بن سلام: إن

(١) في سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي: حرتنا. (٢) أتوكف: أنتظر خروجه واستشعر؛ وفي الدلائل: أتوقع. أطل زمانه أي أشرف وقرب. (٣) المراد هنا حين غزا صلى الله عليه وسلم بني قريظة عقب منصرفه من غزوة الخندق. [*]

[٢٨٠]

الله لما أراد هدى زيد بن سعية قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلما. قال فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فذكر قصة إسلافه للنبي صلى الله عليه وسلم مالا في ثمرة، قال فلما حل الأجل أتيت فآخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمطل، قال فنظر إلي عمر وعيناها يدوران في وجهه كالفلك المستدير. ثم قال يا عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع، وتفعل ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم. ثم قال: " أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه. وزد عشرين صاعا من ثمر " فأسلم زيد بن سعية رضي الله عنه. وشهد بقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي، عام تبوك رحمه الله. ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه فقال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس. قال حدثني سلمان الفارسي - من فيه - قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي (١) وكان أبي دهقان (٢) قرينه وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية، حتى كنت فطن (٣) النار التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال وكانت لابي ضيمة عظيمة، قال فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. ثم قال لي ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري. قال فخرجت أريد ضيعة التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون. وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم. وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم أتها. ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن أمره كله. فلما جئت قال: أي بني أين كنت ألم أكن أعهد إليك ما عهدته؟ قال قلت

(١) جي: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن خراب منفردة، وتسمى الآن عند العجم شهرستان وعند المحدثين المدينة. معجم البلدان ٢ / ٢٠٢ وفي رواية أنه من رامهرمز فلعله ولد بها ونشأ في جي كما في دلائل أبي نعيم (٢١٣). (٢) الدهقان: معربة وهو شيخ القرية، العارف بالفلاحة وما يصلح الأرض من الشجر يلجأ إليه في معرفة ذلك. (٣) فطن النار: خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تخبو. [*]

يا أبة مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبتني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا. قال فخافني فجعل في رجلي قيذا ثم حبسني في بيته، قال وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام فجأؤوني (١) النصارى فأخبروني بهم. فقلت [لهم] إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم. فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا الاسقف في الكنيسة. قال فجئته فقلت له: إنني رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، فأصلي معك. قال ادخل، فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئا كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال واغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع. ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفونه. فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئا. قال فقالوا لي: وما علمك بذلك ؟ قال فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا [عليه]. قال فأربيتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفعه أبداً قال فصليوه ورحموا بالحجارة. وجأؤوا برجل آخر فوضعه مكانه. قال سلمان فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه [و] أزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً [منه]. قال فأحببتني حبا لم أحب شيئا قبله مثله. قال فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له إنني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني به ؟ قال أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل. فقلت [له]: يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره، فقال لي أقم عندي. فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين (٢) وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته

(١) كذا في الاصل والنسخ المطبوعة ؛ وفي سيرة ابن هشام تجار من النصارى، وفي دلائل البيهقي: ناس تجارتهم. (٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين الموصل ستة أيام. [*]

خبري وما أمرني به صاحباي. فقال أقم عندي فأقمت عنده. فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية (١) من أرض الروم فإنه على

مثل ما نحن عليه. فإن أحببت فائته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري ؛ فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان إنني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان. ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال أي بني، والله ما أعلم أصيح [اليوم] أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، مبعوث بدين إبراهيم يرحل بأرض العرب مهاجرة إلى الأرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كنفية خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مربي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فاعطيتموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي. فبينما أنا عنده إلى قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت بها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل. وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة (٢). والله إنهم لمجتمعون الآن بقاء (٣) على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال سلمان فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتى طننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال فغضب سيدي فلكنمني لكمة شديدة. ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك، قال فقلت لا شئ إنما أردت أن استثبتت عما قال. قال وقد كان عندي شئ قد جمعته فلما أمسيت أخذته. ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو بقاء - فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم. قال فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه " كلوا " وأمسك يده

(١) عمورية: بلد في بلاد الروم غراه المعتمض. وسميت بعمورية بنت الروم بن اليغز بن سام بن نوح. (٢) قيلة: بنت كاهل بعد عذرة. من قضاة أم الاوس والخزرج. (٣) قباء: اسم بئر عرفت القرية بها، وتقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. [*]

[٢٨٣]

فلم يأكل، فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ثم جئته فقلت له إنني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها. قال فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال فقلت في نفسي هاتان ثنتان. قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببيع الغرق قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان (١) وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه. ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أنني استثبتت في شئ وصف لي. فألقي رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفتني، فأكبت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه

وسلم: " تحول " فتحولت بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتكم يا بن عباس. فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد. قال سلمان. ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كاتب يا سلمان " فكاتبني صاحبني علي ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير (٢) وأربعين أوقية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، " لأصحابه " أعيونوا أخاكم " فأعانوني في النخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشرة (٣). يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فانتني أكن أنا أضعها بيدي ". قال: ففقرت، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها. فجعلنا نقرب إليه الودي، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة (٤). فأديت النخل وبقي علي المال. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن. فقال " ما فعل الفارسي المكاتب ؟ " قال فدعيت له قال " خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان " قال قلت: وأين تقع هذه مما علي يا رسول الله ؟ قال: " خذها فإن الله سيؤدي بها عنك " قال فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد (٥).

(١) في سيرة ابن هشام والبيهقي: وعلي شملتان لي، والشملة: الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان، أي يلتحف به. (٢) كذا في الاصول: أبي بالحفر والغرس يقال فقرت الارض إذا حفرتها، وفي النهاية: فقير النخلة: حفرة تخفر للفسيلة إذا حولت لغرس فيها. (٣) الصواب بعشر (سيرة ابن هشام - دلائل البيهقي). (٤) في الروض الانف: أن سلمان غرس ودية واحدة بيده وغرس الباقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاشت كلها إلا التي غرسها سلمان. (ابن سيد الناس) - البخاري، (٥) خير إسلام سلمان الفارسي في طبقات ابن سعد، ودلائل النبوة لابي نعيم (٢١٣) ومسنند أحمد ٥ / ٤٢٨ تاريخ الاسلام للذهبي (٢ / ٥٢) تهذيب تاريخ دمشق (٦ / ١٩٢) والخصائص الكبرى للسيوطي (١ / ٤٥) عيون الاثر (٦٠ / ٦٨). [*]

[٢٨٤]

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حسب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها علي لسانه، ثم قال: " خذها فأوفهم منها " فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية. وقال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له: إيت كذا وكذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلان بين غيظتين (١) يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم إلا شففي، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك، حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيظتين إلى الاخرى. فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شففي، وغلبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه. قال فتناولته فقال: من هذا ؟ والتفت إلي قال قلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم، قال إنك لتسأل عن شئ ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأته فهو يحملك عليه. ثم دخل. فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لسلمان: " لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم " هكذا وقع في هذه الرواية. وفيها رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة. وقد قيل إنه الحسن بن عمارة ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضي الله عنه. قوله لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جدا بل منكر. فإن الفترة أقل ما قيل فيها إنها أربعمئة سنة، وقيل ستمائة سنة بالشمسية، وسلمان أكثر ما قيل إنه عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة. وحكى العباس ابن يزيد البحراني إجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة. واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمئة وخمسين سنة والله أعلم. والظاهر أنه قال لقد لقيت وصي عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب. وقال السهيلي: الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة. لأن ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعدما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب فأخبرهما أنه لم يقتل وبعث الحواريين بعد ذلك. قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مرارا ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حينئذ امرأة من بني جذام وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقي (٢) في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن

(١) الغيبة: الشجر الملتف، (٢) دلائل النبوة ج ٢ / ٩٢، [*]

[٢٨٥]

محمد بن إسحاق كما تقدم ورواها أيضا عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبي طالب. حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صفرة (٢) عن سماك بن حرب عن يزيد (٢) بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول إسلامه. فذكر قصة طويلة وذكر أنه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غني وكان سلمان فقيرا في كنف أخيه، وأن ابن دهبانها كان صاحبها له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم فساله سلمان أن يذهب به معه إليهم فقال له إنك غلام واخشى أن تتم عليهم فيقتلهم أبي، فالتزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فإذا هم ستة - أو سبعة - كأن الروح قد خرجت منهم من العبادة بصوموم النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسول المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات. وقالوا له يا غلام إن لك ربا وإن لك معادا وإن بين يديك جنة ونارا وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه. ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ثم لزمهم سلمان بالكيفية ثم أجلاهم ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان إليهم عن أرضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم وعلى أخيه الذي هو أكبر منه فقال إنني مشغول بنفسي في طلب المعيشة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم فأبيت إلا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا واديا بين جبال فتحدر إليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عني فيثنون علي خيرا، وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأثنى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أيدوا به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد فيخرج إليهم ويعظهم ويأمرهم وينهاهم فمكث على ذلك مدة طويلة، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان إليه

قال فكان فيما يمشي يلتفت إلي ويقبل علي فيعظني ويخبرني أن لي ربا وأن بين يدي جنة ونارا وحسابا ويعلمني ويذكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الاحد قال فيما يقول لي: يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من تهامة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم [النبوة] وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه، قلت له وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال وإن أمرك فإن الحق فيما يجئ به ورضي الرحمن فيما قال. ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقفه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح، فلما استيقظ ذكر

(١) كذا في الاصل، والصواب كما في الدلائل حاتم بن أبي صغيرة، وهو أبو يونس البصري، وأبو صغيرة اسمه مسلم وهو جده لأمه وقيل زوج أمه، ثقة / التقريب ١ / ١٢٧. (٢) كذا في الاصل وفي الدلائل: زيد بن صوحان. [*]

[٢٨٦]

الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقعد فقال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئا وها أنا أسألك فنظر فلم يجد أحدا فأخذ بيده وقال قم بسم الله فقام وليس به بأس ولا قلبه كأنما نشط من عقال. فقال لي يا عبد الله احمل علي متاعي حتى أذهب إلى أهلي فأبشروهم، فاشتغلت به ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدر أين ذهب وكلما سألت عنه قوما قالوا أمامك حتى لقيني ركب من العرب من بني كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بعيره فحملني خلفه حتى أتوا بي بلادهم. فباعوني فاشتريتها امرأة من الانصار فجعلتني في حائط لها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما راه آمن من ساعته. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره الذي جرى له. قال فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فاشتراه من سيده فاعتقه، قال ثم سألته يوما عن دين النصارى فقال: لا خير فيهم. قال فوقع في نفسي من أولئك الذين صحبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي ببيت المقدس فدخلني من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) [المائدة: ٨٢] فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) الآيات. ثم قال: " يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين " فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتباعك. فقلت له: فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال: نعم، فاتركه فإن الحق وما يرضى الله فيما يأمرك. وفي هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن إسحاق وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسنادا وأحسن اقتصاصا وأقرب إلى ما رواه البخاري في صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر، من رب إلى رب، أي من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم. قال السهيلي: تداوله ثلاثون سيدا من سيد إلى سيد، فالله أعلم. وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم في الدلائل وأورد لها أسانيد وألفاظا كثيرة، وفي بعضها أن اسم سيده التي كاتبته حلبة فالله أعلم. ذكر أخبار غريبة في ذلك. قال أبو نعيم في

الدلائل: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي (١)
حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السوية المنقري حدثنا
عباد بن كسيب عن أبيه عن أبي

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري يعرف بـزكرويه. [*]

[٢٨٧]

عتوارة الخزاعي عن سعير بن سواده العامري قال كنت عشيقا
لعقيلة من عقائل الحي، أركب لها الصعب والذلول لا أبقى من البلاد
مسرحا أرجوا ريحا في متجر إلا أتيت، فانصرفت من الشام بحرث
وأناث أريد به كبة (١) الموسم ودهماء العرب، فدخلت مكة بليل
مسدفة فأقمت حتى تعرى عني قميص الليل فرفعت رأسي فإذا
قباب مسامته شعف الجبال، مضروبة بأنطاع الطائف وإذا جزر تنجر
وأخرى تساق، وإذا أكلة وحثنة على الطهارة يقولون: ألا عجلوا ألا
عجلوا، وإذا رجل يجهر على نشز من الأرض، ينادي يا وفد الله ميلوا
إلى الغداء. وأنيسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم فليرح
إلى العشاء، فجهرني (٢) ما رأيت فأقبلت أريد عميد القوم، فعرف
رجل الذي بي، فقال أمامك، وإذا شيخ كأن في خديه الاساريع (٣)،
وكان الشعري توقد من جبينه، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد
أبرز من ملائها جملة فينانة كأنها سماسم. قال في بعض الروايات
تحتة كرسي سماسم (٤) ومن دونها نمرقة بيده قضيب متخصر به
حوله شمايخ جلس نواكس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة. وقد
كان نمي إلي خير من أخبار الشام أن النبي الامي هذا أوان نجومه،
فلما رأته ظننته ذلك. فقلت السلام عليك يا رسول الله. فقال: مه
مه، كلا وكأن قد وليتني إياه فقلت من هذا الشيخ؟ فقالوا هذا أبو
نضلة (٥)، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجد
لا مجد آل جفنة - يعني ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم
آل جفنة -. وهذه الوظيفة التي حكاه عن هاشم هي الرفاة يعني
إطعام الحجيج زمن الموسم. وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد
بن جعفر حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى حدثنا سعيد بن
عثمان حدثنا علي بن قتيبة الخراساني حدثنا خالد بن الياس عن
أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده. قال سمعت أبا
طالب يحدث عن عبد المطلب قال. بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت
رؤيا هالنتني ففزعت منها فزعا شديدا، فأتيت كاهنة قريش وعلي
مطرف خز وجمتي تضرب منكبي فلما نظرت إلي عرفت في وجهي
التغيير وأنا يومئذ سيد قومي فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغير
اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شئ؟ فقلت لها بلى! وكان لا
يكلمها أحد من الناس حتي يقبل يدها اليميني، ثم يضع يده على أم
رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفعل لاني [كنت]

(١) كبة: الزحام. (٢) جهرنني: راغمني. (٣) الاساريع: خطوط وطرائق؛ وقد تكون: الدود
بيض حمر الرؤوس واحدها أسروع ويسروع (قاموس محيط (سرع). (٤) سماسم:
الأولى عيدان السمسم. والثانية خشب أسود. (٥) نضلة أحد أبناء هاشم. [*]

[٢٨٨]

كبير قومي. فجلست فقلت إنني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن
شجرة تنبت (١) قد نال رأسها السماء وضربت بأعصانها المشرق
والمغرب، وما رأيت نورا أزهق منها أعظم من نور الشمس سبعين

ضعفا. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تزهو، ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها. فإذا دنوا منها أخرجهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظفرهم، ويقلع أعينهم. فرفعت يدي لا تناول منها نصيبا، فمنعني الشاب فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس ثم قال - يعني عبد المطلب - لابي طالب، لعلك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعدما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما بعث. ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الامين، فيقال لابي طالب ألا تؤمن؟ فيقول السبية والعار وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العباس بن يكار الضبي حدثنا أبو بكر الذهلي عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال العباس: خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوما طعاما وانصرف بأبي سفيان والنفر ويصنع أبو سفيان يوما، ويفعل مثل ذلك، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه، هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلي غداءك؟ فقلت نعم. فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله فقلت أي بني أخى؟ فقال أبو سفيان إياي تكتم؟ وأي بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد؟ قلت وأيهم على ذلك؟ قال: هو محمد بن عبد الله، فقلت قد فعل؟ قال بلى قد فعل. وأخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه: أخبرك أن محمدا قام بالابطح فقال: "أنا رسول أدعوكم إلى الله عزوجل" فقال العباس قلت: جده يا أبا حنظلة صادق. فقال مهلا يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا، إني لا أخشى أن يكون على ضير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة، كل واحدة منهما غاية. لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت نعم قد سمعت. قال فهذه والله شؤمكم. قلت فلعلها يمتتنا، قال فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن، ففتشا ذلك في مجالس اليمن، وكان أبو سفيان يجلس مجلسا باليمن يتحدث فيه خبر من أخبار اليهود، فقال له اليهودي ما هذا الخبر؟ بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان صدقوا وأنا عمه، فقال اليهودي أخو أبيه؟ قال نعم! قال

(١) في الدلائل والخصائص: نبتت. [*]

[٢٨٩]

فحدثني عنه قال لا تسألني ما أحب أن يدعى هذا الامر أبدا، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه، فأرى اليهودي أنه لا يغمس عليه ولا يحب أن يعيبه. فقال اليهودي ليس به بأس على اليهود، وتوراة موسى. قال العباس فناداني الحبر، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر، فقلت للحبر بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرك أنه عمه، وليس بعمه. ولكن ابن عمه وأنا عمه وأخو أبيه. قال أخو أبيه؟ قلت أخو أبيه، فأقبل على أبي سفيان فقال صدق؟ قال نعم صدق، فقلت: سلني فإن كذبت فليرد علي، فأقبل علي فقال نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان، وإنه كان اسمه عند قريش

الامين. قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت أنه خير له أن يكتب بيده فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر ونزل رداؤه وقال ذبحت يهود، وقتلت يهود. قال العباس فلما رجعنا إلى منزلنا، قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تفزع من ابن أخيك، قلت قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقا كنت قد سبقت وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكفائك ؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كداء (١)، قلت ما تقول ؟ قال كلمة جاءت على فمي إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء. قال العباس فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء، قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟ قال: إي والله إنني لذاكرها فالحمد لله الذي هداني للإسلام. وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وإن كان في رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم. وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت، وهو شبيه بهذا الباب وهو من أعرب الاخبار وأحسن السياقات وعليه النور. وسيأتي أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله، واستدلله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته. وقال له: كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم، ولو أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقيه. ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ولئن كان ما تقول حقا ليملكن موضع قدمي هاتين. وكذلك وقع والله الحمد والمنة. وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والخبار عن الرهبان والاحبار العرب. فأكثر وأطنب وأحسن وأطيب رحمه الله ورضي عنه. قصة عمرو بن مرة الجهني قال الطبراني: حدثنا علي بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي حدثنا عبد الله بن داود بن دلهاث

(١) كداء: ثنية بأعلى مكة عند المحصب. [*]

[٣٩٠]

ابن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبي عن أبيه دلهاث عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال: خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في نومي وأنا بمكة، نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب. وأشعر جهينة. فسمعت صوتا بين النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الانبياء (١). ثم أضاء إضاءة أخرى، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن (٢)، وسمعت صوتا من النور وهو يقول: ظهر الاسلام، وكسرت الاصنام، ووصلت الارحام، فانتبهت فرعا فقلت لقومي: والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث - وأخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاءني [الخبر أن رجلا] (٣) يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته (٤) بما رأيت. فقال [لي]: " يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة. أدعوهم إلى الاسلام، وأمرهم بحقن الدماء وصللة الارحام، وعبادة الله ورفض الاصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا. فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار. فأمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم " فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله أمنت بما جئت من حلال وحرام، وإن رعم ذلك كثيرا من الأقوام، ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به. وكان لنا صنم. وكان أبي سادنا له ففقت إليه فكسرت. ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول: شهدت بأن الله حق وإنني * لألهمه الاحجار أول تارك وشمرت عن ساق الازار مهاجرا * إليك أجوب القفر بعد الدكادك (٥) لاصحب خير الناس نفسا ووالدا

* رسول مليك الناس فوق الحبايك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مرحيا بك يا عمرو بن مرة " فقلت يا رسول الله ابعثني إلى قومي. لعل الله يمن عليهم بي كما من علي بك، فبعثني إليهم. وقال: " عليك بالرفق والقول السديد. ولا

(١) ورد في دلائل النبوة للبيهقي: ومنها حديث عمرو بن مرة الغطفاني فيما رأى من النور الساطع في الكعبة في نومه ثم ما سمع من الصوت: أقبل حق فسطع * ودمر باطل فانقمع (٢) أبيض المدائن: قصر كسرى. (٣) في الاصل جاءني رجل ؛ وهو تصحيف والزيادة من الوفا. فالسياق ما أورده ابن سعد في الطبقات، يقتضي ذلك. (٤) في طبقات ابن سعد: قال عمرو بن مرة: كان لنا صنم وكنا نعظمه، وكنت سادته، فلما سمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم كسرتة وخرجت حتى أقدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وشهدت شهادة الحق وأمنت بما جاء به من حلال وحرام. (٥) في الطبقات: الوعث بدل القفر. ج ١ / ٣٣٣. [*]

[٣٩١]

تكن فظا. ولا متكبرا ولا حسودا " فذكر أنه أتى قومه، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا كلهم. إلا رجلا واحدا منهم (١)، وإنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرحب بهم وحياهم. وكتب لهم كتابا هذه نسخته: " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله [العزيز] على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكتاب صادق، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد: إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، تزرعون نباته وتشربون صافيه، على أن تقروا بالخمسة، وتصلوا صلاة الخمس وفي التبعية والصريمة ان اجتمعنا وان تفرقتا شاة شاة، ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس " (٢). وذكر شعرا قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط في المسند الكبير وباللغة والثقة وعليه التكلان. وقال الله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) [الاحزاب: ٧] قال كثيرون من السلف: لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم (ألست بربكم؟) أخذ من النبيين ميثاقا خاصا ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي

(١) زاد في الطبقات ١ / ٣٣٤: فدعا عليه عمرو بن مرة، فسقط فوه، فما كان يقدر على الكلام وعمي واحتاج. (٢) نص الكتاب كما ورد في جمع الجوامع للسيوطي وابن عساکر: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز على لسان رسوله بحق صادق وكتاب ناطق، مع عمرو بن مرة، لجهينة بن زيد: إن لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها على أن تؤدوا الخمس. وفي التبعية والصريمة شاتان إذا اجتمعنا ؛ فإن فرقنا فشاة فشاة، ليس على أهل المثير صدقة، ولا على الوردة لبقة، والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين كتاب (كذا) قيس بن شماس. شرحه: يقال لكل غامض بطن، ولكل ظاهر ظهر. سهولها: سهل الأرض ضد الحزن ؛ فسهل الأرض غير الخشن منها القابل للحزن والغرس تلاع الأودية: ما انحدر من الأودية وما اتسع من فوهة الوادي. التبعية: الاربعون من الغنم الصدقة. وقيل الاربعون من الغنم من غير أن يخص صدقة أو غيرها. الصريمة: تصغير الصرمة، وهي القطيع من الابل قبل من العشرين إلى الثلاثين إلى الاربعين والمراد بها من مائة وإحدى وعشرين إلى المائتين، إذا اجتمعت فيها شاتان فإن كانت لرجلين وفرق بينهما فعلى كل واحد منهما شاة. المثيرة: بقر الحرت لأنها تثير الأرض وذلك أرفاقا بهم ومدارة لهم. الوردة لبقة: الوارد الذي يتقدم القوم فيسقي لهم. اللبقة: أي ليس عليهم أن يعطوا لمن يرد مياهم من المسلمين الظروف، يعني لعل المراد أنه لا يجب عليهم قرى عساكر المسلمين وإعاتهم حتى لبقة للماء التي لا كلفة في إعطائها. [*]

العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب "دلائل النبوة" من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم متى وحيت لك النبوة؟ قال: "بين خلق آدم ونفخ الروح فيه" وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم. وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر النخعي حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي (١). قال قال عمر: يا رسول الله، متى جعلت نبيا؟ قال: "وأدم منجدل في الطين" ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: "وأدم بين الروح والجسد" وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم. والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله. وإذا كان الامر كذلك فنور محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم. وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره. وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الامام أحمد. حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرياض بن سارية. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنني عند (٢) الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت. وكذلك أمهات المؤمنين يرين" ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد "إنه أمه رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام" وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: "وأدم بين الروح والجسد"، إسناده جيد أيضا وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به. ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: "وأدم بين الروح والجسد".

(١) نسبة إلى صنابح بن زاهر بن عامر بن عوثيان بن زاهر بن ياحبر (اللباب). قال في التقريب: ابن أعسر الاحمسي صحابي سكن الكوفة، ومن قال فيه الصنابحي فقد وهم ١ / ٢٧٠. (٢) كذا في الاصل. وفي مسند أحمد ج ٤ / ١٢٧ عبد الله؛ وفي السيوطي فكالاصل عند الله. أمهات المؤمنين: كذا في الاصل وفي مسند أحمد ودلائل البيهقي: أمهات النبيين. [*]

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة (١): حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال: "كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث" ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقيع عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعا مثله. وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله. وهذا أثبت وأصح والله

أعلم. وهذا إخبار عن التنويه يذكره في الملا الاعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وأده لم ينفخ فيه الروح، لان علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملا الاعلى والله أعلم. وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم " وزاد أبو نعيم في آخره: فكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة. وهو السابق يوم القيامة. لانه أول مكتوب في النبوة والعهد. ثم قال: ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم. ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد. وروى الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمد ولم أخلقه بعد ؟ فقال يا رب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فأريت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك " قال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم (٢). وقد قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم

(١) الحديث لم يرد في دلائل النبوة لابي نعيم المطبوع، رواه السيوطي في الخصائص ج ١ / ٧ عن أبي نعيم من طرق عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. (٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ / ٤٨٩. وعبد الرحمن ضعفه يحيى بن معين، والامام أحمد والنسائي. وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٢) / ٣٣١ الميزان (٢ / ٥٦٤). [*]

[٢٩٤]

رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون] آل عمران: ٨١ - ٨٢ [قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الانبياء وإعلام لهم ومنهم برسألته في آخر الزمان. وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين. وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) [البقرة: ١٢٩] فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الارض على لسان إبراهيم الخليل أكرم الانبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الانبياء. ولهذا قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبي الله ما كان بدء أمرك ؟ قال: " دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام " (١) تفرد به الامام أحمد ولم

يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة. وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريق أن إعرابيا قال يارسول الله أي شئ كان أول أمر نبوتك ؟ فقال: " أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم. ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام ". وقال الامام محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يارسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: " دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى. ورأت أمي حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصري من أرض الشام " (٢) إسناده جيد أيضا. وفيه بشارة لاهل محلتنا أرض بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، ولله الحمد والمنة ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كما سيأتي بيانه. وقد قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه. والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها. وبها مبارك الناقة التي يقال لها ناقة

(١) مسند أحمد ج ٤ / ١٣٧ - ١٣٨ و ٥ / ٢٦٢ والحاكم في المستدرک ٢ / ٦٠٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ؛ وأقره الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٢ و ٢٢٣ وقال: رواه أحمد والطبراني والبخاري وأحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان. (٢) سيرة ابن هشام ١ / ١٧٠ ورواه ابن سعد في الطبقات ١ / ١٠٢. وضححه الحاكم في المستدرک ٢ / ٦٠٠ وأقره الذهبي. [*]

[٢٩٥]

رسول الله صلى الله عليه وسلم برکت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر. ثم نقل وبنى عليه مسجد مشهور اليوم. وهي المدينة التي أضاءت أعناق الابل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " تخرج نار من أرض الحجاز تضيئ لها أعناق الابل ببصرى " وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان. وقال الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الاعراف: ١٥٧] الآية. قال الامام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجريري، عن أبي صخر العقيلي، حدثني رجل من الاعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما فرغت من بيعي قلت لالقين هذا الرجل فلاسمعن منه. قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهما حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتیان وأجملهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ " فقال برأسه هكذا - أي لا - فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله. فقال: " أقيموا اليهودي عن أخيكم " ثم ولى كفته والصلاة عليه. هذا إسناده جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١). وقال أبو القاسم البغوي حدثنا عبد الواحد بن غياث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عصام بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم وذكر أن خاله قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ شخص بصره إلى رجل فإذا يهودي عليه قميص

وسراويل ونعلان. قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه وهو يقول: يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنشهد أني رسول الله ؟ " قال لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتقرأ التوراة ؟ " قال نعم قال: " أتقرأ الانجيل ؟ " قال نعم. قال: " والقرآن ؟ " قال لا. ولو تشاء قرأته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فيم تقرأ التوراة والانجيل، أتجدني نبيا ؟ " قال إنا نجد نعتك ومخرجك. فلما خرجت رجونا أن تكون فينا. فلما رأيناك عرفناك أنك لست به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ولم يا يهودي ؟ " قال: إنا نجده مكتوبا، يدخل من أمته الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ولا نرى معك إلا نفرا يسيرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أمتي لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا ". هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه. وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقال: " أخرجوا أعلمكم " فقالوا عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فناشده بدينه، وما أنعم الله به عليهم، وأطعمهم من المن

(١) أخرج البيهقي من طريق حماد عن ثابت عن أنس: عن غلام يهودي كان يخدم النبي... دلائل النبوة ج ٦ / ٢٧٢. وأخرجه أحمد في مسنده ج ٥ / ٤١١. [*]

[٢٩٦]

والسلوى، وظللهم به من الغمام " أتعلمني رسول الله ؟ قال اللهم نعم. وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وأن صفتك ونعتك لمبين في التوراة. ولكنهم حسدوك. قال: " فما يمنعك أنت ؟ " قال أكره خلاف قومي. وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم (١). وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى، وأخيه، والمصدق بما جاء به موسى، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة، إنكم تجدون ذلك في كتابكم؛ إن محمدا: (رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما). واني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أبيض البحر لأبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم، قد تبين الرشد من الغي. وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم " (٢). وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب " المبتدأ " عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الاحبار، وروى غيره عن وهب بن منبه أن يختصر بعد أن خرب بيت المقدس واستذل بني إسرائيل بسبع سنين، رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته فجمع الكهنة والحزار، وسألهم عن رؤياه تلك. فقالوا ليقصها الملك حتى نخبره بتأويلها. فقال: إني نسيتها، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم. فذهبوا خائفين وجلين من وعيده. فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه. فقال للسجان: اذهب إليه فقل له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها. فذهب إليه فأعلمه فطلبه، فلما دخل عليه لم يسجد له. فقال له ما منعك من السجود لي ؟ فقال: إن الله آتاني علما وعلمني وأمرني أن لا أسجد لغيره. فقال له يختصر إني أحب الذين يوفون لاربابهم بالعهد. فأخبرني عن رؤياي. قال له

دانيال: رأيت صنما عظيما رجلاه في الارض ورأسه في السماء،
أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من
حديد، ورجلاه من

(١) اخرج البيهقي عن أبي هريرة في حديث طويل، في جزء منه ما أورده ابن إسحاق. دلائل ج ٦ / ٣٦٩ - ٣٧٠. (٢) الكتاب مصدره: كنز العمال ج ٥ / ٢٨٥ عن ابن إسحاق، وأبي نعيم عن ابن عباس؛ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٧ عن سيرة ابن هشام طبع أوروبا ص ٣٧٦ و ٣٧٧ وإعلام السائلين، ونصب الرابة للزليعي رقم ٧ عن أبي نعيم. [*]

[٢٩٧]

فخار، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته فذفه الله بحجر من السماء. فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى تخيل لك أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك. ونظرت إلى الحجر الذي فذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملا الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء. فقال له بختنصر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها؟ فقال دانيال أما الصنم فأمر مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره؛ وأما الحجر الذي فذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الامم في آخر الزمان فيظهره عليها فيبعث الله نبيا أميا من العرب فيدوخ به الامم والاديان كما رأيت الحجر دوح أصناف الصنم ويظهر على الاديان والامم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها، فيمحص الله به الحق ويزهق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الامين ويقوى به الضعفة ويعز به الاذلة وينصر به المستضعفين. وذكر تمام القصة في اطلاق بختنصر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام، وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من سؤال هرقل لابي سفيان صخر بن حرب وذكر أنه سأل أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم في الدلائل. وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمدارس (١) اليهود فقال لهم: " يا معشر اليهود اسلموا فوالذي نفسي بيده إنكم لتجدون صفتي في كتبكم " الحديث. وقال الامام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للاميين، أنت عبي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا. ورواه البخاري عن محمد بن سنان العوفي (٢) عن فليح به. ورواه أيضا عن عبد الله - قيل ابن رجاء، وقيل ابن صالح (٣) - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علوية ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة. ورواه ابن جرير من حديث فليح عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء. فلقيت كعبا فسألته عن

(١) كذا في الاصل، والصواب مدارس وهو عند اليهود البيت الذي يقرأون فيه كتبهم.
(٢) كذا في الاصل العوفي؛ والصواب العوفي وهو محمد بن سنان الباهلي العوفي أبو بكر البصري ثقة ثبت (تقريب التهذيب ٢ / ١٦٧). (٣) هكذا ورد في رواية البخاري، وفي رواية أبي ذر وابن السكن " عبد الله بن مسلمة " وتردد أبو مسعود بين أن يكون

ابن رجاء أو ابن صالح كاتب الليث. وقال أبو علي الجبائي: عندي أنه ابن صالح. ورجحه
المزي في تحفة الأشراف. وقال ابن حجر في النكت: حدثنا عبد الله بن مسلمة -
يعني القعنبى. [*]

[٢٩٨]

ذلك فما اختلف حرفا، وقال (١) في " البيوع ": وقال سعيد عن هلال
عن عطاء عن عبد الله بن سلام. قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا
أبو الحسين بن المفضل (٢) القطان حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا
يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد بن يزيد
عن سعيد بن أبي هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام
(٣) أنه كان يقول: إنا لنجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين، أنت عبدي ورسولي،
سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا
يجزئ السيئة بمثلها ولكن يعفو [ويغفر] ويتجاوز ولن يقبضه حتى
يقيم به الملة العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا
وأذانا صما وقلوبا غلفا. وقال عطاء بن يسار: وأخبرني الليثي (٤) أنه
سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام. قلت: وهذا عن عبد
الله بن سلام أشبهه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر، مع أنه
كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث
عنهما كثيرا، وليعلم أن كثيرا من السلف كانوا يطلقون التوراة على
كتب أهل الكتاب فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى
وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث. وقال يونس عن محمد بن إسحاق
حدثني محمد بن ثابت بن شريحيل عن ابن أبي أوفى عن أم الدرداء
قالت قلت لكعب الأحبار كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في التوراة قال نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا صحاب (٥) في الأسواق وأعطى المفاتيح فيبصر
الله به أعينا عورا ويسمع أذانا وقرأ ويقيم به أسنا معوجة حتى
يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له يعين به المظلوم ويمنعه.
وقد روي عن كعب من غير هذا الوجه (٦). وروى البيهقي (٧) عن
الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن

(١) قال: أي البخاري في كتاب البيوع. (٢) في دلائل البيهقي ج ١ / ٢٧٦: الفضل. (٣)
هو عبد الله بن سلام بن الحارث الامام الحبر المشهود له بالجنة أبو الحارث
الاسرائيلي حليف الانصار من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. حدث عنه
الصحابة، وله إسلام قديم بعد أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو من
أحبار اليهود. له ترجمة في طبقات ابن سعد (٢ / ٣٥٢) الاصابة (٢ / ٣٢٠) تهذيب
التهذيب (٥ / ٢٤٩) العبر (١ / ٥١). (٤) هو أبو واقد الليثي من الصحابة. له ترجمة في
الاصابة. (٥) رواه البيهقي في الدلائل ج ١ / ٣٧٦ وابن عساکر في التاريخ ١ / ٣٤٢
وأسقط البيهقي ابن أبي أوفى. وفيه: ولا سخاب بدل صحاب. (٦) رواه البيهقي ج ١ /
٣٧٧ وابن سعد في الطبقات ١ / ٣٦٠. [*]

[٢٩٩]

سفيان حدثنا عتبة (١) بن مكرم حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم
حدثنا حمزة بن الزيات عن سليمان الاعمش عن علي بن مدرك عن
أبي زرعة عن أبي هريرة (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) قال: نودوا:
يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن
تسألوني. وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في
الزبور يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا
سيدا لا أعضب عليه أبدا، ولا يفضيني أبدا وقد غفرت له قبل أن
يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمنته مرحومة أعطيتهم من
النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت

على الانبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء. إلى أن قال: يا داود إني فضلت محمدا وأمه على الامم كلها (٢). والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها ولله الحمد. فمن ذلك قوله [تعالى]: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم فقالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) (٣) وقال تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٤) وقال تعالى: (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) (٥) أي أن كان وعدنا ربنا بوجود محمد وإرساله لكائن لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء. وقال تعالى إخبارا عن القسيسين والرهبان (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (٦) وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سيأتي شواهد كثيرة لهذا المعنى ولله الحمد والمنة. وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الاشارة إليه من وصفهم لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته وولد مولده ودار مهاجره ونعت أمته في قصة موسى وشعبا وأرميا ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم أنه قام في بني إسرائيل خطيبا قائلا لهم: (إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه

(٧) دلائل النبوة ج ١ / ٣٨١، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٤٠٨) وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ". (١) في الدلائل: عقبه بن مكرم الضبي. (٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ١ / ٢٨٠ - ٢٨١. (٣) سورة الفصص الايتان ٥٢ و ٥٣. (٤) سورة البقرة الآية ١٤٦. (٥) سورة الاسراء الايتان ١٠٧ و ١٠٨. (٦) سورة المائدة الآية ٨٣. [*]

[٤٠٠]

أحمد) (١). وفي الانجيل البشارة بالفار قليط والمراد محمد صلى الله عليه وسلم. وروى البيهقي عن الحاكم عن الاصم (٢) عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حرب (٣) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مكتوب في الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق ولا يجزي بالسينة مثلها بل يعفو ويصفح " وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلي حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن مريم جد في أمري واسمع واطع يابن الطاهرة البكر البتول - أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فأبائي فاعبد [وعلي فتوكل] فبين لاهل سوران بالسريانية، وبلغ من بين يديك: إني أنا الحق القائم (٤) الذي لا أزول صدقوا بالنبي الامي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة - وهي التاج - والنعلين والهرآوة - وهي القضيب - الجعد الرأس الصلت (٥) الجبين المقرون الحاجبين الانجل العينين الاهدب الاشغار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبتة إلى سرتة تجري كالقضب ليس في بطنه شعر غيره (٦) شثن (٧) الكف والقدم إذا جاء مع الناس غمرهم وإذا مشي كأنما ينقلع (٨) من الصخر ويتحدر من صلب ذو النسل القليل - وكأنه أراد الذكور من صلبه - هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان. وروى البيهقي عن عثمان (٩) بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض

عمومتي وآبائي أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وبقيت عندهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذكر وهاله وأتوه بها مكتوب فيها: بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب. هذا الذكر لامة تأتي في آخر الزمان ليبلون (١٠) أطرافهم ويوترون على أوساطهم ويخوضون البحور إلى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، وفي عاد ما أهلكوا بالريح، وفي ثمود ما

(١) سورة الصف الآية ٦. (٢) دلائل النبوة ج ١ / ٣٧٧: أبو العباس محمد بن يعقوب، (٣) في الدلائل: ابن حريث. (٤) في الدلائل: الله الحي القيوم. (٥) الصلت الجبين: الواضح، وفي رواية أخرى: أسيل الجبين والمفروق الحاجبين بدل المقرون. (٦) العبارة في الدلائل: ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره. (٧) ششن: الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين. (٨) ينقلع: المشي بقوة. وينحدر من صيب: الصيب: الحدور، ويقول انحدرتا في صيوب وصيب. (٩) في الدلائل ج ١ / ٣٨٢ عن عمرو بن الحكم. عم عبد الحميد بن جعفر. قال فيه أبو حاتم: حديث مرسل وهو منكر (علل الحديث ٢ / ٤٠١). (١٠) روى الخبر ابن الجوزي في الوفا عن عمر بن حفص: وفيه: يغسلون أطرافهم ويأتزون على أوساطهم. وفي الدلائل: يسيلون أطرافهم ويأتزون على أوساطهم... [*]

[٤٠١]

أهلكوا بالصيحة: بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب. ثم ذكر قصة أخرى. قال فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأت عليه فيها. وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الاعراف: (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) قصة هشام بن العاص الاموي حين بعثه الصديق في سرية إلى هرقل يدعو إلى الله عز وجل. فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رقعة من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذي كانوا عليه. ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائما إكراما له. ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها. قال فقلنا له من أين لك هذه الصورة؟ فقال: إن آدم سأل ربه أن يريه جميع الانبياء من ذلك (١)، فأنزل عليه صورهم، فكان في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين، فدفعها إلى دانيال. ثم قال: أما والله إن نفسي قد طابت بالخروج من ملكي وأني كنت عبدا لاشركم ملكة حتى أموت (٢). ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا. فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا، قال فيكى وقال: مسكين لو أراد الله به خيرا لفعل، ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد عندهم. رواه الحاكم بطوله فليكتبها هنا من التفسير. ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣). وقال الاموي: حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق. قال وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال: قدمت بريق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا، فمر أبو بكر فقلت أهو هذا؟ قالوا لا، فمر عمر فقلت أهو هذا؟ قالوا لا فدخلنا الدار فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوني يا عمرو هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوبا عندهم. وقد تقدم إنذار سباً لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر أسلفناه في ترجمته فأغنى عن إعادته، وتقدم قول الحبرين من اليهود لتبع اليماني حين حاصر أهل المدينة إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها ونظم شعرا يتضمن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم. قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرطبي في كتابه "هواتف الجان": حدثنا علي بن حرب

حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكر
القعنبي - عن

(١) كذا في الاصل، وفي الدلائل: من ولده. (٢) في دلائل البيهقي العبارة: وإن كنت
عبدا لا يترك ملكه حتى أموت. (٣) دلائل النبوة ج ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠. [*]

[٤٠٢]

أحمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن
عبد الله بن عباس. قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابن المنذر -
واسمه النعمان بن قيس - على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسنتين أتمته وفود العرب وشعراؤها تهنئه
وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش
فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميمة بن عبد شمس أبي عبد الله
(١) وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد في أناس من وجوه قريش
فقدموا عليه صنعاء، فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أمية أبي
الصلت: واشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك
محللا فدخل عليه الأذن، فأخبره بمكانهم فأذن لهم، فدنا عبد
المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي
[الملوك] فقد أذنا لك، فقال له عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها
الملك محللا رفيعا صعبا منيعا، شامخا باذخا، وأنبئك منبتا طابت
أرومته، وعذيت جرثومته، وثبت أصله، ويسق فرعه في أكرم موطن
وأطيب معدن (٢). فانت - أبيت اللعن - ملك العرب وربيعها الذي
تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه
العماد، ومقلها الذي يلجأ إليه العباد. وسلفك خير سلف، وأنت لنا
منهم خير خلف. فلن يخمد من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه،
ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي
أبهجك من كشف الكرب الذي قد فدحنا، وقد التهنته لا وفد المرزئة.
قال [له الملك]: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال أنا عبد المطلب بن
هاشم. قال ابن أختنا؟ قال نعم، قال ادن فأدناه، ثم أقبل عليه
وعلى القوم فقال: مرحبا وأهلا وناقة ورحلا، ومستناخا سهلا، وملكا
ريحلا (٣) يعطي عطاء جزلا. قد سمع الملك مقالكم وعرف قرابتكم،
وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم
والحباء إذا طعنتم، ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود، فأقاموا شهرا لا
يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى
عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إنني
مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به. ولكني رأيتك
معدنه فأطلعتك طليعه فليكن عندك مطوبا حتى يأذن الله فيه، فإن
الله بالغ أمره، إنني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي
اخترناه لانفسنا واحتجناه (٤) دون

(١) كلمة أبي عبد الله غير موجودة في دلائل أبي نعيم ٥٢ - ٦٠ ولا في خير البيهقي
في الدلائل ج ٢ / ٩ عن أبي عفير عن أبي زرعة بن سيف بن ذي يزن: وزاد فيه:
وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار. (٢) في دلائل
البيهقي: في أطيح موضع وأكرم معدن. (٣) ربحلا: الكثير العطاء. (٤) في دلائل
البيهقي: الذي ادخرناه لانفسنا واحتجناه. [*]

[٤٠٣]

غيرنا خبرا عظيما، وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرھطك كافة ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سر وير، فما هو فداؤك أهل الوبر زمرا بعد زمر؟ قال إذا ولد بتھامة، غلام به علامة، بين كتفيه شامة كانت له الامامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب - أبيت اللعن - لقد أبت بخير ما أب به وافد، ولولا هيبه الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما ازداد به سرورا. قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه أوقد ولد، واسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه. ولدناه مرارا والله باعته جھارا، وجاعل له منا انصارا يعزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستتبيح بهم كرائم [أهل] الأرض، يكسر الاوثان ويخمد النيران، يعبد الرحمن ويذحر الشيطان، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهي عن المنكر ويبطله. فقال عبد المطلب أيها الملك - عز جدك وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك. فهذا نجارى فهل الملك سار لي (١) بافصاح فقد أوضح لي بعض الايضاح. فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخر عبد المطلب ساجدا فقال: ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك. فقال أيها الملك: كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه أمينة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. قال ابن ذي يزن إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرھط الذين معك فإنني لست آمن أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو ابناؤهم ولولا أنني اعلم أن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مملكته فإنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنني أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره، ولاوطأت أسنان العرب عقبه، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك. قال ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة أماء وبمائة من الابل وحلتين من البرود وبخمسائة ارطال من الذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له: إذا حال الحول فأتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول، فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول: [يا معشر قريش] لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك [وإن كثر] (٢) فإنه إلى نفاذ ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبتي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل له متى ذلك قال سيعلم ولو بعد حين قال وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس: جلبنا النصح تحقبه المطايا * على أكوار أجمال ونوق

(١) عند البيهقي: سارني. (٢) ما بين المعكوفين من دلائل البيهقي. [*]

[٤٠٤]

مقلفة مراتعها تعالى * إلى صنعاء من فج عميق تؤم بنا ابن ذي يزن وتغري * بذات بطونها ذم الطريق وترعى من مخائله بروقا * مواصلة الوميض إلى بروق فلما واصلت صنعاء حلت * بدار الملك والحسب العريق وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار الفعنبي. ثم قال أبو نعيم (١) أخبرت عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن حدثني أبي أبو يزن إبراهيم حدثنا عمي أحمد بن محمد أبو رجاء به حدثنا عمي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه

زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة. وذكره بطوله. وقال أبو بكر الخرائطي حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسي حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية أخبرني أبي عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية عن جده أبي سوية عن أبيه خليفة قال سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن خثعم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمدا؟ فقال سألت أبي عما سألتني عنه، فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا منهم، وسفيان بن مجاشع بن دارم، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدثنا فسمع كلامنا راهب، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هي بلغة هذه البلاد فقلنا نعم نحن قوم من مضر، قال من أي المضرين؟ قلنا من خندف قال أما إنه سيبعث وشيكا نبي خاتم النبيين، فسارعوا إليه وخذوا يحظكم منه ترشدوا. فقلنا له ما اسمه؟ قال: اسمه محمد. قال فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمدا. يعني أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده. وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السمؤال بن عاديأ حدثني جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين بن السمؤال بن عاديأ. قال لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزوج في شبابك فتأبى وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين، وليس لك ولد غير مالك

(١) الخبر ليس في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوعة. ونقل الخبر عن أبي زرعة البيهقي في دلائله بأسانيد مختلفة عما أورده أبو نعيم راجع البيهقي ج ٢ / ٩. [*]

[٤٠٥]

فقال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك إن الذي يخرج النار من الوثيمة (١) قادر أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل إلى الموت ثم أقبل على مالك وقال: أي بني المنية ولا الدنية، العقاب ولا العتاب، التجلد ولا التلدد القبر خير من الفقر، إنه من قل ذل، ومن كر فر، من كرم الكريم الدفع عن الحریم. ولدهر يومان فيوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصطبر، وكلاهما سينحسر، ليس يثبت منهما الملك المتوج، ولا اللئيم المعلهج (٢)، سلم ليومك حياك ربك، ثم أنشأ يقول: شهدت السبايا يوم آل محرق * وأدرك أمري صيحة الله في الحجر (٣) فلم أر ذا ملك من الناس واحدا * ولا سوقة إلا إلى الموت والقبر فعل الذي أردى ثمودا وجرهما * سيعقب لي نسلا على آخر الدهر تقربهم من آل عمرو بن عامر * عيون لدى الداعي إلى طلب الوتر فإن لم تك الأيام أبليين جدتي * وشيين رأسي والمشيب مع العمر فإن لنا ربا علا فوق عرشه * عليما بما يأتي من الخير والشر ألم يأت قومي أن لله دعوة * يفوز بها أهل السعادة والبر إذا بعث المبعوث من آل غالب * بمكة فيما بين مكة والحجر هنالك فابغوا نصره ببلاكم * بني عامر إن السعادة في النصر قال ثم قضى من ساعته. باب في هواتف الجان وقد تقدم كلام شق وسطيح لربيعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، رسول ذكي يأتي إليه الوحي من قبل العلي. وسيأتي في المولد قول سطيح لعبد المسيح: إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب الهراوة يعني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه مفصلا. وقال البخاري (٤) حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمرو - هو محمد بن زيد - أن سالما حدثه عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت

عمر يقول لشيء قط إنني لاطنه إلا كان كما يظن. بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل، فقال لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، علي الرجل، فدعي به فقال له ذلك فقال: ما

(١) الوثيمة: الحجارة. (٢) المملوح: الرجل الاحمق الهذر اللئيم (اللسان). (٣) في الخصائص: عمري بدل أمري، وهو مناسب أكثر. (٤) صحيح البخاري، فتح الباري (٧ / ١٧٧) كتاب مناقب الانصار (٦٢). (٣٥) باب إسلام عمر بن الخطاب. [*]

[٤٠٦]

رأيت كالיום استقبل به رجلا مسلما. قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية، قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال بينما أنا في السوق يوما جاءتني أعرف فيها الفزع. فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها * ويلبسها من بعد أنكاسها؟ ولحوقها بالقلاص وإحلاسها قال عمر صدق بينا أنا نائم عند ألتهتهم جاء رجل بعجل فذبجه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم، فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله، فقامت فما نشبنا أن قيل هذا نبي. تفرد به البخاري (١). وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي. ويقال السدوسي من أهل السراة من جبال البلقاء له صحبة ووفادة. قال أبو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبير، وأبو جعفر محمد بن علي، وقال البخاري له صحبة. وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البردعي الحافظ، والدارقطني، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري سواد بن قارب بالتخفيف. وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من أشرف أهل اليمن ذكره أبو نعيم في الدلائل (١)، وقد روى حديثه من وجوه أخر مطولة بالبسط من رواية البخاري. وقال محمد بن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب. فلما نظر إليه عمر قال أن الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد، أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمت؟ قال نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهل كنت كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لاحد من رعبتك منذ وليت ما وليت. فقال عمر: اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام ونعنتق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام. قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فأخبرني ما جاء به صاحبك. قال جاءني قبل الاسلام بشهر أو شيعه (٢) فقال: ألم تر إلى الجن

(١) سواد بن قارب الدوسي على ما رواه ابن أبي خيثمة؛ من بني سدوس. كان يتكهن في الجاهلية؛ وكان شاعرا. ذكره ابن حجر في الاستيعاب، والذهبي في تجريد أسماء الصحابة، وذكره ابن حجر في الاصابة، وذكره ابن الاثير في أسد الغابة. قال ابن الكلبي وسعيد بن جبير: الأزدي الدوسي. (٢) شيعه: أي دونه بقليل. [*]

[٤٠٧]

وابلاسها، واباسها من دينها، ولحوقها بالقلاص واحلاسها. قال ابن إسحاق (١): هذا الكلام سجع ليس بشعر. قال عبد الله بن كعب: فقال عمر عند ذلك يحدث الناس: والله إنني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فحن ننتظر قسمه أن يقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط أشد منه، وذلك قبل الاسلام بشهر أو شيعه يقول: يا ذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله. قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر: عجبت للجن وابلاسها * وشدها العيس بأحلاسها تهوي إلى مكة، تبغي الهدى * ما مؤمنو الجن كأنجاسها وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الانباري عن محمد (٢) بن عبد الرحمن الواقصي عن محمد بن كعب القرظي. قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل. فقيل يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال ومن هذا؟ قالوا هذا سواد بن قارب الذي أتاه رثيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه عمر. فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم. قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ قال فغضب. وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين، فقال عمر يا سيحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، فأخبرني ما أنبأك رثيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثيي فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأفتابها تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها فارجل إلى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأذبابها قال قلت دعني أنام فإنني أمسيت ناعساً. قال فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي، واعقل إن كنت تعقل، إنه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

(١) في سيرة ابن هشام: قال ابن هشام. (٢) في دلائل البيهقي: أبو عبد الرحمن الواقصي؛ ولم أجد ترجمة لمحمد، إنما ذكر عثمان في التقريب، والواقصي نسبة لسعد بن أبي وقاص. وفي نسخة للدلائل: ابن عبد الرحمن الواقصي دون ذكر اسمه. وفي رواية أخرى للبيهقي: عثمان بن عبد الرحمن. [*]

[٤٠٨]

عجبت للجن وتجارها (١) * وشدها العيس بأكوارها تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها فارجل إلى الصفوة من هاشم * بين روايبها وأحجارها قال قلت دعني أنام، فإنني أمسيت ناعساً، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله. وقال: قم يا سواد بن قارب، فاسمع مقالتي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها فارجل إلى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك إلى راسها قال فقامت وقلت: قد امتحن الله قلبي، فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فدنوت فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله. قال هات فأنشأت أقول: أتاني نجيب بعد هده ورقدة * ولم يك فيما قد تلوث بكاذب (٢) ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب فشمزت عن ذيلها الأزار ووسطت * بي الدعلب الوجناء غير السباب (٣) فأشهد أن الله لا شئ غيره * وأنك مأمون على كل غالب (٤) وأنك أدني المرسلين وسيلة * إلى الله يا بن

الاکرمین الاطایب فمرنا بما یأتیک یاخیر من مشی * وإن کان فیما جاء شیب الذوائب وکن لی شفیعا یوم لا ذو شفاعة * سواک بمغن عن سواد بن قارب (٥) قال فرح رسول الله صلی الله علیه وسلم وأصحابه بمقاتلي فرحا شديدا، حتی رئي الفرخ فی وجوههم. قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل یأتیک رئیک الیوم ؟ قال أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض کتاب الله من الجن. ثم قال

(١) فی دلائل البیهقي: وتخیارها. (٢) فی الدلائل ورد البیت: أتاني رئي بعد لیل وهجعة * ولم یك فیما قد بلوت بكاذب (٣) فی البیهقي: فشمردت عن ذلي الأزار ووسطت * بی الدعلب الوجناء عبر السیاسب (٤) فی البیهقي: علی كل غایب. (٥) ورد فی سبل الهدی: وکن لی شفیعا حین لا ذو قرابة * بمغن فیتلا عن سواد بن قارب [*]

[٤٠٩]

عمر: كنا یوما فی حی من قریش یقال لهم آل ذریح وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار یعالجه، إذ سمعنا صوتا من جوف العجل - ولا نرى شیئا - قال یا آل ذریح، أمر نجیح (١) صائح یصیح بلسان فصیح یشهد أن لا إله إلا الله، وهذا منقطع من هذا الوجه ویشهد له رواية البخاري. وقد تساعدوا علی أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي فی كتابه الذي جمعه فی هواتف الجن: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لیلی حدثنا سعید بن عبیدالله الوصابي، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: دخل سواد بن قارب السدوسي علی عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: نشدتك بالله یا سواد بن قارب، هل تحسن الیوم من كهانتك شیئا ؟ فقال: سبحان الله یا أمير المؤمنین، ما استقبلت أحدا من جلسائك بمثل ما استقبلتني به قال سبحان الله یا سواد ما كنا علیه من شركنا أعظم مما كنت علیه من كهانتك، والله یا سواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجیب من العجب، قال إي والله یا أمير المؤمنین إنه لعجیب من العجب. قال فحدثني قال: كنت كاهنا فی الجاهلية، فبینا أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نجی فضرني برجله. ثم قال یا سواد اسمع أقل لك، قلت هات. قال: عجبت للجن وأنجاسها (٢) * ورحلها العیس بأحلاسها تهوي إلى مكة تبغي الهدی * ما مؤمنوها مثل أرجاسها فارحل إلى الصفوة من هاشم * واسم بعینك إلى رأسها قال فنمت ولم أحفل بقوله شیئا، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضرني برجله ثم قال لی قم یا سواد بن قارب اسمع أقل لك، قلت هات قال: عجبت للجن وتطلباها * وشدها العیس بأفتابها تهوي إلى مكة تبغي الهدی * ما صادق الجن ككذابها فارحل إلى الصفوة من هاشم * لیس المقادیر كأذنبها قال فحرك قوله مني شیئا ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضرني برجله ثم قال یا سواد بن قارب أتعقل أم لا تعقل ؟ قلت وما ذاك ؟ قال ظهر بمكة نبي يدعو إلى عبادة ربه فالحق به، اسمع أقل لك. قلت هات قال: عجبت للجن وتنفارها * ورحلها العیس بأكوارها

(١) یا آل ذریح: لعله نداء للعجل المذبوح. جلیح: لغة ما تطایر من رؤوس النیات وخف. الواحدة: جلیحة. ويقال: جلیح اسم شیطان. (٢) فی ابن هشام: وإبلاسها. [*]

[٤١٠]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها فارحل إلى
الصفوة من هاشم * بين روايتها وأحجارها قال فعلت أن الله قد أراد
بي خير. فقامت إلي بردة لي ففتقتها ولبستها ووضعت رجلي في
غرز ركاب الناقة. وأقبلت حتى انتهت إلي النبي صلى الله عليه
وسلم فعرض علي الإسلام فأسلمت، وأخبرته الخبر فقال " إذا
اجتمع المسلمون فأخبرهم " فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت:
أتاني نجيب بعد هذه ورقة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلاث ليال
قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب فشمرت عن ذيل
الآزار ووسطت * بي الذعلب الوجناء غير السباب (١) وأعلم أن
الله لا رب غيره * وأنت مأمون على كل غائب وأنت أذنبي المرسلين
وسيلة * إلى الله يابن الأكرمين الأطايب فمرنا بما يأتيك يا خير
مرسل * وإن كان فيما جاء شيب الذوائب قال فسر المسلمون
بذلك، فقال عمر هل نحس اليوم منها بشئ؟ قال أما إذ علمني الله
القرآن فلا وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن
حفص. قال لما ورد سواد بن قارب على عمر قال: يا سواد بن قارب
ما بقي من كهانتك؟ فغضب وقال: ما أظنك يا أمير المؤمنين
استقبلت أحدا من العرب بمثل هذا، فلما رأى ما في وجهه من
الغضب، قال: انظر سواد للذي كنا عليه قبل اليوم من الشرك أعظم.
ثم قال يا سواد حدثني حديثا كنت أشتهي أسمعه منك، قال نعم،
بين أنا في إبل لي بالسرارة (٢) ليلا وأنا نائم وكان لي نجي من
الجن أتاني فضريني برجله فقال لي قم يا سواد بن قارب فقد ظهر
بتهامه نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فذكر القصة كما
تقدم وزاد في آخر الشعر: وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة * سواك
يمغن عن سواد بن قارب (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم ". ورواه الحافظ ابن عساكر
من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء
المحاريبي عن عباد بن عبد المصد عن سعيد بن جبير قال أخبرني
سواد بن قارب الأزدي. قال: كنت نائما علي جبل من جبال السرارة
(٤) فأتاني أت فضريني برجله - وذكر القصة أيضا.

(١) الذعلب: الناقة السريعة، والوجناء: الشابة. (٢) في البخاري: التاريخ الكبير:
السرارة. (٣) تقدم الشعر في سبل الهدى: يمغن فتبلا عن سواد بن قارب. (٤) في
التاريخ الكبير وفيه السرارة. وهي الرواية التي ذكرها البخاري في التاريخ الكبير (٢: ٢ /
٢٠٢) وعقب بقوله: ولا يصح الحكم بن يعلى. [*]

[٤١١]

ورواه أيضا من طريق محمد بن البراء (١) عن أبي بكر بن عباس عن
أبي إسحاق عن البراء. قال قال سواد بن قارب: كنت نازلا بالهند
فجاءني ربي ذات ليلة فذكر القصة. وقال بعد انشاد الشعر الأخير
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: "
أفلحت يا سواد ". وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا عبد الله
بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن (٢) حدثنا علي
بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن
عبد الله العماني. قال كان منا رجل يقال له مازن بن العصب (٣)
يسدن صنما بقرية يقال لها سمايا (٤)، من عمان، وكانت تعظمه بنو
الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم أخوال مازن. أمه زينب بنت عبد الله
بن ربيعة بن خويص أحد بني نمران قال مازن: فعثرنا يوما عند الصنم
عنتيرة - وهي الذبيحة (٥) - فسمعت صوتا من الصنم يقول: يا مازن
اسمع تسر، ظهر خير وبطن شر، بعث نبي من مضر، بدين الله
الأكبر، فدع نجتنا من حجر. تسلم من حر سقر. ففرغت لذلك فرعا
شديدا. ثم عثرنا بعد أيام عنتيرة أخرى، فسمعت صوتا من الصنم
يقول: أقبل إلي أقبل، تسمع مالا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق
منزل، فأمن به كي تعدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل. قال

مازن: فقلت إن هذا لعجب وإن هذا لخير يراد بي وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخبر وراءك ؟ فقال ظهر رجل يقال له أحمد، يقول لمن أتاه أجيئوا داعي الله، فقلت هذا نبي ما سمعت، فثرت إلي الصنم فكسرتة جذاذا وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدري للإسلام فأسلمت، وقلت: كسرت باجر أجزاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال فالهاشمي هदानا من ضلالتنا * ولم يكن دينه مني على بال يا راكبا بلغن عمرا وإخوتها * إنني لمن قال ربي باجر قالي (٦)

(١) أخرج الحديث البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٢٤٩ وفيه عن محمد بن تراس الكوفي، (٢) في دلائل البيهقي ج ٢ / ٢٥٨: أبو أحمد بن أبي الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، (٣) في رواية البيهقي: مازن بن الغضوية، وهو مازن بن الغضوية بن غراب بن بشر الطائي ذكره ابن السكن في الصحابة وقال ابن حبان: يقال له صبية، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة ٢ / ٣٣٦. (٤) في رواية البيهقي: السمال وفي رواية أخرى السمايل. لم أجد لسمايا في معجم البلدان، وردت في معجم البلدان سمال بفتح أوله وآخره وهو اسم موضع. وفي معجم ما استعجم سمویل بلد كثير الطير. (٥) الذبيحة: شاة تذبح في رجب أو ذبيحة تذبح للإصنام فيصب دمها على رأسها. عن النهاية لابن الأثير. (٦) في الدلائل للبيهقي: يا راكبا بلغا عمرا وإخوته * أني لمن قال ديني ناچر قالي [*]

[٤١٢]

يعني يعمره الصامت وأخوتها خطامة (١). فقلت يا رسول الله إنني امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من النساء وشرب الخمر. وألحت علينا السنون فأذهبن الاموال وأهزلن السراري (٢) وليس لي ولد، فأدعو الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحيا، ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم أبدله بالطرف قراءة القرآن، وبالحرمان الحلال وبالائتم وبالعهرة عفة وآته بالحيا وهب له ولدا " قال فذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شطر القرآن، ووهب لي حيان بن مازن وأنشأ يقول: اليك رسول الله خبت مطيتي * تجوب الفيافي من عمان إلى العرج لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى * فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج إلى معشر خالفت في الله دينهم * فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي وكنت امرءا بالخمر والعهرة مولعا * شبابي حتى أذن الجسم بالنهج فبدلني بالخمر خوفا وخشية * وبالعهرة إحصانا فحصن لي فرجي فأصبحت همي في الجهاد ونيتي (٣) * فله ما صومي ولله ما حجي قال فلما أتيت قومي أنبوني وشتمونني، وأمروا شاعرا لهم فهجانني، فقلت إن رددت عليه فإنما أهجو نفسي. فرحلت عنهم فأتتني منهم زلفة عظيمة وكنت القيم بأموورهم فقالوا يابن عم: عينا عليك أمرا وكرهنا ذلك فإن أبيت ذلك فأرجع وقم بأموورنا وشأنك وما تدين به. فرجعت معهم وقلت: لبغضكم عندنا مر مذاقته * وبغضنا عندكم يا قوما لبن لا يفظن الدهر إن بثت معائبكم * وكلكم حين يثني عينا فطن شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم * في حدبنا مبلغ في شتمة لسن ما في القلوب عليكم فاعلموا وعر * وفي قلوبكم البغضاء والاحن (٤) قال مازن: فهدهم الله بعد إلى الاسلام جميعا. وروى الحافظ أبو نعيم (٥) من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن، فجاء في صورة طائر أبيض فوق على حائط لهم، فقالت له لم لا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك، وتخرنا

(١) عبارة البيهقي: يعني يعمره وإخوته: بني خطامة. (٢) عبارة البيهقي: واهزلن الذراري والرجال. (٣) في البيهقي: فأصبحت همي في جهاد ونية.. (٤) وردت الآيات في دلائل البيهقي بتغيير في الالفاظ. ج ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨ (٥) دلائل النبوة ص ٣٩.

[٤١٣]

ونخبرك ؟ فقال لها إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار (١). وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين. قال: إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة تدعى فاطمة كان لها تابع، فجاءها ذات يوم، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال: لا إنه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا. وأرسله بعض التابعين أيضا وسماه بابتين لودان وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة، ثم لما قدم عاتبته فقال إنني جئت الرسول فسمعته يحرم الزنا فعليك السلام. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة. قال قال عثمان بن عفان: خرجنا في غير إلى الشام - قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما كنا بأفواه الشام - وبها كاهنة - فتعرضتنا، فقالت أتاني صاحبي فوقف على بابي، فقلت ألا تدخل فقال لا سبيل إلى ذلك، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق، ثم انصرفت فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزوجل (٢) وقال الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله الزهري. قال: كان الوحي يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سعييرة لها تابع من الجن، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها فجعل يقول من صدرها: وضع العناق ومنع الرفاق وجاء أمر لا يطاق وأحمد حرم الزنا. وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي (٣) - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه - فقلت يا رسول الله قد كان عندنا في ذلك شيء أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم يعلم عليها إلا خيرا، إذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما أصابني، هل علمتم إلا خيرا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قالت إنني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد حبليت. حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف (٤) له أذنان كأذني الكلب فمكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته وجعل يقول: يا ويلة يا ويلة، يا عولة يا عولة، يا ويل غنم، يا ويل فهم، من قابس النار الخيل والله وراء العقبة، فيهن فتیان حسان نجبة. قال فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا يا ويلك ما ترى فقال هل من جارية

(١) منع منا القرار: أي الاستقرار في الأرض. (٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص ٢٩ من طريق الواقدي نحوه. (٣) نسبة إلى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة، اللباب ١ / ١٤٤. (٤) أغضف: الممتشي والمسترخي الأذنين. [*]

[٤١٤]

طامث فقلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هي والله عندي عفيفة الام فقلنا فاجلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم، وقال للقوم اتبعوا أثرها، وقال لرجل منا يقال له أحمد بن حابس يا أحمد بن حابس عليك أول فارس. فحمل أحمد قطع أول فارس فصرعه وانهمزوا فغنمناهم. قال فابتينا عليهم بيتا وسميانه ذا الخلصة، وكان لا يقول لنا شيئا إلا كان كما يقول حتى إذا

كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوما يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فركبنا فقال لنا أكذبوا الخيل كدسا، أحشوا القوم رمسا، أنفوههم غدية واشربوا الخمر عشية. قال فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا إليه فقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه وانتصبت أذناه وانبرم غضبانا حتى كاد أن ينفطر وقام فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزا ويكون في أيديكم كنزاً؟ فقلنا ما أحوجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا فقلنا ما نقول فقال بنو الحارث بن مسلمة، ثم قال قفوا فوقفنا ثم قال عليكم بفهم، ثم قال ليس لكم فيهم دم، عليكم بمضرهم أرباب خيل ونعم ثم قال لا، رهط دريد بن الصمة قليل العدد وفي الذمة ثم قال لا، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيعة عامر بن صعصعة فليكن بهم الوقعة قال فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا وقلنا ويلك ماذا تصنع بنا قال: ما أدري كذبي الذي كان يصدقني. أسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم ائتوني ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه حجرة نار، فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء قلنا أين؟ قال بمكة وأنا ميت فادفوني في رأس جبل فإني سوف أضطرم نارا، وإن تركتموني كنت عليكم عارا فإذا رأيتم اضطرامي وتلهبي فاقدفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسمك اللهم فإني أهدي وأطفي. قال وإنه مات فاشتعل نارا ففعلنا به ما أمر وقد قدفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر بسمك اللهم فحمد وطفى وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله، غريب جدا. وروى الواقدي، عن أبيه، عن ابن أبي ذئب، عن مسلم بن جندب، عن النضر بن سفيان الهذلي، عن أبيه. قال: خرجنا في غير لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقا ومعان قد (١) عرسنا من الليل فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والارض: أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد فطردت (٢) الجن كل مطرد ففرعنا ونحن رفقة حزورة (٣) كلهم قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد. ذكره أبو نعيم.

(١) في الوفاء: وقد (٢) في الوفاء: وطردت. (٣) في دلائل أبي نعيم: الحزورة جمع حزور وهو الرجل القوي. [*]

[٤١٥]

وقال الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي (١)، وزيد بن عمرو بن نفيل (٢) وعبد الله (٣) بن جحش بن رثاب وعثمان بن الحويرث (٤) كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور، ثم يأكلون ويشربون الخمر، ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوا على وجهه، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً، فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك. فقال عثمان بن الحويرث ماله قد أكثر التنكس إن هذا الأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول: أبا صنم العيد الذي صف حوله * صناديد وفد من بعيد ومن قرب تنكست مغلوباً فما ذاك قل لنا * أذاك سفيه أم تنكست للعب فإن كان من ذنب أتينا فإننا * نبوء بإقرار ونلوي عن الذنب وإن كنت مغلوباً ونكست صاغراً * فما أنت في الاوثان بالسيد الرب قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول: تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض في الشرق

والغرب وخرت له الاوثان طرا وأرعدت * قلوب ملوك الارض طرا من الرعب

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى. من حكماء قريش في الجاهلية، اعتزل عبادة الاصنام قبل الاسلام، ثم تنصر، وأدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. بعض المؤرخين يعده في الصحابة. قال البخاري في وفاته بعد بدء الوحي بقليل؛ وقال عروة بن الزبير أنه أدرك اسلام بلال. قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عنه: يبعث يوم القيامة أمة وحده. (٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، من حكماء قريش في الجاهلية، وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الاسلام. ترك عبادة الاوثان والاصنام؛ ولم يستمله لا اليهودية ولا النصرانية؛ عبد الله على دين إبراهيم وجاهر بمكة بدينه وعدائه للاوثان. توفي قبل المبعث بخمس سنين؛ سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده. (٣) في سيرة ابن هشام عبيد الله بن جحش، وهو ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. وفي بلوغ الأرب للولوسي: عبيد. (٤) وهو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. [*]

[٤١٦]

ونار جميع الفرس باخت وأظلمت * وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب وصدت عن الكهان بالغيب جنبها * فلا مخبر عنهم بحق ولا كذب فيا لقصي ارجعوا عن ضلالكم * وهبوا إلى الاسلام والمنزل الرحب قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا (١) فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض، فقالوا أجل، فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطأوا الحجة وتركوا دين إبراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لانفسكم الدين [فإنكم والله ما أنتم على شئ]. قال فخرجوا عند ذلك يضربون في الارض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علما، وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده. وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس (٢) ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الارض حتى بلغ الرقة (٣) من أرض الجزيرة فلقي (٤) بها راهبا عالما فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب دينا ما تجد من يملك عليه، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجح يريد مكة فغارت عليه لخم فقتلوه، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة، فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها حتى هلك هنالك نصرانيا. تقدم في ترجمة زيد بن عمر بن نفيل له شاهد (٥) وقد قال الخرائطي: حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوراق، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثني أبي حدثنا عبد الله بن عبد العزيز (٦) حدثني محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن أنس السلمى، عن العباس بن مرداس أنه كان يعر (٧) في لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامه بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيضاء مثل اللين فقال: يا عباسي بن مرداسي ألم تر أن السماء قد كفت أحراسها، وأن الحرب تجرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل بالبر والتقوى، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصوى. قال: فرجعت

(١) نجيا: من النجى، الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم، ويقع للثنين والجماعة بلفظ واحد. (٢) كان الخطاب عمه قد أوكل بن صغية بنت الحضرمي تراقبه فيما بهم به من أمور فتأذن الخطاب به، حتى أن الخطاب آذاه كثيرا وكرهه وقومه كراهية شديدة. (راجع ابن هشام). (٣) في سيرة ابن هشام: الموصل والجزيرة كلها. (٤) في سيرة ابن هشام: في ميفعة من أرض البلقاء. (٥) الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٢٨؛

وما بين معكوفين من السيرة. ونقله الالوسي في بلوغ الأرب. ٢ / ٢٥٠. (٦) عبد الله بن عبد العزيز - أبو عبد العزيز - الليثي ضعفه الجمهور ووثقه سعيد بن منصور وقال: كان مالك يرضاه ؛ وضعفه أبو حاتم الكاشف ٢ / ٩٤. (٧) يعر: يتغوط من العرة وهي عذرة الناس. وفي مجمع الزوائد: بعمره. [*]

[٤١٧]

مرعوبا قد راعني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثنا لنا يدعى الضماد (١) وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكنتس ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فإذا صائح من جوفه يقول: قل للقبائل من سليم كلها * هلك الضماد وفاز أهل المسجد (٢) هلك الضماد وكان يعبد مرة * قبل الصلاة مع النبي محمد (٣) إن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد قال فخرجت مرعوبا حتى أتيت قومي فقصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة من قومي بني حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: " يا عباس كيف كان إسلامك ؟ " فقصت عليه القصة. قال فسر بذلك وأسلمت أنا وقومي (٤). ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل (٥) من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به. ثم رواه أيضا من طريق الأصمعي حدثني الوصافي (٦) عن منصور بن المعتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزاعي عن العباس بن مرداس السلمي. قال: أول إسلامي أن مرداسا أبي لما حضرته الوفاة أوصاني بضم له يقال [له] ضماد فجعلته في بيت وجعلت آتبه كل يوم مرة فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا مرسلا في جوف الليل راعني فوثبت إلى ضماد مستغيثا وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول: قل للقبيلة من سليم كلها * هلك الانيس وعاش أهل المسجد أودى ضماد وكان يعبد مرة * قبل الكتاب إلى النبي محمد إن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد قال فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إبلي بطرف العقيق من ذات عرق راقدا سمعت صوتا وإذا برجل على جناح نعامة وهو يقول: النور الذي وقع ليلة الثلاثاء مع

(١) في سيرة ابن هشام: ضماد بالبناء على الكسر كضام ورقاش. (٢) في ابن هشام: وعجزه: أودى ضماد وعاش أهل المسجد. (٣) في ابن هشام: أودى ضماد وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد أودى: هلك، والمسجد هنا: مسجد مكة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ / ٢٤٧ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ضعفه الجمهور. وفيه رجاله وثقوا. (٥) دلائل النبوة ص ٣٤. (٦) نسية إلى وصاف، وهو اسم جماعة منهم وصاف بن عامر العجلي، وينسب إليه عبيد الله بن الوليد بن عبد الرحمن بن قيس الوصافي ؛ روى عن عطية وعطاء وسمع منه وكيع ويعلى بن عبيد اللباب ٢ / ٣٧٥. [*]

[٤١٨]

صاحب الناقة العضاء (١) في ديار إخوان بني العنقاء، فأجابه هائف من شماله وهو يقول: بشر الجن وابلاسها * أن وضعت المطي أحلاسها وكلات السماء أحراسها قال فوثبت مذعورا وعلمت أن محمدا مرسل، فركبت فرسي واجتثت (٢) السير حتى انتهيت إليه فإياعته ثم انصرفت إلى ضماد فأحرقته بالنار ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته شعرا أقول فيه: لعمرك إني يوم أجعل جاهلا * ضمادا لرب العالمين مشاركا وتركي رسول الله واللاوس حوله * أولئك أنصار له ما أولئك كتارك سهل الأرض والحزن بيتغي * ليسلك في وعث الأمور المسالكا (٣) فأمنت بالله الذي أنا عبده * وخالفت من أمسى يريد المهالكا (٤) ووجهت وجهي نحو

مكة قاصدا * أبايع نبي الاكرمين المباركا نبي أانا بعد عيسى بناطق
* من الحق فيه الفصل فيه كذلك أمين على القرآن أول شافع * وأول
مبعوث يجيب الملائكا تلافى عرى الاسلام بعد انتقاضها * فأحكمها
حتى أقام المناسكا عنيتك يا خير البرية كلها * توسطت في الفرعين
والمجد مالكا وانت المصطفى من قريش إذا سمت * على ضمرها
تبقى القرون المباركا إذا انتسب الحيان كعب ومالك * وجدناك محضا
والنساء العواركا (٥) قال الخرائطي: وحدنا عبد الله بن محمد البلوي
بمصر، حدثنا عمارة بن زيد، حدثنا إسحاق بن بشر، وسلمة بن
الفضل، عن محمد بن إسحاق، حدثني شيخ من الانصار يقال له:

(١) هي ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) في الدلائل: وأجشمت: أي
أسرعت (٣) الحزن: الأرض الصعبة. (٤) خالفت من أمسى: أي تركت عبادة الاصنام،
والحجر الذي أوصاه أبوه بعبادته، يعني ضمنا. (٥) قال في هامش سيرة ابن كثير ج ١
/ ٣٦٠: على ذلك الشعر - مع ما فيه من ركافة - علامات الصنعة والافتراء منها: - لم
يخص الأوس بالذكر مع أنهم بعد الاسلام لم يعد لهم ذكر مستقل بل هم والخزرج
الانصار. - قوله ووجهت وجهي نحو مكة.. مع أنه تحدث عن النبي والأوس حوله وذلك
في المدينة، ومع أنه ذكر في حديثه أنه كان بعد رجوع الناس من الأحزاب. - كيف علم
ابن مرداس - وهو حديث الاسلام - أن رسول الله أول شافع. [*]

[٤١٩]

عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة قال بلغني أن رجلا من
خثعم كانوا يقولون: إن مما دعانا إلى الاسلام أنا كنا قوما نعبد
الاوثنان فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه
يرجون الفرج من عنده لشيئ شجر بينهم إذ هتف بهم هاتف يقول: يا
أيها الناس ذوو الاجسام * من بين أشياخ إلى غلام ما أنتم وطائش
الاحلام * ومسند الحكم إلى الاصنام أكلكم في حيرة نيام * أم لا
ترون ما الذي أمامي من ساطع يجلو دجى الظلام * قد لاح للناظر
من تهام ذاك نبي سيد الانام * قد جاء بعد الكفر بالاسلام أكرمه
الرحمن من امام * ومن رسول صادق الكلام أعدل ذي حكم من
الاحكام * يأمر بالصلاة والصيام والبر والصلوات للارحام * ويحذر الناس
عن الأثام والرجس والاوثنان والحرام * من هاشم في ذروة السنام
مستعلنا في البلد الحرام قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتينا
النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمنا (١). وقال الخرائطي: حدثنا
عبد الله البلوي، حدثنا عمارة، حدثني عبيد الله بن العلاء، حدثنا
محمد بن عكبر، عن سعيد بن جبير، أن رجلا من بني تميم يقال له
رافع بن عمير - وكان أهدى الناس للطريق وأسراهم بليل، وأهجمهم
على هول، وكانت العرب تسميه لذلك دعووس العرب لهدايته
وجراوته على السير - فذكر عن بدء إسلامه قال: إني لاسير برمل
عالج (٢) ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي ونختها
وتوسدت ذراعها، ونمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم
هذا الوادي (٣) من الجن من أن أودى أو أهاج فرأيت في منامي
رجلا شايًا يرصد ناقتي ويده حربة يريد أن يضعها في نحرها،
فانتبهت لذلك فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا، فقلت هذا
حلم ثم عدت فغفوت فرأيت في منامي مثل رؤياي الاولى فانتبهت
فدردت حول ناقتي فلم أر شيئا وإذا ناقتي ترعد، ثم غفوت فرأيت مثل
ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي
رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو
يقول: يا مالك بن مهلل بن دثار * مهلا فدى لك مئزري وإزاري

(١) الخبر نقله أبو نعيم في الدلائل ص ٢٢ عن رجل من خثعم مختصرا. (٢) رمل
عالج: رمل مرتفع. (٣) وهو قول أهل الجاهلية. [*]

عن ناقة الانسي لا تعرض لها * واختر بها ما شئت من أثواري ولقد بدا لي منك ما لم أحتسب * ألا رعيت قرابتي وذماري (١) تسمو إليه بحرية مسمومة * تبا لفعلك يا أبا الغفار لولا الحياء وأن أهلك حيرة * لعلمت ما كشفت من أخباري قال فأجابه الشاب وهو يقول: أردت أن تعلقو وتخفص ذكرنا * في غير مزرية أبا العيزار ما كان فيهم سيد فيما مضى * إن الخيار همو بنو الاخيار فاقصد لقصدك يا معكبر أنما * كان المجير مهلهل بن دثار قال فيبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي، فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف. ثم التفت إلى الشيخ فقال يا هذا إذا نزلت واديا من الاودية فحفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها، قال فقلت له: ومن محمد هذا ؟ قال نبي عربي، لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين. قلت وأين مسكنه ؟ قال: يثرب ذات النخل. قال: فركبت راحلتي حين برق لي الصبح، وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني بحدثي قبل أن أذكر له منه شيئا ودعاني إلى الاسلام فأسلمت. قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: (وإنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن: ٦] وروى الخرائطي من طريق إبراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، عن داود بن الحسين، عن عكرمة، عن ابن عباس عن علي ؛ قال: إذا كنت بواد تخاف السبع فقل: أعوذ بدانبال والجب، من شر الاسد. وروى البلوي عن عمارة بن زيد، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه، عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبئر ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقي لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل إليهم، وهي قصة مطولة منكرة جدا. والله أعلم. وقال الخرائطي: حدثني أبو الحارث: محمد بن مصعب الدمشقي وغيره، حدثنا سليمان بن بنت شريحيل الدمشقي، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج، حدثنا خالد بن سعيد، عن الشعبي، عن رجل قال: كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتذكرون فضائل القرآن فقال بعضهم خواتيم سورة النحل، وقال بعضهم سورة يس، وقال علي فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما إنها سبعون كلمة في كل كلمة بركة. قال وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا، فقال أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر

(١) الذمار: ما يلزم حفظه ورعايته. [*]

حدثنا يا أبا ثور. قال بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأقحمت فرسي في البرية فما أصبت الابيض النعام، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له، فقلت له استأسر ثكلتك أمك. فرفع رأسه إلي وقال: يا فتى إن أردت قرى فانزل ؟ وإن أردت معونة اعناك ؟ فقلت له استأسر فقال: عرضنا عليك النزول منا تكرا * فلم ترعوي جهلا كفعل الاشائم (١) وجئت ببهتان وزور ودون ما * تمنيته بالبيض حز الغلاصم (٢) قال ووثب إلي وثبة وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. فكأنني مثلت تحته. ثم قال اقتلك أم أخلي عنك ؟ قلت بل خل عني قال

فخلي عني. ثم إن نفسي جاذبتني بال معاودة. فقلت استأسر
 ثكلتك أمك فقال: بيسم الله والرحمن فرنا * هنالك والرحيم به قهرنا
 وما تغني جلادة ذي حفاظ * إذا يوما لمعركة برزنا ثم وثب لي وثبة
 كأنني مثلت تحته. فقال أقتلك أم أخلي عنك ؟ قال: قلت: بل خل
 عني. فخلي عني فانطلقت غير بعيد. ثم قلت في نفسي يا عمرو
 أيقهرك هذا الشيخ. والله للموت خير لك من الحياة، فرجعت إليه
 فقلت له استأسر ثكلتك أمك. فوثب إلي وثبة وهو يقول بسم الله
 الرحمن الرحيم، فكانني مثلت تحته، فقال أقتلك أم أخلي عنك ؟
 قلت بل خل عني فقال: هيهات، يا جارية إئتيني بالمديّة فأنته
 بالمديّة فجز ناصيتي، وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته
 استعبدته، فكنت معه أخدمه مدة. ثم إنه قال يا عمرو أريد أن تركب
 معي البرية وليس بي منك وجل، فإني بيسم الله الرحمن الرحيم
 لوائقي، قال: فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا مغولا. فنادى بأعلى
 صوته: بسم الله الرحمن الرحيم. فلم يبق طير في وكره إلا طار. ثم
 أعاد القول فلم يبق سيع في مريضه إلا هرب، ثم أعاد الصوت فإذا
 نحن بحبشي قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السحوق، فقال لي:
 يا عمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن
 الرحيم. قال فلما رأيتهما قد اتحدا قلت غلبه صاحبي باللات والعزى
 فلم يصنع الشيخ شيئا، فرجع إلي وقال: قد علمت أنك قد خالفت
 قولي. قلت أجل ولست بعائد، فقال إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه
 صاحبي: بيسم الله الرحمن الرحيم، فقلت أجل فلما رأيتهما قد اتحدا
 قلت غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم، فاتكا عليه الشيخ
 فبعجه بسيفه باشتق بطنه فاستخرج منه شيئا كهينة القنديل
 الاسود ثم قال يا عمرو هذا غشه وغلّه (٣). ثم قال أتدري من

(١) ارعوى: اهتدى بعد ضلال. (٢) الغلاصم: اللحم بين الرأس والعنق. والبيض: المراد
 هنا: ابنته وحريره. (٣) الغل: الحقد ؛ والغش: [*]

[٤٢٢]

تلك الجارية ؟ قلت لا، قال تلك الفارعة بنت السليل الجرهمي من
 خيار الجن. وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزونني منهم كل عام رجل
 ينصرني الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال قد رأيت ما كان
 مني إلى الحبشي. وقد غلب علي الجوع فأتتني بشئ أكله،
 فأقحمت فرسي البرية فما أصبت الابيض النعام، فأتيته به فوجدته
 نائما، وإذا تحت رأسه شئ كهينة الحشبة، فاستلته فإذا هو سيف
 عرضه شبر في سبعة أشبار، فضربت ساقيه ضربة أمنت الساقين
 مع القدمين، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما اغدرك
 يا غدار. قال عمر: ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي
 حتى قطعته إربا إربا. قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول: بالغدر نلت أخوا
 الاسلام عن كذب * ما إن سمعت كذا بي سالف العرب والعجم تأنف
 مما جئته كرما * تبا لما جئته في السيد الارب (١) إني لاعجب أني
 نلت قتلته * أم كيف جازاك عند الذنب لم تنب ؟ قرم عفا عنك مرات
 وقد علفت * بالجسم منك يدها موضع العطب لو كنت أخذ في
 الاسلام ما فعلوا * في الجاهلية أهل الشرك والصلب إذ لنالتك من
 عدلي مشطبة * تدعو لذائقها بالويل والحرب (٢) قال ثم ما كان من
 حال الجارية ؟ قلت ثم إنني أتيت الجارية. فلما رأيتي قالت: ما فعل
 الشيخ ؟ قلت: قتله الحبشي، فقالت كذبت بل قتلته أنت بغدرك ثم
 أنشأت تقول: يا عين جودي للفارس المغوار * ثم جودي بواكفات
 غزار (٣) لا تملني البكاء إذ خانك الد * هر بواف حقيقة صبار وتقي
 وذو وقار وحلم * وعديل الفخار يوم الفخار لهف نفسي على بقائك
 عمرو * أسلمتك الاعمار للاقدار ولعمري لو لم ترمه بغدر * رمت ليثا
 كصارم بتار (٤) قال فأحفظني قولها فاستللت سيفي ودخلت الخيمة
 لاقتلها فلم أر في الخيمة أحدا فاستقت الماشية وحثت إلى أهلي.

وهذا أثر عجيب. والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم. وكان يتعوذ بها.

(١) الارب: العاقل. (٢) مشطية: أي مهلكة. والعدل: الجزء. (٣) واكفات: الدموع المنسكبة. (٤) أقول: بل هو أسطورة لا سبيل إلى تصديقها؛ وإن كان الاقدمون لا يجدون غضاضة في نقل هذه الاخبار وروايتها، فنحن لسنا ملزمين بتصديقها؛ إلا بعد نقدها وتمحيصها فمثل هذه الاخبار والاشعار لا تثبت أمام النقد العقلي والعلمي. [*]

[٤٢٣]

وقال الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثني عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل يذكران انهما أتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة، قالا فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقائي أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه إبل كثيرة؟ قلنا نعم. قال فهل لكما علم به ما فعل؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها أمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج، قال فهل تعلمان ولد أم لا؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أني ليلة قد بث عند وثن لنا كنا نطيف به، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول: ولد النبي فدللت الاملاك * ونأى الضلال وأدير الاشراك ثم انتكس الصنم على وجهه. فقال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كخبره أيها الملك. قال هات قال أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل أمنة حتى أتيت جبل أبي قيس أريد الخلو فيه لامر رابني إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضران، فوقف على أبي قيس ثم أشرف على مكة فقال: ذل الشيطان وبطلت الاوثان ولد الامين. ثم نشر ثوبا معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جليل ما تحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصري وهالني ما رأيته. وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة. فسطع له نور أشرفت له تهامة. وقال: ذكت الارض وأدت ربيعها. وأوما إلى الاصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها. قال النجاشي ويحكما أخبر كما عما أصابني، إنني لنائم في الليلة التي ذكرتها في قبة وقت خلوتي، إذ خرج على من الارض عنق ورأس، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل، رمتهم طير أباييل، بحجارة من سجيل هلك الاشرم المعتدي المجرم، وولد النبي الامي، المكى الحرمي، من أجاهه سعد، ومن أباه عتد. ثم دخل الارض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام، ورمت القيام فلم أطق القيام، فصرعت القبة بيدي؟ فسمع بذلك أهلي فجأؤوني فقلت احجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي. وسيأتي (١) إن شاء الله تعالى في قصة المورد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرافة من إيوانه، وخمود نيرانه ورؤياه مومذانية، وتفسيره سطيح لذلك على يدي عبد المسيح. وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحارث بن هانئ بن المدلج بن المقداد بن زمل بن عمرو العذري عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو العذري قال: كان لبني عذرة صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير (٢) بن عذرة وكان سادته

(١) قد تقدم ذلك، فليراجع في مكانه. (٢) كذا في الاصول والصواب: كبير كما في أسد الغابة ١ / ٣٠٥ والاصابة ج ١ / [*]

رجلا يقال له طارق وكانوا يعترفون عنده. فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بني هند بن حرام. ظهر الحق وأودى صمام ودفع الشرك الاسلام. قال ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما. ثم سمعنا صوتا وهو يقول: يا طارق يا طارق. بعث النبي الصادق، يوحى ناطق، صدع صاعد بأرض تهامة، لناصريه السلامة، ولخاذه الندامة، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة. قال زمل فوقع الصنم لوجهه. قال فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته شعرا قلته: اليك رسول الله أعملت نصها * وكلفتها حزنا وغورا من الرمل لانصر خير الناس نصرا مؤزرا * وأعقد جبلا من حبالك في حبلتي وأشهد أن الله لا شئ غيره * أدين به ما أثقلت قدمي نعلي قال فأسلمت وبابعته. وأخبرناه بما سمعنا فقال: " ذاك من كلام الجن ". ثم قال: " يا معشر العرب إنني رسول الله إليكم وإلى الانام كافة، أَدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإنني رسوله وعبده، وأن تحجوا البيت وتصوموا شهرا من إثني عشر شهرا وهو شهر رمضان، فمن أجابني فله الجنة نزلا، ومن عصاني كانت النار له منقلبا ". قال فأسلمنا وعقد لنا لواء. وكتب لنا كتابا نسخته: " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إنني بعثته إلى قومه عامدا (١) فمن أسلم ففي حزب الله ورسوله. ومن أبى فله أمان شهرين. شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الانصاري " (٢) ثم قال ابن عساکر: غريب جدا. وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في مغازيه: حدثني محمد بن سعيد - يعني عمه - قال قال محمد بن المنكدر إنه ذكر لي عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قبيس فقال: قبح الله رأيكم آل فهر * ما أدق العقول والافهام (٣) حين تعصى لمن يعيب عليها * دين آبائها الحماة الكرام حالف الجن جن بصرى عليكم * ورجال النخيل والأطام (٤) توشك الخيل أن تردها تهادى * تقتل القوم في حرام بهام (٥)

(١) في مكاتيب الرسول: عامة. (٢) في ترجمته في أسد الغابة والاصابة: ذكر أنه صلى الله عليه وسلم عقد له لواء على قومه وكتب له كتابا ولم يزل معه ذلك اللواء حتى شهد به صفين مع معاوية ؛ وذكر الكتاب في زاد المعاد وذكرت الكتاب في مجموعة الوثائق منقولا عن رسالات نبوية. لابن القيم. (٣) في دلائل أبي نعيم ص (٣٠): قبح الله رأي كعب بن فهر * ما أرق العقول والاحلام (٤) أي رجال الانصار، والمراد هنا أهل المدينة. (٥) في الدلائل: في بلاد التهام ؛ أي تهامة. [*]

هل كريم منكم له نفس حر * ماجد الوالدين والاعمام ضارب ضربة تكون نكالا * ورواحا من كربة واغتمام قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثا لاهل مكة يتناشدونه بينهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا شيطان يكلم الناس في الاوثان يقال له مسعر، والله مخزيه " فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول: نحن قتلنا في ثلاث مسعرا * إذ سفه الجن وسن المنكرا قنعتة سيفا حساما مشهرا * بشتمه نبينا المطهرا (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا عفريت من الجن اسمه سمج (٢) آمن بي سميته عبد الله أخبرني أنه في طلبه ثلاثة أيام " فقال علي جزاه الله خيرا يا رسول الله. وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار. حدثنا عباس بن الفرج الرياشي، حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن أبيه، عن

عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادَةَ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرموت في حاجة قبل الهجرة، حتى إذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول: أبا عمرو تناوبني (٢) السهود * وراح النوم وامتنع الهجود لذكر عصابة سلفوا وبادوا * وكل الخلق قصرهم يبيد تولوا واردين إلى المنايا * حياضا ليس منهلها الورود مضوا لسبيلهم وبقيت خلفا * وحيدا ليس يسعفني وحيد سدى لا أستطيع علاج أمر * إذا ما عالج الطفل الوليد فلايا ما بقيت إلى أناس * وقد باتت بمهلكها ثمود وعاد والقرون بذي شعوب * سواء كلهم إرم حصيد قال ثم صاح به آخر: يا خرعب ذهب بك العجب إن العجب كل العجب بين زهرة

(١) في الاصابة ج ٢ / ٧٨ عن الفاكهي في كتاب مكة ورد البيتان: نحن قتلنا مسعرا * لما طغى واستكبرا وصغر الحق وسن المنكرا * بشتمه نبينا المطهرا (٢) في الاصابة: سمحج. والخبر في دلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٠ وأخرجه الفاكهي في كتاب مكة عن ابن عباس عن عامر بن ربيعة ومن طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه بنحوه كما في الاصابة ج ٢ / ٧٨. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: ناويني، والصواب ما أثبتناه. [*]

[٤٣٦]

ويثرب. قال وما ذاك يا شاحب ؟ قال نبي السلام، بعث بخير الكلام إلى جميع الانام، فاخرج من البلد الحرام إلى نخيل وأطام. قال ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل، والامي المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. قال هيهات فات عن هذا سني، وذهب عنه زمني لقد رأيتني والنضر بن كنانة نرمي غرضا واحدا، ونشرب حلبا باردا، ولقد خرجت به من دوحة في غداة شبمة (١) وطلع مع الشمس وغرب معها، يروي ما يسمع ويثبت ما يبصر. ولئن كان هذا من ولده لقد سل السيف وذهب الخوف، ودحض الزنا، وهلك الربا. قال فاخبرني ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة، والشدة والشجاعة، إلا بقية في خزاعة. وذهبت الضراء والبؤس، والخلق المنفوس إلا بقية من الخزج والاوس. وذهبت الخيلاء والفخر، والنميمة والغدر، إلا بقية في بني بكر. يعني ابن هوازن. وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم، إلا بقية في خثعم. قال أخبرني ما يكون ؟ قال إذا غلبت البرة، وكطمت الحرة، فاخرج من بلاد الهجرة، وإذا كف السلام، وقطعت الارحام فاخرج من البلد الحرام. قال أخبرني ما يكون ؟ قال لولا أذن تسمع، وعين تلمع لاخبرتك بما تفزع. ثم قال: لا منام هدايته بنعيم * يا ابن غوط ولا صباح أنانا قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبلى، فذهب الفجر فذهبت لانظر فإذا عظاية (٢) وثعبان ميتان. قال فما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث. ثم رواه عن محمد بن جعفر عن إبراهيم بن علي عن النضر بن سلمة عن حسان بن عبادَةَ بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادَةَ. قال: لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاج، قال فقضيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض الطريق نمت، ففزعت من الليل بصائح يقول: أبا عمرو تناوبني السهود * وراح النوم وانقطع الهجود وذكر مثله بطوله. وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى عن العطاف بن خالد الوصابي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت تميما الداري يقول: كنت بالشام حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت لبعض حاجتي فأدركني الليل. فقلت أنا في جواز عظيم هذا الوادي الليلة. قال فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمناد ينادي - لا أراه - عذبا لله فإن الجن لا تجير أحدا

على الله فقلت أيم الله تقول ؟ فقال قد خرج رسول الاميين رسول
الله وصلينا خلفه بالحجون (٣). فأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن
ورميت بالشهب. فانطلق

(١) شبيحة: باردة. (٢) عطاية: دويبة ملساء تمشي مشيا سريعا ثم تقف. (٣)
الحجون: جبل بأعلى مكة. وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف. ياقوت ٢
/ ٢٣٥. [*]

[٤٢٧]

إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم. قال تميم فلما أصبحت ذهبت
إلى دير أيوب (١) فسألت راهبا وأخبرته الخبر. فقال الراهب: قد
صدقك يخرج من الحرم مهاجرة الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق
إليه. قال تميم فتكلفت الشخصوص حتى جئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأسلمت. وقال حاتم بن إسماعيل عن عبد الله بن يزيد
الهدلي عن عبد الله بن ساعدة الهدلي، عن أبيه قال: كنا عند
صنمنا سواع، وقد جلبنا إليه غنما لنا مائتي شاة قد أصابها حرب،
فأدنينها منه لنطلب بركته فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي قد
ذهب كيد الجن، ورمينا بالشهب لنبي اسمه أحمد. قال فقلت غويت
والله. فصدقت وجه غنمي منجدا إلى أهلي فرأيت رجلا. فخبرتني
بظهور النبي صلى الله عليه وسلم. ذكره أبو نعيم هكذا معلقا ثم
قال: حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السندي حدثنا
النضر بن سلمة حدثنا محمد بن مسلمة المخزومي حدثنا يحيى بن
سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - من بني سليم من ولد راشد
بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم
الذي يقال له سواع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر بن
سليم فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم إلى
سواع قال راشد فألقيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع، فإذا
صارخ يصرخ من جوفه: العجب كل العجب من خروج نبي من بني
عبد المطلب، يحرم الزنا والزبا والذبح للاصنام. وحرست السماء
ورمينا بالشهب العجب كل العجب. ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك
الضمار وكان يعبد، خرج النبي أحمد، يصلى الصلاة ويأمر بالزكاة
والصيام، والبر والصلوات للارحام. ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف
يقول: إن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
نبي أتى يخبر بما سبق * وبما يكون اليوم حقا أو غدا (٢) قال راشد:
فألقيت سواعا مع الفجر وتعلبان يلحسان ما حوله، ويأكلان ما يهدي
له، ثم يعوجان عليه ببولهما، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه: أرب
ببول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب وذلك عند
مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجرة إلى المدينة وتسامع
الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
ومعه كلب له، واسم راشد يومئذ ظالم، واسم كلبه راشد فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: " ما اسمك " قال ظالم. قال: " فما
اسم كلبك ؟ " قال راشد، قال: " اسمك راشد، واسم

(١) دير أيوب: قرية بحوران بنواحي دمشق وبها قبر أيوب عليه السلام. ياقوت ٢ /
٤٩٩. (٢) البيت الثاني لم يرد في سبل الهدى والرشاد ولا في سيرة ابن هشام وورد
قيل البيت الاول بيتان تقديما: قل للقبائل من سليم كلها.. أو دى ضماذ وكان يعبد مرة.
[*]

[٤٢٨]

كليك ظالم " وضحك النبي صلى الله عليه وسلم. وباع النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قطيعة برهات - ووصفها له - فاقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلاة (١) من رهاط (٢) شأو الفرس، ورميته ثلاث مرات بحجر، وأعطاه أداة مملوءة من ماء وتفل فيها وقال له " فرغها في أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها " ففعل فجعل الماء معينا يجري إلى اليوم فغرس عليها النخل. ويقال إن رهاط كلها تشرب منه فسامها الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم. وأهل رهاط يغتسلون بها ويلغت رمية راشد الركب الذي يقال له ركب الحجر، وغدا راشد على سواع فكسره. وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دلهاث بن اسماعيل بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبي عن أبيه دلهاث عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال: خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية. فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعا من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر (٣) جهينة. فسمعت صوتا في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطح الضياء، وبعث خاتم الانبياء ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن. فسمعت صوتا في النور وهو يقول: ظهر الاسلام وكسرت الاصنام، ووصلت الارحام فانتبهت فرعا، فقلت لقومي والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث، وأخبرتهم بما رأيت. فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلا يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال " يا عمرو بن مرة إنني (٤) المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الاسلام، وأمرهم بحقن الدماء وصلة الارحام، وعبادة الله [وحده] ورفض الاصنام، وحج البيت. وصيام شهر من اثني عشر شهرا وهو شهر رمضان، فمن أجاب فله الجنة. ومن عصى فله النار، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك من نار (٥) جهنم " فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. أمنت بكل ما جئت

(١) الصلاة: موضع بين مكة وبدر بينه وبين بدر الاثليل. (٢) في نسخ البداية المطبوعة وهاط وهو تحريف، والصواب رهاط: قال ابن الكلبي اتخذت هذيل سواعا ربا برهات من أرض ينبع، وينبع عرض من أعراض المدينة. وقال عرام رهاط: قرية بقرب مكة على طريق المدينة ياقوت ٣ / ١٠٧. (٣) أشعر جهينة: في مجمع الزوائد: أسعر. وهو جبل جهينة بين المدينة والشام ينحدر على ينبع. ياقوت ١ / ١٩٨. (٤) عند الروياني وابن عساكر ومجمع الزوائد: أنا النبي المرسل. (٥) في المصادر السابقة: هول. [*]

[٤٢٩]

به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيرا من الاقوام، ثم أنشدته أبياتا فلتها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فقامت إليه فكسرتة ثم لحقت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول: شهدت بأن الله حق وأني * لآلهة الاحجار أول تارك فشممت عن ساقبي إزار مهاجر * اليك أدب الغور بعد الدكادك (١) لاصحب خير الناس نفسا ووالدا * رسول مليك الناس فوق الجبائك (٢) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مرحبا بك يا عمرو بن مرة ". فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي إبعث بي إلى قومي، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك علي، فبعثني إليهم وقال: " عليك بالقول السديد ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا " فاتيت قومي فقلت لهم: يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة إنني رسول من رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، وأمركم بحقن الدماء، وصلة الارحام، وعبادة الله، ورفض الاصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهرا. فمن أجاب فله الجنة. ومن عصى فله النار. يا معشر جهينة إن الله - وله

الحمد - جعلكم خيار من أنتم منه (٣) وبغض اليكم في جاهليتكم ما حيب إلى غيركم من الرفث، لانهم كانوا يجمعون بين الاختين، ويخلف الرجل [منهم] على امرأة أبيه، والترات (٤) في الشهر الحرام. فأجيبوا هذا النبي المرسل صلى الله عليه وسلم من بني لؤي بن غالب. تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند الله. فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك، أتأمرنا أن نرفض آلهمتنا ونفرك جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا ولا مرحبا ولا كرامة، ثم أنشأ [الخبيث] يقول: إن ابن مرة قد أتى بمقالة * ليست مقالة من يريد صلاحا إنني لاحسب قوله وفعاله * يوما وإن طال الزمان رباحا أتسفه الاشياخ ممن قد مضى * من رام ذلك لا أصاب فلاحا فقال عمرو بن مرة: الكاذب مني ومنك أمر الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكمه بصره. قال عمرو بن مرة والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعام الطعام، وعمي وخرس. وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فرحب بهم وحباهم وكتب لهم كتابا هذه نسخته:

(١) في مجمع الزوائد: وشمرت عن ساق الازار مهاجرا * إليك أحوز الفوز بعد الدكاك (٢) الحباثك: جمع حبيكة ؟ وهي الطريقة بين النجوم ؛ والمراد: السماوات. (٣) أي من العرب. (٤) في ابن عساکر ومجمع الزوائد: والغزاة. [*]

[٤٣٠]

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق، وحق ناطق، مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد إن لكم بطون الارض وسهولها، وتلاع الاودية وظهورها، ترعون نباته وتشربون صافيه. على أن تفروا بالخمسة، وتصلوا الصلوات الخمسة، وفي التبعة والصريمة شاتان إن اجتمعتا، وإن تفرقتا فشاة شاة. ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة اللبقة " (١). ويشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب، قيس بن شماس رضي الله عنهم. وذلك حين يقول عمرو بن مرة: ألم تر أن الله أظهر دينه * وبين برهان القرآن لعامر (٢) كتاب من الرحمن نور لجمعنا * وإحلافنا في كل باد وحاضر (٣)

(١) نص الكتاب كما ورد عن ابن عساکر في جمع الجوامع للسيوطي ورسالات نبوية لعبد المنعم خان ومجمع الزوائد ٨ / ٢٤٥. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله عزيز على لسان رسول بحق صادق وكتاب ناطق مع عمرو بن مرة، لجهينة بن زيد: إن لكم بطون الارض وسهولها، وتلاع الاودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها. على أن تؤدوا الخمسة. وتصلوا الخمسة. وفي التبعة والصريمة شاتان إذا اجتمعتا، فإن تفرقتا فشاة شاة. ليس على أهل المثيرة صدقة ولا على الوردة لبقة ". والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين كتاب قيس بن شماس ". المعاني: - بطون الارض: البطون خلاف الظهر في كل شئ، ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر. ويقال لكل غامض بطن ولكل ظاهر ظهر. والمراد أن لكم الوهدة من الارض. - تلاع الاودية: مسائل الماء من العلو إلى السفلى. فتلاعها ما انحدر من الاودية. - التبعة: بكسر التاء وسكون الياء، وهي أدنى ما يجب فيه الزكاة ؛ من الحيوان الحيوان كالخمسة في الابل. - الصريمة: تصغير الصرمة، وهي القطيع من الابل والغنم، قيل من العشرين إلى الثلاثين إلى الاربعين كأنها إذا بلغت هذا القدر تستقل بنفسها، فيقطعها صاحبها عن معظم إبله وغنمه. والمراد: عن مائة وإحدى وعشرين إلى المائتين إذا اجتمعت ففيها شاتان وإن كانت لرجلين وفرق بينهما فعلى كل واحد منهما شاة. - المثيرة: لأنها تثير الأرض وذلك إرفاقا بهم ومداراة. - ولا على الوردة لبقة: الوارد: الذي يتقدم القوم فيسقي لهم. واللبقة: بفتح اللام وسكون الباء الطرف أي ليس عليهم أن يعطوا لمن يرد مياهم من المسلمين الظروف ؛ ولعل المراد: أنه لا يجب عليهم قرى العساكر المسلمين وإعانتهم حتى لبقة للماء التي لا كلفة في إعطائها. (٢) في رسالة من يسمى عمرا من الشعراء لابن الجراح: فرقان الفرقان. (٣) في مجمع الزوائد: كتاب من الرحمن يجعلنا معا * وأحلافنا في كل باد وحاضر [*]

إلى خير من يمشي على الأرض كلها * وأفضلها عن اعتكار الصرائر (١) أطعنا رسول الله لما تقطعت * بطون الاعادي بالظبي والخواطر (٢) فنحن قبيل قد بني المجد حولنا * إذا اجتلبت في الحرب هام الاكابر بنو الحرب نفرها بأيد طويلة * وبيض تلالا في أكف المغاور ترى حوله الانصار تحمي أميرهم * بسمر العوالي والصفاح البواتر (٣) إذا الحرب دارت عند كل عزيمة * ودارت رحاها بالليوث الهواصر تلج منه اللون وازداد وجهه * كمثل ضياء البدر بين الزواهر (٤) وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الاموي في مغازيه: حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجالد بن سعيد والاجلح عن الشعبي، حدثني شيخ من جهينة قال: مرض منا رجل مرضا شديدا فنقل حتى حفرنا له قبره وهيانا أمره فأغمي عليه ثم فتح عينيه وأفاق فقال أحفرتم لي ؟ قالوا نعم، قال فما فعل الفصل - وهو ابن عم له - قلنا صالح مر أنفا يسأل عنك، قال أما إنه يوشك أن يجعل في حفرتي إنه أتاني أت حين أغمي علي فقال ابك هبل ؟ أما ترى حفرتك تنتل، وأمك قد كادت تتكل ؟ أرايتك أن حولناها عنك بالمحول، ثم ملانها بالجدل، وقذفنا فيها الفصل، الذي مضى فأجزأك، وظن أن لن يفعل. أتشكر لربك، تصل وتدع دين من أشرك وصل ؟ قال قلت نعم. قال قم قد برئت. قال فبرئ الرجل. ومات الفصل فجعل في حفرتة. قال الجهيني: فرأيت الجهيني بعد ذلك يصلي ويسب الاوثان ويقع فيها. وقال الاموي: حدثنا عبد الله قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس يتحدثون عن الجن، فقال خريم بن فاتك الاسدي [لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين]: ألا أحدثك كيف كان اسلامي ؟ قال بلى، قال إني يوما في طلب ذود (٥) لي أنا منها على أثر تنصب وتصد، حتى إذا كنت بأبرق العراق (٦) انخت راحلتي وقلت أعوذ بعظيم (٧) هذه البلدة أعوذ برئيس هذا

(١) الصرائر ؛ في الوفا ومجمع الزوائد. واعتكار الصرائر: تمازج الاصول ؛ والمراد هنا أنه صلى الله عليه وسلم أصفى الناس أصلا وأشرفهم نسبا. (٢) في مجمع الزوائد: بالطباء الخواطر. (٣) في مجمع الزوائد: والسيوف البواتر. وفي الوفا: يحمون سربه بدل تحمي أميرهم. (٤) في مجمع الزوائد: وازدان بدل وازداد. (٥) في مجمع الزوائد في رواية ابن عباس: في بقاء إبل لي - وفي رواية أبي هريرة: نعم لي. (٦) كذا في الاصل: أبرق العراق وهو تحريف والصواب أبرق العزاف وهو رمل لبني سعد بجبيل هناك (من جبال الدهناء) وإنما سمي العزاف لانهم يسمعون به عريف الجن وهو صوتهم. وعن السكري: العزاف على اثني عشر ميلا من المدينة قال حسان: لمن الديار والرسوم العوافي * بين سلع فأبرق العزاف [*]

الوادي [من سفهاء قومه]، فإذا بهاتف يهتف بي: ويحك، عذ بالله ذي الجلال * والمجد والعلياء والافصال (١) ثم اتل آيات من الانفال * ووجد الله ولا تبالني (٢) قال فدعرت دُعرا شديدا ثم رجعت إلى نفسي فقلت: يا أيها الهاتف ما تقول * أرشد عندك أم تضليل ؟ (٣) * بين هداك الله ما الحويل * قال: فقال: هذا رسول الله ذو الخيرات * بيثرب يدعو إلى النجاة يأمر بالبر وبالصلاة * ويزع الناس عن الهنات (٤) قال: قلت له: والله لا أبرح حتى أتيه. وأومن به، فنصبت رجلي في غرز راحلتي وقلت أرشدني أرشدني هديتا (٥) * لا جعت ما عشت ولا عريت ولا برحت سيدا مقيتا * لا تؤثر الخير الذي أتيتا (٦)

= معجم البلدان ٤ / ١١٨ معجم ما استعجم ٣ / ٩٤. (٧) في رواية ابن عباس: بعظيم هذا الوادي ؛ وهو قول أهل الجاهلية. (١) في ابن عساکر: والنعماء والأفضال. وفي الإصابة ومجمع الزوائد: منزل الجلال والحرام. (٣) الأبيات في مجمع الزوائد: ووجد الله ولا تبالي * ما هول ذي الجن من الأهوال إذ يذكر الله على الأيصال * وفي سهول الأرض والجبال وصار كيد الجن في سفال * إلا التقى وصالح الاعمال (٣) في الإصابة ومجمع الزوائد: يا أيها الداعي ما تحيل. (٤) في رواية ابن عباس: هذا رسول الله ذو الخيرات * جاء بياسمين وحاميمات وسور بعده مفضلات * محرقات ومحللات يأمر بالصوم وبالصلاة * ويزجر الناس عن الهنات قد كن في الأيام منكرات في الإصابة جاء البيت الثاني: محرقات محللات * يأمرنا بالصوم وبالصلاة (٥) في دلائل أبي نعيم، أرشدني بها هدينا.. (٦) في دلائل أبي نعيم: [*]

[٤٣٣]

* على جميع الجن ما بقيتا * فقال (١): صاحبك الله وأدى رحلكا * وعظم الأجر وعافا نفسكا آمن به أفلح ربي حقكا * وانصره نصرا عزيزا نصركا قال قلت من أنت عافاك الله، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن ملك (٢)، وأنا نقيبته على جن نصيبين. وكفيت إبلك حتى أضمتها إلى أهلك إن شاء الله. قال فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسل إلى المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر يخطب الناس، فقلت انيخ على باب المسجد حتى يصلى وأدخل عليه فأسلم وأخبره عن إسلامي، فلما انخت خرج إلي أبو ذر فقال مرحبا وأهلا وسهلا قد بلغنا إسلامك، فأدخل فصل، ففعلت ثم جئت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بإسلامي قلت: الحمد لله. قال: " أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك، وأدى إبلك إلى أهلك " (٣). وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجمة الكبير قائلا حدثنا الحسين بن إسحاق اليسيري، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا عبد الله بن موسى الاسكندري، حدثنا محمد بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي، قال بلى ! فذكره غير أنه قال فخرج إلي أبو بكر الصديق فقال أدخل، فقد بلغنا إسلامك، فقلت لا أحسن الطهور، فعلمني فدخلت المسجد ف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه البدر وهو يقول: " ما من مسلم توضع فأحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقلها إلا دخل الجنة " فقال لي عمر لتأتيني علي هذا بينة أو لا تكلم بك، فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان فأجاز شهادته. ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن

= ولا صحبت صاحبها مقيتا * لا يتوون الخير إن ثويتا وفي مجمع الزوائد: ولا برحت سعيدا ما بقيت * ولا تؤثرن على الخير الذي أوتيت (١) في رواية أبي هريرة: قال فاتبعني وهو يقول: سلمك الله وسلم نفسك * وبلغ الأهل وأدى رحلكا أمر به أفلح ربي حقكا * وانصره أعز ربي نصركا (٢) عند ابن عساکر: أنا عمرو بن أثال. وأنا عامله على جن نجد المسلمين. (٣) رواه في مجمع الزوائد ٨ / ٢٥٠ - ٢٥١ عن ابن عباس. وقال رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. وأخرجه الحاكم ٢ / ٦٢١ من طريق الحسن بن محمد بن علي عن أبيه. قال الذهبي: لم يصح. وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه وأبو القاسم بن سمران كما في الإصابة ج ٣ / ٢٥٣. [*]

[٤٣٤]

تيم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال عمر بن الخطاب بن فاتك حدثني بحديث يعجبني فذكر مثل السياق الاول سواء. وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي، قال أتى رجل ابن

عباس فقال بلغنا أنك تذكر سطيحا تزعم أن الله خلقه، لم يخلق من بني آدم شيئا يشبهه ؟ قال: قال: نعم إن الله خلق سطيحا الغساني لحما على وضم (١) ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة، والكفان. وكان يطوي من رجليه إلى ترقوته كما يطوي الثوب، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه. فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضمة فأثي به مكة، فخرج إليه أربعة من قريش عبد شمس، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي، والاحوص بن فهر، وعقيل بن أبي وقاص فانتموا إلي غير نسيهم وقالوا نحن أناس من جمح أتيناك بلغنا قدومك، فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية، وصعدة ردينية، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا، أهل براها سطيح أم لا. فقال: يا عقيل ناولني يدك فناوله يده فقال: يا عقيل والعالم الخفية، والغافر الخطية، والذمة الوفية، والكعبة المبنية، إنك للجائي بالهدية، الصفيحة الهندية، والصعدة الردينية. قالوا صدقت يا سطيح، فقال والآتي بالفرح، وقوس قرح، وسائر الفرح، واللطيم المنبطح، والنخل والرطب والبلح، إن الغراب حيث مر سنح، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح، وإن نسيهم من قريش ذي البطح. قالوا صدقت يا سطيح نحن أهل البيت الحرام، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك. فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فلعل أن يكون عندك في ذلك علم قال: الآن صدقتم، خذوا مني ومن إلهام الله إياي، أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم، سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشو من عقبيكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم، ويبلغون الروم، ويقتلون العجم، يطلبون الغنم، قالوا يا سطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم: والبيت ذي الأركان، والامن والسكان لينشوون من عقبيكم ولدان يكسرون الاوثان، وينكرون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، وينشرون دين الديان، يشرفون البنيان، ويستفتون الفتيان، قالوا يا سطيح من نسل من يكون أولئك ؟ قال: وأشرف الاشراف، والمفضي للاشراف، والمرعزع الاحقاف، والمضعف الاضعاف، لينشوون الالاف من عبد شمس وعبد مناف، نشوءا يكون فيه اختلاف. قالوا يا سواتاه يا سطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم ومن أي بلد يخرج أولئك ؟ فقال والباقي الابد، والبالغ الابد، ليخرجن من ذا البلد، فتى يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث والفند، يبرأ من عبادة الضدد، يعبد ربا انفراد، ثم

(١) الوضم: شرائح من جريد النخل. [*]

[٤٢٥]

يتوفاه الله محمودا، من الارض مفقودا، وفي السماء مشهودا. ثم يلي أمره الصديق إذا قضي صدق، في رد الحقوق لا خرق ولا نزق ثم يلي أمره الحنيف، مجرب عطريف، ويترك قول العنيف. قد صاف المضيف. وأحكم التحنيف. ثم يلي أمره داعيا لامره مجريا، فتجتمع له جموعا وعصبا، فيقتلونه نقمة عليه وغضبا، فيؤخذ الشيخ فيذبح أريا فيقوم به رجال خطبا. ثم يلي أمره الناصر، يخلط الرأي برأي المناكر، يظهر في الارض العساكر، ثم يلي بعده ابنه يأخذ جمعه ويقبل حمده. ويأخذ المال ويأكل وحده، ويكثر المال بعقبه من بعده، ثم يلي من بعده عدة ملوك، لا شك الدم فيهم مسفوك، ثم بعدهم الصعلوك يطويهم كطي الدرنوك (١). ثم يلي من بعده عظهون (٢) يقضي الحق ويدني مصر، يفتح الارض افتتاحا منكرا، ثم يلي قصير القامة، بظهره علامة يموت موتا وسلامة. ثم يلي قليلا باكر، يترك الملك باثر يلي أخوه بسنته ساير (٣)، يختص بالاموال والمنابر ثم يلي من بعده أهوج، صاحب دنيا ونعيم مخلج، يتشاوره معاشره وذووه، ينهضون إليه يخلعونه بأخذ الملك ويقتلونه، ثم يلي أمره من بعده السابع،

يترك الملك محلاً ضائع، بنوه في ملكه كالمشوه جامع، عند ذلك يطمع في الملك كل عريان، ويولي أمره اللهبان. يرضى نزاراً جمع قحطان، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان، يصنف اليمن يومئذ صنفان. صنف المشورة، وصنف المخدول. لا ترى الاحياء محلول. وأسيرا مغلول. بين القراب والخيول. عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الارامل، وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل، وتطلب الخلافة وائل، فتغضب نزار فتدني العبيد والاشرار، وتقصي الامثال والاخبار. وتغلو الاسعار في صفر الاصفار يقتل كل حيا منه، ثم يسبيرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الانهار ويهزمهم أول النهار، تظهر الاخبار فلا ينفعهم نوم ولا قرار. حتى يدخل مصر من الامصار، فيدركه القضاء والاقدار. ثم يجئ الرماة تلف مشاة، لقتل الكماة، وأسر الحماة. وتهلك الغواة هنالك يدرك في أعلى المياه. ثم يبور الدين، وتقلب الامور، وتكفر الزبور، وتقطع الجسور، فلا يفلت إلا من كان في جزائر البحور، ثم تبور الحبوب، وتظهر الاعارب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب في زمان عصيب، لو كان للقوم حيا، وما تغني المنى. قالوا ثم ماذا يا سطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن (٤)، يذهب الله على رأسه الفتن. وهذا أثر غريب كتباه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم. وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن، وكيف بشر بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن

(١) الدرناك: نوع من البسط أو الثياب له خمل. (٢) عظهون: في المعاجم: عظيم كاردب، وهو القوي الغليظ. (٣) سابر: واضح. يومئذ صنفان. صنف المشورة، وصنف المخدول. لا ترى الاحياء محلول. وأسيرا مغلول. بين القراب والخيول. عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الارامل، وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل، وتطلب الخلافة وائل، فتغضب نزار فتدني العبيد والاشرار، وتقصي الامثال والاخبار. وتغلو الاسعار في صفر الاصفار يقتل كل حيا منه، ثم يسبيرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الانهار ويهزمهم أول النهار، تظهر الاخبار فلا ينفعهم نوم ولا قرار. حتى يدخل مصر من الامصار، فيدركه القضاء والاقدار. ثم يجئ الرماة تلف مشاة، لقتل الكماة، وأسر الحماة. وتهلك الغواة هنالك يدرك في أعلى المياه. ثم يبور الدين، وتكفر الزبور، وتقطع الجسور، فلا يفلت إلا من كان في جزائر البحور، ثم تبور الحبوب، وتظهر الاعارب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب في زمان عصيب، لو كان للقوم حيا، وما تغني المنى. قالوا ثم ماذا يا سطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن (٤)، يذهب الله على رأسه الفتن. وهذا أثر غريب كتباه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم. وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن، وكيف بشر بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن

(١) الدرناك: نوع من البسط أو الثياب له خمل. (٢) عظهون: في المعاجم: عظيم كاردب، وهو القوي الغليظ. (٣) سابر: واضح. (٤) الشطن: الحبل الطويل، والمراد هنا: الرجل الطويل. [*]

[٤٣٦]

أخته عبد المسيح حين أرسله ملك بني ساسان، لارتجاس الايوان، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان. وذلك ليلة مولد الذي نسخ بشريعته سائر الاديان. * * * تم الجزء الثاني من البداية والنهاية ويليه الجزء الثالث وأوله باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية